



جامعة الاسكندرية

# مجلة كلية الآداب

العدد التاسع والأربعون

٢٠٠٠ / ١٩٩٩ م

تصدر «مجلة كلية الآداب» وإصداراتها محكمة عن كلية الآداب  
بجامعة الإسكندرية وتقدم مخطوطات البحوث مكتوبة على الكمبيوتر من  
ثالث نسخ. ويجب ألا يزيد عدد صفحات البحث عن ثمان وأربعين صفحة  
من القطع المتوسط مكتوبة على الكمبيوتر.

تقدم البحوث وتكون جميع المراسلات باسم :  
الاستاذ الدكتور عثمان سليمان مواهي  
وكيل كلية الآداب للدراسات العليا والبحوث ورئيس تحرير مجلة كلية الآداب  
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية  
الشاطبي - الاسكندرية  
جمهورية مصر العربية





مجلة كلية الآداب

مجلس التحرير

رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ الدكتور محمد عبده محجوب

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور عثمان سليمان مواهي

أعضاء مجلس التحرير

١٩٩٩ - ٢٠٠٠

أ.د. فوزى سعد عيسى

أ.د. أميرة نويرة

أ.د. صبحي شيحة

أ.د. حمدي عبد المنعم

أ.د. فايز العيسوي

أ.د. راوية عبد المنعم

أ.د. السيد عبد العاطي

أ.د. محمد عباس

أ.د. عزت قبادوس

أ.د. سهام القارح

أ.د. مایسة النبیال

د. جمال الخولي



## المحتويات

| الموضوع                                                   | صفحة رقم |
|-----------------------------------------------------------|----------|
| الثقافة الاستهلاكية                                       |          |
| أ. د. محمد على الكردى                                     | ١        |
| الإسلام والتنوير                                          |          |
| أ. د. نفيسة عبد الفتاح                                    | ٢١       |
| التراث المصرى القديم فى حياتنا المعاصرة                   |          |
| أ. د. أحمد أمين سليم                                      | ٣٩       |
| التحصينات الدفاعية فى شمال مصر فى العصر الفرعونى          |          |
| أ. د. عبد المنعم عبد الحليم سيد                           | ٦٥       |
| الفاظ يونانية فى حياتنا اليومية                           |          |
| أ. د. محمد السيد عبد الغنى                                | ١٠١      |
| العلاقات السياسية بين المسلمين والبيزنطيين فى عهد الخليفة |          |
| أ. د. سامية عامر                                          | ١٣٧      |
| البداوة نموذج لقضايا منهجية فى البحث الأنثروبولوجى        |          |
| أ. د. عبد الصمد مصطفى سالم                                | ١٨٥      |
| الصراع بين عباس حلمى الأول وأفراد أسرته ونتائجه           |          |
| أ. د. فوزى السيد المصرى                                   | ٢٢١      |
| جيومورفولوجية الحفر الكارستية                             |          |
| أ. د. أحمد السيد محمد معتوق                               | ٢٥٥      |
| معركة أنقرة عام ٨٠٥هـ / ١٤٠٢م                             |          |
| أ. د. عبد الرحمن محمد العبد الغنى                         | ٣١٣      |
| المنافسة البريطانية الفرنسية فى سلطنة مسقط                |          |
| د. عبد الرحمن بن على السديس                               | ٣٦٣      |

نقوش عربية من منطقة حى تبوك

٤٠٧

أ. د. سليمان بن عبد الرحمن الذيب

تعامل القراء مع (كلام العرب) فى معانى القرآن

٤٤٥

د. فاطمة راشد الراجحي

شترى دراسة لغوية

٤٩١

د. عبد الله بن حمد الدايل

Geomorphology of Wadi Al Aqai Terraces in The  
Noath East of Al Madinahai Munaw Watrah. Kingdom  
of Saudi Arabia

Dr. Hamdenoh Abdel-Kader El-Sayed 1

Lecture Déugéne Savitzkaya Puision et pensée Du  
Chaos

Dr. Dina Gamal Eidine Amine 34

Language, Ecriture Etcommunication Dahs L'usage De  
La Parole

Dr. Soheir Mohamed El Chani 91

A Present Conflict Analysed in the Light of a Shake  
spearean Scene

131

Yes/ No. Questions in Cyrenaica A Phonetic Analysis

Dr. Mohamed S.El-Dalee 167

# الثقافة الاستهلاكية

إعداد

د/ محمد علي الكروي

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية



## الثقافة الاستهلاكية

إسماعيل محمد علي الكروي - كلية اللاهوت - جامعة الإسكندرية

ليس من شك في أن الحديث عن الثقافة متعدد الجوانب والوجوه، إلا أن الثقافة، في معناها المباشر، وربما بالنسبة للغالبية العظمى من الناس، غالباً ما تعنى مختلف ضروب النشاط الإبداعي من أدب وفن وفكر. وهي بهذا المعنى التقليدي والمباشر، تشكل جزءاً لا يتجزأ من «البنية الفوقية»، أي مجمل التصورات التخيلية والذهنية والتعبيرية التي يكونها أفراد أي مجتمع لأنفسهم من خلال علاقاتهم بذواتهم وبغيرهم، سواء أكانت هذه التصورات صادقة أم زائفة. ونقصد بالصادقة ما يتطابق منها، بالفعل، مع الواقع الاجتماعي للأفراد، وبالزائفة ما يتصل منها بالتخيلات والأوهام التي يعتقد البعض أنها تشكل حقيقة واقعهم، وهي أبعد ما تكون عن ذلك. غير أنه كثيراً ما يختلط، في واقع الأمر، الصحيح بالزائف والفعلي بالمتوهم، فالناس لا يتصورون أنفسهم ولا يدركون علاقاتهم بالآخرين من خلال الواقع الفعلي أو احتياجاتهم الفعلية فحسب وإنما أيضاً من خلال رغباتهم وطموحاتهم وآمالهم، وهو الأمر الذي يضيف كثيراً من التعقيدات على فهمنا لأنفسنا وللآخرين.

أضف إلى ذلك أن مفاهيم الثقافة، إذ أنه لم يعد هناك مفهوم واحد أو غالب، لم تعد تقتصر على هذه الفكرة البسيطة التي أشرنا إليها: وهي ربط الثقافة بالجانب الذهني أو الإبداعي البحث. فلقد أدخل أهل الأنثروبولوجيا<sup>(١)</sup> على هذا المفهوم رؤاهم التوسعية، ولا أقول «الإمبريالية»، إلى الدرجة التي لم

تترك فيها هذه الرؤى ضرباً من ضروب النشاط الإنساني إلا وأدمجته في المجال العام للثقافة. وهكذا أصبحت الثقافة تضم، بجانب النشاط الإبداعي السابق الذكر، العادات والسلوك والتقاليد والأعراف والمعايير الموروثة وطرائق العيش وأساليب الحياة وأدوات الإنتاج. ومن ثم، أصبح من العسير علينا أن نتحدث عن «البنية الفوقية»، وأن نميزها عن «البنية التحتية» التي كان من المفترض أنها تتشكل من قوى الإنتاج ووسائله المختلفة التي يؤسس بها الإنسان علاقته بالطبيعة والمادة عن طريق عمله أو نشاطه الاجتماعي عبر التاريخ. ولعل ذلك يُصبح مفيداً وإيجابياً، في الوقت نفسه، نظراً لكون مفهوم «البنية الفوقية» يحمل في طياته طابع التعالي الذي كان يتميز به الفكر الخالص قديماً مقارنة بالنشاط العملي والمادى المباشر الذي كان يمثله العمل اليدوي، ولكون هذا الاتساع قد يوحى ليس فحسب بتقارب المستويات الاجتماعية وامتزاجها داخل المجتمع الواحد، وإنما كذلك بتحول المجتمعات الطبقيّة العتيقة إلى مجتمع متجانس يسير بخطى حثيثة نحو العولة «المنشودة» التي يسعى إلى تحقيقها النظام العالمي الجديد.

ولكن هل يغير هذا التصور الفضفاض من واقع علاقات القوة الفعلية بين الدول الغنية والدول الفقيرة، وهي العلاقات التي تنشأ من حركة التاريخ الفعلية، وليس من التصورات والأفكار المجردة التي غالباً ما تنبثق وتنمو وتطور بطريقة لاحقة لتجب الهوة بين الواقع والخيال، ولتقدم التبريرات والتفسيرات الملائمة لها؟

إلا أنه يبدو، قبل التسرع في الإجابة على هذا التساؤل، أن تعميم



مفهوم أو مصطلح الثقافة بحيث يَجِبُ كل ألوان النشاط الاجتماعى والعقلى والموروث يمكن رده، كما يبدو، إلى أسباب وبواعث أخرى، قبل أن تتأط به المهام الجديدة فى إطار ما أطلق عليه «حوار الثقافات» والمحافظة على «الخصوصية» داخل «التعددية»، وهى عناوين براقية تبدو لنا وكأنها خطوة جديدة وحاسمة نحو التعايش العالمى وثورة على سياسة التتميط أو الاستقطاب التى قامت عليها حركة الصراع الأيديولوجى السابقة على انهيار المعسكر الاشتراكى.

ذلك أن مفهوم «الثقافة» أو المصطلح نفسه حديث العهد فى الظهور، وإن كان قد وُجد قديماً عند الخطيب المعروف «شيشرون» - كما يقول المؤرخ «بروديل» - تحت اسم «الغرس العقلى» (cultura mentis)، وهو مصطلح قد أتى إلى الفرنسية عن طريق الألمانية (Kultur) فى أوائل القرن العشرين، بينما كان يتعايش قبل ذلك، ولكن بطريقة غير متكافئة، مع لفظة أو مصطلح «الحضارة» الذى لم يثبت بدوره إلا بدءاً من النصف الثانى للقرن الثامن عشر حينما نراه يبرز فى كتابات «فولتير» والأب «مابلى» (Mably) و«كوندرسيه»<sup>(٢)</sup>. ويبدو كذلك أن مصطلح «الحضارة» كان يُفيد، فى بدايته، فعل الرقى والتحضر (société policée) أو يقترب من أخلاقيات البلاط وآداب المجاملة (civilité) التى برزت فى أدبيات العصور الوسطى، وذلك أن اكتسب هو ومصطلح «الثقافة»، خاصة بعد تحويلهما إلى صيغة الجمع، معناهما الحديث بفضل انبثاق ونماء حركة العلوم الإنسانية إبان القرن التاسع عشر<sup>(٣)</sup>.

ويعتقد الباحث الألماني «نوربرت إلياس» أن الفضل في ذبوع مصطلح «الثقافة» كبديل عن «الحضارة» يرجع، بالفعل، إلى المفكرين الوطنيين الألمان كرد فعل منهم ضد مفهوم «التحضر» الذي جلبه إلى بلادهم حكامهم المتأثرون (من أمثال فردريك الثاني) بحركة التنوير الفرنسية والإنجليزية<sup>(٤)</sup>. ومهما يكن الأمر بصدد هذا القصر أو الإبدال، فإن المفكرين الألمان هم الذين ميزوا، بالفعل ومنذ «هردر»، بين الثقافة (Kultur) والحضارة أو عملية التأسيس (Bildung) بحيث ترد الثقافة إلى النشاط العقلي أو الذهني البحت وتعد تجسيدا لحركة الروح (Geist)، بينما يتقلص فعل الحضارة ليمثل الجانب المادي من النشاط الإنساني في اتصاله بالطبيعة (Natur)، هذا بجانب ما أضفاه كل من «هيجل» و«شبنجلر» من معانٍ إيجابية على صيرورة «الثقافة» ومعاني الجمود، ثم الأقول على «الحضارة» كنتاج متعين لفعل الثقافة. غير أن هذه السمة الدينامية للثقافة سرعان ما سوف تتحول، مع ظهور علم الأنثروبولوجيا إلى ضرب من الحتمية الاجتماعية أو البيولوجية الموروثة التي وُسمت بها ثقافات «الشعوب البدائية». ويُعد «إدوار برنيت تايلور» أو من قصر عام ١٨٧١ مفهوم «الثقافة» على هذه الشعوب، مستبعداً بذلك أن تكون لهذه الشعوب المغلوبة على أمرها حضارة بالمعنى الغربي للكلمة<sup>(٥)</sup>.

وهكذا تبدو الثقافة وكأنها قد تطورت من مفهومها الإبداعي والإنتاجي، الذي يقابل بلورة حركة الوعي الملازم لها على مستوى العبقورية الفردية أو على مستوى التواصل الجمعي للشعوب إلى ضرب من «الثقافة الفولكلورية» التي تعبر عن عادات الشعوب وتقاليدها وطرائقها المعيشية

الموروثة، ومن ثم، عن حقها فى التعبير عن «خصوصيتها» عبر حوار ديمقراطى لا يغير شيئاً من الواقع السياسى أو الاقتصادى المأزوم الذى تعيشه البلدان التابعة فى ظل هيمنة النظام العالمى الجديد.

وليس من شك فى أن هذا التحول يدلنا على ظاهرة جديدة ملازمة لتطور حركة ما بعد الحداثة فى المجتمعات الصناعية المتقدمة، وهى الانتقال من قيم الحداثة التى واكبت قيام مجتمع يقوم على العقلانية فى جميع مناحى الحياة سواء أكانت سياسية أو اقتصادية أو علمية وثقافية، بحيث يكون كل فعل إنسانى رشيد محكوماً بهدف أو غاية تتجاوزه وتتسامى به، وهو ما تم بلورته وتلخيصه فى مبدأ «العلو» أو «التسامى» (Transcendence)، إلى قيم أشبه ما تكون بمبادئ «الحاشية» التى عاش عليها العالم البدائى القديم قبل بروز «المرحلة المخورية» التى ربطها «كارل ياسبرز» بظهور الديانات التاريخية الكبرى كاليهودية والمسيحية والإسلام والبوذية<sup>(٦)</sup>. كما أن مبدأ «العلو» هو ما اعتبره «جان - بول سارتر» سمة ملازمة للحرية الإنسانية التى تجعل من الوجود البشرى كائنًا مفارقاً أبداً لذاته ومؤسساً دائماً للقيم بقدر ما يُضفى بصفة مستمرة الدلالات والمعانى على أفعاله وعلى كل منا يحيط به من موجودات. وهو المبدأ نفسه الذى اعتبره «جان ليوتار»<sup>(٧)</sup> صورة من صور الحكايات أو «الميتا - حكايات» (méta - récits) التى تقوم عليها تبريرات الفعل الإنسانى سواء عبر حركة التقدم أو عملية التنوير أو تطور البشرية أو فلسفة التاريخ كما يصورها «هيجل» فى «ظاهريات الروح»، وهى أن يكون للتاريخ أو أى حركة فكرية معنى تسعى البشرية إلى تحقيقه أو هدف تبغى الوصول إليه كت تحقيق

السعادة عن طريق التقدم العلمى أو الارتقاء بمستوى الإنسان والاعتراف بحقوقه عن طريق التنوير ومحاربة الجهل والتعصب الأعمى.

إن سمة ما بعد الحداثة، كما يرى «ليوتار»، هى التشكيك فى قيمة هذه «الميتا حكايات» خاصة بعد أن تبين بعدها الفعلى عن حركة الواقع والتاريخ، وهى، كما يرى «بودريار»، الانتقال من مجتمع التسامى أو التجاوز إلى المجتمع الاستهلاكي «المحايت» (immanent) أو المطابق لنفسه<sup>(٨)</sup> حيث تكتسب الأشياء قيمتها فى ذاتها وتدور فى حلقة لا تنتهى من الدلالات والمداولات التى يرد بعضها إلى بعض وكأننا فى عالم من المرايا العاكسة<sup>(٩)</sup>، إلا إذا فهمنا آليات المجتمع الإنتاجى السابق عليه، وهو المجتمع الصناعى الذى لازمته ظاهرة الحداثة كشرط لازم من شروط انبثاقه التاريخى. والمجتمع الصناعى، كما نعلم، يعطى الأولوية لعملية الإنتاج على عدالة التوزيع، وذلك بعد تراكم رأس المال الضرورى لقيام هياكله خلال القرون الثلاثة للرأسمالية التجارية التى تبدأ من اكتشاف العالم الجديد والاستيلاء على طرق التجارة القديمة سواء فى أفريقيا وآسيا وتنتهى مع بدايات القرن التاسع عشر، عصر الثورة الصناعية المكثفة. وكان الشرط الأول لازدهار الرأسمالية التجارية هو وجود فائض قابل للتبادل وكان هذا الفائض يستخلص على حساب مبدأ الكفاية الذاتية التى كانت تقوم عليها النظم الاقتصادية المغلقة وما تفترضه من أخلاقيات القناعة والرضا وعلى الوفرة الهائلة من العملة المعدنية النفيسة التى وفرتها عمليات نهب مناجم وثروات العالم الجديد. ثم كان هذا الفائض ضرورياً لتحقيق انطلاق الصناعة، وذلك عن طريق تمويل الابتكارات والاختراعات التى تبلورت فى اكتشاف الطاقة

البخارية وابتداع أدوات جديدة لحلج القطن. كما كان يقوم النظام الصناعى، لضرورات تاريخية، على إعطاء الأولوية للإنتاج على حساب الاستهلاك إذ أن ثمار الريح الرأسمالى وضرورة توفيره، بصفة مستمرة، كان ملازماً لازدهار الصناعة ولاستثمار فائض قيمة العمل العمالى فى سبيل تنمية المشاريع وتوسعها فى صورة احتكارات وتجمعات كبرى، وهو ما جعل من (عالمية) النظام الرأسمالى الصناعى عملية تاريخية حتمية، وهو ما آل إليه فعلاً هذا النظام فى إطار التكتلات الاقتصادية الكبرى الحديثة سواء فى القارة الأوربية أو فى آسيا أو من خلال ما تسعى إليه الولايات المتحدة الأمريكية من تجميع المكسيك وكندا معاً فى إطار إنتاجى - استهلاكى واحد. ولقد كان هذا التوسع الصناعى وما يتطلبه من البحث عن مصادر الطاقة والخامات الأولية وكذلك عن الأسواق الضرورية لتصريف المنتجات المصنعة ملازماً لقيام الاستعمار العالمى فى صورته الأولى القائمة على الاحتلال المباشر، ثم فى صورته الاقتصادية المتخفية خلف أقنعة الاستقلال الذاتى والحريات الصورية التى حصل عليها كثير من بلدان العالم الثالث فى أعقاب الحرب العالمية الثانية.

إلا أن هذه الأشكال التى وصلت إليها المجتمعات الصناعية التقليدية وما فجرتها من قضايا الاستغلال والصراع الطبقي فى الداخل والهيمنة على المستعمرات فى الخارج انتهت بها إلى الاصطدام فيما بينها إبّان حربين عالميتين طاحنتين وضعتا موضع التساؤل مبادئ العقلانية والتقدم والتنوير التى كان يفخر بها المجتمع الغربى منذ بزوغ نهضته الفكرية وانفتاحه على حضارات العالم خلال القرن الثامن عشر. ثم عرفت

المجتمعات الغربية بعد الحرب العالمية الثانية وبفضل المعونات الهائلة التي قدمتها إليها الولايات المتحدة الأمريكية الصاعدة طفرة اقتصادية واجتماعية هائلة انتقل فيها المجتمع الغربى والأمريكى على السواء إلى ما عُرف بالمجتمع ما بعد الصناعى أو مجتمع الوفرة، وذلك بفضل التقدم منقطع النظير لقطاع الخدمات وما صاحبه من ثورة سيبرنطيقية ومعلوماتية كان لها أكبر الأثر فى نقل مركز الصراع الاجتماعى والطبقى من مستواه السياسى المباشر والأيدىولوجى الملزم له إلى مرحلة الصراع مع البيئة ومشاكلها التى حلت محل الرؤية التاريخية للعالم الموروثة عن القرن التاسع عشر، وإلى مرحلة تحقيق الوفرة والرفاهية لكل الفئات الاجتماعية بحيث تجب عمليات الإشباع المادى وتوفير السلع الاستهلاكية الجديدة كل المتطلبات الأخرى التى يفرضها واجب المواطنة والإحساس بالمسئولية القومية من حيث الرغبة فى المشاركة الديموقراطية فى عمليات اتخاذ القرارات الحاسمة أو المساهمة فى تحديد مصير الأمة وسياساتها العامة التى بدأت تنتقل تدريجياً إلى الشركات الكبرى والمؤسسات «عبر الدولية»، وهى حركة ظهرت فى البداية فى شكل صراع بين مقومات الدولة الوطنية المستقلة وبين متطلبات التكتلات الاقتصادية الكبرى التى غالباً ما تحتاج إلى تشريعات وتنظيمات تتجاوز طابع الخصوصيات القومية التقليدية.

إن تحجيم العامل السياسى فى المجتمع الاستهلاكى يُناط به، فى الواقع، تجاوز عمليات الصراع الاجتماعى وما يرتبط بها من قيم البحث عن العدالة وتحقيق الحرية والإخاء والتعاون، وتجاوز فكرة التطور التاريخى والأرتقاء الثقافى والروحى إلى مجتمع تقنى بحث ينصب فيه همُّ الناس على

التكاليف على السلع والأنوات والأجهزة الحديثة بالغة الكفاءة ودائمة التجدد، وعلى التمايز عن طريق امتلاك كل وسائل الظهور وأكثرها مسيطرة للموضة والذوق السائد، وتحقيق بريق الشخصية وتوهجها الزائف على حساب عمق الهوية وأصالة الطبع ورسوخ المبادئ والقيم والخصال الحميدة.

ولعل أكثر التغيرات دلالة على روح عصر ما بعد الحداثة هو التغير الجوهرى الذى يصيب مفهوم الطبيعة، ذلك أن الطبيعة كانت فى مضامينها القديمة السابقة على المجتمع الصناعى شديدة الارتباط بالمحيط الكونى وبما يقع على كاهل الإنسان الأعزل من قوى غيبية يربطها بإرادة الآلهة وأحكام القضاء والقدر، الأمر الذى يعكس المنظور أو الموقف السلبي للإنسان أمام القوة العاتية والمدمرة للطبيعة، وإن كان هذا لم يمنع الصراع بين الإنسان ومحيطه الطبيعى من الظهور تارة عبر المحاولات الجريئة التى يحاول فيها الإنسان التغلب على محيطه عن طريق المغامرة الكشفية والابتكار العلمى والتقنى، وفى أغلب الأحيان عن طريق بناء الأساطير والأنظمة الخيالية والرمزية الهائلة التى يملأ بها الفضاء الذى يلاحقه، ويهدئ عن طريقها الهواجس والهلاوس التى تسيطر على مخيلته ووجدانه.

إن هذه الرؤية السلبية الخالصة للطبيعة سرعان ما تنحسر أمام قضايا الحكم السياسى ونظام الدولة سواء فى الشرق أو فى الغرب، وهى القضايا التى تسيطر على عقلية البشرية الواعية حتى القرن الثامن عشر، هذا القرن الذى يغربل فيه الفلاسفة ورجال القانون، بفضل انتشار أنوار العقل، كل ضروب العلاقات التى يمكن أن تربط الفرد بالدولة ويكل أشكال التنظيمات الإدارية التى تحافظ على التوازن بين الفئات والطبقات من منطلق

«الهيراركية» الطبيعية. إلا أن هيمنة المسألة السياسية، أو علاقة الدولة بقضية التنوير - كما يذهب «موسكوفيتش»<sup>(١٠)</sup> - سرعان ما تفتح المجال إبان القرن التاسع عشر لظهور القضايا الاجتماعية التى يطرحها عصر التصنيع من منظور التطور التاريخى والصراع الطبقي وبرز العلم الوضعى الذى يحتل مكانة الدين ووظيفته فى المجتمعات الوسيطة والتقليدية.

ولقد أدت حركة التقدم العلمى والتقنى، التى عرفها النصف الأخير من القرن العشرين فى المجتمعات الرأسمالية المتقدمة، إلى توفير مجموعة هائلة من الإنجازات التكنولوجية خاصة فى مجال الاتصالات عن بعد والآلات البالغة الدقة، الأمر الذى يسمح لهذه المجتمعات بإعادة تنظيم وترتيب هياكلها الاجتماعية والإدارية والاقتصادية بحيث تصبح المعايير والمقاييس الجديدة التى يُقاس بها تقدم المجتمعات هى درجة معدلات النمو ونسبة ارتفاع الإنتاجية وحسن توزيع المساحات المأهولة وآليات الإنتاج بين مختلف القطاعات العامة والخاصة، وليس عمليات توزيع الدخل القومى أو التوازن بين التكوينات الطبقيّة، ذلك أن المهم ليس هو الطابع السياسى أو الهوية الأيديولوجية لنظام الدولة، وإنما المهم أن يكون المجتمع عملياً وصناعياً وتكنولوجياً. ومن ثم، تبرز أهمية الطبيعة من جديد، ولكن كإطار للثروات العامة التى يجب استغلالها مع المحافظة عليه وحمايته من التلوث والتآكل، وذلك بغرض رفع الناتج القومى من الثروات والخيرات<sup>(١١)</sup>.

ومع ذلك، فإن عودة الطبيعة إلى الظهور مرة أخرى هى، ككل مفاهيم العودة فى الفكر الإنسانى، عودة زائفة، وذلك بالقدر الذى لا توجد فيه الطبيعة إلا من خلال تصورات الإنسان، وإلا من خلال التقابلات التى يقيمها



بين هذه الأخيرة وبين غايته الاجتماعية المنظم والسابق عليه بالضرورة. إن الطبيعة، التي تختلط هنا بالحلم، وذلك بقدر ما تبدو للإنسان كعالم أمثل فقدته في حركته نحو عالم العمل والضبط والتنظيم، أى عالم يغترب فيه بالضرورة، تكاد تتطابق مع معايير السوية والخير والفطرة التي جُبلَ عليها البشر. أو ليس ما يقيمه «كارل ماركس» من تقابل بين «قيمة الاستخدام» وبين «قيمة التبادل» يقوم ضمناً على اعتبار القيمة الأولى المقياس أو المعيار الحقيقي لما يجب أن يكون عليه الفعل الإنسانى. إن إضفاء الأهمية على قيمة الاستخدام يفترض صورة مثلى للعمل أو النشاط الإنسانى، وهو الصورة التي تبدو لنا طبيعية بقدر ما يكون العمل نوعاً من الجهد المبذول لإشباع حاجتنا «الطبيعية»، وكأنما هناك تطابق بين الحاجة والجهد، تطابق يتكامل فيه الداخل والخارج والظاهر والباطن. إلا أن هذه الصورة «الأيثوية» للعمل لا تتفق وضرورة قيام علاقات التبادل الاجتماعى، إذ كيف يقوم تبادل من غير فائض اقتصادى أو زيادة عن الحاجة الاستهلاكية يستطيع الأفراد أن يتبادلوه أو يتبادلوها. وليس من شك فى أن القيمة التبادلية سوف تفرض على أعضاء المجتمع علاقات تقوم على الاغتراب والتجريد، وذلك بقدر ما سيكون الزمان الخارجى هو المقياس الأول لتحديد قيمة العمل وتقديره فى صورة سلعة يمكن حساب عملية إنتاجها فى صورة أجر يُدفع للعاملين نظير ما قدموه من قوة أو حجم عملهم، ولكن أيضاً بقدر ما سيكون تصنيف العمل خاضعاً لنظم القيم القبلية التي تأخذ الطابع الكيفى للعمل فى الاعتبار، وهو ما يتم على أساسه تمييزُ العمل الذهنى المحرر من كل قيد عن العمل اليدوى الصَّرف الخاضع لثقل المادة وكثافتها. ومن ثم تدخل علاقات

العمل فى النظام الصناعى وثيق الصلة بعملية الإنتاج المادى والقيمى على السواء، فإنه يخضع فى المجتمع الاستهلاكى لنفس القوانين التى تحول كل آليات التبادل إلى خدمات، أى إلى سلع لا تقوم على قيمة المجهود فى ذاته ولا تعمل على «تأكيد أخلاقيات المجتمع» - كما يقول «بودريار» - وإنما تتبلور فى صورة شبكة من «العلامات فى سيناريو الإنتاج العام» (١٢).

ومن ثم، تدخل أركان الطبيعة، وهى التى كانت تعتبر مشاعاً أو ملكية مشتركة، أى أساساً للوجود الإنسانى فى ذاته، فى نظام الخدمات والسلع الجديدة وتندرج فى سلم الرموز الاجتماعية. وهكذا نفهم كيف يدخل الهواء والماء مجال «الخصخصة»، فأنت إذا رغبت فى استنشاق الهواء النقى فما عليك إلا أن تحجز لنفسك مكاناً متميزاً فى فندق أو مصيف بعيد عن التلوث أو تقتنى فيلاً «ساحرة» تطل على البحر مباشرة، وإذا أردت أن تطفئ ظمأك بالماء العذب القراح فما لك من حيلة غير أن تدفع الثمن للحصول على المياه المعدنية أو الطبيعية المعالجة. ومن ثم تصبح الطبيعة، كبقية الأشياء «الطبيعية»، سلعة مغلقة ومعلبة ومصنعة يمكنك اقتناؤها، وعلى أساس ما يحقق لك هذا الاقتناء من تميز ووجاهة تتأكد الرموز المظهرية وتتأصل الفوارق الاجتماعية.

ومع ذلك، فإن قوة المجتمع الاستهلاكى تتركز فى ادعائه توفير السلع والأجهزة والأنوات المحدثه، وتحقيق ديموقراطية الإشباع وأحلام الرفاهية للجميع ومن غير أى اعتبار للفوارق الطبقيه واختلاف الدخول، غير أن هوس الاستهلاك، الذى يصبح هدفاً فى ذاته، سرعان ما يحول الفرد إلى عبد

للأشياء ويريقها وكائن مغترب فى رموزها التى تقوم على المظهرية البحتة، وهو ما يولد لدى الجميع فيضاً من الرغبات الجامحة التى يصعب إشباعها، طالما أن غاية الاستهلاك، التى تقوم عليها المجتمعات الجديدة، هى تكاثر الأشياء وتجديدها إلى ما لا نهاية. ويرى «بودريار» أن وفرة الأشياء فى المجتمع الاستهلاكى لا تدل على قدرة الإنتاج على إشباع الحاجات، وإنما على توليدها وإحاطتها بنوع من الهالة السحرية التى تجعل من تراكمها رمزاً للسعادة، وهى سعادة أشبه بفرحة الأطفال حينما يحصلون على لعبة جديدة أو الإنسان البدائى فى نظرتة للأشياء وكأنها مكسوة بضرب من القوة الخارقة (١٢).

وليس من شك فى أن المجتمع الاستهلاكى، الموازى لعالم ما بعد الحداثة، يصطنع كل ضروب التقنية الحديثة من فنون الاتصال والاعلام والدعاية، وهو بجانب ذلك كله يخلق إنساناً جديداً، إذ كما يقول - «ماك لوهان» - «الوسيط هو الرسالة»، أى أن ما جمعته البشرية، وأدخرته من أفكار وحقائق ومعان ودلالات هو، فى الواقع، رهين بتقنيات الرؤية والسمع والكتابة وأخيراً الكهرباء والإلكترون. فالرؤية والسمع كانتا تشكلان، كضروب من التقنيات المباشرة، أسس الثقافة القديمة، ذلك أن الرؤية ارتبطت بعالم الكتابة التصويرية، التى عرفتتها مصر القديمة، وارتبطت بالحضارة اليونانية التى يُشكل فيها البصر أساس الجماليات. أما السمع فهو أساس الثقافات الدينية حيث يلعب الصوت نور الموجه الأول فى ربطنا بالعالم الآخر، وفى إقامه حقول من الدلالات والمعانى البالغة التجريد، وحيث تصبح الرؤية من المحرمات ويصير الجسم البشرى، الذى كانت تزهو

الحضارة اليونانية بجماله وبهائه، أساساً للغواية والضلال. وفي عالم الكتابة تحتجب شفافية الصوت الحى وتزبوج المعانى والدلالات، وتنشأ، من جراء ذلك، فنون التفسير والتأويل، ويكتسب العمق طابع القيمة نظراً لارتباطه بالغائب واتصاله بالمحجوب والمكنون خلف السطور، وأخيراً تعود إلينا، مع ظهور العالم ما بعد الصناعى، تقنيات الصوت والصورة مجتمعة فتهدد عادات القراءة والتأمل والتأنى لتقيم عالماً يقوم على السرعة والفعالية والكفاءة والإنجاز سواء فى جمع المعلومات أو القفز من المقدمات إلى النتائج، وتولد لوناً من الشاعرية الجديدة التى لا تتجاوز العالم السطحى للأشياء ولا تعنى إلا بالتوليف بينها، ربما تولده من انبهارات حول ما يتجسد منها أو يتشكل فى صورة «جادجيت» أو «بيبلوهات» .

وإذا كان هناك ثمة تأصيل للذوق أو بحث عن الموروث والتلبد فى صورة «كيتش» يوهم بالأصالة. ولكن هذا الأخير - كما يقول لنا «بودريار» - لا يتجاوز تعلقنا بالزائف والمصطنع والمخلفات العتيقة، التى توهم بالعراقة، وكذلك بالإكليسيهات الخطابية<sup>(١٤)</sup>، والعبارات الماثورة التى فقدت مع الوقت مضمونها، والتى لم يعد لها من وظيفة اللهم إلا إثارة انطباع التعامل والتشديق والإبهار. ومن المعروف أن «الكيتش» (Kitsch) يشكل ركناً أساسياً من أدب ما بعد الحداثة إذ نراه عند «كونديرا» †(Kundera) يطابق الانهيار الفعلى لقيم الوجود الإنسانى البسيطة كـرغبة الفرد فى الاستمتاع بخصوصيته أو تحقيقه لذاته بصورة عفوية بعيداً عن العبارات الطنانة والشعارات الرنانة التى توهم بالحمية الوطنية والدفاع عن الحق والواجب وهى أبعد ما تكون عن ذلك. ولا شك أيضاً أن المعلوماتية جزء لا يتجزأ من

عالم الثقافة الاستهلاكية، فهي، شئنا أو لم نشأ، تُحول المعرفة من جوهرها الأصلي وهو تحصيل ما يرتقى بالنفس والعقل ويثريهما، واكتساب ما يُغير من نظرة الإنسان إلى ذاته والآخرين، إلى نوع من التجارة التي يتم من خلالها بيع المعلومات كما تباع السلع والبضائع. وهي وإن كانت تمثل ثورة العصر التي غزت مجالات الإعلام والعلوم اللغوية والبيولوجية وكل ميادين المعرفة قد تُستخدم أحياناً للتضليل والإيهام، وذلك بقدر ما يشكل الفيض المعلوماتي - كما فطن إلى ذلك «إميرتو إكو» - نوعاً من الفوضى والبلبلة وانعدام اليقين. وهي التي جعلت، كما يذهب «بودريار» (١٥)، من حرب الخليج نوعاً من اللعبة المبرمجة التي حُدّت فيها الأدوار سلفاً ووزعت المشاهد وفقاً «لسيناريو» محكم ومسبق، وكأننا أمام مشهد إعلامي رتبته ونسقته شاشات التليفزيون الأمريكي للإعلان عن روعة الصناعة الأمريكية ودقتها التكنولوجية والإلكترونية الخارقة بينما تغيب عن ناظرنا مأساة الشعوب وما تعرضت له المنشآت والمباني من دمار وتخريب.

إن الثقافة الاستهلاكية التي تعمل على «أمركة» العالم وتوحيده عبر ما يسمى بحركة «العولمة» هي الأفق الذي ينتظرنا والذي نسعى إليه، شئنا أو لم نشأ عبر آليات وتقنيات العصرية التي لا مفر منها ولا سبيل إلى تجاوزها بالرقص أو دفن الرؤوس في الرمال. فبما ترى ماذا أعددتنا أو ماذا نعد لحماية «أصالتنا» داخل هذا الإطار الذي أُعدّ لنا سلفاً؟ وهل سنظل نلعب نفس الأدوار التي رُسمت لنا والتي تبدت بعض أسرار صناعتها حينما اكتشف إيوار سعيد أن شرقنا المصنوع «في الغرب» بعيد كل البعد عن شرقنا الذي نتوهم أننا نعيش فيه؟!

## الهوامش

(١) انظر بالنسبة لتعدد تعريفات الثقافة - وذلك على سبيل المثال فقط - كتاب «نظرية الثقافة» تأليف مايكل تومسون وريتشارد إيليس وآرون فلدافسكى، ترجمة د. على سيد الصاوى، عالم المعرفة العدد ٢٢٣، ١٩٩٧.

(٢) Fernand Braudel, *Ecrits sur L'histoire*. Paris, Flammarion, 1969, p. 259

(٣) المرجع نفسه: ص ٢٦٠.

(٤) Nortbert Elias, *La civilisation des moeurs*. 1969

أشرنا إليه فى دراستنا «المنهج فى دراسة الحضارات» فى قضايا العلوم الإنسانية - إشكالية المنهج. وزارة الثقافة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ١٩٩٦.

(٥) مرجع «بروديل» السابق، ص ٢٦١ - ٢٦٢.

(٦) Marcel Gauchet, *Le désenchantement du monde*. Gallimard (NRF), 1985, p. 42.

يعتقد الكاتب أن المرحلة المحورية قامت على مبدأ ازدواجية العالم إلى عالم حاضر وعالم غائب، ومع بروز مبدأ الذات الإلهية، انظر ص ٤٢.

(٧) Jean Lyotard, *La condition post-moderne*. Paris, Minuit, 1979, p.7

Jean Baudrillard, La société de consommation. Ses (٨)  
mythes, ses structures, Gallimard, (Idées) 1970, p. 310.

(٩) د. جابر عصفور، آفاق العصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب  
(مكتبة الأسرة) القاهرة ١٩٩٧. انظر بالنسبة لدلالة الصورة والمرأة فى عالم  
ما بعد الحداثة، ص ص ١٧- ٢٨.

Serge Moscovici, Essai Sur L'histoire humaine de (١٠)  
la nature, Paris Flammarion, 1968, p.5.

(١١) المرجع نفسه، ص ١٠-١١.

Jean Baudrillard, La échange symbolique et la (١٢)  
mort. Paris, Gallimard, 1976, p. 25.

Jean Baudrillard, La société de consommation., op.(١٣)  
cit, p, 28.

(١٤) المرجع نفسه، ص ١٦٥.

Jean Baudrillard, La guerre du Golfe n'a pas eu (١٥)  
lieu, Paris,-Galilée, 1991.





# الإسلام والتنوير

بقلم

الأستاذة الدكتورة

نفيسة عبد الفتاح

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية



## الإسلام والتنوير

بمعلمي الاستاذة والركنورة / نقيبسة جبر الفناح

كلية اللاوراب - جامعة الاسكندرية

الإسلام هو دين التوحيد والعلم والنور، الذي أنزل على سيد المرسلين، وخاتم النبيين، محمد - ﷺ - في القرن السابع الميلادي.

التنوير - كما جاء في الموسوعة الفلسفية - هو اتجاه سياسي اجتماعي، حاول ممثلوه أن يقوموا بتصحيح نقائص المجتمع القائم، والتنوير هو البعد الثقافي الذي يدخل في علاقة عضوية مع التنمية، لأنه يُعطي أهمية بالغة للسلام والتفاهم الدوليّين، ويدعو إلى حقوق الإنسان، وأيضاً إلى الاعتماد المتبادل بين الوحدات المكوّنة للبشرية في مختلف الحضارات.

والحضارة مرآة تعكس نشاط الإنسان في الحياة وتعكس تطوراته المبنية على القيم والمبادئ والمثل والأهداف، وتختلف تلك المبادئ والقيم والمثل والأهداف من حضارة لأخرى باختلاف الأديان والعادات والتقاليد والاتجاهات، فالأديان السماوية تستهدف الوصول بالإنسان إلى المثل العليا التي تشمو به إلى الدرجات العليا من حضارة ونورانية أرسلها الله عز وجل للبشرية بأسرها، وتقول دكتورة عائشة عبد الرحمن، بنت الشاطي، رحمها الله، في هذا الصدد: «إن الأمة العربية قد بدأت بالإسلام تخرج من جزيرتها حاملة لواءه الأغر، فما مضى ربع قرن من الزمن بعد الهجرة، حتى كانت قد فتحت مصر والشام والعراق، وأظل اللواء الواحد شعوبها وارثة

حضارات الفراعنة والكلدانيين والآشوريين والفرس والفينيقيين»<sup>(١)</sup>.

وبالفعل، فقد امتدت الفتوحات الإسلامية إلى شمال إفريقيا إلى أن وصلت إلى شرق آسيا، وكانت هذه الشعوب خاضعة لحكم الفرس واليونان والرومان حوالى ألف عام، أى منذ عام ثلاثمائة وواحد وثلاثين ق. م.، إلى عام ستمائة وأربعين بعد الميلاد ورغم هذا الاحتلال ظلت هذه الشعوب متمسكة بقوميتها وعقائدها.

وجاء الإسلام، فقام بفتح هذه الأقطار فى أعوام قليلة ليس عن طريق الضغط والاجبار ولكن بمحض الاختيار، وترك لها حرية العقيدة واللسان، فلم تلبث هذه الشعوب أن استجابت له وبدأت تتعرب ودخلت بالفعل فى الإسلام والعروبة الصحيحة. وكان ذلك خلال القرن الثامن الميلادى، حيث كان الاهتمام بترسيخ علوم هذا الدين القويم، والتوسع فى الفتوحات الإسلامية، كما جاء فى الكتب التاريخية، ونخص بالذكر المؤرخين

الفرنسيين *Gustave ke Bon Henre Coibin Maurice Lombard* (فى كتابه *L'Islam dans sa première grandeur du 8<sup>e</sup> au 11<sup>e</sup> siècle* الإسلام فى مجده الأول من القرن الثامن إلى القرن الحادى عشر) ولم يستغرق ذلك سوى قرن واحد، ومنذ استهلال القرن التاسع الميلادى بدأت ثورة التنوير بكل ما فيها من معانى فى بلاد الشرق، وبدأت الدولة الإسلامية تأخذ دورها القيادى للبشرية فى الحضارة المادية والمعنوية،

---

(١) أ.د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، تراثا بين ماضى وحاضر، دار المعارف بمصر، مكتبة الدراسات الأدبية، رقم ٥٢، ١٩٧٠، ص ١٨.

فكانت نهضتها الفكرية والعلمية من دعائم هذه الحضارة، وكانت عنايتها بإحياء تراثها وتشجيع دور الكتب تساير هذه النهضة مؤثرة فيها ومتأثرة بها»<sup>(١)</sup>.

ويتناول هذا الموضوع العديد من المفكرين والعلماء العرب والأجانب أمثال فيليب دي طرازى (خزائن الكتب العربية فى الخافقين، دار المعارف اللبنانية ١٩٤٨)، ولويس ماسينيون Luis Massignon ومارسيل بوازارد Marcel Boisard وموريس بيكاى Bucaille وروجيه جارودى Roger Garaudy وغيرهم.

وهناك بالفعل المكتبات العظيمة كبيت الحكمة ببغداد، الذى اشتهر حتى آخر عهد الخليفة المنصور عام مائة وسبعين للهجرة، وكان هذا البيت يعيد إلى الأذهان ذكرى مكتبة الإسكندرية الكبرى، وأصبح اسمه دار العلم، واستمر حتى عام ستمائة وستة وخمسين، وكذلك مكتبة العزيز بالله الفاطمى بالقاهرة فى عام ثلثمائة وخمس وستين للهجرة، أى سبعمائة وسبعة وسبعين للميلاد، والتى لقت مصيرها مع سقوط الدولة الفاطمية فى أواسط القرن السادس الهجرى بعد طول احتضار، وأيضاً مكتبة الزهراء بقرطبة. ويستدعى المقام هنا أن نتأمل قليلاً الموروث الأندلسى من العلوم الحديثة والدراسات العلمية والأدبية والثقافية والرياضية والفلكية، التى أثرت الغرب، وخاصة قارة أوروبا التى تم نقلها عن طريق العلماء الأجانب أمثال روجيه بيكون Roger Bacon وألفريد لى جران Alfred le Grand وليونارد دى

---

(١) المرجع السابق، ص ١٨.

فينشى Léonard de Vinci وجاليليو Galilée .

ونلاحظ أن الذين أثروا فى النهضة فى أوربا من أطباء وعلماء ومهندسين وفلكيين، فى منتصف القرن السادس عشر إلى القرن السابع عشر، كانوا ممن ارتتوا من جامعات قرطبة وغرناطة وإشبيلية، وكانوا بلا شك من تلاميذ المسلمين. وتقول سيجريد هونك Sigrid Hunk فى كتابها شمس الله تسطع على الغرب ما يلى : «فمما لا شك فيه أن العرب تمكنوا - عن طريق الملاحظة والتجريب - من تنمية الأسس العلمية الموروثة عن الإغريق القدماء، فالعرب هم أصحاب التجربة الأوائل، وهم المبدعون الحقيقيون للبحث العلمى الاختبارى أو التجريبى»<sup>(١)</sup>.

ومن بين هؤلاء العلماء ابن رشد وابن باجه وابن طفيل وابن سينا وغيرهم من أبرز علماء المسلمين الذين أناروا العالم بدراساتهم العديدة، مستندين بذلك بما جاءت به الرسالة الإلهية التى نزلت على سيدنا محمد - ﷺ - والخاصة بما يحتويه التنوير من علم ودراسة، فقد كانت أول كلمة أنزلت على نبي الإسلام - ﷺ - هى كلمة «اقرأ» .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾

صدق الله العظيم

Sigrid Hunk, Le Soleil d'Allah Brille sur l'Occident.

(١)

لقد أراد الله عز وجل أن يُنزل القرآن ويحفظه دون مساس، مؤكداً في كتابه المجيد ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، وحيث إن الشريعة الإسلامية هي ختام الشرائع الدينية، فقد تقرر في الإسلام ضرورة التجديد، بل حتميته، حتى أصبح قانوناً إسلامياً، الأمر الذي انفرد به هذا الدين، بل وتميز به على ما سبقه من ديانات، ويقول الرسول - ﷺ - : «إن الله يبعث لهذه الأمة، على رأس كل مائة سنة، من يجدد لها دينها» (رواه أبو داود في السنن).

صدق رسول الله - ﷺ -

وإن إصرار الإسلام على أن يكون للعقل بورة الفعل في التفكير والتحقيق والتفتح والتثوير، وهذا ما يؤكد عليه سبحانه وتعالى في مواضع شتى : ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿أَفَلَا يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ، ويقول الله سبحانه وتعالى في سورة فصلت (الآية ٥٢) :

﴿اسْتَرْهَبُوا أَيَّانَا فِي الْأَنَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَهُمُ اللَّهُ الْحَقُّ﴾ ، وهو ما أكد عليه نبينا الكريم في أحاديثه، فالمتأمل في كتب السيرة والصحيحين، وغيرها، يجد أن لها أبواباً مستقلة لأهميتها وكثرتها.

وعلى مر العصور الإسلامية يكون «التجديد الديني» أمراً مفروضاً ومرغوباً لكي يظل الدين مسائراً لأمر الحياة، التي لا تتوقف عن التطور والتقدم، وهناك العديد من أئمة التجديد، وكانوا كمناورات هياها الله لهذه الأمة على رأس القرون الهجرية، كي تجدد لهذه الأمة دينها، ونذكر من بين

هؤلاء المجددين لشرح الدين :

عمر بن عبد العزيز (٦٢ - ١٠١ هـ)

الإمام الشافعى (١٥٠ - ٢٠٤ هـ / ٧٦٧ - ٨١٩ م)

الإمام الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ / ١٠٥٨ - ١١١١ م).

الإمام الفخر الرازى (٥٤٣ - ٦٠٦ هـ / ١١٤٩ - ١٢١٠ م)، وغيرهم.

ثم يتوقف المؤرخون عند العصر المملوكى وسيطرة العثمانيين، فلم يذكرُوا التجديد والاجتهاد، وقد أصاب حضارتنا العربية الإسلامية الجمود والانطواء فى هذه الفترة من الزمن، واستمر هذا الجمود عالقا بحياة هذه الأمة وحضارتها ومفاهيمها، حتى مطلع العصر الحديث.

أما الغرب، فإن الظلام الحالك، الذى خيم عليه فى القرون الوسطى، أى من القرن الخامس وحتى القرن الخامس عشر، فقد بدأ ينقشع، وبدأت الحركة الفكرية والأدبية للنهضة فى أوروبا فى أواخر القرن الخامس عشر وأوائل السادس عشر عن طريق الشرق، وفى منتصف القرن السادس عشر بدأ التعديل الدينى يأخذ مجراه، وفى القرن السابع عشر كان الانتصار، وتالفت فلسفة ديكارت La philosophie cartésienne تأملاته المتألفيزيقية، التى تأثرت فى نظريتها لوجود الله سبحانه وتعالى بأراء الإمام الغزالي<sup>(١)</sup>، كما جاء فى بعض الدراسات، ويأتى القرن الثامن عشر بفلاسفة

---

(١) الدكتور محمد على أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية

١٩٨٦م، ص ٥٠٩، أراء الإمام أبو حامد الغزالي ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م إلى ٥٠٥ هـ / ١١١١ م التى

أثرت فى ديكارت وباسكال.



التنوير أمثال دالمبير D'Alembert وكوندييال Condillac وديدرو Diderot وتيرجو Turgot وهيلفيسيوس Helvétius وبيل BaYle وفرنتينيل Fontenelle وروسو Rousseau وفولتير Voltaire الذى حاول الفصل بين الدين والكنيسة واستبعاد ما يعوق انطلاق العقل والعلم. وهنا تأتى الأجيال اللاحقة، فلا تفصل بين الاثنين، ولكنها تشن الحرب ضد الدين عامة ويتهمون به بأنه كان السبب الحقيقى الذى عوق التقدم الفكرى، ويصرح بذلك أولباخ فى كتابه السياسة الطبيعية La politique Naturelle ولكن هل كان هؤلاء يعرفون شيئاً عن المنهج التنويرى الإسلامى؟ أو عن المبادئ الفلسفية الإسلامية بالنسبة للشئون المختلفة للحياة؟ نعم يقول الأستاذ الدكتور محمد على أبو ريان فى كتابه تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام «لأن هذا يرجع إلى مؤسسى التنوير من العرب المسلمين أمثال ابن رشد»، وقال أيضاً العالم المصرى إن محاولة الفيلسوف اليهودى الهولندى باروخ دى اسبينوزا (Baruch de Spinoza 1632-1676 La Haye فى التوفيق بين الفلسفة والدين، وتأسيس النصوص الدينية إنما ترجع فى جملتها إلى مجهود ابن رشد وأثره فى هذا المجال»<sup>(١)</sup>.

ونعود إلى الشرق لنرى أنه مع مطلع العصر الحديث فى مصر بدأت الحركة العلمية وحركة التنوير على يد رفاعة الطهطاوى (١٨٠١ - ١٨٧٣م) فى كتابه تخليص الإبريز فى تلخيص باريس، الذى صدر عام ١٨٣٠م،

(١) د. محمد على أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام ، ص ٥٧٤.

ونادى بالتجديد والتنوير وبتعليم المرأة، ثم تبلورت بعد ذلك مدرسة التجديد الدينى على يد جمال الدين الأفغانى ١٢٥٤ - ١٣١٤هـ / ١٨٣٨ - ١٨٩٨م) ومن بعده الإمام محمد عبده ١٢٦٦ - ١٣٢٢هـ / ١٨٤٩ - ١٩٠٥م)، وهنا جاءت الإضافات الجديدة لمعالجة التطورات المختلفة فى إطار الأصول والثوابت، بحيث يتم للحضارة هذا التقدم والمسايرة لحركة التنوير. ولعل قاسم أمين يمثل القمة التى برزت فى مجال تحرير المرأة التى يمكنها أن تجمع بين جمال الأنوثة وسحرها، وبين عقل الرجولة ونضجه، وهى الركيزة الأساسية التى ينهض منها تقدم الأمة.

ولقد رأى الإمام الشيخ محمد عبده أن هناك خطراً حقيقياً يهدد الحضارة العربية الإسلامية، هذه الحضارة التى وازنت بين الدين والدنيا وبين الروح والجسد، وكذلك بين الشريعة والحكمة وبين النقل والعقل. ولقد تصدّت مدرسة التجديد الدينى وعلى رأسها كبير مهندسيها الإمام محمد عبده للقيام بحركة الإصلاح، هدفها نهضة حضارية حديثة وثيقة الصلة بأصولها وثوابتها الحضارية، يقول : وارتفع صوتى بالدعوة إلى تحرير الفكر من قيد التقاليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة (...) والرجوع فى كسب معارفه إلى ينباعها الأولى، وأعتبارِه من ضمن موازين العقل البشرى التى وضعها الله لترد من شططه وتقل من خلطه وخبثه، لتتم حكمة الله فى حفظ نظام العالم الإنسانى<sup>(١)</sup>.

---

(١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، دراسة وتحقيق محمد عمارة، طبعة بيروت، المؤسسة العربية للدراسات ١٩٧٢م، ص ١٧٩.

وكان هذا المجدد يهتم اهتماماً خاصاً بالتربية والتعليم، وكان صاحب نظرة مثالية في هذا الحقل. إنه العلم الذى يَمَسُّ النفس، وهو علم الحياة البشرية. العلم المحيى للنفوس، وهو علم أدب النفس، مطبقاً بذلك الأسس التشريعية التى سنّها رسول الله - ﷺ - عندما قال : «اطلبوا العلم ولو فى الصين»، وكذلك «اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد».

واهتم الإمام بالعلوم التربوية فيقول : «أمر التربية هو كل شئ وعليه يبنى كل شئ»، وأى إصلاح فى الشرق والشرقيين لابد أن يستند إلى الدين».

واهتم الإمام الأكبر بالأسرة وأمر إصلاحها وإقامتها على أسس سليمة هو الضمان لتكوين المجتمع والأمة على النحو المنشود، لأن الأسرة هي اللبنة الأولى فى هذا البناء الكبير وتحدث فى موضوعات كثيرة وبينها موضوع تعدد الزوجات، واستند إلى القرآن الكريم مستشهداً بالآيتين (٣ ، ١٢٩ من سورة النساء) ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمَامِ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذْنَى الْأَعْدِلُوا﴾ ﴿وَكُنْ تَسْطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا﴾ بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوا كَالْمُخَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا،

ويؤكد الشيخ محمد عبده أن الإسلام قد اشترط تحقيق العدل المطلق فى حالة التعدد، فإن ضن عن تحقيق هذا العدل المطلق وجب الاقتصار على

الزوجة الواحدة، فالموقف ليس موقف الترغيب فى التعدد، بل التبغيض له، ولو عقل شرط العدل لما زاد المكثرون على الواحدة. وكذلك اهتم بالإصلاح الأدبى واللغوى، وكذلك الإصلاح الاجتماعى.

لقد كان مذهب الأستاذ الإمام مذهب المصلح الإسلامى المفكر، لأنه أعطى التفكير النظرى كلَّ حقِّه، ولكنه أخذَ منه حقَّ العمل على الإصلاح الرشيد المستنير. فقد قام الشيخ محمد عبده باستخلاص العقيدة الإسلامية من عقبات الجمود التى تصدُّها عن التقدم وتبعدها عن مسaire الزمن، حتى يتمكن الإنسان من التأهُّب للحياة، هذه الحياة المرتبطة بالعقل والبصيرة والضمير الحر والكفاية الخلقية والمادية لمسيرة القوة الإبداعية، وذلك بسلاح العلم، فقام بتزويد قواعد الدين بفلسفة الحياة التى قابل بها فلسفات الغرب.

وكانت ردوده على بعض الفلاسفة أمثال Ernest Renan, Gabriel Hanotaux ردود من يعلم ما قدموه من توارىخ الحضارات وخصائص الشعوب وطبائع الأجناس والسلالات، وكان يرد عليهم بالإيمان الثابت الذى يزوده بالرسالة الروحية.

ولم يخرج من ردوده أى معانى بتنزيه الإسلام وتشويه المسيحية، بل على عكس ذلك، خرج عنها جمعا بتنزيه الديانتين وإثبات الحقيقة، وكان يبين سماحة الإسلام وتقبله للتطورات العلمية بكل صورها.

وكانت له مناقشة جديرة بالذكر مع الفيلسوف الإنجليزى هربرت سبنسر عام ١٩٠٣م، قال الإنجليزى : «إن الإنجليز يرجعون القهقرى

والأخلاق والفضيلة وتقدم الأفكار المادية التي أفسدت الأخلاق الآتية من قبلها من (عشرين عاماً)، ثم سرت إلينا عدواً لها، فهي تُفسد أخلاق قومنا، وهكذا سائر شعوب أوربا (....). إنه الصدا الذي غشى الفطرة الإنسانية، والذي منعها من الوصول إلى المعاني السامية الروحية»، ويقول أيضاً : «إن الحق عند أهل أوربا أصبح الآن للقوة».

وحارّ الفيلسوف الإنجليزي وأظهر عجزه مع قوة العلم فأين الدواء؟ ويقول الشيخ محمد عبده : الدواء هو الرجوع إلى الدين فالدين هو الذي كشف الطبيعة الإنسانية، وعرفها إلى أربابها في كل زمان، لكنهم يعوون فيجهلون.

وكان يرى القس الإنجليزي إسحاق تايلور Issac Taylor أن شرح المسيحية، كما يُسطّطه الشيخ محمد عبده يوشك أن يعينه على إقناع الأوربيين والتقارب بين الديانتين وبين المؤمن بالأنجيل والمؤمن بالقرآن الكريم :

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصِينَ وَرَهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْكُبُونَ﴾

وعبر العلامة يعقوب صروف تعبيره الصادق عن شعور فضلاء المسيحيين يوم قال - ساعة دفن الأستاذ الإمام لمن حوله من تلاميذه - «إني أسمعكم تقولون فقيده الإسلام والمسلمين ولا تدرون أنه فقيده الفكر والعلم، إنه فقيدهنا أجمعين».

لقد أحيا هذا العالم الجليل التراث العربى الإسلامى، وجدّد الأساليب المختلفة فى الكتابة العربية وتخليصها من ركابة العصور المظلمة، وكان ناصراً للفنون التشكيلية، وكان مصلحاً ومجدداً لعقل الشرق والشرقيين والمسلمين فى جميع أنحاء العالم. فى نفس الوقت قامت حملة ضد أفكاره أفكار هذا المصلح الفيلسوف الدينى ونشاطه الخصب وعطاءه المتجدد لأنهم كانوا يرون فى جرأته فضحاً صارحاً لخمولهم وتخاذلهم. وكانت له ومازالت المدارس العديدة فى بلاد كثيرة .

لقد حرّر العقل من قيد التقاليد بواسطة الإصلاح الدينى، وحركة التنوير واللجوء إلى الله سبحانه وتعالى، فإن الله هو نور السماوات والأرض.

ويأتى بعد ذلك الجيل الثانى من أبناء التنوير والنهضة المصرية، أمثال لطفى السيد وطه حسين والعقاد وزكى نجيب محمود وتوفيق الحكيم.

ونجد أن الإسلام بكل معانيه السامية إنما هو الركيزة الأساسية لحركة التنوير، دافعاً ومؤيداً لها، رافضاً أى تطرف أو تعصب، منادياً بالود والسماحة، رافعاً لواء التآلف والحب من أجل التناغم الاجتماعى، داعياً إلى حقوق الإنسان ومؤيداً لها على طريق التنوير.

ويقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه المجيد :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

الآية ١٧ من سورة الحديد

ويقول عز وجل أيضاً :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾

الآية ٤٣ من سورة العنكبوت

صدق الله العظيم

وشكراً على حسن متابعتكم.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد  
النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

## المراجع

- \* بنت الشاطئ - الدكتورة عائشة عبد الرحمن : تراثنا بين ماضى وحاضر، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف بمصر، ١٩٧٠.
- \* الدكتور عثمان أمين : رائد الفكر المصرى الإمام محمد عبده، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٥.
- \* رتيه ديكارت : تأملات ميتافيزيقية فى الفلسفة الأولى، تثبت أن الله موجود وأن نفس الإنسان تتميز من جسمه، ترجمة الدكتور كمال الحاج، أستاذ الفلسفة فى الجامعة اللبنانية، منشورات عويدات، بيروت، باريس، الطبعة الرابعة، ١٩٨٨.
- \* الدكتور محمد عمارة : الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- \* الدكتور ماهر عبد القادر محمد على : التراث الإسلامى ، المركز المصرى للدراسات والأبحاث، الإسكندرية، ١٩٨٥ م.
- \* الدكتور محمد على أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٦ م.
- \* مراد وهبة : ابن رشد والتنوير ، تقديم بطرس غالى، دار الثقافة الجديدة، ١٩٩٧.
- \* أشغال ملتقى واقع الإسلام وتحديات العصر ، الجامعة التونسية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس ١٩٨٦ م، سلسلة الدراسات الإسلامية رقم ١٠، تونس ١٩٨٦.
- \* الدكتور نبيل راغب : هدى شعراوى وعصر التنوير ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨ م.



- \*Berque, Jacques : L'ISlam au défi, Paris, Galimard, 1980.
- \*Bucaille, Maurice : La Bible, Le Coran et al science, Paris, Seghers, 1976.
- \*Burlot, J. : La civilisation islamique, Paris, Hachette, 1990.
- \*Cassirer, Ernest : La philosophie des lumières, Paris, Fayard, 1932.
- \*Corbin, Henri : Histoire de la philosophie islamique, Paris Gallimard, 1964,
- \*Garaudy, Riger : L'Islam en Occident, Cordoue Capitale de l'esprit, Paris, L'Harmattan, 1987.
- \*Hunke, Sigirid: Le Soleil d'Allah Brille sur l'Occident., Paris, Albin -Michel.
- \*Lombard, Maurice : L'Islam dans sa première grandeur (VIII - XI siècle), L'Islam et l'Occident, Marseille, 1982, pp. 160-164.
- \*Mazaheri,Aly:L'âge d'or l'Islam,Casablanca, ed.Eddif,1996
- \*Nasr, Sayyed Hussein : sciences et savoir en Islam, trad. de l'anglais par Jean-Pierre Guinhut, Paris, ed. Buchet - Chastel, 1979.
- \*Pérès, Henri : "La poésie Arabe d'Andalousie et ses relations possibles avec la poésie des troubadours" in, Cahiers de Sud. L'Islam et l'Occident, Marseille,1982, pp.107-130.
- \*Schasch, Nafissa Abdel Fattah : Monitéusme et Islam au cours des siècles, Alexandrie, Dar El Gamil, 1998.
- \*Revue des études Islamiques, XLII, fascicule 2, 1974.



# التراث المصرى القديم فى حياتنا المعاصرة

أ. د. أحمد أمين سليم  
أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم  
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

1. The first part of the paper is devoted to the study of the properties of the function  $f(x)$  defined by the equation

2. The second part of the paper is devoted to the study of the properties of the function  $f(x)$  defined by the equation

## التراث المصرى القديم فى حياتنا المعاصرة

١. ٢. أحمد أمين سليم

يرجع تواصل العديد من مظاهر الحياة فى مختلف نواحيها فى مصر منذ أقدم العصور وحتى الآن إلى استمرارية العوامل البيئية والبشرية دون وجود تغيرات فجائية، فالحياة فى مصر تعتمد منذ فجر تاريخها على نهر النيل الذى جذب الإنسان المصرى للعيش فى سهوله منذ مرحلة العصر الحجري القديم الأعلى، نظراً لانسحاب الأمطار وقتها، فلقد كان الإنسان يعيش خلال المراحل السابقة أثناء العصر الحجري القديم الاسفل والعصر الحجري القديم الأوسط فى المنطقة الصحراوية التى تقع موازيه لسهول وادى النيل شرقاً وغرباً بسبب وجود الأمطار فى هذه المنطقة، وعلى ذلك فإن آثار الإنسان خلال هاتين المرحلتين تتركز على سطح الهضبتين الشرقية والغربية أما المواقع المتعلقة بحضارة العصر الحجري القديم الأعلى فقد أخذت تتركز فى الجهات التى يتوفر فيها الماء نظراً لزيادة الجفاف وانتشار الصحراء خلال هذه المرحلة الحضارية، أما فى العصر الحجري المتوسط، فلقد اتجه الإنسان المصرى تجاه المدرجات النهرية وراء المياه.

وفى العصر الحجري الحديث عاش الإنسان المصرى فى المناطق الواقعة على حواف وادى النيل مثل منخفض الفيوم ومرمدا بنى سلامه وحلوان العمرى والواحة الخارجة، وربما قد يشير ذلك إلى أن وادى النيل نفسه لم يكن بيئة جذابه ليسكنها الإنسان خلال هذه المرحلة، وذلك نظراً لان وادى النيل كان كثير المستنقعات والأعشاب، علاوة على أن النهر لم يكن قد تمكّن بعد من أن يتم حفر مجراه، وفى نفس الوقت فإن حالة

الصحراء المناخية لم تكن من الجفاف بحيث تدفع الانسان إلى الهبوط إلى المجرى، ومن ثم فلم يكن هناك داع يجبر الانسان على العيش فى وسط المستنقعات فى الوقت الذى وجد أمامه فرصة الاختيار للعيش فى مناطق واسعة تسقط عليها كمية من الامطار تكفى لقيام حياة نباتية وحيوانية تمكن الإنسان من العيش عليها فى نوع من السهولة والبسر.

ومع نهاية العصر الحجري الحديث، اتجه المناخ نحو الجفاف التدريجى، مما اضطر معه الانسان إلى أن يهبط إلى جانب النهر، وكان فى هبوطه هذا شديد التردد ومما قد يشير إلى هذا التردد أنه اكتفى بالسكن على حافتى الهضبة على مسافة كافية من وادى النيل حتى يكون بعيداً عن غائله الفيضان، ولم يستقر بجانب النهر الا حينما أصبح قادراً على ضبط مجراه وذلك منذ عصر ما قبل الاسرات وبداية العصور التاريخية.<sup>(١)</sup>

وواجهت الإنسان المصرى القديم مصاعب بيئية شديدة عند نزوله إلى وادى النيل، وتمثلت هذه المصاعب فى وجود المستنقعات المليئة بالمياه والنباتات البرية التى تعيش فيها العديد من الحيوانات، وكان على الإنسان المصرى مواجهه هذه المصاعب ليتمكن من الحياة فى هذه المنطقة، ولقد كان عند حسن الظن به، فتمكن من تهئية مجرى النيل وتخفيف المستنقعات واستئناس الحيوان وأعد الأرض وجهازها للعمل الزراعى، مما أدى إلى حدوث تطورات حضارية وسياسية متتالية فى هذا الجزء من وادى النيل الأدنى.

ومنذ ذلك الوقت اعتمدت الحياة فى مصر على نهر النيل، الذى يعتبر من أحدث الظواهر الطبيعية الهامة فى مورفولوجية مصر، إن لم

---

(١) يسري عبد الرازق الجوهري: «مصر فى رحلة الزمن من الماضى إلى الحاضر»، فى مجلد جغرافية مصر. المجلس الاعلى للثقافة، لجنة الجغرافيا، القاهرة، ١٩٩٤، ص ١٥.

فإنها تصبح «نيلو». ومن هذه الكلمة «نيلو» اشتقت الكلمة اليونانية "Nilos" ومنها جاءت كلمة «النيل»، وإن كان هناك من يرى أن كلمة «النيل» كلمة عربية مشتقة من «نال» وذلك على اعتبار أن النيل «نوال من السماء»<sup>(١)</sup> ولقد وحد المصريون النيل بالمعبود حعبي.<sup>(٢)</sup>

ولقد كانت أيام الفيضان، وما زالت، أيام قلق بالنسبة للمصرى، فهو يترقب وصول فيضه ويحسب بدقه ارتفاعه وانخفاضه ليتخذ من الإجراءات ما يناسب كل حالة، ومن أجل هذا كان فيضان النيل منذ أقدم العصور محلاً لرقابة شديدة محكمة.

فمنذ بداية عصر الاسرات المصرية، اهتم ملوك مصر بتسجيل ارتفاعات النيل، وذلك عن طريق إقامة مقاييس للنيل على امتداد النهر، وعرف المصريون القدماء أن مياه النيل تنقل كل عام كميات من الطمي النقي الذي يمنح الأرض الخصوبة، وعلى ذلك فلقد عملوا على توصيل هذه المياه بمحتوياتها من الطمي إلى جميع الجهات حيث تزداد خصوبة جميع الأراضي المحيطة بالنهر، كما قام العديد من ملوك مصر بإنشاء وشق الترع والقنوات لتحقيق أقصى استفادة من مياه النيل.

وكان حسن التصرف في المياه وعدم الإضرار بالترع والقنوات من الأمور الهامة عند المصري القديم، حيث كان يتباهى حكام الأقاليم بحسن تصرفهم في المياه كما ورد في كتاب الموتى: «إني لم أقطع قناة في عمرها، ولم أخالف نظام الري، ولم أتلف الأراضي الزراعية».

أما بالنسبة للإنسان المصرى، فلقد كان المصريون منذ أواخر العصر

(١) انطون ذكري: النيل في عهد الفراعنة والعرب، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٢٨-٢٣.

LA, IV, 480.

(٢)

«وفيما يتعلق بمنايع النيل، فلم يفخر أحد من المصريين أو الليبيين أو اليونانيين الذين تحدثوا إلى بأنه يعرف عنها شيئاً، ما عدا مسجل الخزائن المقدسة للمعبودة أثينا بمدينة سايس فى مصر، وقد بدا لى أنه يمزح حينما أدعى أنه يعرف الحقيقة تمام المعرفة، وهذا ما قاله: يوجد بين مدينتى «سوينى» فى طيبة و«اليفتتين» تلان ينتهيان بقلتين مدينتين، إحداهما يسمى «كروفى» والآخر «موفى»<sup>(١)</sup>، ومن بين هذين التلين تنفجر منابع النيل وهى ذات عمق سحيق، وينساب نصف الماء نحو مصر فى اتجاه الرياح الشمالية، والنصف الآخر نحو الحبشة فى اتجاه الرياح الجنوبية».

ويتضح من رواية هيرودوت ان المصريين لم يسمحوا لأحد بالتوسع فى مباحث عن ينابيع النيل، كما أنهم لم يسجلوا شيئاً عن ذلك، وربما كان الدافع وراء ذلك دافعا دينيا، حيث كانوا يؤمنون بأن النيل فيض من البركات الإلهية اختصت بها مصر وجعلته إلى الأبد مصدر الرفاهية والسعة لاهل مصر.

واختلف الباحثون حول تسمية «النيل» فمنهم من رأى أن هذه التسمية قد وردت فى الديموطيقية ك «ن - ال - و» وذلك على أساس أن حرف «النون» أداة تعريف للجمع المذكر و«ال» معناها «النهر» وحرف «و» علامة الجمع.

بينما هناك من يرى أن الكلمة مأخوذة من كلمة «ننو» أو «نينو» وذلك على اعتبار ان النون الثانية تقلب فى العربية «ل» وعلى ذلك

(١) قد تؤدى كلمة «كروفي» المعنى «ردئ» أما كلمة «موفى» فقد تؤدى معنى «طيب». انظر: هيرودوت يتحدث عن مصر، ترجمه محمد صقر خفاجه، قدم لها وشرحها أحمد بدوي، القاهرة، ١٩٦٦، ص ١٠٣ حاشية ٢.



النسبية لمساحات كل من الصعيد والدلتا ولا لقطاعاتهما المختلفة ثابتة جامدة طوال التاريخ، وإنما كانت فى تغير ولو طفيف. (١)

ولقد مثلت فروع الدلتا درجة كبيرة من التغيرات، فلقد كانت شبكة فروع الدلتا فى حالة تغير وتطور طوال العصور، إلا أنه يلاحظ أن المصادر التاريخية التى أشارت إلى فروع الدلتا سواء كانت المصادر الكلاسيكية مثل هيرودوت وبطليموس وديودور الصقلى وسترابون وكذلك الكتاب العرب لا تتفق مع بعضها حول فروع الدلتا وأسمائها بل أنها تتضارب كثيراً (٢). فلقد ذكر هيرودوت أن أفرع الدلتا تتكون من ثلاثة رئيسية، وأربعة ثانوية تتفرع من هذه الثلاثة الرئيسية، أما استرابون فلقد ذكر أيضاً أنه كان يجرى فى الدلتا سبعة أفرع، أتفق مع هيرودوت فى أربعة منها، بينما اختلف معه فى ثلاثة، فى أسمائها ومصادرها، ويذكر بطليموس فى جغرافيته أنه كان للدلتا ستة فروع وتسعة مصبات، وكان من هذه المصببات ما حفره الإنسان، كما ينفرد بذكره للفرع البوطى الذى يمتد من الغرب إلى الشرق موازياً للساحل وهو يصل بين كل فروع الدلتا.

ولقد اعتبر المصرى القديم أن النيل آت من الظلمات، وفى موضع آخر اعتبره مولوداً من رع، وفيما يتصل بمنابع النيل، فلقد ذكر هيرودوت فى ذلك ما يلى: (٣).

(١) نفس المرجع السابق، ص ١٧٩

(٢) ذكر أ. د. جمال حمدان أن كلا من عمر طوسون وجون بول قد حاولا التحقق والتنسيق بين الروايات المتعددة حول أفرع الدلتا، وذلك اعتماد على أسماء المدن والأماكن القديمة، والوحدات الادارية، وذلك فى:

O. Toussoun, "Memoire sur les anciennes branches du Nil: in MPE., 4, 1922, pp. 1- 60.,

J. Ball, Egypt in the classical geographers, Cairo, 1942, pp. 17-176.

جمال حمدان، المرجع السابق، ص ١٨٩.

Herodotus, The Histories, translated with an introduction by (٣) Aubrey de Sélincourt, Penguin Books, 1971, II, 28 (p. 112).

يكن أحدثها بالفعل، وهو يعتبر من أحدث أنهار إفريقيا جغرافياً،<sup>(١)</sup> ولم ينشأ النيل دفعة واحدة كنظام نهري واحد، وإنما تكون أصلاً من مجموعة من النظم النهرية الإقليمية، بدأ كل منها منفصلاً مستقلاً عن الباقي، وربما في عصور جيولوجية وظروف طبيعية مختلفة كذلك، ثم اتصلت تلك النظم ببعضها البعض وتلاحمت وتوحدت في نظام نهري واحد مركب بالغ الضخامة كما هو شديد الخصوصية، بحيث لا يكاد يدانيه نهر في اتساعه وإبعاده.<sup>(٢)</sup>

ولقد بدأ نهر النيل في مصر منذ عصر الميوسين بنهر مصرى بحث أو مصرى - نوبى على الأكثر، ولم يتصل بالمنايع الحبشية وغير الحبشية حتى عصر البلايستوسين، ومنذ أن اتصل النيل بالمنايع الحبشية أخذ القرين يتدفق مع الماء ثم يترسب في قاع النهر وينتشر على سطح الوادى في غشاء سنوى رقيق للغاية يرفع مستوى القاع والوادى بشكل مطرد. وأدى ذلك إلى زيادة حجم الوادى مع الوقت طولاً وعرضاً وارتفاعاً. ولم يكن معدل الاتساع واحداً في كل القطاعات بالصعيد، فنظراً لأن شمال الصعيد أقل وعورة وأكثر سهولة وانبساطاً من جنوبه، كما أن انحدار الهضبتين في الشمال أكثر تدرجاً منه في الجنوب، فإن اتساع السهل الفيضى في شمال الصعيد كان أكبر وأسرع نسبياً عنه في الجنوب.

وترتب على استمرار الفيضان ثلاث نتائج رئيسية: الأولى، أن مجمل مساحة الوادى لم تكن ذات قيمة ثابتة طوال التاريخ بل كانت تتغير وتتطور في اتجاه الزيادة والثانية، كان اتساع ومساحة الوادى في العصور القديمة أقل مما هي عليه الآن والثالثة، أنه لم تكن القيم

(١) محمد عرض محمد: نهر النيل، القاهرة، ١٩٤٨، ص ١٤٢.

(٢) جمال حمدان: شخصية مصر، ج ١، ص ١٢٢.

الحجرى القديم الأعلى فرعاً من سلالات البحر المتوسط الجنوبية، مع اختلافات محلية بين سكان أطراف الصعيد وأطراف الدلتا، وبين سكان حواف الصحراء الشرقية وسكان حواف الصحراء الغربية، وهى اختلافات ترتبت على فوارق البيئات المحلية، وعلى مدى اختلاط أهل الأطراف والحواف بجيرانهم الآسيويين من ناحية والإفريقيين من ناحية أخرى، سواء بالنسبة إلى من عرفوا اصطلاحاً باسم «أصحاب اللهجات السامية» وانتشروا بلامحهم الإقليمية فى شمال شبه الجزيرة العربية ونواحى الشام وبادية العراق واتصلوا بمصر عن طريق شبه جزيرة سيناء وخليج السويس، وزمناً أيضاً عن طريق البحر الأحمر، أو بالنسبة إلى من عرفوا اصطلاحاً باسم «أصحاب اللهجات الحامية» والذين انتشروا بخصائصهم الإقليمية فى المناطق الليبية وفى نواحى النوبة وأراضى البجا والصومال<sup>(١)</sup>.

ولقد غطت سلالة البحر المتوسط مصر وشمال أفريقيا وبلاد الشام وشمال الجزيرة العربية، وفى أثناء العصر المطير كانت كثافة السكان مخلخلة جداً، وكانت الحركة والهجرة والترحل ظاهرة دائمة، ومن ثم فإن الاختلاط الجنتسى كان أساسياً ولا يوجد مجال لعزله أو نقاوة ما، ومع عصر الجفاف تجمعت كل مجموعة من هؤلاء السكان فى رقعة محدودة، ومعنى هذا أنه حدث «تقطع» فى الغطاء القديم المتجانس جنسياً إلى عدة رقع متباعدة جغرافياً، ولكنها تظل متجانسة جنسياً، وعلى ذلك فشعوب المنطقة العربية - قبل العرب والإسلام - هم أساساً وأصلاً أقارب انفصلوا جغرافياً، ابتداءً من العراق إلى الشام إلى الجزيرة العربية ومن مصر إلى المغرب أو السودان، والتوطن المحلى والمؤثرات الداخلية الموضعية والتزاوج الداخلى الذى حدث بعد ذلك، لا يمكن أن ينتج أكثر

---

(١) عبد العزيز صالح: حضارة مصر القديمة وآثارها، ج ١، القاهرة، ١٩٨٠، ص ١٢.

من ابتعادات محلية ضئيلة لا تغير من وحدة الاصل الدموى وتجانس العرق، وإن تطورت اللغات والألسن.<sup>(١)</sup>

ولقد عثر فى منطقة حوض كوم أمبو على بقايا من عظام السكان، وهى ترجع إلى العصر الحجري القديم الأعلى، واستمرت هذه السلالة خلال العصر الحجري الحديث، حيث يتضح من الهياكل العظمية التى ترجع إلى هذه المرحلة أن السكان فى الشمال كانوا من سلالة البحر المتوسط التى تمتاز باستطالة الرأس واعتدال القامة، وأما فى الصعيد فقد كان السكان من السلالة ذاتها، ولكنهم امتازوا أيضا باستعراض الوجه نوعا ما، وقوة الفك، وبروز عظام الحاجب.

واحتفظ سكان مصر بصفاتهم الجسمية التى ربطتهم بسكان غرب آسيا طوال العصور الفرعونية، وعندما دخلت مصر فى سيطرة البطالمة والرومان لم يحدث تغير فى صفات السكان الجنسية، وعندما حدث الفتح العربى لمصر نزحت عناصر جديدة من القبائل العربية وكان أكثر هذه القبائل من العدنانيين (عرب الشمال) وقلة من القحطانيين (عرب الجنوب)، وعلى ذلك فلم يترتب على نزوح القبائل العربية تغيير فى صفات السكان الجنسية، لأن العناصر الجديدة كانت متشابهة فى صفاتها العامة مع سكان مصر، وكان كلاهما يرجع منذ بداية العصور الحجرية إلى جنس واحد وهو سلالة البحر المتوسط، وعلى ذلك فإن ما حدث فى العهد العربى إنما يعد تسجيلا وإبرازا لما هناك من صلات سبقت العصور التاريخية، وزادتها الثقافة العربية والإسلامية المشتركة ظهوراً وتوكيدا.<sup>(٢)</sup>

(١) جمال حمدان: شخصيه دراسة فى عبقرية المكان، كتاب الهلال، مايو ١٩٩٣، ص ٢٨٢.

(٢) سليمان حزين: «البيئة والإنسان والحضارة» الجزء الأول، «الذيلى الأدينى» مجلد تاريخ الحضارة المصرية، العصر الفرعونى، المجلد الأول، ص ٢٨ - ٢.

وعندما جاء الاتراك مصر، لم يتركوا أثراً ذا بال، حيث بقى أثرهم محصوراً فى مناطق وطبقات خاصة من السكان، ولم يستطع الاتراك أن يغيروا معالم التكوين الجنسى للسكان، ولا سيما فى البيئات الريفية فى الصعيد والدلتا. وعلى ذلك فلم يكن هناك تغيير ملحوظ فى مظهر الغالبية العظمى من المصريين، حتى أصبح من العسير التفرقة بين تقاطيع وجوه التماثيل فى مصر القديمة، وملامح وجوه كثير من الفلاحين المصريين اليوم.

ولقد كتبت اللغة المصرية القديمة بخطوط أربع هى: الهيروغليفية والهيراطيقية والديموطيقية والقبطية، وهى خطوط لم تظهر كلها فى وقت واحد وإنما جاءت فى إطار تتابع زمنى يعبر عن الامتداد الزمنى الطويل الذى عاشته اللغة المصرية القديمة، ويعبر فى نفس الوقت عن النضج الفكرى للإنسان المصرى القديم والذى أدرك أن متطلبات الحياة قد تتطلب بين الحين والحين أن تكون بينها وبين الأداة المعبره عن اللغة وهى الكتابة قوائم وتناسق، ولأن الخط الهيروغليفى، هو أقدم الخطوط المصرية وأطولها عمراً وأكثرها وضوحاً وجمالاً، فقد لجأ المصرى فى بعض المراحل الزمنية إلى تبسيطة، وقُتل فى الخط الهيراطيقى ثم لجأ إلى تبسيط آخر فى مرحلة تالية، وقُتل ذلك فى الخط الديموطيقى، الأمر الذى يعنى أن هناك علاقة خطيه واضحة بين الخطوط الثلاث، أما الخط الرابع، وهو الخط القبطى فقد كتب بالأبجدية اليونانية مضافاً إليه سبع علامات من الكتابة المصرية القديمة لم يتوفر نطقها فى العلامات اليونانية.

وتعتبر القبطية الصدى الأخير للغة المصرية القديمة، وتتميز باستخدام حروف الحركة لأول مرة فى خط من خطوط اللغة المصرية القديمة، وهو الأمر الذى ساعد إلى حد كبير على التوصل إلى أقرب نطق صحيح للغة المصرية القديمة، وقد يكون من الأسباب التى دفعت

المصرى إلى استخدام هذا الخط، أنه قد اضطر لاسباب عملية تتمثل فى وجود اليونانيين فى مصر إلى محاولة إيجاد وسيلة يسهل له التفاهم بها معهم، فاختار الابدجية اليونانية لكى تعبر عن اصوات اللفة المصرية، وأضاف إليها سبعة أحرف مأخوذة من الديموطيقية وليس لها ما يقابلها من الناحية الصوتية فى اللغة اليونانية. (١)

واستمرت القبطية مستخدمة حتى القرن العاشر الميلادى، ولازالت مستعملة حتى الآن فى الكنائس، ويمكن أن نميز فى القبطية خمس لهجات رئيسية على الأقل، وأهم هذه اللهجات، هى البحرية، وهى ترجع إلى الدلتا، والصعيدية، وكانت مستعملة فى معظم الصعيد والاحيمية التى سميت هكذا لوجود كل مخلفاتها فى اخميم والفيومية التى تكلم بها أهل الفيوم والمنفيه لهجة أهل مصر الوسطى. ولقد دخل إلى القبطية بعض الكلمات اليونانية وكذلك اللاتينية، كما يوجد بين اللغة المصرية واللغات السامية والحامية قرابة شديدة. (٢)

وعلى ذلك فعندما دخل العرب مصر، لم يكونوا يعيدون تماما عن المصريين وإنما شاركوهم فى تكوينهم الجنسى القديم، وفى تراثهم اللغوى البعيد، وأن اختلفوا عنهم فى اللهجة والموطن والعادات والتقاليد، وغلبت اللغة العربية على اللغة المصرية القديمة باعتبارها لغة القرآن الكريم، ولكنها لم تحجبها تماما، وظلت بقية من مفردات اللغة المصرية القديمة قائمة حية فى مجتمعنا المعاصر، تصل أهلها بماضيهم، ويظهر ذلك فى أسماء بعض المدن والقرى والشهور، وبعض المفردات المستخدمة فى الحياة اليومية. (٣)

وتجدر الإشارة فى هذا المجال إلى أن لفظ «القبط» هو تحريف للكلمة اليونانية «ايجبتوس» التى تعنى مصر والمصريين بعد حذف

(١) عبد الحليم نور الدين: اللغة المصرية القديمة، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٩-١٢.

(٢) جورجى صبحى: قواعد اللغة المصرية القبطية، القاهرة، ١٩٢٥، ص ٥-٩.

(٣) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ٣٢.

الزائدة الاخرة «وس» والأول «إى» فصارت «جبط» ولما دخل العرب وجدوا أن اهالى مصر منقسمين إلى قسمين اليونان وكانوا يدعونهم بالروم والمصريين وكانوا يدعون «جبطا»، وتحرفت الكلمة فيما بعد فصارت قبطى، وكانت تشير إلى المصرى بوجه عام.

وستتناول موضوعا واحداً من التراث المصرى القديم فى حياتنا المعاصرة، وهو التراث اللغوى، حيث يلاحظ وجود الكثير من الكلمات المصرية القديمة التى نستخدمها حالياً فى مختلف شئون الحياة، كما يوجد أيضاً العديد من الكلمات المصرية القديمة التى تتفق فى النطق والمعنى مع الكلمات العربية، وسأقوم فيما يلى بإبراز بعض هذه الكلمات وما يقابلها فى اللغة المصرية القديمة.

#### ١- الكلمات المتصلة بأعضاء الانسان

| عند المصرى القديم                                       | حاليا       |
|---------------------------------------------------------|-------------|
| أدن (١)                                                 | أذن         |
| جنف (٢)                                                 | أنف         |
| حول (٣)                                                 | حول (العين) |
| شفه (٤)                                                 | شفه         |
| جبع (٥)                                                 | صباغ        |
| عين (٦)                                                 | عين         |
| كب (٧)                                                  | كف          |
| آب (حيث لا يكتب حرف اللام فى اللغة المصرية القديمة) (٨) | قلب         |

W b., I. 154.

W b., V. 174.

(٣) عبد الحليم نور الدين: اللغة المصرية القديمة، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٢٤٢.

(٤) أحمد بدري وهرمن كيس: المعجم الصغير فى مفردات اللغة المصرية القديمة، القاهرة، ١٩٥٨، ص ٢١٧.

(٥) نفس المرجع السابق، ص ٢٩٤.

(٦) نفس المرجع السابق، ص ٣٨.

W b., V, 118, 11, 12.

(٨) عبد العزيز صالح: حضارة مصر القديمة وآثارها، ج ١، فى الاتجاهات الحضارية العامة حتى أواخر الألف الثالث ق. م، القاهرة، ١٩٨٠، ص ١٧.

## ٢- أسماء الأعلام

### ما يشير إليه عند المصري القديم

| حاليا      | أوسه وبيسه                |
|------------|---------------------------|
| أوسه وبيسه | نسبة إلى المعبودة ايزيس   |
| باخوم      | الصقر                     |
| بانوب      | المنسوب إلى المعبود انبو  |
| باهور      | المنسوب إلى المعبود حور   |
| ساويرس     | (ساور) بمعنى الرجل العظيم |
| سمير       | (سمر) بمعنى أنيس          |
| سوزان      | (شسنو) زهرة اللوتس        |
| شيرين      | (شيرى) الصغيرة            |
| محب        | في العيد                  |
| موريس      | (مرور) البحر العظيم       |
| مارى/ ميري | المحبوبة                  |

### ٣- الألقاب والصفات المتصلة بالإنسان

|         |                                                           |
|---------|-----------------------------------------------------------|
| ابن     | ابن                                                       |
| طفل     | طفن <sup>(١)</sup> (احلال النون مكان اللام)               |
| سا (سي) | يطلق علي الرجل                                            |
| ست      | تطلق علي المرأة                                           |
| أمير    | (إمى- را) بمعنى صاحب السلطان                              |
| عنتيل   | (انتوري في القبطية ) ويوصف بها الرجل القوي <sup>(٢)</sup> |
| فرعون   | برعا (البيت العظيم = الملك)                               |

W b., V, 299, 3.

(١)

(٢) وليم نظير: العادات المصرية بين الأمس واليوم، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٩٦.



## ٤- أسماء الأماكن<sup>(١)</sup>

### ١- في الوجه القبلي

|           |                                                                                                                                    |
|-----------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| أسوان     | مشتقة من الكلمة المصرية القديمة «سونو» بمعنى السوق                                                                                 |
| إدفو      | مشتقة من «چبا» الذي أصبح «دبا» و«تبا» و«إتبو» و«إتفو» وأصبح في العربية «إدفو».                                                     |
| كوم أمبو  | ظهرت في النصوص المصرية «نبيت» وفي القبطية «نبو» وفي العربية «أمبو» ثم أضيف إليها كلمة «كوم».                                       |
| دندره     | كانت في النصوص المصرية «تانتروت» أى الإله «حاتحور» وفي اليونانية «تنتيرس» ثم أصبحت دندره.                                          |
| قفط       | في النصوص المصرية «جبتيو» واليونانية «كوتوس» وحرقت إلى قفط.                                                                        |
| قوص       | في النصوص المصرية «قيس» ثم أصبحت «قوص»                                                                                             |
| الميدامود | كانت في النصوص المصرية «مادو»                                                                                                      |
| الأقصر    | في النصوص المصرية «تا إيت» (الحرم) وأصبحت في اليونانية «تيباي، ثيباي» ثم طيبة في العربية، أما اسم «الأقصر» فلقد أطلقه عليها العرب. |
| أرمنت     | اشتق من الاسم المصري القديم «پرمونت» و«ايون مونت» نسبة إلى المعبود «مونتو» المعبود الرئيسي فيها، وأصبحت في اليونانية «هرمونتوس»    |

(١) انظر في ذلك الدراسة القيمة التي أعدها الأستاذ الدكتور عبد الحليم نور الدين في مؤلفه الهام: اللغة المصرية القديمة، ص ٢٢٧ - ٢٤٠، وكذلك: عبد الحليم نور الدين: مواقع ومتاحف الآثار المصرية، القاهرة، ١٩٩٨. وكذلك: محمد بيومي مهران: المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم، ج ١، مصر، الاسكندرية، ١٩٩٩م.

H. Gauthier, Dictionnaire des noms geographiques contenus dans les textes hieroglyphiques, t. 1 - 6, Otto Zeller Verlag, Osnobruck, 1975.

P. Montet, Geographie de l'egypte ancienne, 2, parts, Paris, 1957, 1961.

|                 |                                                                                                                                                                                  |
|-----------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| إستا            | مشتق من اسمها القديم «سنت» و«تاسنت»                                                                                                                                              |
| اخميم           | اشتق من الاسم المصرى «ختى مين» (مقر الإله مين) وفى القبطية «خمين» ثم أصبحت فى العربية اخميم.                                                                                     |
| ابيدوس          | اسمها المصرى «إيجو» و«أبدو» وفى اليونانية «ابيدوس».                                                                                                                              |
| قاو             | محوره من الكلمة المصرية «قاو» التى تعنى «الشاهقة»                                                                                                                                |
| اسيوط           | عرفت فى النصوص المصرية باسم «ساوت» وفى القبطية «سيوط» ، وربما يعنى اسمها «المحمية» أو «الحامية».                                                                                 |
| القوصية         | اسمها المصرى «قيس» بمعنى (المترابطة).                                                                                                                                            |
| شطب             | اسمها المصرى «شاس حتب» وفى القبطية «شوت» وأصبحت فى العربية «شطب».                                                                                                                |
| المنيا          | إما أن اسمها مشتق من الكلمة المصرية «منى» بمعنى «ميناء» إشارة إلى موقعها على نهر النيل أو من كلمة «منعت».                                                                        |
| حاتنوب          | عرفت فى النصوص المصرية باسم «حتب نوب» أى «موقع                                                                                                                                   |
| (محافظة المنيا) | الذهب».                                                                                                                                                                          |
| الأشمونين       | اسمها المصرى «خمنو» أى «الشماتية» إشارة إلى الثامنون جوهر نظرية الخلق المرتبط بهذه المدينة، ولقد حرف فى القبطية إلى «شمون» وأصبح «الأشمونين».                                    |
| تونه الجبل      | اشتق اسمها من الكلمة المصرية «تاحن» أى «البحيرة» ربما                                                                                                                            |
| (مركز ملوي)     | إشارة إلى بحيرة كانت تتكون فى هذه المنطقة نتيجة لفيضان النيل، وأضيف إليها كلمة «الجبل» نظراً لوقوعها فى منطقة جبلية صحراوية وتمييزاً لها عن القرية السكنية الحديثة «تونة البلد». |
| أبو صير الملق   | عرفت فى النصوص المصرية «پو أوزير» أى «مقر الإله                                                                                                                                  |
| (مركز الوسطي)   | أوزير».                                                                                                                                                                          |
| الحجيه (مركز)   | اسمها المصرى «هبت» ، «حتب بنو» (مقر طائر العنقاء.                                                                                                                                |
| الفشن)          |                                                                                                                                                                                  |
| اهناسيا         | عرفت فى النصوص المصرية «نن نسر» و«حتب - نن -                                                                                                                                     |

|                                                        |         |
|--------------------------------------------------------|---------|
| نسو» أى الطفل الملكى وحرفت فى العربية إلى «اهناسيا»    |         |
| أسمها المصرى «مرتم» ربما بمعنى «بحيرة الإله اتوم»      | ميدوم   |
| عرفت فى النصوص المصرية القديمة باسم «با - يم» أى       | الفيوم  |
| «اليم» أو «البحر» ثم أطلق عليها فى عصر الدولة الحديثة  |         |
| «بايم» وحرفت فى القبطية إلى «بيوم» و«فيوم»، ثم         |         |
| أصبحت الفيوم بإدخال أداة التعريف «ال».                 |         |
| مأخوذة من كلمة «را - حن» بمعنى «فم البحيرة».           | اللاهون |
| مشتق من اسم الإله «سكر» إله الجيانه.                   | سقارة   |
| من الاسم المصرى «تب إيج» بمعنى «رأس البقرة» ثم أصبحت   | أطفيح   |
| فى العربية «طفيح وأطفيح».                              |         |
| أصلها «من - نفر» وهو اسم اتخذ من اسم الملك «ببى الأول» | منف     |
| ومعناها «الثابت الجميل».                               |         |

#### ب- فى الوجه البحرى:

|                                                     |                 |
|-----------------------------------------------------|-----------------|
| اشتق اسمها من «با - ان - نهت» (المنتحبة إلى شجرة    | بنها            |
| الجميز)                                             |                 |
| عرفت فى النصوص المصرية القديمة باسم «حت - حرى -     | تل أتريب        |
| إيب) (مقر الوسط) وفى اليونانية «أتريس» وأصبحت فى    | (شمال شرق       |
| العربية «أتريب» وأضيف إليها كلمة «تل» للدلالة على   | مدينة بنها      |
| أثرية الموقع.                                       | بحرالى ٣ كم)    |
| أسمها المصرى القديم «ساو» وحرفه الإغريق إلى         | صا الحجر        |
| «سايس»، وأضاف إليها العرب كلمة (الحجر) إشارة إلى    | (على بعد ٧ كم   |
| كثرة أطلالها الحجرية.                               | من مدينة بسيون) |
| أسمها المصرى القديم «بو أوزير» (مقر أوزير) ثم أصبحت | ابو صير بنا     |
| فى اليونانية بوزيريس.                               | (قرب سمود)      |
| أسمها المصرى القديم «ثب نثر» وفى اليونانية «سبتيس»  | سمود            |
| ثم حرفت فى العربية إلى سمود.                        |                 |

بهببت الحجارة اسمها المصرى القديم «برحببت» أى (بيت الأعياد) وحرف (شمال سمود) فى اللغة العربية إلى «بهببت» وأضيفت إليها كلمة (الحجارة) لوجود كميات هائلة من الأحجارى هذا الموقع.

تل بسطه عرفت فى النصوص المصرية القديمة باسم «بر باستت» أى (فى إطار مدينة (مقر الإله باستت)، وحرفت «باستت» فى العربية لتصبح (الزقازيق) «بسطه» وأضيف إليها كلمة «تل».

صفت الحنة اشتقت التسميه من الإله «سويد» التى كانت مركزا (مركز أبو حماد لعبادته، وأضيف إليها كلمة (الحنة) لانتشار زراعة الحنة فى شرقية) المنطقة.

هورببط (بالقرب) اشتقت التسميه من الإسم المصرى «حربت» من أبو كبير)

دمنهور عرفت فى النصوص المصرية القديمة باسم «با دى ان حور» أى مدينة الاله حور.

سخا فى النصوص المصرية القديمة «خاسو» وفى القبطية «سخوى» وأصبحت فى العربية «سخا».

ابطو فى النصوص المصرية «برواجيت» وفى القبطية «بوتو» وفى (مركز دسوق) العربية ابطو.

سيناء مشتق من اسم إله القمر لدى الساميين الاله «سين»  
أبيس أحد ضواحي مدينة الاسكندرية عرف فى النصوص المصرية باسم «حب» وحرفت فى اليونانية إلى «أبيس» و«حب» (أبيس) هو إله القوة والإخصاب، ولقد حمل نفس الاسم فى اللغة العربية..

شبراخيت «شبرا» بمعنى المنطقة السكنية المحدودة، «خيت» بمعنى الشمالية  
شبرامنت المنطقة الغربية

شبرارس المنطقة الجنوبية  
منوف فى النصوص المصرية «بونفر» وفى القبطية «مانوف»

وتعنى «المكان الجميل» وأصبحت فى العربية «منوف»

## ٥- الشهور القبطية

|            |                                                                                                                   |
|------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| توت        | نسبة إلى الإله «تخوت» إله القمر والحكمة                                                                           |
| بابة       | نسبة إلى عيد «إبت» وهو العيد الذي كان يتم الاحتفال فيه بانتقال الإله أمون من معبده فى الكرنك إلى معبده فى الأقصر. |
| هاتور      | نسبة إلى الإله حاتحور                                                                                             |
| كيهك (كيك) | ربما اشتق من التعبير «كا - حركا» بمعنى (قرين مع قرين)                                                             |
| طوبه       | ربما مشتق من أحد الأعياد المصرية                                                                                  |
| أمشير      | عيد يرتبط بالإله المسثول عن الزوابع                                                                               |
| برمهات     | نسبة إلى عيد يتعلق بالملك امنحتب الأول                                                                            |
| برمودة     | نسبة إلى إلهه الحصاد «رننوت»                                                                                      |
| بشنس       | نسبة إلى الإله «خونسو» إله القمر.                                                                                 |
| بثونه      | نسبة إلى عيد «إنت» (عيد الوادى) وهو العيد الذى ينتقل فيه أمون من شرق النيل إلى غربه لزيارة معابده هناك.           |
| أبيب       | نسبة إلى عيد يرتبط بالإله (عيب) أو (أبيب)                                                                         |
| ميسرى      | ولادة رع                                                                                                          |

## ٦- أسماء الحيوانات

|       |                                       |
|-------|---------------------------------------|
| بقرة  | برك (أبدلت الكاف والراء) (٢١)         |
| تمساح | مسح (٢٢)                              |
| جُحش  | جَحش (٢٤)                             |
| حمار  | عا (يقال للحمار عا حا لحشه على المشي) |

(١) عبد الحليم نور الدين: اللغة المصرية القديمة، ص ٢٤٧ - ٢٤٨.

(٢) عبد الحليم نور الدين: المرجع السابق، ص ٢٤٩.

(٣)

Wb. V, 577.

(٤) ولیم نظیر: المرجع السابق، ص ٩٢.

|       |           |
|-------|-----------|
| خنزير | خنزير (١) |
| ذئب   | صنّب (٢)  |
| عنزة  | عنجه (٣)  |
| قرد   | قند (٤)   |

#### ٧- أسماء بعض الأدوات والأشياء المستخدمة

|      |                                            |
|------|--------------------------------------------|
| بُرش | بُرش (٥)                                   |
| حربة | حرب (٦)                                    |
| رمح  | مرح (٧) (أبدلت الميم والراء)               |
| سيف  | سفت (٨)                                    |
| عجله | عجرة (٩) (كلمة سامية) (أبدلت اللام بالراء) |
| كأس  | كاس (١٠)                                   |
| مشط  | مشد (١١)                                   |

#### ٨- بعض الصفات المتصلة بالإنسان

|     |                   |
|-----|-------------------|
| خمه | خمى (الجاهل) (١٢) |
|-----|-------------------|

- (١) عبد الحليم نور الدين: المرجع السابق، ص ٢٤٢.  
 (٢) W b., III, 420.  
 (٣) W b., I, 205.  
 (٤) W b., V, 57, 1.  
 (٥) عبد الحليم نور الدين: المرجع السابق، ص ٢٤٥.  
 (٦) أحمد بدوي وهرمن كيس: المرجع السابق، ص ١٦٥.  
 (٧) نفس المرجع السابق؛ ص ١٠٢.  
 (٨) عبد الحليم نور الدين: المرجع السابق، ص ٢٤٢.  
 (٩) أحمد بدوي: المرجع السابق، ص ٤٤.  
 (١٠) عبد الحليم نور الدين: المرجع السابق، ص ٢٤٣.  
 (١١) نفس المرجع السابق، ص ٢٤٣.  
 (١٢) أحمد بدوي: المرجع السابق، ص ١٨٠.

|                                 |         |
|---------------------------------|---------|
| ما أور (حزين) (١)               | ماهور   |
| كحكح (وصل إلى مرحلة الشيب) (٢)  | كحكح    |
| كركر (شدة الضحك)                | كركر    |
| ٩- بعض الالفاظ المتصلة بالاطفال |         |
| (ماء)                           | أمبو    |
| (طعام)                          | قم      |
| (الصغير)                        | ننه     |
| (يا صغير)                       | حلولي   |
| (جميلة أو ما أجملها)            | ننوسه   |
| (خطوة خطوة)                     | تاته    |
| (بالتدريج)                      | جبه جبه |
| (اسم عفريت)                     | بعبع    |
| (اسم عفريت)                     | بخ      |
| (قذارة)                         | كخ      |
| (تطلق على الفضلات)              | كاكا    |

١٠- بعض أسماء الاطعمة والاشربة

|       |           |
|-------|-----------|
| بدوكا | بطيخة     |
| كنم   | كرم (عنب) |
| تون   | تين       |
| منوح  | ملوخية    |
| شبيزه | خبيزة     |
| كرهتا | كرات      |
| قتادي | قتا       |

(١) عبد الحليم نور الدين: المرجع السابق، ص ٢٤٥.

(٢) نفس المرجع السابق، ص ٢٤٥.

|        |                                    |
|--------|------------------------------------|
| بصل    | بصلی                               |
| جرجير  | جرجر                               |
| خلوم   | حلوم (كلمة قبطية معناها جبن)       |
| مدمس   | متمس (المطمور)                     |
| بصاره  | بيس بورو (القول المطبوخ)           |
| ينسون  | ينكون                              |
| لبشه   | لبشه (للقصب)                       |
| سباطه  | سباطه (للموز) <sup>(١)</sup>       |
| زيتون  | زيت <sup>(٢)</sup>                 |
| فول    | بور ثم قلبت إلي فول <sup>(٣)</sup> |
| خس     | خشن <sup>(٤)</sup>                 |
| قمح    | قمح <sup>(٥)</sup>                 |
| شعير   | سعر <sup>(٦)</sup>                 |
| شلبايه | شلبايه                             |
| بورى   | بور                                |
| بساربه | بساربه <sup>(٧)</sup>              |

(١) انظر: وليم نظير: المرجع السابق، ص ٩٣ - ٩٤.

(٢) أحمد بدوي، هرمن رانكه: المرجع السابق، ص ٢٩٨.

(٣) عيد الحليم نور الدين: المرجع السابق، ص ٢٤٢.

(٤) نفس المرجع السابق، ص ٢٤٢.

(٥) نفس المرجع السابق، ص ٢٤٢.

(٦) نفس المرجع السابق، ص ٢٤٢.

(٧) وليم نظير: المرجع السابق، ص ٩٢.



# ١١- بعض الافعال

| الكلمة المصرية القديمة        | الكلمة الحالية  |
|-------------------------------|-----------------|
| دي <sup>(١)</sup>             | إدي (إعطى)      |
| أسر <sup>(٢)</sup>            | أسر             |
| بتر <sup>(٣)</sup>            | بصر             |
| بتح (طرح أرضا) <sup>(٤)</sup> | بطح             |
| بصح <sup>(٥)</sup>            | بصق             |
| بح (نهاية) <sup>(٦)</sup>     | بح              |
| برق <sup>(٧)</sup>            | برق             |
| تف (تفل) <sup>(٨)</sup>       | تف              |
| جيجب <sup>(٩)</sup>           | كيكب (طرح أرضا) |
| جر <sup>(١٠)</sup>            | جري             |
| حسب <sup>(١١)</sup>           | حسب             |
| حتم <sup>(١٢)</sup>           | حطم             |
| ختم <sup>(١٣)</sup>           | ختم             |

(١) عبد الحلیم نور الدین: المرجع السابق، ص ٢٤٥.

(٢) نفس المرجع السابق، ص ٢٤١.

(٣) W b., I, 464.

(٤) W b., II, 334.

(٥) W b., I, 555.

(٦) عبد الحلیم نور الدین: المرجع السابق، ص ٢٤٥.

(٧) عبد الحلیم نور الدین: المرجع السابق، ص ٢٤١.

(٨) أحمد بدوي وهرمن کيس: المرجع السابق، ص ٢٧٤.

(٩) Wb., V, 165.

(١٠) عبد الحلیم نور الدین: المرجع السابق، ص ٢٤١.

(١١) W b., III, 166.

(١٢) W b., I, 565.

(١٣) W b., III, 351, 1.

|             |                                 |
|-------------|---------------------------------|
| شح          | خغ <sup>(١)</sup>               |
| رحب         | رحب <sup>(٢)</sup>              |
| سن (السكن)  | سن <sup>(٣)</sup>               |
| سَمَع (غني) | شمع <sup>(٤)</sup>              |
| شد          | شد <sup>(٥)</sup>               |
| شرح         | شرح <sup>(٦)</sup>              |
| علا         | عل (و) <sup>(٧)</sup>           |
| قط (قفز)    | قطقط <sup>(٨)</sup>             |
| فدغ (قطع)   | فذك <sup>(٩)</sup>              |
| قطع         | قدح <sup>(١٠)</sup>             |
| قطف         | قدق <sup>(١١)</sup>             |
| أطال النظر  | مأأ <sup>(١٢)</sup>             |
| منحة        | منحة <sup>(١٣)</sup>            |
| نف          | نف <sup>(١٤)</sup>              |
| نقم         | نقم (خسر / خرن) <sup>(١٥)</sup> |

Wb., I, 197.

Wb., IV, 560, 8.

- (١) عبد الحلیم نور الدین: المرجع السابق، ص ٢٤٢.  
 (٢) نفس المرجع السابق، ص ٢٤٢.  
 (٣) أحمد بدوي وهرمن کيس: المرجع السابق، ص ٢٤٧.  
 (٤)  
 (٥) عبد الحلیم نور الدین: المرجع السابق، ص ٢٤٢.  
 (٦) نفس المرجع السابق، ص ٢٤٢.  
 (٧) أحمد بدوي وهرمن کيس: المرجع السابق، ص ٩٠.  
 (٨) نفس المرجع السابق، ص ٩٠.  
 (٩) عبد الحلیم نور الدین: المرجع السابق، ص ٢٤٣.  
 (١٠) نفس المرجع السابق، ص ٢٤٣.  
 (١١) نفس المرجع السابق، ص ٢٤٣.  
 (١٢) نفس المرجع السابق، ص ٢٤٥.  
 (١٣) نفس المرجع السابق، ص ١٢٠.  
 (١٤) نفس المرجع السابق، ص ١٣٠.

نوم (استرخاء)

نن<sup>(١)</sup>

هلل

هلل<sup>(٢)</sup>

وفى نهاية هذا العرض لبعض الكلمات المصرية القديمة المستخدمة حالياً، فإننى لا أزعـم بأننى قد أتيت بمعظمها ولكن ما تمكنت من جمعه لا يمثل إلا النذر اليسير جداً من التركة والتراث اللغوى الذى تذخر به لغتنا العربية حالياً ولهجتنا المحلية التى نتحدث بها، ويظهر هذا التراث اللغوى المصرى القديم فى مظاهر حياتنا المعاصرة فى مجالاتها المتعددة.

---

(١) نفس المرجع السابق، ص ١٢٣.

(٢) عبد الحليم نور الدين: المرجع السابق، ص ٢٤٣.



## التحصينات الدفاعية في شمال غرب مصر في العصر الفرعوني

(٢٠١/ عبد المنعم عبد الحليم سيد

استاذ التاريخ القديم والآثار - قسم التاريخ-

كلية الاداب - جامعة الاسكندرية

اسفرت البحوث والحفائر التي اجريت في غرب الدلتا وشمال غرب مصر عن وجود بقايا حصون Fortresses وقلاع Citadels في خط يمتد بين " تل الابقعين " بالقرب من حوش عيسى علي هامش الارض الزراعية المتاخمة للصحراء في غرب الدلتا متجها نحو الشمال الغربي الي " الغربانيات " علي بعد عشرين كيلو مترا الي الغرب من الاسكندرية ، ثم يتجه الي العلمين ومنها الي " زاوية أم الرخم " غرب مرسى مطروح بحوالي خمسة وعشرين كيلو مترا (خريطة رقم ١ )

ولا شك ان هذه التحصينات كان الغرض منها صد غزوات الشعوب التي كانت تسكن الي الغرب من مصر علي طول الساحل الشمالي ، وقد قام بالجهد الأكبر في اقامة هذه التحصينات الملك رمسيس الثاني ( ١٢٧٩ - ١٢١٣ قبل الميلاد ) فقد وجدت نقوش تحمل اسم هذا الملك في المناطق المذكورة .

ففي " تل الابقعين " الواقعة علي بعد خمسة كيلو مترات الي الجنوب الشرقي من حوش عيسى ( الخريطة رقم ١ ) عثر علي كتلتين من الحجر (١) . ثبت انهما يكملان بعضهما بعضا وانهما جزء من المصراع الايسر

---

1.Daressy , M.G., " Rapport sur Kom El - Abqa<sup>c</sup>in" ASAE ,5 ,  
1904 , p. 129 f.

لبوابة حصن (٢) ، وفي عام ١٩٤١ عشر الاثري لبيب حبشي علي جزء ثالث من نفس مصراع هذا الباب وعليه نقش يصف الملك رععسيس الثاني بأنه "المحبوب من الاله حور - اختي" (ومعني هذا الاسم هو "حور صاحب الافقين" وهو وصف لاله الشمس ) بينما حفر علي الجزء الذي عشر عليه لبيب حبشي نقش آخر يصف الملك نفسه بأنه " محبوب الاله شو ( اله الهواء عند المصريين القدماء ) وكان الاله " حور - اختي " والإله " شو " من المعبودات التي اختصت بحماية الحدود الغربية والشمالية الغربية لمصر .

وقد تبين للاثري لبيب حبشي وجود جدران من اللبن في المنطقة طولها حوالي ٨٠ مترا (٣) ربما كان سور المدينة المحصنة في تل الابقعين .

ووجد في المنطقة ايضاً بثران مبطنان بكتل حجرية تحمل اسم الملك رمسيس الثاني وقد رتبت بالتبادل بحيث يتبادل اسمه الشخصي مع اسمه الرسمي (٤)

2.Habachi , L., " The Military posts of Ramses II on the coastal road and the western part of the Delta "BIFAO, 80 , 1980, p. 13 f.

3. Ibid.

(٤) كان للملك في مصر الفرعونية عدة أسماء أهمها وأكثرها وروداً علي آثاره ثلاثة أسماء يسبق كل اسم لقب ، أولها يسمى الاسم الحوري يسبقه اللقب الحوري وهذا اللقب يسجل وراثته الفرعون لعرش مصر عن الاله " حور " او "حورس" الذي يعتبره المصريون أول من حكم مصر من البشر المؤلهين ويكتب هذا اللقب بشكل واجهة قصر يعلوه شكل صقر ومز الاله حور (شكل ١ج) وفي الفراغ يكتب اسم الملك ويلى ذلك اللقب الرسمي ويكتب بشكل بوصة ونحلة ويقرأ " نسر - بيتي" ومعناه ملك الوجهين القبلي والبحري ، ويلى هذا اللقب الاسم الرسمي للملك وكان هذا اللقب والاسم الذي يتبعه يخلع علي الملك عند اعتلائه العرش =

ورثاء هذه الكتلة حول البشر بطريقة منتظمة يدل على ان هذا البشر من عمل المصريين القدماء ولا شك ان الغرض منه كان امداد الجنود المراطيين في الحصن بالمياه في حالة الحصار .

وفي الغريانيات التي تقع على بعد اربعة كيلو مترات الى الجنوب الغربي من برج العرب ، عثر على بقايا حصن مصري قديم من الطوب اللبن وجدت بداخله عدة قطع من حجر الجرانيت ( شكل ١ أ ، ب ) تكون في مجموعها عمودا هيرانياتيا عليه نقوش هيروغليفية ( شكل ١ ج ) ( ٥ ) هي القاب واسماء الملك رمسيس الثاني ( ٦ ) وتبدأ هذه الالقاب باللقب الحوري ، يلي ذلك لقب ملك <sup>٥</sup> واللقب الثالث يكتب بشكل طائر فوقه قرص الشمس ويقرأ " سارع " أي " ابن اله الشمس " يليه اسم الملك الشخصي الذي كان يعرف به منذ مولده . والاسم الرسمي والاسم الشخصي يكتبان داخل شكل خرطوش . وفي حالة رمسيس الثاني كان الاسم الشخصي هو " رمسيس مري أمن " أي " رمسيس محبوب الاله أمن " ويختصر الي " رمسيس " عادة ( وهي الصيغة اليونانية للاسم ) اما الاسم الرسمي فيقرأ " اوسر معات رع - سب ان رع " ومعناه " قوة عدالة رع - المختار من رع " وع هو اله الشمس عند المصريين القدماء . كما هو معروف بينما كان الاسم الحوري للملك هو " كما نخت مري معات " ومعناه " الشور القوي " محبوب الهة العدالة او الصدق " وكان المصريين يشبهون ملكهم بالشور اقوي الحيوانات النافعة للانسان .

5 . Brinten , Jasper . Y. , " Some recent discoveries at El - Alamein in " BSRAA . No .35 , Vol. XI , 2 . ( 1942 ) , pl. XXII , figs. 9,10 .

( ٦ ) وجد في منطقة " كرم ابو جرج " الواقعة على حافة الصحراء في المسافة بين تل الإقبعين والغريانيات على بعد ٥٠ كم الي الشرق من الغريانيات - الجزء الاسفل من مسلة عليها اسم الفرعون رمسيس الثاني ولكن ثبت من فحصها انها منقولة من مكان آخر وبما ان الغريانيات ، لاستخدامها كمادة بناء بالتالي فلا تدخل منطقة كرم ابو جرج ضمن مناطق التحصينات التي انشأها رمسيس الثاني

Brinton , op.cit., pl. XXII,fig 11 and Habachi, op.cit., p. 25.

الوجهين القبلي والبحري، يليه الاسم الرسمي للملك داخل خرطوش، وهو كما ذكرنا "اوسر معات رع - مستب ان رع" ثم لقب ابن الشمس يليه الاسم الشخصي للملك وهو "رعمسو - مري امن" (رمسيس) مع اضافة نعتين اضافيين للملك هما "نب تاوي" أي سيد الارضين (بعد لقب ملك الوجه القبلي والبحري) و "نب خعو" أي سيد التيجان (بعد لقب ابن الشمس) واخيراً ينتهي النقش علي هذا العمود بعبارة "محبوب الاله حورون" (شكل ١ج) والاله حورون كان من الالهة الحامية للمناطق الحدودية ايضا.

وعلي الجانب الآخر من العمود (شكل ١ب) (المقابل للجانب الذي عليه اسماء رمسيس الثاني) حفرت ثلاثة صفوف بكل منها منظران يمثل كل منهما الملك رمسيس الثاني يقدم القرابين لاحد الالهة، ففي المنظرين العلويين وقف الملك امام الالهين "حور - آختي" و "أتوم" (اله الشمس ايضا ولكن في حالة الغروب) وفي المنظرين الاوسطين ظهر الاله شو والاله "منتو" (اله الحرب) اما المناظر السفلي علي العمود فقد تهمشت (شكل ١ب).

ويقول لبيب حبشي ان جزأين من هذا العمود نقلتا الي الميدان الواقع امام نقطة شرطة برج العرب حيث اقيما متباعدين يفصل بينهما عشرة امتار تقريبا بينما ترك الجزء الثالث وهو العلوي في الموقع (٧)

وفي العلمين في موقع الحصن المصري القديم في هذه المنطقة عشر عام ١٩٤١ علي بعض الكتل الجرانيتية عليها نقوش وخرابيش الملك رعمسيس الثاني، وقد نقلت بعض هذه الكتل الي موقع قريب من نقطة شرطة برج العرب

---

7. Habachi, op.cit., p. 24.



بينما تركت كتلتان في الموقع (٨) وبدراسة النقوش علي هذه الاجزاء تبين انها اجزاء من لوحة ضخمة وقاعدة لهذه اللوحة ، وكانت هذه اللوحة منقوشة من اوجهها الاربعة ، فعلي الجزء العلوي منها ظهر خرطوشا الملك رعمسيس الثاني ( الاسم الرسمي والاسم الشخصي ) واسفلهما وقف الملك ممسكا بيده اليسري سيفاً قصيراً ( شكل ٢ أ ) وباليمنى امسك بشعر اسير ، وامام الملك وقف احد الالهة الذي يصفه النص الهيروغليفي المدون فوقه بأنه " شو، ابن رع العظيم ، معطي كل الحياه " وفوق الملك نص هيروغليفي يقرأ " حورس القوي الذراع " ثم يلي ذلك اسماء الفرعون داخل خرطوشين ( من اليسار للاسم الرسمي ثم الاسم الشخصي ) ويلي هذه الاسماء التمنيات المعروفة في النقوش الملكية المصرية القديمة وهي " له ( الملك ) الحياه مثل اله الشمس الي الابد " وعلي الوجه الآخر من اللوحة اسماء والقاب رمسيس الثاني ايضا وصورة اله (٩)

وعلي الجزء الثاني من اللوحة الذي يبلغ ارتفاعه ٩٠ سم والذي يبدو انه كان الجزء الاسفل منها ( شكل ٢ ب ) نص هيروغليفي مهشم جزئيا يصف الملك رعمسيس الثاني بأنه محبوب الهين كانت اسمائهما منقوشة علي الجزء الذي فقد من اللوحة . والجزء المتبقي من النص ضاعت اجزاء منه والنقوش الباقية تبدأ بوصف الملك بأنه " ابن الشمس رعمسو محبوب أمنون " ثم تسرد انتصاراته علي الليبيين كما يلي :

" ....الاعداء وعائلاتهم ، لقد هزم ..... ( مثل موتو ) عندما يحارب بذراعه الايمن ، ملك مصر العليا والسفلي ، " اوسر معات رع - متب ان رع ..

---

8. Habachi , op.cit., p. 19.

9 . op.cit., p. 20 .

لقد اسر الليبيين في لحظة قوته الكاملة ( شكل ٢ ح )

والطريف ان النص استعمل كلمة ( ليبو ) بمعنى الليبيين لأول مرة علي  
الاثار المصرية القديمة وهي اصل تسمية " لبيبي ولبيين " .

اما الجزء الثالث من اللوحة فهو قاعدتها وهي اكبر كتلة حجرية وجدت في  
العلمين ، وهي من الجرانيت الاحمر وارتفاعها حوالي ١٠٠ سم ( شكل ٣ ) وهي  
مستطيلة الشكل وقد تآكلت نقوشها ولكن يمكن ان نميز علي جانبها المواجه  
للشمال بداية نقوش تحوي اسم رعمسيس الثاني ، ويبدو انها تستمر علي  
الوجه الثلاثة الاخرى .

يتبين من دراسة هذه الكتل الثلاثة انها كانت اجزاء من لوحة منفردة ذات  
قاعدة .

واكثر اثار العلمين جاذبية لوحة لم يتبق منها سوى جزئها العلوي الذي حفرت  
عليه رسوم تمثل الملك رعمسيس الثاني يقدم اربعة اواني قرايين للاله حور -  
اختي وقرق الملك ظهرت اسماءه داخل خرطوشين ، وفوق الاله نص هيروغليفي  
يخاطب فيه الاله حور - اختي الملك قائلا " حور - اختي رب السماء ، انني  
اعطيك حياة اله الشمس ( رع ) " ( شكل ٤ ) ووراء ظهر الاله حور اختي ظهر  
شكل اله آخر ولم تظهر صورة الملك بسبب كسر اللوحة ، وهذا الاله يسمى " بتاح  
- تاتن " وكان من الالهة الراحية للاعياد بالاضافة الي انه كان من آلهة  
المناطق الحدودية وخاصة المناطق المجاورة للبحار ويظهر غالبا بشكل رجل علي  
رأسه ريشتان ، والنص الهيروغليفي فوقه يقرأ " ( بتاح - تاتن ) انني اعطيك

الاعبياد مثل أولئك الذين في داخلي " (١٠) ومعنى هذا النص ان الاله بتاح تاتن بوصفه اله الاعبياد او واهب الاعبياد ، كان يسبغها علي الفرعون او يحتفل بها مع الفرعون ، والمعروف عن رعمسيس الثاني كثرة احتفاله بالاعبياد لدرجة ان احد القابه وهو اللقب الحوري كان يرد احيانا بالصيغة التالية :

" محبوب معات ( الهة العدالة ) سيد الاعبياد مثل والده ( الاله ) بتاح تاتن " (١١)

وفي زاوية أم الرخم الواقعة علي بعد ٢٥ كيلو مترا غرب مرسى مطروح ، اكتشفت بقايا حصن ومعبد في عام ١٩٤٦ ، واهمية هذا الحصن ان به من البقايا ما يعطينا فكرة عن تخطيط الحصون في شمال غرب مصر وعن المعابد التي كانت بداخلها ، فيتبين من دراسة هذا التخطيط ( شكل ٥ ) ان الحصن كان مستطيل الشكل تبلغ ابعاده ٨٠ × ١٠٠ مترا وان مدخله (أ) يقع في الركن الجنوبي الشرقي ، ويؤدي هذا المدخل ( شكل رقم ٦ ) الي عمر (ب) ينحرف في نهايته علي شكل زاوية قائمة ليؤدي الي عمر آخر (ج) - (د) يمتد من الشرق الي الغرب حتي يصل الي المعبد (هـ) وفي بعض الاماكن في وسط

---

(١٠) فسر " الان رو " العبارة التي معناها " مثل أولئك الذين في داخلي " بأنه اسم الهة المنطقة وهو تفسير غير صحيح

Rowe , A., " New light on Aegyptio - Cyrenaean relations " ASAE 12 ( 1958 ) , p.4 .

وقد صححه ليب حبشي الي الترجمة المذكورة

Habachi , op.cit., p. 22 .

11. Holmberg , S., The God Ptah , 1946 , p. 87f in Habachi, op.cit., p.23 , n.1 .

هذه الممرات بقايا مناظر تمثل رمسيس الثاني في عربته الحربية يهاجم أعداءه ،  
ومدخل المعبد ( هـ ) يقع في الناحية الجنوبية ( هـ ١ ) يؤدي الي فناء تحيط به  
اروقة ذات اعمدة ( هـ ٢ ) ويؤدي الفناء الي ردهة ( هـ ٣ ) تؤدي بدورها الي غرفة  
بها ثلاثابواب تؤدي الي ثلاثة هياكل ( هـ ٤ ) . Sanctuaries .

ولا شك ان هذه الهياكل كانت مخصصة لعبادة ثلاثة من الالهةالحامية  
لحصون الصحراء الغربية وهي في الغالب الاله "حور-اختي" وهو الاله الرئيسي  
في المنطقة والاله بتاح والاله "شو" وفي نطاق هذا الحصن وجدت ثلاثة مصاريع  
ابواب حجرية عليها نقوش هيروغليفية (شكل ٧) نقلت إلي المتحف اليوناني  
الروماني بالاسكندرية واعطيت ثلاث ارقام هي 84 , 83 , JE 10382  
(١٢) وهي تخص قائد هذا الحصن فالمصرع الاول (شكل ٧ أ ) يبلغ ارتفاعه  
٨٠سم (شكل ١٧) والنقش الهيروغليفي عليه يقرأ :

"بتاح محبي الارضين(كناية عن مصر) جميل الوجه المستقر فوق عرشه  
العظيم ، ليتة يعطي مركزاجميلا مليئا بالبهجة (لصاحب النقش) "ومن الواضح  
ان هذا النص دونه صاحبه تزلفا للاله بتاح ليفدق عليه النعم . اما  
الكتلتان الاخريان فكانتا يكونان الاجزاء السفلي من مصراعي نفس البوابة  
وارتفاع احدهما (شكل ٧ب) ٨٦ سم ، والاخري (شكل ٧ج) ٦٥ سم فعليهما  
نقش واحد يقرأ " (الكاتب الملكي) المحبوب منه (من الملك) رئيس الفرق  
الحربية والمشرق علي البلاد الاجنبية "نب-رع" المبرأ . ويتضح من هلا النقش  
ان صاحبه المدعو "نب-رع" كان رئيسا لهذا الحصن وقائدا للفرقة الحربية المرابطة  
فيه .

والى الغرب من المعبد ثلاثة هياكل (شكل ٥ / ٥ هـ) تبقت بعض مصاريع ابوابها (١٣) وعليها نقوش ذات صبغة عسكرية اهمها جزء علوي من مصراع باب ارتفاعه ٨٠ سم عليه نقش هيروغليفي يصف الملك رمسيس الثاني بأنه " الذي يدمر ( بلاد ) " تحن " ( شكل ٨ ) والاسم " تحن " كان يطلق في النصوص المصرية القديمة على المنطقة التي كان يسكنها شعب تسميه هذه النصوص " تحنو " ، وهذه المنطقة كانت تمتد على ما يبدو بين غرب الدلتا وزاوية ام الرخم ( خريطة رقم ١ ) (١٤) وقد وجدت في هذه الهياكل ايضا بقايا لوحات من الحجر منها لوحة ارتفاعها ٩٥ سم عليها خرطوشان للملك رمسيس الثاني واسفلهما ظهر اثنان من زعماء القبائل الليبية ممددان على بطونهما (شكل ٩ ) ومنها لوحة اخري تخص شخصا يدعى " امون - مسو " ارتفاعها ١٢٥ سم ( شكل ١٠ ) ظهر في الصف العلوي منها الملك رمسيس الثاني يمسك باسير ليبي وبهم بضربة مخضرة ويقف امامه الاله امون - رع يقدم له السيف القصير ؛ واسفل هذا المنظر سطران من الكتابة الهيروغليفية تسجلان اسماء الملك واسفلهما سبعة سطور وأسية يظهر امامها صاحب اللوحة راكمها ومحسكا بقلم وقد دُوِّن اسمه ووظيفته امامه وهما " امون - مسو " حامل العلم ، ثم لوحة ثالثة لشخص يدعى " بانحسي " ( شكل ١١ ) ارتفاعها ١٢٠ سم مثل في الجزء العلوي منها الملك رمسيس الثاني يقدم قربانا من الزهور للالهة

(١٣) يلاحظ ان الآثار التي عثر عليها اغلبها مصاريع ابواب ، وسبب ذلك ان المصريين القدماء عندما كانوا يشيدون بناء من اللبن كانوا يصنعون مصاريع ابوابها من الحجر لان فراغات الابواب تضعف الجدران المشيدة بالطوب فتكون هذه المصاريع الحجرية بمثابة دعائم قوية ترتكز عليها هذه الجدران اللينة .

14 . Rowe , op.cit., pl. 1 .

" سخمت " ( ربة الحرب عند المصريين القدماء وكانت تصور بجسم امرأة ورأس لبؤة ) واسفل ذلك ظهر صاحب اللوحة راكعاً ويديه الي اعلي وامامه نص هيروغليفى من أربعة سطور رأسية يسجل فيها بانحسى هذا تعظيمه للآلهة سخمت وتمنياته للملك رمسيس الثانى باعياد كثيرة وينتهى النص بالقباب بانحسى واسمه كما يلى " الكاتب الملكى والرئيس الاعلى للجيش ، بانحسى ( ١٥ ) ومن هذه اللقائى يتبين ان بانحسى كان قائداً لحصن ام الرخم وربما لسائر حصون الساحل الشمالى ، كما قد يشير لذلك لقبه الرفيع .

لقد ورد على هذه اللوحات الاسم المصرى القديم للمعبد الواقع داخل حصن ام الرخم وهو " حت - حابى " ( وقد حور كتاب اليونان الاسم حابى هذا الى " ايس " ومعناه " قصر الإله حابى " والاله حابى كان صورة من صور الاله بتاح احد آلهة حصون الساحل الشمالى ووجود صورة الالهة سخمت على هذه الآثار يدل على ان ثالث مدينة منف العاصمة الثانية او الثالثة لمصر فى عصر رمسيس الثانى الذى كان يتكون من الاله بتاح وزوجته الالهة سخمت وابنتهما كانوا من المعبودات الحامية لحصون الساحل الشمالى .

مغزى اقامة هذه الحصون فى عصر الملك رمسيس الثانى

يتضح مما سبق ان الحصون التى امتدت على حافة الصحراء من غرب الدلتا الى ام الرخم اقامها او بدأ فى اقامتها ملك واحد هو رمسيس الثانى ( ١٢٧٩ - ١٢١٣ ق.م ) فهل لم تتعرض مصر للتهديد من الغرب الا فى عصر هذا

---

15. Habachi , op.cit., p. 18 .

الملك ؟ بالطبع تعرضت مصر قبل ذلك للتهديد من الصحراء الغربية فالآثار المصرية تزخر بالاشارات الي الحروب التي شنها الفراعنة منذ عصر الاسرة الاولى الي صد شعب الـ " تحنو " (١٦) ومنذ الاسرة السادسة الي شعب آخر كانت تسميه النصوص المصرية " قمحو" (١٧) يبدو انه كان ينتشر في ذلك الوقت الي الجنوب من منطقة انتشار شعب " تحنو " هذا ، بدليل ان الملك سنوسرت الاول الذي جاء في النصوص المصرية انه حارب الـ " قمحو " هؤلاء ، قد شيد حصنا في وادي التطرون اي قبل الحصون التي شيدها رمسيس الثاني بما لا يقل عن سبعة قرون ( ١٩٧١ - ١٩٢٧ ق.م ) وهذا الحصن مستطيل الشكل يحيط به سور من اللبن تبلغ ابعاده ٤٧ × ٥٩ مترا وحوله خندق يبعد عن السور بمسافة سبعة امتار في الناحية الشمالية وثلاثة امتار في الناحيتين الشرقية والغربية وتوجد بداخله بوابة واحدة من الجرانيت ربما كانت البوابة الخاصة بمعبد الحصن ( شكل ١٢ ) .

ان بناء هذه السلسلة من الحصون من شمال غرب الدلتا وعلي طول الساحل الشمالي الغربي في عصر ملك واحد هو رمسيس الثاني يدل علي ان هناك تهديدا خطيرا لحدود مصر في هذه المناطق قد استجد في عصر هذا الملك اشد خطرا من تهديد شعبي التحنو والتمحو اللذين كان المصريون طوال العصور السابقة يتمكنون من اخضاعهم فكانوا يميلون الي المسالة والدخول في خدمة

---

16. Gauthier , H., Dictionnaire des noms géographiques contenus dans les Textes Hiéroglyphiques ( 1975 ) , T.IV , p.80.

17. Ibid., p. 75 .

المصريين . هذا الخطر الجديد يتمثل في شعبين شديدي المراس وردت اسماءهما كمهاجرين لحدود مصر الغربية لأول مرة في عصر رمسيس الثاني وهما الشعب الذي تسميه النصوص المصرية " ربو " او "ليبو " ( ١٨ ) وهذه الكلمة الاخيرة هي الاصل في التسمية اليونانية " ليبيا " وبالتالي المسميات المعاصرة ) وكان هؤلاء الـ " ليبو " يسكنون المنطقة الممتدة الي الغرب من منطقة التحنو اي من مرسى مطروح تقريبا الي حدود برقة . أما الشعب الثاني الذي ورد اسمه لأول مرة في عصر رمسيس الثاني كمهاجم لحدود مصر الغربية فهو الشعب المسمى في النصوص المصرية " مشوش " ( ١٩ ) وكان ينتشر في المنطقة الممتدة من برقة ثم بني غازي علي طول ساحل خليج سرت علي وجه التقريب ( ٢٠ ) ( خريطة رقم ١ ) ، ومن الطريف انه توجد في هذه المنطقة تسمي حاليا " مسوس " وهو اسم قريب في نطقه من الاسم المصري القديم " مشوش " فكثيراً ما يحل حرف السين محل حرف الشين في نطق الاسماء في اللغات القديمة ومثال ذلك كلمة " سلام " في اللغة النبطية صارت " سلام " في اللغة العربية .

وكان كل من الليبو والمشوش في غزوهم لمصر يكتسحون امامهم شعب التحنو ويضطرونه للمشاركة في الهجوم علي مصر ( شكل ١٣ وخريطة رقم ١ ) واحيانا كان ينضم الي هذه الموجة من شعوب الصحراء الغربية مجموعة اخري من شعوب سواحل وجزر البحر المتوسط كان المصريون يطلقون عليهم " شعوب البحر " واشدهم مراسا الشعب الذي اطلق عليه المصريون " شرذن " وهم إما من

---

18. Gauthier ,op.cit.,T. III ,p. 117 .

19 , Ibid., p. 19 .

20 . Rowe , op.cit., pl. I.



سكان جزيرة سردينيا او من منطقة " سارديس " بآسيا الصغرى ، وكان هذا الخضم المتلاطم من الشعوب الجائعة تجذبه خصوبة الدلتا وخيراتها فكانوا يزحفون في جموع غفيرة ومعهم أسرهم طمعا في الاستقرار في مصر .

هذه الظروف التي استجدت علي تخوم مصر الشمالية الغربية هي التي لا شك دفعت رمسيس الثاني الي بناء هذه السلسلة من الحصون .

ومن المفارقات الغربية انه رغم هذا النشاط المعماري الحربي لرمسيس الثاني في شمال غرب مصر ، فلم يرد في سجلاته اي وصف لحروب شنّها ضد شعوب هذه المناطق رغم ان آثاره تتركز بالارصاف التفصيلية لحروبه ولكن هذه الحروب تتركز في ميادين الشام .

والاوصاف التفصيلية لحروب الفراعنة في شمال غرب مصر ضد الليبيين وشعوب البحر وردت علي آثار خلفاء رمسيس الثاني ولا سيما ابنه وخليفته الملك مرنبتاح ( ١٢١٣ - ١٢٠٣ ق.م ) ثم احد ملوك الاسرة العشرين وهو الملك رمسيس الثالث ( ١١٨٨ - ١١٥٧ ق.م ) ولا شك ان هؤلاء الملوك قد استفادوا من الحصون التي انشأها سلفهم رمسيس الثاني في حروبهم بدليل ان الملك رمسيس الثالث اطلق اسمه علي هذه القلاع بدلا من اسم رمسيس الثاني ( ٢١ ) وصور هذه القلاع علي آثاره ( شكل ١٤ ) .

---

21. Edgerton , W.F., Wilson , J.A., Historical Records of Ramses III ,the Texts in Medinet Habu ,Chicago , 1936, Vol. I , pl. 70.

ويبدو أن الملك رمسيس الثالث قضى علي خطر هذه الشعوب اي حد كبير  
باتباع سياسة بعيدة النظر فبعد ان كان ينزل الهزائم بهم كان بعد ترويضهم  
يعمل علي تغيير هويتهم يجعلهم يتكلمون اللغة المصرية بدلا من لغتهم ،  
فيندمجون في لشخصية المصرية ولايصبح ولا هم الا لمصر وملكها ( ٢٢ ) وكان  
يستخدم بعضهم في حراسة الحصون البعيدة عن غرب الدلتا والساحل الشمالي  
الغربي مثل حصون شرق الدلتا . ورغم أن هذه السياسة قضت في المدي القصير  
علي تهديد هذه الشعوب لحدود مصر الغربية ، الا نها في المدي البعيد ساعدت  
علي نشأة ارسقراطية عسكرية ليبية مكنت احد افرادها من حكم مصر  
والجلوس علي عرشها باسم الملك شيشنق الاول ( ٩٤٥ - ٩٢٤ ق.م ) الذي  
كان اول ملوك الاسرة الثانية والعشرين .

طرز واشكال حصون الساحل الشمالي

اطلق المصريون القدماء علي التحصينات عدة أسماء هي :

" نَحْتُو " بمعنى حصن او قلعة

" خِتِم " بمعنى نقطة حدودية

" بَخْن " بمعنى برج

وكان للحصون اسماء مشتقة احيانا من أسماء المواقع المقامة فيها مثل

---

22 . Kitchen , K.A., " The arrival of the Libyans in Late New  
Kingdom Egypt" in LIBYA AND EGYPT, ed. by  
A. Leahy ,London , 1990 , p. 21 .

اسماء الحصون في النوبة فقد اطلقت عليها اسماء المدن المشيدة فيها مثل حصن "ميعام" وهو الاسم المصري لبلدة "عنيبة" المقام فيها الحصن ، ومثل حصن "با - كنعن" وهو اسم احد حصون فلسطين (كنعان) كما اطلقوا عليها اسماء الملوك الذين شيدها مثل حصن "أوسر معات رع - مري امون" وهو اسم الملك رمسيس الثالث من الاسرة العشرين (١١٨٨ - ١١٥٧ ق.م) وكان من حصون الساحل الشمالي ولكن مكانه غير معروف بالضبط وربما كان من الحصون التي ذكرناها والتي شيدها رمسيس الثاني فقد كان من عادة ملوك الرعامسة وضع اسمائهم بدلا من اسماء اسلافهم . واحيانا أطلق علي بعض الحصون اسماء مشتقة من طبيعة المنطقة المشيد فيها مثل الحصن المسمي "حوت - شع" اي "قصر او حصن الرمل" (٢٣) وهو من حصون الساحل الشمالي وربما كان "الغريانيات" او حصن آخر قريب من وادي النيل اذ تدل النصوص الهيروغليفية التي وصفت الحرب الدائرة بين الملك رمسيس الثالث والغزاة انه لم يكن يبعد كثيرا عن وادي النيل . ولم تحفظ لنا الآثار طرز واشكال الحصون التي شيدها علي الساحل الشمالي فيما عدا صورة للعصنين اللذين دارت بالقرب منهما المعركة بين رمسيس الثالث والغزاة (شكل ١٤) ولكن يمكن التوصل الي اشكال هذه الحصون وطرزها المعمارية من دراسة اشكال الحصون السورية الفلسطينية المرسومة علي الآثار المصرية ، ورسم هذه الحصون تقليد. يداه الملك سيتي الاول (١٢٠٣ - ١١٩٧ ق.م) والد رمسيس الثاني واستمر حتي عصر رمسيس الثالث ، وقد لوحظ ان هذه الحصون تشبه الي حد

---

23. Gardiner , A.H., " The Delata Residence of the Ramessides " JEA 5 , ( 1918 ) , p. 134 .

كبير الحصون التي رسمت علي آثار بلاد الشرق الادني القديم الاخري مثل العراق ومنها الحصون الحدودية المرسومة علي لوحات الحدود المسماة " كودورو " التي ترجع الي العصر الكاشي في العراق ( حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد ) اي انها تعاصر تقريبا حصون الرعامسة في مصر ، ومنها أيضا الحصون الاشورية رغم الفارق الزمني الذي يصل الي اربعمئة او خمسمئة عام بين هذه الحصون وبين الحصون المصرية في عصر الرعامسة مما يدل علي ثبات طراز هذه الحصون في مصر وبلاد الشرق الادني القديم الاخري واتباعها نمطا عاما واحدا او انماط تفصيلية متشابهة ويؤكد ذلك ان الملك رمسيس الثالث عندما اراد تحسين قصره ومعبد في طيبة ( لاسباب سنذكرها فيما بعد ) جعل بعض عناصرها المعمارية علي طراز الحصون السورية الفلسطينية .

وتتلخص طرز الحصون المصرية في الشام وساحل مصر الشمالي الغربي في أربعة طرز رئيسية هي :

الطراز الاول : ويتكون فيه الحصن من سور مفرد ذو شرقات مفرجة - batlements واحيانا يحتوي الحصن علي قلعة .

الطراز الثاني : يتكون الحصن من سورين وله بوابتان احيانا .

الطراز الثالث : يتكون الحصن من سورين تتخللهما أبراج وقد يحتوي علي قلعة.

الطراز الرابع : يتكون الحصن من عدة اسوار متعاقبة ( ٢٤ )

---

24 . Badawy , Alexander , A History of Egyptian Architecture , The New Kingdom , Los Angeles , 1968 , p.452 .

اما عن الطراز الاول : فهو ابسط هذه الطرز وتوجد بوابته في منتصف احد جدرانته وشرفاته مفرجة ، اما نصف دائرية او مثلثة او مربعة بينما تبرز دعامات bastions من الاركان ( شكل ١٥ أ ) وتبرز من اعلي هذه الدعامات سقاطات machicolations توجد فتحاتها في ارضياتها لالقاء القذائف علي العدو ( شكل ١٥ ب ) وحصن قادش في الشام من هذا الطراز (شكل ١٥ ج ) وكذلك الحصون المصرية علي ساحل مصر الشمالي الغربي التي صور الجنود المصريون في اعلاها وهم يصوبون سهامهم نحو الليبيين الفارين (شكل ١٤) واذا كان بداخل الحصن قلعة فانها كانت تمثل بشكل مستطيل يظهر خلف صف الشرفات المفرجة ( شكل ١٥ د )

ويتميز الطراز الثاني بأن سوره الداخلي اكثر ارتفاعا ويفصل بين السورين خندق جاف dry moat وهو ايضا ذو دعامات بارزة ( شكل ١٦ ) وهذا النوع من الحصون يسمى في سوريا " مجدول " حيث كان يشيد فوق تل واحيانا يكون لهذا الطراز مدخلان ( شكل ١٧ أ ) وتعلو دعاماته التي في السور الخارجي سقاطات لالقاء القذائف علي العدو المهاجم .

والطراز الثالث : يتميز بوجود ابراج للمراقبة تعلو السور الداخلي ( شكل ١٧ ب ) واذا كان هذا الحصن يضم قلعة ترسم اعلي الابراج ( شكل ١٧ ج ) فيظهر الحصن كانه يتكون من ثلاث طبقات.

ولا يختلف الطراز الرابع عن هذه الطرز الثلاثة الا في تعدد الاسوار فقد تكون ثلاثة اسوار متعاقبة صفت وراء بعضها بحيث تبدو كالهرم المدرج وتعلو الحصن عدة ابراج ايضا .

والتي بجانب هذه الطرز الأربعة للحصون ، هناك طراز خامس هو طراز الحصون الحدودية التي أقيمت علي فروع النيل ومثال ذلك حصن مدينة ثارو (شكل ١٨) الذي أقيم علي الفرع البازي للنيل ( وكان يصب في البحر المتوسط في المنطقة التي تقع الي الشرق من مدينة بورسعيد حاليا ) ومكان مدينة ثارو في الوقت الحاضر هو بلدة "المنظرة" تقريبا ، وقد ورد رسم له علي جدران معبد الآله أمون في الكرنك ويرجع لعصر الملك سيتي الأول (١٢٩٤ - ١٢٧٨ ق.م) ، ولا شك في وجود حصن مشابه له علي فرع النيل الغربي الذي سمي فيما بعد بالفرع الكانوبي وكان المصريون القدماء يسمونه (أثرو - عا) أي "النهر العظيم" ومكانه الي الغرب من فرع رشيد الحالي (الخريطة رقم ١) والذي يرجح وجود حصن علي هذا النهر انه جاء في اخبار الحروب التي شنها الملك مرنبتاح (١٢١٣-١٢٠٣ ق.م) ابن الملك رمسيس الثاني لصدهجوم الليبيين من شعبي "ليبو" و "مشوش" أنهم وصلوا الي "النهر العظيم" (٢٥) كما تكرر الهجوم عاي نفس المنطقة في عهد الملك رمسيس الثالث (٢٦) ولا شك ان هذه الاخطار دفعت الفراعنة الي انشاء حصن علي هذا النهر علي غرار حصن ثارو في شرق الدلتا .

وكان حصن ثارو هذا يتكون من بنائين شيدا علي ضفتي الفرع البلوزي يربط بينهما جسر .

وقد انتشر نبات البوص علي الضفتين بينما تمسح التماسيح في النهر

---

25. Breasted , J.H., Ancient Records of Egypt , Chicago , 1906, Repr., London , 1988 , Vol. III , § 580 .

26 . Breasted , op.cit., IV , § 405 .

( شكل ١٨ ) ، والبناء الذي علي الصفة الغربية ناحية مصر ، يظهر بداخله فناء يحيط به سور له بوابتان . احدهما ناحية الجسر

وعلي جانبي البوابتين ستة نوافذ (كل ثلاث نوافذ علي جانب احدي البوابتين ) ، وعلي الضفة الشرقية من النهر ( المواجهة لسيناء ) ، ظهرت بوابة ملاصقة للشاطئ تؤدي الي المبنى الشرقي من الحصن وتتكون هذا المبنى من فناء في جداره الشرقي بوابة تعلوها نافذة .

وكان هذا الحصن وغيره من الحصون الحدودية يستخدم فرقا خاصة من الضباط والجنود تقوم بمهمة تشبه ما يقوم به ضباط الجوازات في الوقت الحاضر فلم يكن يسمح لاحد بالمرور الا بعد ان يذكر اسمه ومركزه والغرض من رحلته وان يبرز الكتابات التي يحملها ، وقد عرفنا ذلك من نص علي بردية دونه كاتب مصري يدعي " ببسا " عاش في عصر الملك مرنبتاح ، وكان يقيم في حصن ثارو هذا وكانت مهمته تدوين اسماء الداخلين الي البلاد والخارجين منها ، والبيانات اللازمة عنهم ، فيبدأ بذكر السنة والشهر واليوم الذي دخل فيه احد القادمين من خارج البلاد ثم يذكر اسمه واسم والده والجهة القادم منها والجهة الموجه اليها الخطاب الذي يحمله (٢٧)

هكذا لم تكن الحصون الحدودية لصد الغزو الخارجي فقط ، بل ايضا لتأمين البلاد من اي عناصر تتسرب اليها قد تكون خطرا علي امنها .

#### دراسة لنموذج للحصون المصرية :

هذا النموذج باق حتي اليوم علي حالته الاصلية تقريبا وان لم تكن وظيفته هي وظيفة الحصن الحدودي تماما ، وهو الحصن المحيط بقصر ومعبد الملك رمسيس الثالث في مدينة هابو بالقصر ، فهناك شبه كـ ر بين بواباته واسواره

وبين الحصون الحدودية التي ذكرناها ، ولا يوجد تفسير لبناء هذا الحصن داخل الاراضي المصرية وفي قلب مدينة طيبة عاصمة مصر سوى ان الملك رمسيس الثالث كان يخشي علي حياته ربما من ثورة داخلية اذ يدل تاريخ هذا الملك انه تعرض لمؤامرة لاغتياله امكن الكشف عن القائمين بها واحالتهم للمحاكمة .

والعناصر المعمارية المتشابهة بين هذا الحصن وبين الحصون الحدودية المصرية هي أ. الاسوار والابراج والخندق

ب . البوابات خاصة البوابة الشرقية والدعامات البارزة

ج . الشرفات المفرجة

فمثل الطراز الثاني من الحصون الحدودية ، يحيط بمنشآت مدينة هابو المعبد الجنائزي لرمسيس الثالث وقصره ومساكن الموظفين والكهنة والمخازن سوران بينهما خندق يبلغ عرضه ستة أمتار ونصف وعمقه حوالي المتر ، وقد شيد السور الخارجي من الحجر وتبلغ أبعاده ٢٠٠ × ٣٢٠ مترا وارتفاعه ثمانية عشر مترا تتخلله أبراج علي أبعاد متساوية ( شكل ١٩ أ ) وتتوسط جداريه الشرقي والغربي بوابتان كبيرتان يبلغ ارتفاع البوابة الشرقية اثنين وعشرين مترا وقد شيدت علي فئ بوابات حصون الشام المسماة " مجدول " (في اللغة السامية ، وقد مصرّ المصريون الكلمة الي "مكتود" أو مكتول " ) ( شكل ١٩ ب ) وهذه البوابة مكونة من برجين تعلو قمتهما شرفات مفرجة ( شكل ١٩ ج ) وتتصل بجدرانها دعامات بارزة ، وتوجد النوافذ في الجدران الخارجية لهذه

---

(٢٧) ارمان ، ادولف ، وزانكه ، هرمان ، مصر والحياة المصرية في العصور القديمة ، ترجمة عبد المنعم ابريكر ومحرم كمال ، القاهرة ، ١٩٥٠ ، ص ٦٢١ .



الابراج علي مستوي اعلي من نوافذ الجوانب الداخلية والسبب في ذلك واضح هو جعل النوافذ الخارجية ابعد ما يكون عن متناول العدو المهاجم من الخارج. ومثل السور الخارجي تتخلل السور الداخلي ابراج ايضا يفصل كل برج عن الآخر ٤١ مترا وتبلغ ابعاد هذا السور ( الداخلي )  $135 \times 168$  مترا وارتفاعه اثني عشر مترا اي انه اقل ارتفاعا من السور الخارجي بربعة امتار وذلك علي العكس من الحصون الحدودية التي كان السور الداخلي فيها اعلي من السور الخارجي ، ويحيط السور الداخلي بالمعبد وقصر الملك ومساكن الموظفين والكهنة والمخازن .

ومثل كل الحصون الحدودية وحصون الشام والساحل الشمالي تعلو اسوار مدينة هابو وبواباتها الشرفات المفرجة ( شكل ١٩ ح )

#### Abbreviations

ASAE : Annales du Service des Antiquites de l'Egypte .

BIFAO : Bulletin de l' Institut Français d' Archéologie Orientale du Caire.

BSRAA : Bulletin de la Société Royale d' Archéologie d'Alexandrie.

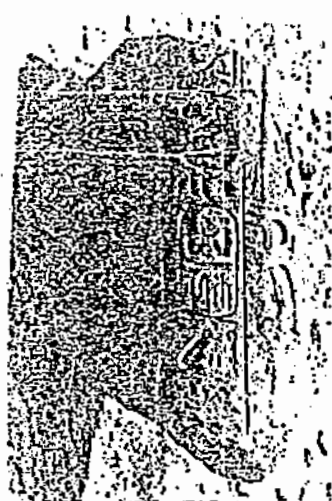
JEA : Journal of Egyptian Archaeology .



(لوحة رقم ١) الآثار المتبقية من حمون الساحل العالي الغربي - في الغريبات

→ (١) اللقب المورو  
→ الاسم المورو للملك \* كانت  
مرو مات \*  
→ (٢) اللقب الرسمي \* نو بيتي \*  
اي \* ملك الوجهين القبلي والبحري \*  
→ الاسم الرسمي للملك \* اوسر مات  
رع - شبات رع \*  
→ (٣) اللقب الذي يبدل الاسم الفعلي  
للملك \* سارع \* اي \* ابن اله  
القي \*  
→ الاسم الفعلي للملك \* رع موه \*  
مرو امون \* اي \* رمسيس محبوب  
اله امون \*  
→ اسم الاله حورون احد آله الساحل  
العالي الغربي \*

(شكل ١ ج) عمود الغريبات بعد تجميع  
اجزائه وقد ظهرت نقوشه كاملة وهي تردد  
اسماء والقباب الملك رمسيس الثاني



(شكل ١ أ) احدى كتل عمود  
الغريبات ويرى عليها خرطوش  
الملك رمسيس الثاني  
(شكل ١ ب) (اسفل) رسوم ظهر  
عمود الغريبات على احدى  
الكتل المتبقية منه

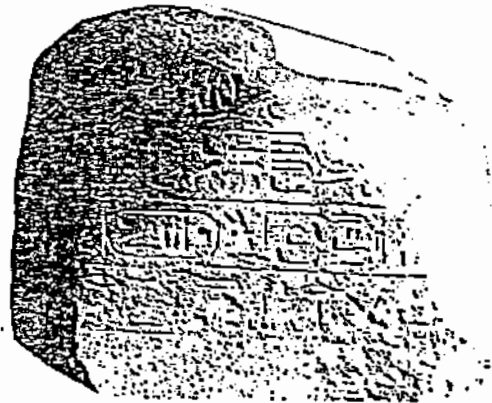


( لوحة رقم ٢ ) الآثار المتبقية من حصون الساحل الشمالي الغربي حتى العلمين

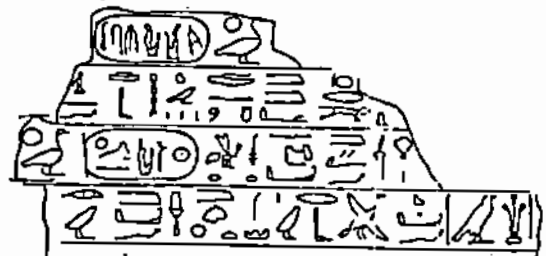
( شكل ١ ) الجزء العلوي من لوحة وجدت في العلمين وقد صور الملك رمسيس الثاني عليها وهو يضرب أسير لبني وفوق صورته حفرته اسماء الملك داخل عرطوئين ( الاسم الرسمي والاسم الشعبي )



( شكل ٢ ب ) صورة الجزء السفلي من اللوحة الموضحة في شكل ٢ أ وقد ظهرت فيه اسماء الملك رمسيس الثاني داخل عرطوئين ايضا ( الاسم الرسمي والاسم الشعبي )



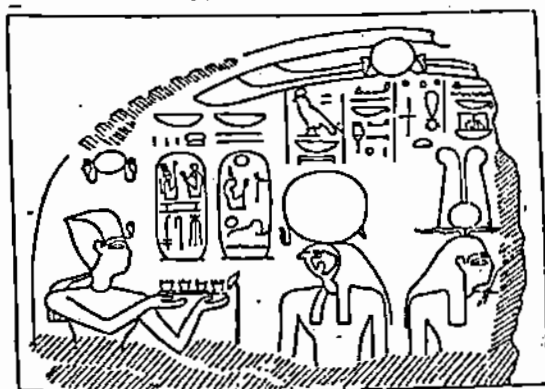
( شكل ٢ ج ) رسم بالحط للنقش المملوء على الجزء السفلي من اللوحة الموضحة في شكل ٢ ب وقد حفر عليه نقوشه اهمية تاريخية كبيرة لانه يذكر لأول مرة على الآثار المصرية اسم الشعب = لبني = ( لبني ) ( السطر الأخير )



(لوحة رقم ٣) الآثار المتبقية من حصون الساحل الشمالي الغربي - تابع آثار العلمين



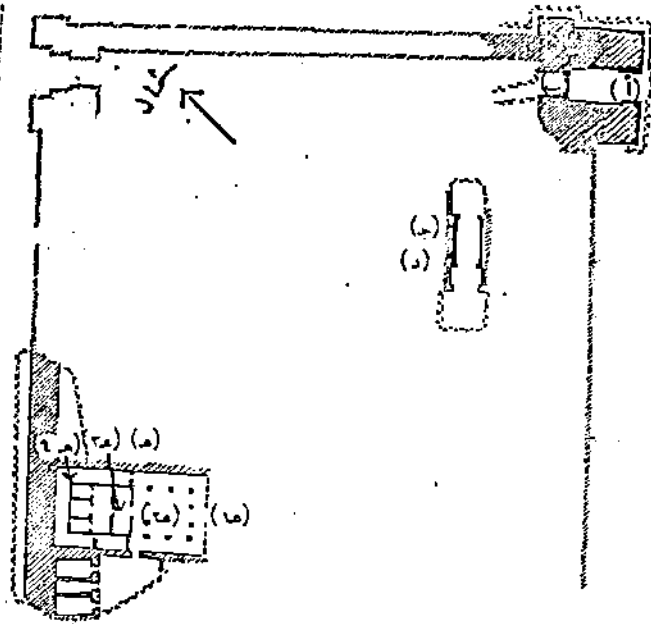
(شكل ٣) اكبر كتلة وجدت في العلمين  
وهي من الجرانيت الأحمر يبلغ ارتفاعها  
حوالى ١٠٠ سم وقد تأكلت نقوشها ولكن  
يظهر بينها اسم الملك رمسيس الثانى .



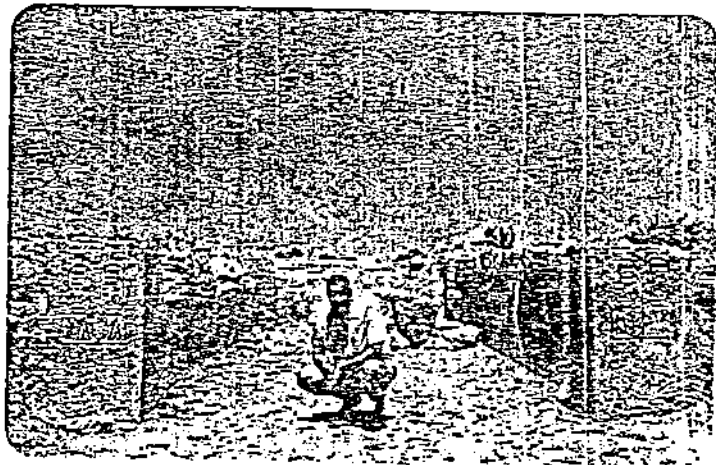
(شكل ٤) الجزء العلوى من لوحة أخرى وجدت في العلمين وقد صور الملك رمسيس الثانى يلثم أربعة  
أواني قرابين مائلة إلى الالة • حور - اخن • اله الشمس ( يظهر برأس صقر وفوقه قرص  
الشمس ) وبين الملك والالة ظهر أقم الرسى والسم النعصى للملك داخل عرطوتين • وقد  
ظهر إلى اليمين الالة • بتاح - دافتن • وهذان الالهان كانا من الالهة الحامية لحصون  
الساحل الشمالى الغربى وفوق هذه الرسوم ظهر قرص الشمس المبتح •

اللوحة رقم ١: الآثار المتبقية من حصون الساحل الشمالي الغربي - في زاوية أم الرغيم

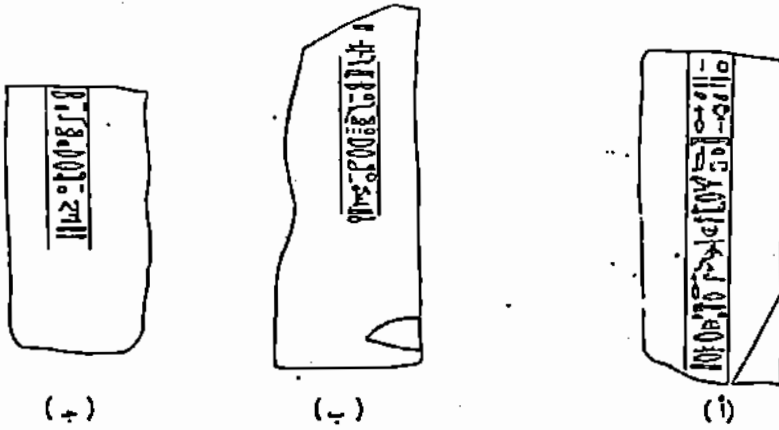
(شكل ٥) تعريض حصن ومسجد  
زاوية أم الرغيم وأجزاءه كما  
يلي:  
(أ) مدخل الحصن  
(ب) ممر إلى داخل الحصن  
(ج) دكمر آخر عمودي على  
الممر السابق  
(د) الممسيد  
(هـ) مدخل الممسيد  
(و) فناء ذو أعمدة  
(ز) غرفة أمامية  
(ح) ثلاثة حياكل (قدس)  
الاقداش - عامة بعبادة  
ثلاثة آلهة من الآلهة  
الحامية لحصون الساحل  
الشمالي الغربي



(شكل ٦) صورة المدخل إلى  
حصن زاوية أم الرغيم  
(أ) في الشكل السابق  
وقد حفر على واجهته  
الاسم الشخصي للملك  
رمسيس الثاني (رمسو -  
مري آمون) ويلاحظ نسبة  
حجم الجدران المتبقية إلى  
حجم الإنسان - صورة التفت  
المؤلف عند زيارته للحصن



(لوحة رقم ٥) الآثار المتبقية من حصن الساحل الشمالي الغربي - آثار زاوية أم الرعم (تابع)

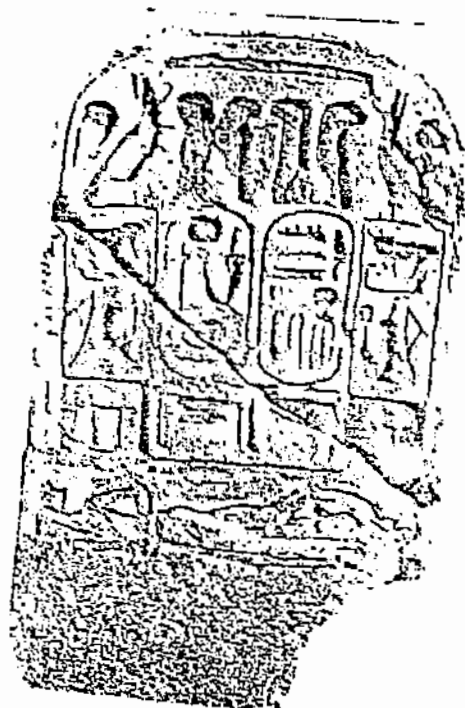


(شكل ٧) ثلاثة مصاريع ابواب من الحجر عليها نلوس هيرغليفية وجدت في نطاق معبد حسن زاوية أم الرعم وقد حفر عليها نلوس هيرغليفية تذكر اسم شخص يدعى "نب-رع" ربما كان رئيسا للحصن وقائدا لحاميته

(شكل ٨) بقية مصراع باب من آثار زاوية أم الرعم وقد حفر عليه الاسم الرئيس الرئيس الثاني ووصف له بأنه "الذي يدعى" "تمن" ويلاذ تمن هي منطقة انتشار شعب الشعب التي كانت من حرب الدلتا إلى مرس مطروح تقريبا (خريطة رقم ١)



(لوحة رقم ٦) الآثا والمتبقية من حصون الساحل الشمالي العربي - آثا رزاوية ام الرعم (تابع)



(شكل ٩) الجزء العلوي من لوحة وجدت ضمن آثا رزاوية ام الرعم وقد حفرت عليها  
اسماء الملك رمسيس الثاني والقائمه (العوري والنفيس والرسن) ولقائلها رسم اثنان  
من زعماء قبائل الصحراء الغربية وهما سندان على اليمين وكسب بعضهما .

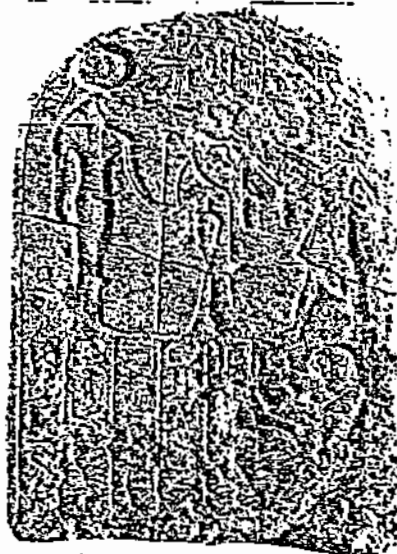


(لوحة رقم ١٢) آثار السدقيين من حصون الساحر الشمالي العربي - آثار زاوية ام الرهم (تابع)

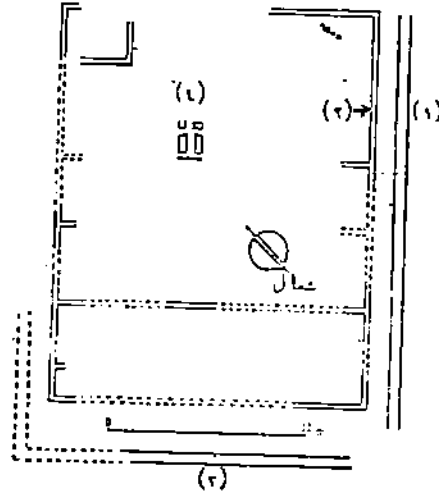
(شكل ١٠) لوحة تخطيطها يدعى "امون - سو"  
وقد ظهر في أعلى اللوحة الملك رمسيس الثاني  
يهم بضرب أسير ليبى وأمامه الإله "امون - رح"  
وفي القسم الأسفل من اللوحة يظهر "امون - سو"  
راكبا سكا يعلم يرمز إلى وظيفته فقد كان  
يعمل لقب "حامل العلم"



(شكل ١١) لوحة تخطيطها يدعى "بانحسى"  
وقد ظهر في أعلى اللوحة الملك رمسيس الثاني  
يقدم قربانا من الزهور للإلهة "سخت" ذات  
رأس اللبوة والهة الحرب. وفي الجزء  
الأسفل من اللوحة وقد بانحسى الذى  
كان رئيسا لحن زاوية ام الرهم.



(لوحة رقم ٨) الآثار السبقية في وادي النطرون

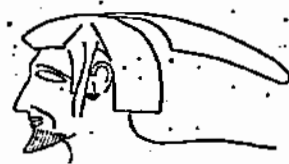


- (شكل ١٢) تخطيط حصن وادي النطرون الذي يرجع لعمر الملكين "امون - محات" الأول و "سينوسرت الأول" والذي قيد لحد هجمات شعب "التمحور" وأجزاء الحصن الظاهرة ببياناتها كما يلي :
- (١) خندق يبعد بمسافة ثلاثة أمتار عن سور الحصن
- (٢) سور الحصن
- (٣) خندق يبعد عن السور بمسافة خمسة أمتار
- (٤) بوابة ربما كانت مدخل معبد قد يرجع إلى عصر الملك امون - محات الأول . والبوابة مغطاة من جبر الجرافيت .

(لوحة رقم ٩) ملاح شعوب الساحل الشمالي الغربي كما مورهم المصريون القدماء \*



(شكل ١٣ ب) أحد أفراد  
شعب "ليبو"

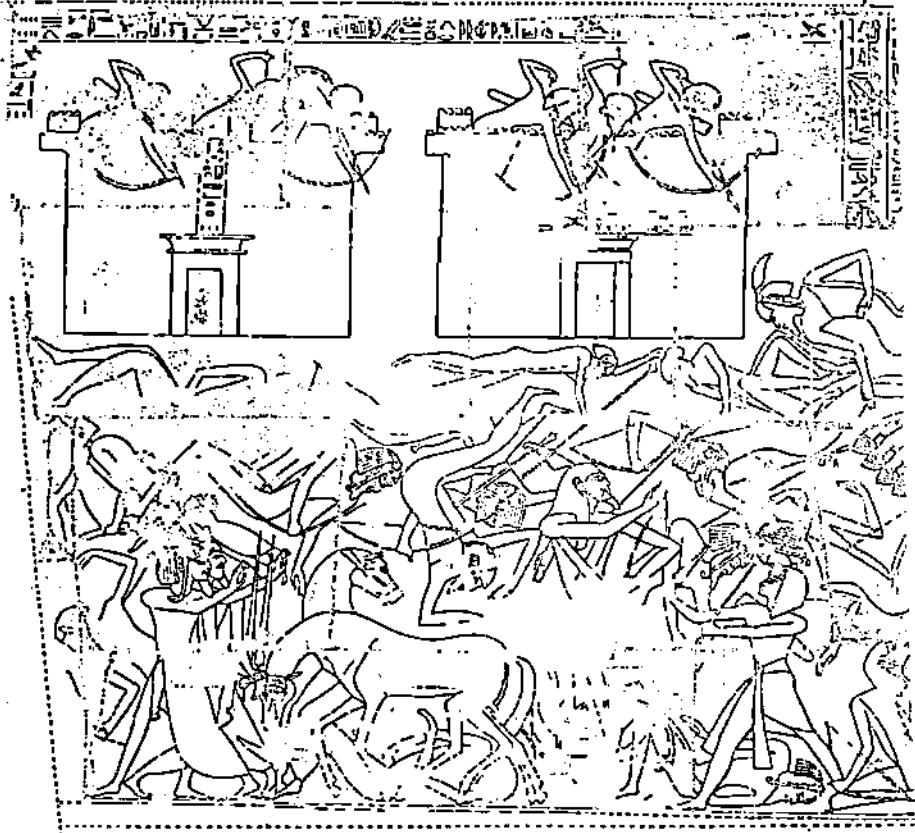


(شكل ١٣ أ) أحد أفراد شعب  
"تنبو"



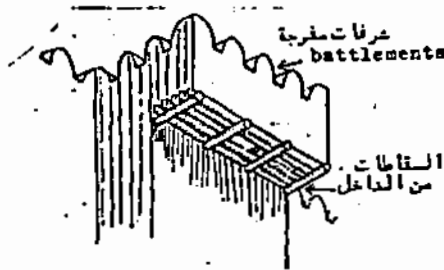
( شكل ١٣ ج) أحد امري شعب "متوش"  
( ا د = المتواي )

(لوحة رقم ١٠) أشكال العمون الساحل الشمالي الغربي كما صورها المصريون على آثارهم

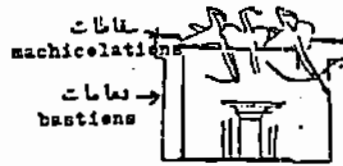


(شكل ١٤) صورة على جدار معبد الملك رمسيس الثالث في مدينة هابو بغرب الأقصر وقد رسم  
 حسان من عمون الساحل الشمالي الغربي وقد كتب بالهيرغليفية فوق الحصن الذي إلى  
 اليمين اسمه وهو " (حصن) مدينة رمسيس (الثالث) بينما كتب فوق الحصن الذي إلى اليسار  
 " (حصن) مدينة قصر الرمل " ويبدل موقع هذا الأخير بالنسبة لأشجارات المصريين المحاربين  
 أسفل الرسم بأنه كان يقع إلى الغرب من الحصن الأيمن أو أنه كان في الغالب في عنق  
 الصحراء كما يبدل اسمه " قصر الرمل " وربما كان هو حصن الغربايتيات بينما كان الحصن  
 الأيمن بالقرب من حدود الدلتا وقد رسم المصريون الحثين متجاورين تسمى مع الألف  
 المصري في الرسم الذي كان يلفى نوارق الزمان والركان

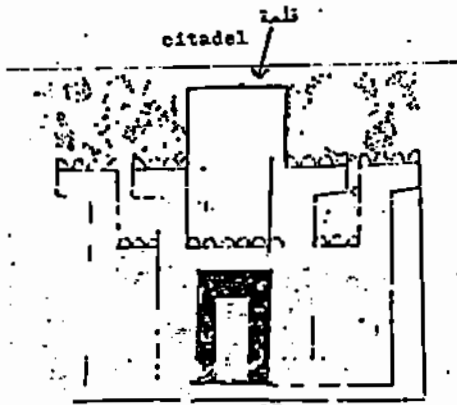
اللوحة رقم ١١ الطراز الأول من الحصون المصرية على الساحل الشمالي الغربي



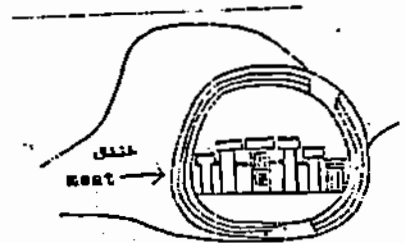
(شكل ١٥ ب) رسم تفصيلي لقمة الطراز الأول من الحصون تظهر فيه الساقيات والعرفات المفرجة.



(شكل ١٥ أ) يتكون الحصن في هذا الطراز من سور ملرد ذو عرفات مفرجة وبعمات تعلوها ساقيات



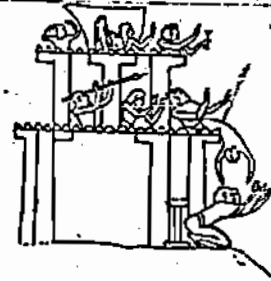
(شكل ١٥ د) مثال آخر للطراز الأول ويتميز بأن بداخله قلعة . citadel



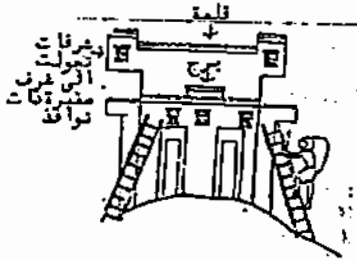
(شكل ١٥ ج) مورة الحصن دائري في العام وهو يقتضي للطراز الأول .

(لوحة رقم ١٢) الطرازان الثاني والثالث من الحصون المربعة

شكل ١٦ يتميز الطراز الثاني بأن  
سوره الداعلي أكثر ارتفاعاً من السور  
الخارجي وهذا الطراز يسمى في سوريا  
مجدولة



(شكل ١٧ أ) (إلى اليسار)  
الطراز الثالث من الحصون  
ويتميز بأن له مدخلين على  
اليمين واليسار - ويلاحظ  
خدة بروز السقاطات.

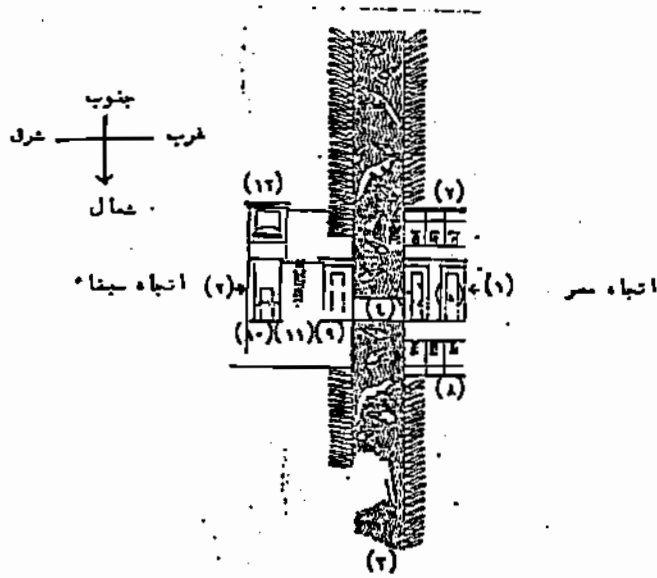


(شكل ١٧ ب) نموذج آخر  
للطراز الثالث ويتميز  
بالإبراج ويوجد للقلعة  
بناؤه.



(شكل ١٧ ج) نموذج آخر  
للطراز الثالث وتظهر  
في أعلاه القلعة تعلو  
الإبراج فيظهر  
الحصن كأنه من  
ثلاث طبقات.

(لوحة رقم ١٣) نموذج للحصون النهرية الحدودية - حصن ثارو



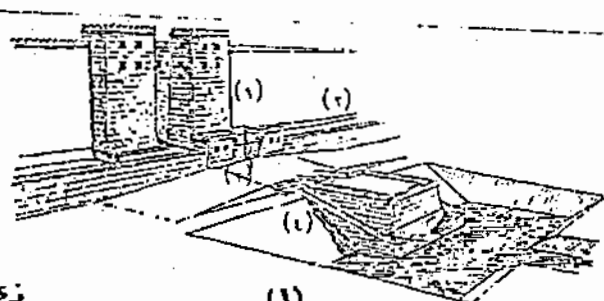
(شكل ١٨) حصن مدينة ثارو الذي كان قائما على البرج البطون للنبيل القرب من مدينة القنطرة الحالية) كما صور على جدران بهو الملك يحيى الأول في الكرنك وهو مثال للحصون النهرية الحدودية التي كان يحميها مقامها على قراع النيل الغربي الذي كان المصريون يسمونه "النهر العظيم" والذي عرف في المصور اللاحقة بالبرج الكائن في "واجزا" الحصن كما يلي:

- (١) هـ (٢) فناء على جانبي النهر (أو فرع النهر)
- (٣) هـ. وهو النهر تسبح فيه التماثيل والفراس النهر
- (٤) جسر يربط بين عاظمي النهر للذين يثبت عليهما دبابات الجيوش
- (٥) هـ (٦) بوابتان في البناي القريس
- (٧) هـ (٨) ساحة توافد على جانبي البوابتين
- (٩) هـ (١٠) بوابتان في البناي القريس
- (١١) فناء في البناي القريس
- (١٢) نافذة تطلو إحدى البوابتين

(لوحة رقم ١٤) النموذج الباقي للحمون المصرية - من ومعبد مدينة هابو بالاقصر -

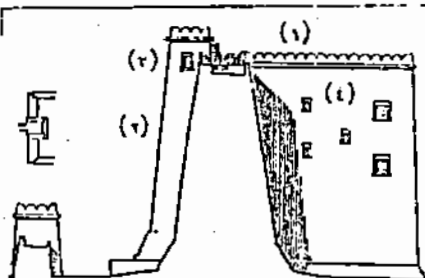


(شكل ١٨ أ) الواجة الشرقية لحن مدينة هابو الذي يفده الملك رمسيس الثالث ويتكون من سورين  
الاباسي (١) أكثر ارتفاعا من الخلفي وتتخلله أبراج قهيرة (٢) والخلفي (٣) به بوابة (٤) على  
ملأز بوابات الحصون السوروة المرفوعة باسم «مجدول» وتتخلل هذا السور أيضا أبراج مرتفعة (٥)



(شكل ١٨ ب) رسم بالمشاور للبوابة الشرقية لحن ومعبد مدينة هابو ويلاحظ فيها بوابات  
الحمون السوروة المسماة «مجدول» وأمام البوابات سور منخفض (٢) تغتفره بوابة قهيرة  
(٣) ويمتد أمام هذه البوابة مرسى للسفن (٤) على قناة كانت تتفرع من النيل.

(شكل ١٩ ج) قطاع جافى في البوابة الشرقية لحن  
ومعبد مدينة هابو ويلاحظ فيها العناصر المعمارية  
السائدة في الحصون المصرية والسورية وهي:  
(١) العرفات المنفرجة  
(٢) النعاسات  
(٣) الشواذ المرتفعة ، ويلاحظ أن هذه الشواذ  
أكثر ارتفاعا من الشواذ التي بين يمين  
البوابة (٤)





## الفاظ يونانية فى حياتنا اليومية

إهداء

أ.د. محمد السيد عبد الغنى

أستاذ التاريخ والبوناني والروماني

قسم الآثار والدراسات البونانية والرومانية



## الفاظ يونانية فى حياتنا الرومانية \*

د. محمد السيد جبر العننى - استاذ اللغتين اليونانية والرومانية

لا تخلو لغة من اللغات القديمة أو الحديثة من تأثيرات أجنبية من المناطق القريبة منها مكانيا، أو المناطق التى تعاملت معها على أى صعيد سواء كان سياسياً أو عسكرياً أو حضارياً. هذه التأثيرات قد تتمثل فى التراكيب اللغوية المشابهة أو فى انتقال ألفاظ من لغتها الأصلية لتنتشر فى نطاق أوسع من نطاقها المكانى الأصلى لتكتسب تداولاً فى أماكن أخرى تتحدث لغة أو لغات أخرى. ولما كنا نعلم من دراسة التاريخ أن الحضارات على مر التاريخ قديمة وحديثة تمر بأطوار نشوء ونمو وازدهار ثم انحدار وانهايار، فإن الحضارة التى تصل لمرحلة الازدهار تأخذ فى التأثير على الأماكن الأخرى المحيطة بها والمتعاملة معها، وتظل تأثيرات وألفاظ هذه الحضارة باقية فى مناطق التأثير تلك حتى بعد تدهور وسقوط الحضارة التى أخذت عنها . ولما كانت كل الحضارات القديمة - فى الشرق والغرب -

\* يسعدنى أن أوجه لمسة وفاء وتقدير إلى أساتذتى فى قسم الحضارة اليونانية والرومانية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية لما أسهموا به فى تكوينى العلمى بشكل عام ولما لهم من بصمات قوية على هذا البحث بشكل خاص، ولأسيما الأستاذ الدكتور مصطفى العبادى الذى يتمتع بتنوع هائل للغتين اليونانية واللاتينية إضافة إلى لغته العربية الرصينة الممتعة فى أن واحد والذى كثيراً ما كان يشير إلى بعض هذه الكلمات المتشابهة فى محاضراته لنا ونحن طلاب بمقاعد الدراسة. كما أشيد كذلك بفضل أساتذتى الدكتور محمد عبودى إبراهيم الذى يتمتع كذلك بحس لغوى ممتاز وشغف بتتبع أصول الألفاظ. ربما كنت أنا محظوظاً فى هذا المقام لأننى جمعت هذه الكلمات اليونانية فى صورة بحث متكامل، ولكن أساتذتى هم أصحاب الفضل والريادة فى إثارة الموضوع والتتوية إلى أهميته وحثنا على جمعه فى صورة متكاملة.

قد سادت لفترات معينة ثم اضمحلت ليسود غيرها وهكذا ، فإن الحضارات الأقدم كانت تترك تأثيراتها ويصماتها- بلا شك- على الحضارات التالية واللاحقة عليها . هكذا فإن حضارات الشرق القديم فى مصر وبلاد الرافدين والمدن الفينيقية قد أثرت على اليونان الذين ازدهرت حضارتهم فى فترة زمنية لاحقة لهذه الحضارات التى كانت حينذاك فى طور الانحدار . ويعترف اليونان أنفسهم فى كتاباتهم بتأثرهم الشديد بعلوم المصريين وحكمتهم فى الطب والفلك والهندسة، وأن روادهم الأوائل مثل طاليس وسولون وهيكاتئوس الميليئى وهيرودوت قد نهلوا كثيراً من علوم المصريين . بل يذكر الجغرافى والمؤرخ اليونانى سترابون من القرن الأول ق.م. أن أفلاطون قد مكث فى مصر مع كهنة هيليوپوليس ثلاثة عشر عاماً ليستفيد من حكمتهم وعلومهم ولكنهم ضنوا عليه ولم يعطوه سوى قشور معرفتهم . كما تأثر اليونان كذلك بعلم التجيم البابلى ، وأخذوا حروف أبجديتهم - بعد انقشاع آثار الغزو الدورى لبلادهم - عن الفينيقين ثم طوروها وأضافوا إليها بعض حروفهم .

ومن الجدير بالتنويه فى هذا المقام أن التفوق السياسى أو العسكرى ليس هو المعيار فى فرض ثقافة الجانب الأقوى فى هذه النواحي على الجانب الأضعف ، وإنما المعيار هنا هو الرصيد الحضارى والثقافى . إذ قد يفرض الطرف المهزوم بلغة الحزب والسياسة ثقافته على الطرف القوى المنتصر ، ولعل أبرز مثال على ذلك هو بلاد اليونان التى خضعت فى القرن الثانى ق.م. لسلطان روما سياسياً وعسكرياً ومع ذلك فإن اليونان قاموا بغزو ثقافى وفكرى وحضارى لعقول الرومان الذين انبهروا إذ ذلك بكنوز الحضارة اليونانية التى أنفتحت أمامهم حتى لم يعد أى رومانى يستطيع

آنذاك أن يزعم أنه مثقف "doctus" ما لم يكن مطلعاً على عيون الثقافة اليونانية . هذا الغزو الفكرى اليونانى للرومان لقى - رغم ذلك - بعض المقاومة من قلة من الشخصيات الرومانية المحافظة المتعصبة الذين كان من أبرزهم " كاتو الأكبر " الذى عز عليه أن تفقد الشخصية الرومانية بساطتها وصلابتها الفطرية وهى أهم مقومات بقائها وتوسعها حين سيطر الرومان على معظم السواحل المطلة على البحر المتوسط وكانوا يشيرون إلى هذا البحر فى كتاباتهم ووثائقهم بتعبير " بحرنا mare nostrum " كما كان يخشى أن يكون من نتيجة هذا المد الثقافى اليونانى " إفساد " الشخصية الرومانية . إلا أن هذه المعارضة من جانب كاتو الأكبر لم تصمد كثيراً أمام موجات الغزو الفكرى والحضارى اليونانى لروما حتى أن كاتو نفسه قد تعلم اللغة اليونانية . ولعل ما يلخص زنتصار الإغريق على الرومان فى هذا الصراع الحضارى عبارة ذات دلالة بالغة للفيلسوف والمفكر الرومانى الشهير سينيكا من القرن الأول الميلادى يقول فيها " إن بلاد اليونان الأسيرة قد أوقعت غارتها المتباهى ( يقصد الرومان ) فى شركها " . وحتى فى عصر ازدهار الإمبراطورية الرومانية خلال القرنين الأول والثانى الميلاديين كان بعض أباطرة الرومان يكتنون أعظم التقدير للحضارة والثقافة اليونانية ويحجون إلى بلاد اليونان مهد تلك الحضارة ، ويعفون أهلها من الضرائب المفروضة على بقية سكان الإمبراطورية الرومانية ، ويقيمون المكتبات والمعابد والمهرجانات فى بلاد اليونان ، وكان من أبرز هؤلاء الأباطرة نيرون وبوميتيان وهادريان الذى لقب بالمتأغرق Graeculus .

قد يثور في ذهن البعض تساؤل مشروع وهو : لماذا ركزت على الألفاظ اليونانية في اللغة العربية رغم أن الحضارة اليونانية أحدث - زمنيا - من حضارات الشرق القديم كالحضارة المصرية وحضارات بلاد الرافدين والمدن الفينيقية والتي لا بد أنها تركت آثارها وبصماتها في اللغة العربية - لا سيما أن هذه الحضارات القديمة قد نشأت وأزدهرت في الحدود الجغرافية الحالية للوطن العربي ؟

### والإجابة على هذا السؤال ذات شقين :

**الأول :** أن الحضارة اليونانية والرومانية هي مجال تخصصي الذي درسته وتعلمته وأقوم بتدريسه، وهذه هي بضاعتى، وأترك تأثيرات الحضارات الشرقية القديمة في اللغة العربية لأصحاب الاختصاص فيها.

**أما الشق الثانى** فهو أن الظروف في العصر الحديث قد ساعدت على إحياء اللغة اليونانية والبلغة اللاتينية بصورة غير مباشرة ، كما أسهمت في انتشارهما في كثير من أنحاء العالم ، السبب ببساطة أن اللغتين اليونانية واللاتينية كانتا الدعامة التي قامت عليها الحضارة اليونانية ومن بعدها الحضارة الرومانية ، أو في عبارة أخرى الحضارات الأوروبية القديمة .

ولما أفاقت أوروبا من سباتها الحضارى في أعقاب العصور الوسطى وبدأت محاولات إحياء نهضتها القديمة كان لا بد لها أن تنهل من منابعها القديمة في التراث اليونانى . ومن الطريف أن الحضارة العربية الإسلامية قد لعبت دورا فعالا وحيويا في الحفاظ على هذا التراث اليونانى الرومانى من خلال حركة الترجمة الرائعة والرائدة لكثير من هذا التراث خلال العصر

العباسى - لا سيما أيام حكم الرشيد ولديه الأمين والمأمون - كما لعبت الحضارة العربية الإسلامية نفس هذا الدور الهام فى نقل ذلك التراث إلى مناطق توسعها الجديد فى الأندلس وصقلية حيث نهل منه الأوروبيون ، لذا كانت الألفاظ الاصطلاحية اليونانية واللاتينية هى القاعدة الأساسية فى كافة العلوم والمعارف والآداب والفنون الأوروبية . ولما كان الأوروبيون قد سيطروا فى العصر الحديث على معظم أجزاء الوطن العربى وكانوا هم أصحاب الحضارة والثقافة الحديثة التى شددت أنتماء الكثيرين من المتعلمين العرب فقد تغلغت لغاتهم وثقافتهم بين أوساط المثقفين العرب كما تسلت إلى لسان رجل الشارع العربى فى بعض نواحي حياته اليومية ، وقد انتقلت مع لغات هؤلاء الأوروبيين وألفاظهم التى جرى بعضها على اللسان العرب الأصول اليونانية واللاتينية لهذه الألفاظ الأوربية الحديثة فى لغاتها المختلفة .

وأود أن أؤكد فى طرعى لهذا الموضوع على أننى لست متخصصا فى فقه اللغة المقارنة ، وبالتالي لا أزعم القدرة على التحديد الدقيق للموطن الأصيل لكل لفظة من الألفاظ التى سأسوقها بالأمثلة ، والتاريخ الدقيق لظهورها ورحلتها بين التأثير والتأثر . الموقف ببساطة أننى تخرجت فى شعبة الدراسات الكلاسيكية \* ( اليونانية واللاتينية ) ودرست فى مرحلة

---

\* كلاسيك وكلاسيكى وكلاسيكات : اصطلاحات فى اللغة الانجليزية مشتقة من الصفة اللاتينية Classicus بمعنى «من الطبقة الأعلى» (من بين الطبقات الخمس التى قسم إليها المواطنون الرومان الثروة على يد الملك سيرفيوس تولىوس). وكان الكاتب أولوس جيلبيوس من القرن الثانى الميلادى - فيما يبدو - أول من استخدم الصفة بصورة مجازية ليصف بها كاتباً ، ولكن شيشرون اخذ الاسم Classis (بمعنى «طبقة») من دائرة استخدامه السياسى والعسكرى واستخدمه ليصف بها «فئة» أو «طبقة» من الفلاسفة.

الليسانس قدراً لا بأس به من النصوص اليونانية واللاتينية بلغتها الأصلية فى مجالات الأدب (شعره ونثره) والتاريخ والفلسفة والآثار وعلم البردى والنقوش ، ثم تخصصت فى مرحلة الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه) وما بعدها فى فرع من الدراسات الكلاسيكية هو "التاريخ اليونانى والرومانى" . وأزعم أننى قرأت ودرست قدراً كبيراً من النصوص اليونانية واللاتينية والوثائق البردية والنقشية خلال هذه المرحلة على مدى أكثر من عشرين عاماً . وقد لفت نظرى منذ وقت مبكر فى هذه النصوص - التى تغطى الفترة من القرن الثامن ق.م. حتى القرن الرابع الميلادى تقريباً- وجود ألفاظ يونانية متطابقة أو متشابهة فى نطاقها ومعناها مع ألفاظ نستعملها الآن فى لغتنا العربية فى الفصحى وبعض اللهجات العامية . وقد كنت أجمع ما يقابلنى من هذه الألفاظ فى النصوص طيلة هذه الفترة أولاً بأول لعمل بحث يضمها حين يتجمع منها قدر كاف لهذا الغرض. ولا أدعى رغم ذلك أننى قد حصرت كل الكلمات اليونانية المستعملة فى اللغة العربية وإن كان ما توفر لدى منها حتى الآن يكفى لهذا البحث ، وللموضوع بقية بإذن الله .

---

= أما علماء عصر النهضة الذين كتبوا باللاتينية فقد اتخذوا هذه الصفة Classicus ليصفوا بها الكتاب الإغريق واللاتين على وجه العموم، ومن هذا الاستعمال اشتق الاستخدام الحالى. وأحياناً تستخدم هذه الاصطلاحات بمعنى أضيق أو بمعنى محدود زمنياً لتصف فترة بعينها يعتقد أنها الأرقى والأفضل ثقافياً بين فترات الحضارتين اليونانية والرومانية. وهكذا فإن فترة الكلاسيكية عند الإغريق كانت معظم القرن الخامس والرابع ق.م. وهى تمتد تقريباً من هزيمة الفرس عام ٤٨٠ ق.م. حتى وفاة الإسكندر الأكبر فى ٣٢٣ ق.م.، وفى روما القرن الأول ق.م. وحتى وفاة أغسطس سنة ١٤م. وهى الفترة التى يشار إليه أحياناً بـ «العصر الذهبى» فى الأدب اللاتينى.



قبل أن أطوف بكم في هذه الأمثلة في المجالات المختلفة يجدر أن زنوه إلى أن تركيبه الكلمة اليونانية تختلف عن تركيبه الكلمة العربية في نقطة هامة : ففي حين يعتمد النحو العربي على علامات الإعراب : الضمة والفتحة والكسرة التي تبين موضع الكلمة في الجملة ووظيفتها فإن اللغة اليونانية تعتمد في هذا الصدد على نهايات الكلمات . إن الكلمة اليونانية من اسم وصفة وفعل تنقسم إلى قسمين : جذر ثابت في الغالب ونهاية متغيرة. وتدل نهايات الأسماء والصفات على النوع والعدد والحالة من الإعراب، وتوجد الكلمة من اسم أو وصفة في المعاجم اليونانية بنهايتها الدالة على المفرد في حالة المبتدأ أو الفاعل. أما نهايات الأفعال فتدل على الشخص أو الأشخاص الذين قاموا بالفعل ، وزمن الفعل، وهل هو مبني للمعلوم أو المجهول وصيغته (إخبارية - تمنى أو رجاء أو شك - أمر)، ويوجد الفعل في المعجم بنهايته الدالة على المتكلم في زمن المضارع البسيط الإخباري أما عن الألفاظ المستعملة في العربية الموجودة في اللغة اليونانية فإن الاشتقاق في الكثير منها مأخوذ من جذر الكلمة اليونانية وبعضها مقتبس بأكمله (الجزر والنهاية) عن الأصل اليوناني .

كلمة أخيرة في هذه المقدمة وهي أن الكلمات المستعملة في العربية والمأخوذة عن اليونانية أو الموجودة في النصوص والمعاجم اليونانية هي ألفاظ تجرى لفظاً ومعنى على ألسنة الناس من المتعلمين ومتوسطي الثقافة وبعضها شائع لدى رجل الشارع العادي. أي أنني لم ألجأ إلى اكتشاف كلمات شائعة في اللغات الأوروبية وغير معروفة في الشارع العربي ، وهي ظاهرة يلجأ إليها بعض من بنى أوطاننا ممن تعلموا لفترات طويلة في

اللغات الأوروبية أما تأثراً وإما مباهاة . ولو فعلت هذا بالنسبة للألفاظ ذات الأصول اليونانية فى اللغات الأوروبية لما انتهيت لأنها كثيرة وتجل عن الحصر ، إضافة إلى أنها تخرجنا عن صلب موضوعنا وهو تأثر " العربية " بألفاظ وجدت فى النصوص والمعاجم اليونانية .

ولنبداً الآن بتصنيف تلك الكلمات اليونانية الموجودة فى لغة حياتنا اليومية حسب وجودها فى مجالات مختلفة على الوجه الآتى :

أولاً ، كلمات عادية من أسماء وأفعال شائعة فى الفصحى والعامية :

لتأمل هذه الكلمات اليونانية والعربية التى تكاد تتطابق لفظاً ومعنى :

– أكرويات (من ألعاب السيرك) وهى مأخوذة من فعل acrobaté ακροβατεω " يسير على أطراف أصابعه " .

– أثير aether αιθηρ ( الهواء النقى ) .

– أكمه acmé ακμη ( ما ارتفع وصعد فى السماء ) .

– عربون arrhabo αρραβων ( عبرية ) .

– بربرى barbaros βαρβαρος

–جنس (بمعنى سلالة) genos γένος

– دين daneion δανειον

–زوج (بمعنى اثنين) zeugos ζευγος

- zeohyros Ζεφυπορ زفير
- metron μετρον (بمعنى قياس) متر
- thermometron θερμομετρον ترمومتر
- cados καδος (دلو الساقية) قابوس
- caés καιω كى (بالتار)
- calamus καλαμος (نبات البوص) قلم
- camara καμαρα (التي تحمل السقف المقوس) كمرة
- canon κανων قانون
- camelos καμηλος (تذكر القواميس أنها كلمة عبرية أو سامية).
- ceramicos κεραμεικος (خزف فخار مصقول) سيراميك
- nautes ναυτης (بحار) نوتى
- xephos ξιφος سيف
- octopus οκτωπους (أى ذو الأقدام الثمانية) أخطبوط
- oros ορος (التي ربما كانت مشتقة من) رواسى بمعنى جبل
- plasma πλασμα (الجبلة أو الخلية الحية) وهى كلمة يونانية التي تعنى حرفياً الشيء الذى يتخذ شكلا أو صورة ، وهذا المعنى

مأخوذ من فعل  $\pi\lambda\alpha\sigma\sigma\omega$  plasso بمعنى يشكل أو يقوالب .

- ومن نفس الأصل كذلك كلمة " بروتوبلازما " بمعنى " الخلية الحية الأساسية "

- ومنه كذلك " بلاستيك " ( أى المادة الطيعة القابلة للتشكيل  $\pi\lambda\alpha\sigma\tau\iota\kappa\omicron\varsigma$  )

- وكذلك " بلاستر " وهى الكلمة التى تشير إلى اللاصق الطبى المسكن للألم، وهذا المعنى بدوره مأخوذ عن المعنى الذى يقصد الجص الذى كان وهو فى حالته الطرية - يتخذ الشكل الذى يريده له صانعه أو من يشكله ، وكان هذا الصانع أو المقلوب للجص هو من يطلق عليه أصلاً  $\pi\lambda\alpha\sigma\tau\eta\varsigma$  للمذكر،  $\pi\lambda\alpha\sigma\tau\epsilon\rho\alpha$  للمؤنث (من الأصل اليونانى للفعل  $\pi\lambda\alpha\sigma\sigma\omega$  بمعنى يشكل ويقوالب ) .

ولما كان الجص لا يتشكل فقط بل ويلتصق أيضاً بالأجسام وغيرها فقد أطلق على اللاصق الطبى كذلك اسم " بلاستر " .

- سمبوزيوم بمعنى " ندوة أو تجمع ثقافى "  $\sigma\upsilon\mu\pi\omicron\sigma\iota\omicron\upsilon\mu$  symposion ومعناها الأصلى " حفلة شراب " أو " ملتقى للشراب " أو " مأدبة " من فعل  $\sigma\upsilon\mu\pi\iota\upsilon\omega$  sympino بمعنى " يشرب مع " ثم تطور معناها لتصبح الندوة التى يعقبها مأدبة أو حفل شراب .

- غرغرة بمعنى " سائل لمضمضة الفم يستعمل طبياً " وهى ربما كانت مأخوذة إما من كلمة  $gargara$  γαργαρά اليونانية بمعنى " كمية

كبيرة - وفرة " وتفسيري ( وفرة من هذا السائل ) الذى يملأ الفم . أو من كلمة gargalos γαργαλος بمعنى " يدغدغ " أو " يخز وخزا خفيفا " وهو فعل هذا السائل فى الفم - والله أعلم!

ولنستكمل هذه المجموعة من الكلمات العربية واليونانية التى تكاد تتطابق لفظاً ومعنى :

- برج pyrgos πυργος ( مع حذف النهاية اليونانية ) .
- رى rheō ρεω (بمعنى يتدفق وبالتالي يروى مع حذف النهاية ω).
- أسفين sphyn σφην ( بمعنى خازوق ) .
- أسفنج sphongos σφογγος
- سيما sema σημα ( سيماهم على وجوههم ) .
- تراخى tarache ταραχη
- ثور tauros ταυρος ( مع حذف الـ os ) .
- يفتنى phoneuo φονευω ( يقتل ويهلك )
- خير χαίρει ( تصحبك السلامة والخير ) .
- سيمتريه symmetria σύμμετρα بمعنى «تناسق وتناسب».
- أرخبيل (وهو البحر الذى يضم مجموعة كبيرة من الجزر) وكان يقصد به فى الأصل بحر إيجه شرق بلاد اليونان الذى يضم مجموعة كبيرة من الجزر المتناثرة. وهذه الكلمة مأخوذة من الكلمة المركبة اليونانية

archiplegos αρχιμελαγος أى البحر الأعظم (التي ربما كانت تحريفًا لـ Aιγαιον Πεγλαγος أى بحر إيجة الذى كان يضم جزرا كثيرة).

- «جمنازيوم gymnasium γυμνασιον ومعناها فى اليونانية منتدى أو «مكان العراة» من كلمة gymnos γυμνος أى «عارى» وهى تشير إلى صالة الألعاب الرياضية التى كان اللاعبون يمارسون فيها الألعاب وهم عراة أو شبه عراة.

- «دبلومة» diploma διπλωμα وتعنى الورق أو الشهادة المكتوبة على الوجهين.

- «الطرفان» وهى شبيهة بالكلمة اليونانية typhon τυφων أو typhaon τυφαων

١- وهو فى الأساطير اليونانية اسم أحد العمالقة الذين قهرهم زيوس كبير آله اليونان.

٢- ثم أصبح هذا الاسم يطلق على الرياح العاتية والأعاصير التى يطلقها العمالقة.

- «أكاديمية وأكاديمي» وهى كلمات أصبحت تشير فى اللغة العربية إلى التخصص العلمى فى فروع المعرفة وأصبح البحث العلمى والمعرفى المتخصص يسمى بحثًا أكاديميًا. و«الأكاديمية» فى الأصل اليونانى Ακαδημεια هى تلك المدرسة التى افتتحها الفيلسوف والمفكر اليونانى

الكبير أفلاطون في أثينا في القرن الرابع ق.م. وظل أتباع هذا المذهب الفلسفى الأفلاطونى يسمون بالأكاديميين حتى عصر الإمبراطورية الرومانية. وقد سميت مدرسة أفلاطون بالأكاديمية نسبة إلى بطل أثينى قديم يسمى أكاديموس:

وهناك بعض الكلمات اليونانية فى العامية السكندرية (فى مدينة الإسكندرية حيث كانت تعيش جالية يونانية كبيرة لازال بعض منها باقيا هناك) مثل :

- مستيكة (بمعنى علكة) mastax μασταχ mastichào والفعل منه mastichào μαδτιχαω

- ترابيزة (بمعنى طاولة أو مائدة) trapeza τραπέζα

- كوللا (بمعنى صمغ لاصق) colla κολλα

- أوزى (بمعنى لحم الحيوانات الصغيرة كالعجول مثلا) من كلمة OZOS οζος . والتي تعنى فرعاً صغيراً أو نبتة صغيرة.

- سيمافور (بمعنى أعمدة السكك الحديدية ذات الإشارة التى توضح للسائق كيفية السير) من كلمتى sema σημα بمعنى علامة أو إشارة وphoros φορος أى حامل وهى مشتقة من فعل phoréo φορεω بمعنى يحمل.

- «ستروبيا» (بمعنى بالحظ أو بالمصادفة) من كلمة strobia στροβια المشتقة من فعل strobéo στροβεω بمعنى يلف أو يدور كال دوامة وتطور معناها فى العمية فأصبح يصيب الهدف أثناء دورانه هذا دون

قصد بمعنى بالخط أو بالمصادفة.

ثانياً : أسماء المعادن والأحجار الكريمة وما يستخرج من باطن الأرض؛

لننظر إلى الشبه أو التطابق أحياناً في نطق ولفظ هذه الألفاظ اليونانية والعربية التي تحمل نفس الدلالة تقريباً :

- adamas αδαμας (ألماس).

- marmaros μαρμαρος (مرمر): وهو نفس الجذر اليوناني للكلمة بدون النهاية).

- cassiteros κασσιτερος (قصدير): مع حذف النهاية اليونانية والإبقاء على الجذر).

- «اليكترون» electron ηλεκτρον ولكن هذه الكلمة في اليونانية تعني سبيكة من الذهب المخلوط بالفضة، وهذا المخلوط كان يستخرج -حيث كان يوجد على صورته الطبيعية هذه - من قيعان الأنهار في مملكة لينديا في آسيا الصغرى - أول من اخترع العملة - وكانت تضرب منه العملة الليدية.

- أما «المغنطيس» فإنه حجر (λίθος) ماجنيتيس magnetis Μαγνητις أي «الحجر المغنيسي» الذي كان يستخرج من ماجنيسيا أو ماغنيسيا وهي مدينة قديمة بآسيا الصغرى وهو عبارة عن قطع من خام الحديد تتمتع بخاصيته الطبيعية وهي جذب قطع الحديد العادية إليها (قاموس ويسترن / ١٩٨٦ / p. 1359).



- أما «البترول» كلمة مركبة تركيباً مزجياً من كلمة لاتينية هي Oleum بمعنى «الزيت» وأخرى يونانية هي petros, μετρος بمعنى الحجر وμετρα بمعنى الصخرة، إذن فكلمة «بترول» تعنى حرفياً الزيت المستخرج بمن بين الأحجار والصخور.

ثالثاً : أسماء بعض الحاصلات الزراعية والنباتات :

لنتأمل وجه الشبه الكبير بين أسماء هذه الحاصلات فى اليونانية والعربية:

- قنب أو cannabis κανναβις (وهو النبات الذى يخرج خيوط القنب التى تصنع منها الحبال وأكياس الخيش).

- قرطم أو cardamon καρδαμον

- لوتس lotus λωτος

- لبان libanos λιβανος

- ملوخية moloche μολοχη أو μαλαχη

- سمسم sesame σησαμη

رابعاً : أسماء العلوم والتخصصات العلمية العملية والنظرية :

أ- العلوم المنتهية بالمقطع «لوجيا» أو «لوجى» المأخوذ عن كلمة λογος

logos والتى تعنى أصلاً «كلمة - قول - تعبير» والتى من بين معانيها

«كتابة نثرية أو علم» والمعنى الأخير للكلمة هو المعنى المقصود فى سياق

الاصطلاحات العلمية لأسماء العلوم». ولنتأمل النماذج الآتية :

- «أنثروبولوجى» وتعنى علم «الإنسان» anthropos ανθρωπος.
- «جىولوجى» وتعنى علم «الأرض» γη , λη أو بالأحرى طبقات قشرة الأرض.
- «بيولوجى» وتعنى علم الأحياء bios , βιος بمعنى حياة.
- وكذلك «ميكروبيولوجى» أو علم «الأحياء الدقيقة» المكونة من micro, mikros بمعنى دقيق أو صغير وβιος bios المعبرة عن الحياة والأحياء.
- «ثيولوجى» بمعنى علم «اللاهوت» من theos θεος «بمعنى رب أو إله.
- «سيكولوجى» وتعنى علم النفس psyché ψυχη .
- «فونولوجى» وتعنى علم تراكيب الأصوات phoné φωνη
- «مورفولوجى» وتعنى «علم الصرف» الذى يدرس بنية وشكل morphé Morphe الكلمة مرتبطا بمعناها. كما تعنى فى العلوم الطبيعية «علم التشكل» أى دراسات أشكال النبات والحيوان.
- «تكنولوجيا» وهو اصطلاح ذو معنى عام يعنى التقدم العلمى التجريبى من خلال المهارة فى «الابتكار والصناعة» techné τεχνη «التي تعنى» «فن- مهارة - صناعة - خيلة» وهى كلمة يونانية عريضا تحتوى مسمى «تقنية» بمعنى التقدم العلمى التجريبى.
- ب - علوم تنتهى بالمقطع «غرافيا» أو «جرافيا» المأخوذة عن كلمة graphé

γραφη بمعنى «كتابة» أو - في هذا السياق - «وصف»، والفعل منها graphó , γραφω ، وأهم الأمثلة الشائعة بهذا التركيب :

- «جغرافيا» بمعنى «علم وصف» الأرض γη , gé .

- «طبوغرافيا» بمعنى «علم وصف الأماكن أو المواقع topos, τοπος»  
بمعنى بقعة أو مكان أو موقع.

ج- علوم أخرى ذات أصول يونانية مختلفة هي أسمائها مثل :

- «فلسفة» وتعني «الشغف بالمعرفة والحكمة» من philos, φιλος بمعنى «محب أو عاشق أو مغرم»، σοφια , sophia بمعنى «المهارة أو الحصافة أو الحكمة في الأمور العامة» فهي حب الحكمة والمعرفة.

- «الفيزياء» وتعني «العلم الطبيعي physiké , φυσικη» وهي صفة مشتقة من كلمة physis , φυσις بمعنى «الطبيعة» والصفة المشتقة منها والتي تعني «الطبيعي» تصف كلمة مقدرة هي τεχνη بمعنى علم أو فن «علم الطبيعة» أو «العلم الطبيعي».

- «الديناميكا» وتعني تأثير «القوة dynamis , δυναμις» على الأجسام المتحركة وهو بذلك يعني علم القوة والحركة حيث أن dynami- ké , δυναμικη هي صفة لاسم مفهوم ضمنا هو τεχνη الذي يعني «علم».

- «استاتيكا» بمعنى «علم السكون» عكس «الديناميكا» وهذه الكلمة في اليونانية statiké στατική هي صفة لنفس الاسم المقدر أعلاه وهو

τεχνη بمعنى «علم» والصفة تعنى الثابت أو الساكن وهى مأخوذة من فعل histemi ἵστημι بمعنى «يقف أو يثبت أو يتوقف».

خامسا : اصطلاحات السياسة ونظم الحكم :

أ- اصطلاحات تنتهى بمقطع «قراطية» المأخوذة عن الكلمة اليونانية κρατος,το "kratos" التى تعنى «حكم أو سلطة أو سيادة» ومن خلاله حدثت التركيبات المزجية للألفاظ الاصطلاحية الآتية :

- «ديمقراطية» وهى تعنى حكم الشعب demos,δριτος لنفسه بنفسه.

- «أرستقراطية» وتعنى حكم «الأفاضل أو الصفوة» "aristos" "αριστος" ، وهؤلاء الصفوة من «أفضل الناس» فى عرف الإغريق هم الأشراف ذوو النسب العريق الذين تولوا الحكم بعد نهاية الحكم الملكى فى بلاد اليونان، وخرجت عن معناها الأصلى لنظام حكم وأصبحت تطلق على نوى الأصول الراقية.

- «ثيوقراطية» وتعنى «الحكم الدينى» من كلمة "theos, θεος" بمعنى إله.

- تيموقراطية «وتعنى» الحكم حسب مقدار الثروة «حيث إن كلمة "time, τιμη" تعنى الثروة، أى أن يكون هناك مقدار دخل معين ومحدد كنصاب لا ينبغى لمن يريد ترشيح نفسه للوظائف العليا أن يقل عنه.

- «أوتوقراطية» وتعنى «الحكم الفردى» أى أن يقوم شخص بذاته, αὐτος, autos بإدارة شئون الحكم.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الألفاظ الاصطلاحية فى اليونانية لم تكن تنطق هكذا، وإنما كانت تنطق مرفقة كالتالى : «ديموكراتيا» ، «أرستوكراتيا»، «ثيوكراتيا»، «تيموكراتيا»، «أوتوكراتيا»، لكن العرب حين تبنوا هذه الألفاظ فى لغتهم فحتموا حرف التاء فى مقطع «كراتيا» وجعلوه طاء كما قبلوا الكاف فى هذه الكلمة إلى «قاف» حتى تنسجم مع «الطاء» التى استخدمت للتفخيم. وبذلك ألبست اللغة العربية هذه الألفاظ رداء عربيا فبدت كما لو كانت عربية صرفة وهى ليست كذلك.

ب- كلمات قنتهى بنهايات أخرى مختلفة :

- «أوليغارخية» بمعنى «حكم الأقلية» من كلمتى oligos, ὀλιγος بمعنى «قليل أو قلة» و aichly, ἀρχη بمعنى «حكم»، وكان هذا النظام فى بلاد اليونان القديمة من أقلية من المواطنين فى المدن اليونانية وتتألف هذه الأقلية من الأشراف الأرستقراطيين والأثرياء الجدد، وهؤلاء كانوا يشكلون أقلية عديدة أمام الكثرة الساحقة من متوسطى الحال والفقراء.

- «ديماجوجية» وهى تعنى تزعم شخص بعينه sagogos, αγωγος بمعنى زعيم لجموع الشعبين demos, δῆμος مستغلا عواطفهم والتفافهم نحوه لقدرته الخطابية وسحر زعامته، وهذه المرحلة تمثل انحراف الديمقراطية عن مسارها فى بعض الأحيان.

- «بولوتيكاً» أو علم السياسة politiké, πολιτική وهي صفة لاسم مقدر هو politiké, τέχνη بمعنى «علم أو فن، والصفة πολιτική هنا تعنى «ما يتعلق بإدارة الشئون العامة للمدينة أو الدولة» حيث إنها مشتقة من كلمة polis, πολίς بمعنى «المدينة» وكذلك بمعنى «الدولة»، حيث إن بلاد اليونان عرفت نظام «بول المدينة» ولم ينشأ بها نظام الدولة المركزية الكبيرة.

- «دبلوماسية» وهي اصطلاح يعنى أصلاً «السعى والمحاولة فى اتجاهين» (للوصول إلى حل لقضية معينة) وهي مأخوذة من كلمتين يونانيتين هما diploos, διπλοος وهي صفة بمعنى «مزيج»، ματεύω أو mateo, ματεύω بمعنى «يبحث، يسعى، يحاول» وأدمجت فى كلمة واحدة هي بمعنى «السعى بأكثر من طريقة أو السعى بمرونة» لحل مشكلة أو قضية ما.

- «بروتوكول» protokollon, πρωτοκολλον وهي تعنى حرفياً «الصفحة الأولى الملتصقة» فى مقدمة وثيقة قانونية أو سياسية وكان يكتب عليها محتويات هذه الوثيقة وتوثيق ما سوف يتلوها من صفحات. وهذه الكلمة مشتقة من كلمتين يونانيتين الأولى هي protos, πρωτος بمعنى «الأولى» وكلمة collao, κολλων بمعنى «الصفحة الملتصقة» المأخوذة من كلمة بمعنى «صنع» وفعل collao, κολλαω أى يلصق. ومن هنا فإن كلمة «بروتوكول» تعنى أصلاً «الغلاف أو الصفحة الأولى التى تضم الفهرس» لمجموعة صفحات متلاصقة من ورق البردى مكتوب عليها وثيقة

قانونية أو سياسية. ثم استخدمت لدينا كلمة «بروتوكول» بعد ذلك بمعنى تلك الوثيقة فى أى مجال من مجالات التعاون أو المعاهدات ولم تعد تعنى فقط الصفحة الأولى أو الغلاف للوثيقة كما فى معناها الأسمى.

— «استراتيجية» وهى فى الأصل كلمة عسكرية عند اليونان وتعنى «القيادة العليا للجيش strategia στρατηγία وهى مأخوذة من كلمة strategos , στρατηγος» بمعنى القائد الأعلى للجيش، ولما كانت مهمة القيادة العليا هى الاستفادة من كافة طاقات وإمكانات الأمة (الوطن) من خلال تخطيط واسع النطاق ويعيد المدى لتأمين وضمان إحرار النصر على المدى الطويل، فقد تحول مفهوم الكلمة ولم يعد يعنى العسكرى فقط للكلمة بل أصبحت الكلمة تعنى عموماً «التخطيط على المدى الطويل لتحقيق أهداف معينة» فى أى مجال من المجالات العامة. وعكس «الاستراتيجية» هى كلمة «تكتيك» (tacticos , τακτικός) وهى تعنى استخدام القوات العسكرية ونشرها فى معركة حربية، ثم تطور معناها واكتسب صفة أشمل وأصبح التكتيك يعنى «وضع خطة قصيرة الأجل لمواجهة موقف بعينه» فى أى مجال من المجالات العامة.

— «أيدولوجية» وتعنى «تبنى رؤية معينة والتعبير عنها»، ثم تطور الاصطلاح ليعنى تبنى رؤية سياسية أو اقتصادية أو عقائدية. وهذه الكلمة مشتقة من جذرين أو أصلين يونانيين هما eido, εἶδω بمعنى «يرى أو يكون له رؤية أو تصور» logos λογος بمعنى القول أو التعبير. فأصبح مصطلح «أيدولوجية» يعنى «تبغى رؤية أو تصور معين والتعبير عنه» ιδιολογία.

لاسيما فى النواحي السياسية والاقتصادية والعقائدية.

سادسا : الأجهزة والوسائل السمعية والبصرية والصوتية المستخدمة  
فى حياتنا اليومية والعلمية :

#### (أ) الأجهزة الصوتية :

وهى تلك التى تضم المقطع «فون» أو  $\phi\omega\nu\eta$  ,  $\phi\omega\nu\eta$  بمعنى «صوت» فى  
اليونانية مثل :

- «تليفون» وهو الجهاز الذى يأتى بصوت  $\phi\omega\nu\eta$  قادم «من بعيد» ,  $\tau\eta\lambda\epsilon$   
.

- «ميكروفون» وهو الذى يقوم بتكبير وتعليق «الصوت»  $\phi\omega\nu\eta$  الصغير  
 $\mu\iota\kappa\rho\sigma$  أى المنخفض أو العادى.

- «فونوجراف» الذى كان من قبل يسمى «جراموفون» وهو ذلك لجهاز الذى  
يقوم بـ «تسجيل»  $\gamma\rho\alpha\phi\eta$  الصوت  $\phi\omega\nu\eta$  .

- «ستريو» وتعنى «الصوت الجسم» وهى من كلمة  $\sigma\tau\epsilon\rho\epsilon\sigma$   $\sigma\tau\epsilon\rho\epsilon\sigma$   
بمعنى «صلب/ قوى».

#### (ب) الأجهزة والوسائل الكتابية والتصويرية :

وهى تلك التى تنتهى بالمقطع «جراف أو غراف»  $\gamma\rho\alpha\phi\eta$  ,  $\gamma\rho\alpha\phi\eta$  "الذى  
يدل على «الكتابة أو التسجيل أو الوصف» مثل :

- «تلفراف» أو «تلجرام» وهى ألفاظ تعبر عن الجهاز الذى ينقل «رسالة



مكتوبة "γραφη" قادمة من بعيد τηλε , tele أو عن «الرسالة المكتوبة القادمة من بعيد» τηλεγραμμα - telegram ذاتها المنقولة على هذا الجهاز.

- «أوتوجراف» وهو ذلك الدفتر أو الكراس الذى يدون graphó, γραφω فيه الشخص بنفسه مذكرات أو أمورا خاصة به.

- «فوتوجرافيا أو فوتوغرافيا» أى «التسجيل graphé , γραφή الضوئى حيث نجد كلمة phos , φως بمعنى «الضوء» يوجد جذرها فى التصريف φωίς والتسجيل الضوئى photography لحدث أو موقف ما يعنى تصويره».

### (ج) الأجهزة البصرية :

وهى تلك التى تحتوى على المقطع اليونانى σκοπη , scope «سكوب» الذى يدل على «المشاهدة» والمأخوذ من الفعل اليونانى , scopeo σκοπεω بمعنى «يشاهد أو ينظر إلى» ومن هذه الأجهزة :

- «ميكروسكوب» وهو ذلك الجهاز الذى نرى scopeo من خلاله الكائنات أو الأشياء «الدقيقة mikros» حيث يقوم بتكبير صورة هذه الأشياء.

- «تيليسكوب» وهو ذلك الجهاز الذى «نرى scopeo» من خلاله الأجرام أو الأشياء «البعيدة tele» .

أما كلمة «تليفزيون» فإنها تتكون من مقطعين أحدهما لاتينى وهو vision من فعل video اللاتينى بمعنى «يشاهد» - وهى التى نستخدمها ونطلقها

على جهاز الفيديو - ومقطع يونانى هو "τηλε" بمعنى «بعيد» فتركيب الكلمتين اليونانية واللاتينية «تليفزيون» يعنى ذلك الجهاز الذى ينقل لنا ويجعلنا «نشاهد أشياء وصوراً قادمة من مكان بعيد» وهو يعنى حرفياً «جهاز المشاهدة عن بعد».

#### سابعاً ، الكلمات المتصلة بالفنون :

- «موسيقى» μουσική , mousiké وهى صفة تصف اسماً مقدراً هو techné , τέχνη بمعنى «فن الموسيقى» أما عن هذه الصفة μουσική فإنها مأخوذة من اسم ربات الفنون التسعة عند الإغريق اللاتى كان يطلق عليهن اسم mousai , mousae وكان يعتقد أنهن يسكن فوق جبل بارنا سوس فى منطقة «فوكيس» وامتداده فى إقليم «بؤوتيا» المجاورة له شرقاً والمسمى جبل «هيليكون» فى بلاد اليونان.

- «قيثارة» هى نفس الكلمة kithara , κιθάρα فى اليونانية .

- دراما drama , δράμα وهى تعنى باليونانية «الأداء» ومشتقة من فعل يونانى هو drao , δράω بمعنى يؤدى ولاسيما الأداء التمثيلى.

- وكذلك «ميلودراما» وهى «التمثيلية العاطفية التى تهز المشاعر» إذ تتكون من مقطعين : الأول هو «الدراما» بمعنى «الأداء التمثيلى» والثانى هو melos , μέλος بمعنى «طرف أو وتر» (فيكون المعنى الأداء التمثيلى الذى يهز أطراف وأوتار [بمعنى مشاعر] المشاهد).

- «تراجيديا» أو «المسرحية الجادة أو المأساة» وهى تكتب فى اليونانية

«تراجوديا» τραγωδία , tragodia " وهو تركيب يعنى «أغنية أو عرض أو أشعار الماعز» وتتكون من كلمتين يونانيتين هما ὄδη, ὀδέ, بمعنى «أغنية أو عرض» و τραγος , tragos بمعنى «ذكر الماعز» والسبب فى ذلك أن المسرحية الجادة كان يقوم بتمثيلها فى أول الأمر ممثلون يرتدون ملابس من جلد الماعز وكانوا يغنون أشعر جادة على يد جوقة من المغنين قبل أن تتحول إلى مسرحية تمثيلية ذات حوار.

- «سينما» فن السينما هى كلمة يونانية هى Κινημα وتنطق فى الانجليزية cinema فأخذنا الكلمة اليونانية بنطقها الإنجليزى وهى تعنى فى اليونانية الشئ المتحرك حيث يمتلئ الفيلم السينمائى بالحركة وهى مشتقة من فعل يونانى هو Κτνέω بمعنى يتحرك (الخيالية).

- «كوميديا» أو المسرحية الهازلة أو الساخرة، وتكتب فى اليونانية κωμωδία comodia, ومعناها «الأغنية الصاخبة» أو «العرض الصاخب» وهى تتكون من كلمتين هما : ὄδη, ὀδέ بمعنى «أغنية أو عرض» و κωμος , cómos ومعناها الصخب والعريضة.

- «أوركسترا» أى «الفرقة الموسيقية» أو «الموضع المخصص لها فى المسرح» وهى تكتب باليونانية " ὀρχηστρα , orchestra " وهى فى المسرح الأثينى تعنى مساحة واسعة نصف دائرية كان يرقص عليها أفراد «الكورس chorus, χορος» والتى هى بدورها كلمة يونانية تعنى «فرقة أو جوقة» من الراقصين والمغنين المشاركين فى عرض تمثيلى مسرحى.

- «سيمفونية» συμφωνία , symphonia وهو نفس النطق اليونانى

للکمة المؤلفة من شقین هما (ν) συμ «بمعنى «مع ، جنباً إلى جنب»  
وفωνη الدالة على الصوت أو الأصوات، فهى تعنى إذن «مجموعة  
أصوات متناغمة مع بعضها».

- «ديالوج» وتعنى «حوار أو نقاش» من کلمة dialogos, διαλογος  
بنفس المعنى .

- «مونولوج» monologos , μονολογος وتعنى مشهد مسرحى أو  
غنائى أو مناجاة يقوم بها شخص واحد monos , monos.

- «زخرفة» وهى مأخوذة عن کلمة يونانية هی ζωγραφία, ζωγραφία  
φία وتعنى «رسم أو تصوير» γραφν و «الحيوان» ζωον, ζoon أى  
التزيين والتجميل من خلال رسوم الحيوانات وتصويرها.

ثامناً ، أسماء بعض الأمراض النفسية أو الجسمية :

- «فوبيا» phobia , φοβία بمعنى «الخوف المرضى» وهو مشتق من  
الفعل اليونانى phobéo, φοβέω بمعنى «يخيف» والفعل المبني  
للمجهول منه. بمعنى «يخاف». والكلمة مركبات كثيرة فى علم النفس تعنى  
«الخوف المرضى» من أشياء عديدة سأضرب أمثلة لها مثل :

- algophobia أى الخوف من «الألم» αλγος .

- androphobia أى الخوف من «الرجال» ανηρ , ανδρος .

- anthropophobia أى الخوف من «البشر» ανθρωπος .

- gynophobia أى الخوف من «النساء» γυνή .

– bathophobia من «الاماكن العميقة أو المرتفعة» βαθυσ بمعنى عميق أو مرتفع.

– cynophobia أى الخوف من «الكلاب» κυων , κυνος .

– gymnophobia أى الخوف من «العُرَى» γυμνος . عارى ، لا يرتدى ملابس.

– gamophobia أى الخوف من «الزواج» γαμος .

– heliophobia أى الخوف من «الشمس» ηλιος .

– hematophobia أى الخوف من «الدم» αιμα , αιματος .

– hypnophobia أى الخوف من «النوم» υπνος .

– kelptophobia أى الخوف من «الأكم» αλγος .

– algophobia أى الخوف من «السرقَة» κλεπτης بمعنى لص، والفعل κλεπτω بمعنى يسرق.

– skotophobia أى الخوف من «الظلام» σκοτος .

– monophobia أى الخوف من «الوحدة» μονος .

– thanatophobia أى الخوف من «الموت» αθανατος .

– treiskaideka أى الخوف والتشاؤم من رقم ١٢ «τρискаιδεκα» .

– thalassophobia أى الخوف من «البحر» θαλασσα .

– zoophobia أى الخوف من «الحيوانات» ζῷον .

..... وغيرها كثير (وهذه ألفاظ يستخدمها المتخصصون فى علم النفس والطب لنفسى).

ننتقل لكلمة أخرى متداولة وشائعة فى علم النفس والأمراض النفسية وهى «مانيا» mania, μανία بمعنى «الجنون» وهناك مركبات أخرى مع الكلمة مثل :

– megalomania أى جنون «العظمة» μεγαλος , μεγας حين يشعر الفرد شعورا مرضيا مبالغا فيه بتفوقه على الآخرين وأهميته الكبيرة التى ليست كذلك فى الواقع.

– kleptomania أو جنون السرقة أو الولع المرضى «بالسرقة» κλεπτης .

– bibliomania أى الجنون أو الولع المرضى «بالكتب» βιβλος ..... الخ.

– «الشيزوفرينيا» وهى مرض نفسى يعنى «الفصام العقلى» schizophrenia وهى مركبة من كلمتين يونانيتين كما يلى :

فعل σχίζω , schizo بمعنى ينقسم أو ينشطر أو ينقسم .

اسم φρεν , phren بمعنى العقل.

– «المناخلوليا» أو «الميلانخونيا» melancholia وهى مرض نفسى يعنى الكآبة أو الانقباضية أو السوداوية، وهى اصطلاح مركب من كلمتيه

يونانيتين هما :  $\mu\epsilon\lambda\alpha\varsigma, \mu\epsilon\lambda\alpha\nu$  وهى صفة تعنى أسود أو قاتم أو كئيب، و  $\chi\omicron\lambda\eta$  بمعنى يغضب أو يهتاج أو يشعر بالمرارة وهو فعل مشتق من اسم هو بمعنى المرارة أو السائل المرارى الاصغر الذى يفرزه الكبد ويختزن بالمرارة، ولكن فى العامية المصرية فإن «مناخوليا» تعنى بشكل عام الجنون أو الحماقة وفقدان الأتزان.

- «الهلوسة» وهى مرض نفسى يعنى الهذيان وهى كلمة مأخوذة من فعل يونانى هو  $\alpha\lambda\upsilon\omega$  أو  $\alpha\lambda\upsilon\sigma\sigma\omega$  بمعنى يتشتت أو يضطرب ويصبح فى حيرة من أمره.

- «هستيريا»  $hysteria$  وهى اضطراب عصبى يسبب نوبات عنيفة من الضحك أو البكاء أو يسبب ضروباً من الأمراض الوهمية وفقدان السيطرة على الذات. وهى كلمة مشتقة من كلمة يونانية هى  $\upsilon\sigma\tau\epsilon\rho\alpha$  بمعنى «رحم المرأة» إذ كان يعتقد قديماً أن النساء أكثر انفعالا واستثارة من الرجال بسبب انقباضات وتقلصات الرحم، ومن هنا جاء استعمال لفظ، «هستيريا» للتعبير عن الانفعال الشديد.

- «بارانويا» وهو جنون الاضطهاد أو جنون الشك والارتياب فى الآخرين وهى كلمة يونانية  $\pi\alpha\rho\alpha\nu\omicron\iota\alpha, \text{paranoia}$  بمعنى الإصابة بالخبل والتشوش وهو اسم مشتق من فعل يونانى هو  $\pi\alpha\rho\alpha\omega\omicron\epsilon\omega$  ويعنى أن يفكر المرء بشكل خاطئ ومشوش ويفتقر للحس السليم.

وأخيراً فى هذا المقام مرض عضوى غير نفسى هو من أمراض العيون هو الـ «جولوكوما»  $glaucoma$  أى «المياه الزرقاء» وتراكمها على العين» وهى

مشتقة من صفة يونانية هي γλαυκος بمعنى اللون الأخضر المائل للزرقة أو اللون الرمادى.

تاسعا : الفاظ متصلة بالدين وعلم اللاهوت :

١- بعض المذاهب المسيحية والكلمات المتصلة بالعقيدة المسيحية :

- «كاثوليكي» catholic وهى كلمة يونانية الأصل καθολικος بمعنى «عمومى - عالمى - كونى» بمعنى المذهب الذى يعتنقه الجميع أو الغالبة أو «المذهب السائد» وهذه الصفة مأخوذة أصلا من الظرف καθολου بمعنى «على وجه العموم».

- أرثوذكسى orthodoxy وهى تركيبة مزجية يونانية تعنى «استقامة الرأى» أو «العقيدة القويمة» وهى مركبة من كلمتين يونانيتين هما :

orthos, orthos بمعنى «مستقيم - قويم - صحيح - أصلى»، doxa, δοξα بمعنى «حكم أو رأى أو معتقد».

- «أيقونة» وهى كلمة يونانية هي εικόν εικων,η وتعنى «شبهه - صورة أو تمثال أو أيقونة» والكلمة مأخوذة من فعل يونانى هو εικω , eiko , بمعنى يشبه أو يماثل.

٢- كلمات أخرى متفرقة تتصل بالعقائد والأديان عموما مثل :

- «غنوصى وغنوصية» وهى فى الأصل مفهوم دينى وترتكز على أسطورة الخلاص من الخطيئة وذلك من خلال المعرفة "gnosis, γνωσις" وكان لها أصولها- ربما قبل قيام المسيحية - ولكنها انتشرت فى القرن



الثانى الميلادى واتخذت صورا مسيحية ووثنية . المهم فى هذه النظرية -من حيث اشتقاقها اللغوى - أن الخلاص فيها يعتمد على «المعرفة أو ال gnosis" التى اشتقت منها الغنوصية، وبالتالي فـ «الغنوصى» هو ذلك ال gnostikos γνωστικός أى «العارف أو العليم» و «الغنوصية» هى ال γνωστική , gnostike أى تلك الملكة (وهى الاسم المقدس dynamis, δύναμις التى تصفها هذه الصفة) المعرفية، فهذه الملكة المعرفية أو الطاقة المعرفية (وهى الغنوصية) هى - كم يرى أتباعها- طريق الوصول للخلاص من الخطيئة.

- «ناموس» بمعنى الشريعة أو القانون ربما كان مأخوذا من الكلمة اليونانية nomos νόμος بمعنى العادة أو العرف أو القانون أو المرسوم.

- «مجوس» أخذ الأغريق هذه الكلمة بالتأكيد عن الفرس وصارت مستعملة فى لغتهم فالـ Magos , magos عند اليونان هو ذلك الحكيم من العرافين الفرس الذين كانوا يقومون بتفسير الأحلام أو السحر ومن هنا أتت كلمة magic فى الإنجليزية.

- كما نجد كلمة «قربان» مستخدمة فى اللغة اليونانية -korban , κορβαν بنفس معناها المؤلف لدينا بمعنى هبة أو نذر يقدم تقربا إلى الإله. ولكن تذكر المعاجم اليونانية أن هذه الكلمة «عبرية» لا تصرف وإنما تظل كما هى فى جميع حالات الإعراب - عكس القاعدة بالنسبة للأسماء اليونانية.

- وأخيرا - فى هذا الصدد - فلنتأمل وجه الشبه الكبير بين كلمة حج وحاج فى العربية وبين كلمة يونانية هى hagos, ἄγος, το بمعنى «أمر

مقدس جليل فيه رهبة وخشية دينية» وإذا حذفنا نهاية الكلمة وأبقينا جذرها فقط لصارت «حج hag» فما أقربها من «حج»!.

- والصفة من هذا الاسم هي hagnos, αγνος وإذا ما اتصف بها شخص فهو ذلك «الطاهر التقى الورع» وإذا ما أبقينا على جذر الكلمة دون نهايتها في hagn فما أشبهها بـ «حاج»!.

ومن الجدير بالتنويه في ختام البحث أن الألفاظ والاصطلاحات المشتركة بين اليونانية والعربية تنقسم إلى قسمين :

١- قسم من الألفاظ الاصطلاحية اليونانية الأصل سواء كانت بسيطة أو مركبة تركيباً مزجياً وهذه دخلت إلى العربية من خلال اللغات الأوربية الحديثة التي تأثر بها اللسان العربى في مجالات الحياة التخصصية المختلفة. فالألفاظ واصطلاحات أسماء العلوم، والسياسة، ونظم الحكم، والأجهزة والوسائل السمعية والبصرية والصوتية، والكلمات المعبرة عن الفنون، وأسماء الأمراض (لأسيما النفسية)، ومعظم الألفاظ المتصلة بعلم اللاهوت المسيحى والمذاهب المسيحية - مما ذكرناه أعلاه - هي ألفاظ يونانية الأصل ومقطوع بنسبتها لليونانية . ويضاف لهذه الألفاظ التخصصية اليونانية بعض الألفاظ الشائعة مثل : جمنازيوم - سمبوزيوم - بلازما - بلاستيك - بلاستر - ثرمومتر .... الخ.

٢- قسم ثان من الألفاظ المتشابهة أو المتطابقة بين اليونانية والعربية والتي لم تدخل للعربية من بوابة اللغات الأوربية الحديثة بل أنها موجودة في النصوص اليونانية والعربية القديمة من أمثال :

(أ) الكلمات العادية من أسماء وأفعال مثل : أثير - أكمة - زوج - دين - متر - كى - نوتى - سيف - برج - رى - قلم - سيما - ثور - خير - تراخى - اسفنج .

(ب) أسماء بعض المعادن مثل : ألماس (أدماس فى اليونانية) - مرمر - قصدير - اليكترون .

(ج) أسماء بعض الحاصلات مثل : قنب - قرطم - لوتس - مر - لبان - ملوخية - سمسم .

(د) أسماء وصفات تتعلق بالدين والشريعة مثل : ناموس - حج .

أمثال هذه الألفاظ من الصعب القطع بأصلها ومن كان الأسبق باستخدامها هل هم العرب أم اليونان، وبالتالى من الصعب تحديد من الذى أخذها عن الآخر. فالاحتمالان مفتوحان - على الأقل بالنسبة لى كغير متخصص فى علم اللغة - ولربما كان لعلماء اللغة (سواء فى العربية أو اليونانية) قول آخر أو اجتهد مغاير . وربما لعبت الصدفة دورا فى تشابه بعض هذه الألفاظ على الأقل.

وفى نفس هذا المقام فإن هناك من هذه الألفاظ المتشابهة بين اللغتين ما يمكن تحديد هويته وأصله وليس عليه خلاف تقريبا : فآلفاظ مثل : أخطبوط - بربرى - أكاديمية - مغناطيس - بترول - أرخبيل كلمات يونانية الأصل مرتبطة باللغة اليونانية وبعض سمات عربية أو سامية الأصل بشكل واضح حتى إن القواميس والمعاجم اليونانية نصت على أنه مأخوذة من أصول سامية.



العلاقات السياسية بين المسلمين والبيزنطيين  
في عهد الخليفة  
« هارون الواثق »

إعداد

الدكتورة / سامية حماد

مدرس تاريخ العصور الوسطى



## العلاقات السياسية بين المسلمين والبيزنطيين في عهد الخليفة

«هارون الواثق»

وكتورة / ساهبة حامر - مريخ فارغ العصور الوسطى

### مقدمة :

تميزت العلاقات السياسية بين المسلمين والبيزنطيين في عهد الخليفة هارون الواثق بشئ من الركود السياسى والمهادنة نظراً للظروف السيئة التى أملت بالدولتين فقد كانت تلك الفترة هى فترة أقول نجم العباسيين وبداية زوال عصرهم الذهبى المتألق حيث هيمن الترك على مقاليد الحكم والسياسة واضطر الخليفة إلى الرضوخ إلى واقع الأمر، وممالة الترك نظراً للدور العسكرى الهام الذى قام به هؤلاء ضد كثير من خصوم العباسيين وقد ترتب على هذا اضمحلال سطوة الخليفة وضعف شخصيته فى مواجهة الكثير من الاضطرابات التى أملت بدولته. ورغم أن موضوع هذه الدراسة هو البحث فى العلاقات السياسية بين المسلمين والبيزنطيين إلا أننا رأينا ضرورة إلقاء مزيد من الضوء على الأحوال الداخلية فى الدولتين مما كان له أثر مباشر على نهج سياسة الهدنة والمصالحة بين الطرفين. فقد عانى الخليفة هارون الواثق من ثورة بعض الأقاليم ومن تسلط كتاب الدواوين فى دولته حيث هيمنوا على اقتصاد البلاد واستأثروا به، كما اصطدم هارون بعدد كبير من الأئمة بسبب موقفه المتشدد فى قضية خلق القرآن مما أدى إلى انشغاله بكل هذه الأعباء وأهمل عبء الجهاد ضد البيزنطيين فى الوقت

الذى قام فيه الأغالبة ومسلمو كريت بدور رائع متميز فى جهادهم ضد الروم.

أما الدولة البيزنطية فلم تكن أحسن حالاً من المسلمين فقد توفى الإمبراطور ثيوفيل وخلفه فى الحكم ابنه ميخائيل الثالث بوصاية أمه الإمبراطورة ثيودورا. وحين تولى ميخائيل III كان شخصية عابثة ماجنة ترك أمور السياسة والحكم للأوصياء وانغمس فى الملذات والمجون حتى لقب بالسكير وانعكس هذا بوضوح على دولته وتلاقت أهداف الدولتين فى عهد الصلح وتبادل الأسرى. ولم تكن تلك السياسة من صالح نولة العباسيين إذ ازدادت الأطماع الخارجية فيها وبدأ زوال طريق التآلق والنجاح لتشهد تلك الخلافة العظيمة انقسام وانفصال عدد كبير من الدول عنها بالإضافة إلى تزايد خطورة المتريصتين بها، ومنهم أشرس غزاة العصور الوسطى وهم المغول على الأخضر واليابس وقضوا على عالم الفكر والسياسة والثقافة والاقتصاد بل على ينبوع الحضارة الإسلامية بوجه عام.

هذا وقد اختتمنا البحث ببعض الجوانب الشخصية للخليفة هارون الواثق. والأحداث التى أعقبت وفاته.



## هارون الواثق

هو أبو جعفر هارون بن محمد بن المعتصم بن الرشيد الملقب بالواثق، قيل أنه ولد في ١٠ شعبان ٢٠٩هـ / ٦ ديسمبر ٨٢٤م وأمه أم ولد يقال لها قراطيس وهي زومية الأصل.. عهد له أبوه المعتصم بولاية عهده، واعتمد عليه كثيراً في تسيير أمور الخلافة بسبب انشغاله في بناء مدينة سامراء.

وحول ميلاد الواثق اختلفت المصادر فمنهم من يقول أن ميلاده كان عام ٢٠٩هـ، ومنهم من أشار إلى أنه ولد عام ١٩٦هـ / ٨١١م ورأى آخر يقول أنه ولد عام ١٨٦هـ / ٨٠٢م<sup>(١)</sup>، رغم أن ابن دقماق قد أشار إلى أن ميلاده كان عام ٢٠٩هـ / ٨٢٤م إلا أنه عاد ونقض روايته الأولى حول تاريخ ميلاده حيث قال إنه توفي في عام ٢٣٢هـ / ٨٤٦م وله من العمر ستة وثلاثون عاماً فلو كانت وفاته عن هذا العمر فسيكون ميلاده عام ١٩٦هـ / ٨١١م وليس ٢٠٩هـ / ٨٢٤م كما ذكر ابن دقماق وهذا ما أكدته المسعودي والطبري وابن الأثير.. وقد اتفق الجميع حول عام توليه الحكم أنه كان في

---

(١) أم ولد لقب يطلق على الجارية التي تلد ولدًا والمزيد انظر الطبري : (ت ٣١٠هـ) : أبي جعفر بن محمد بن جرير الطبري : تاريخ الدول والملوك، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٨٨؛ ج ٥، ص ٢٧٣؛ ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) أبي الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، الضبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٧، ج ٦، ص ٧٣؛ المسعودي (ت ٣٤٦هـ) : أبي الحسن علي بن الحسين علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، ج ٤، ص ٦٥؛ ابن دقماق (ت ٨٠٩هـ) : إبراهيم بن محمد أيدمر العلاني : الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق د/ عاشور، ص ١١٥، السيوطي (ت ٩١١هـ) : جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، بيروت، ١٩٨٦، الطبعة الأولى ، ص ٣٨٥.

٢٢٧هـ. وله من العمر واحد وثلاثون عاماً وتسعة أشهر<sup>(١)</sup>.

تولى الواثق الحكم بعد وفاة والده المعتصم فى ١٨ ربيع أول سنة ٢٢٧هـ / ٧ نوفمبر سنة ٨٤١م. وقيل أن ولايته كانت فى ٨ ربيع أول عام ٢٢٧هـ، وهناك روايات تشير إلى أن ولايته كانت فى ١٩ ربيع أول ٢٢٧هـ. ٨ نوفمبر ٨٤١<sup>(٢)</sup> عموماً لقد أجمعت المصادر على أن وفاة أبوه المعتصم كانت فى ١٨ ربيع أول ٢٢٧هـ / ٧ نوفمبر ٨٤١م. وأنه تولى الحكم فى نفس يوم وفاة أبيه باعتباره ولى عهده<sup>(٣)</sup>. وقد توفيت أمه قراطيس بمدينة الحيرة<sup>(٤)</sup> فى نفس عام ولايته فى ٤ ذى القعدة عام ٢٢٧هـ / ١٦ اغسطس ٨٤١م. ودفنت فى الكوفة فى دار داود عيسى.

تميز عهد هارون بزيادة نفوذ العنصر التركى فى مجريات الأحداث فقد عين أشناس وهو أحد القادة الأتراك سلطاناً<sup>(٥)</sup>. وألبسه وشاحين (١) للمزيد انظر الطبرى : المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٩٠-٢٩١؛ ابن الأثير : المصدر السابق، ج ٦، ص ٩٢؛ المسعودى : المصدر السابق، ج ٤، ص ٦٥-٦٦.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق، ج ٦، ص ٧٢، السيوطى : المصدر السابق، ص ٣٨٥.  
(٣) (ابن الأثير : المصدر السابق، ج ٦، ص ٢٢٧، ابن كثير (ت ٧٧٤) : البداية والنهاية الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٧٧، ج ١٠، ص ٧٤٢، المسعودى : المصدر السابق، ج ٤، ص ٦٥، محمد الخضرى بك : تاريخ الأمم الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٤٤٨.

(٤) الحيرة : مدينة تقع على تخوم العراق كان يسكنها شعب المناذرة خلفاء الفرس قبل الإسلام وقامت فيها حروب كثيرة من أشهرها موقعة ذى قار التى انتصر فيها المسلمون على الفرس، قيل إنها تبعد عن الكوفة ثلاثة أميال وللمزيد انظر ياقوت الحموى : (ت ٦٢٦هـ) : شهاب الدين أبى عبد الله، معجم البلدان، تحقيق فريد الجندى، بيروت : ١٩٩٠م، ج ٢، ص ٣٧٦-٣٨٠.

(٥) كان الواثق يطلق على أشناس شيخ زمرة الأتراك والسلطان وللمزيد انظر عبد المنعم ماجد : العصر العباسى الأول القاهرة، ١٩٧٠، ص ٤٣٠.

مرصعين بالجواهر وأبقاه فى ولاية المغرب... وهو بهذا يُعد أول حاكم عباسى يمنح هذا اللقب العظيم لقائد تركى ... ولم يصبح الأتراك يحملون ألقاباً عادية مثل الحاجب أو الوزير بل تعدوها إلى السلطنة<sup>(١)</sup>.

وفى هذا دلالة واضحة على فقدان هارون الواثق لكثير من نفوذه وسلطانه لحساب الترك إكراما لأمه وسيراً على نهج أبيه المعتصم<sup>(٢)</sup>. بل يلقى كثير من المؤرخين المسؤولية كاملة على المعتصم والواثق فى تغفل العنصر التركى وتأثيره على مجريات السياسة العباسية، حيث عهد الواثق للقائد التركى إيتاخ بولاية خراسان والسند ودجلة<sup>(٣)</sup>. وهذا سيراً على سنة أبيه المعتصم رغم أنه عاد وعاتب إيتاخ على استبداده بالسلطة<sup>(٤)</sup>. وقد تزايد عدد الأتراك فى عهده وبصورة ملموسة واعتمد عليهم الواثق فى شتى مهام دولته وتدرجياً فقد الواثق مكانته وسلطانه ... حقيقة كان ظهور الأتراك على مسرح الأحداث له دور فعال فى إنهاء الخصومة بين العرب والفرس وإحداث التقارب بين العباسيين والعلويين الذين أظهروا ضيقاً من

---

(١) للمزيد عن هذه الألقاب وغيرها انظر القلقشندى (ت ٨٢١هـ) أحمد بن على القلقشندى : صبح الاعشى فى صناعة الإنشاء تحقيق د/ يوسف طویل، ١٤ جزء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧، ج ٩، ص ٢٧٠.

(٢) الطبرى : المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٧٣، إبراهيم ايوب (دكتور) : التاريخ العباسى السياسى والحضارى، الطبعة الأولى بيروت، ١٩٨٩، ص ٩٧.

(٣) الطبرى : المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٧٤، ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٦، ص ٧٩، ابن كثير، المصدر السابق، ج ١٠، ص ٧٤٥، السيوطى : المصدر السابق، ص ٢٨٥.

(٤) محمد جمال الدين سرور (دكتور) : تاريخ الحضارة الإسلامية فى المشرق ، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٢٥-٢٦ وأيضا ماجد : المرجع السابق، ص ٤٣٠.

هذا النفوذ التركي المتزايد فأدى ذلك فى النهاية إلى إضعاف الخلافة وتقليل قدرتها فى الهيمنة على مقاليد الحكم، وانسلاخ الدول والأقاليم عن سلطتها فظهرت الدولة الصفارية والسلمانية والغزنوية وغيرها فى المشرق وال طولونية والأخشيدية ثم الفاطمية فى مصر والحمدانية فى الشام، فى الوقت الذى لم يقف طموح الأتراك عند حد بل امتد إلى الرغبة فى الهيمنة على مقاليد السلطة والحكم والجيش مبررين ذلك برغبتهم فى التصدى للروم والقضاء على الفتن والاضطرابات الداخلية فى عهد الواثق.

وفى الحقيقة عانى الواثق كثيراً من رد فعل العرب والفرس وتزايد كرههم للترك خاصة بعد أن حرّمهم الواثق من كثير من الأرزاق والعطايا، وفضل عليهم الترك الأمر الذى أوصل كل فئة من هؤلاء إلى أن تعمل لحسابها فى الخفاء معاً زاد الاضطرابات الداخلية وزاد من استبداد الترك بالسلطة لدرجة أنهم وقفوا موقفاً عدائياً من الواثق ولم يبايعوا ابنه محمد بولاية العهد، بل عهدوا لأخيه المتوكل.

عموماً فهذه السياسة القائمة على تفضيل الترك أضعفت الخلافة وهددت عروية الدولة إذ لم يحرص الترك على تعلم العربية أو إتقانها مثلما فعل الفرس من قبل<sup>(١)</sup>. وإنما حرصوا على لغتهم وحافظوا عليها.

ولكن بنظرة محايدة على مسرح الأحداث نجد أن الواثق كان مجبراً على الوفاء للترك بسبب ما قدموه له ولوالده من قبل من خدمات فى المجال

---

(١) للمزيد انظر : محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق، ص ٢٧، أحمد الشامى (دكتور) الدولة الإسلامية فى العصر العباسى الأول، ص ١٦٩ - ١٧٠.

العسكري خاصة يوم عمورية<sup>(١)</sup> فقد كان لهم دور بارز فى موقعة عمورية وحفظت لنا المصادر أسما . عظيمة ومميزة مثل أنشاس والأفشين وإيتاخ<sup>(٢)</sup> فقد عاونوا المعتصم وأخلصوا له فى تلك الحملة ناهيك عن الدور الذى لعبه الأفشين فى القضاء على ثورة بابك الخرمى على عهد المأمون مما زاد من رصيدهم عند الواثق. وزاد أيضاً فى تطلعاتهم للاستئثار بالسلطة حتى لو تطلب هذا عقد تحالفات مع بعض المتمردين والخارجين على الدولة العباسية ولعل هذا هو الذى دعا المعتصم للتخلص نهائياً من الإفشين وعلى الرغم من هذا لم يئأس الترك بل حرصوا على الالتفاف حول الواثق ولم يبرحوا مكان إقامته فى سامراء ليظل كل منهم على مقربة من مركز السلطة ولينالوا منزلة طيبة من نفس هذا الخليفة الجديد . بل وصل بهم الأمر إلى أنهم كانوا يرسلون نواباً عنهم من الولاة إلى الأقاليم والولايات حتى لا يبرحوا العاصمة لما يمكن أن يترتب على ذلك من ضعف سلطانهم أواخر العصر العباسى الأول<sup>(٣)</sup>. وتزايدت سطوتهم فى الدولة حتى أعطوا لأنفسهم مما لأهل العقد والحل خاصة فى مسألة تعيين ولى عهد الواثق فقد رفضوا ابنه محمد ورشحوا أخاه المتوكل وذلك لأن أم المتوكل كانت تركية من خوارزم وليست عربية<sup>(٤)</sup>.

(١) عمورية : مدينة مقدسة لدى الروم بذلوا جهداً كبيراً فى الدفاع عنها ضد المسلمين فهى مسقط

رأس الأسرة الحاكمة آنذاك وللمزيد انظر ياقوت الحموى : المصدر السابق، ج ٤، ص ١٧٨

(٢) ابن كثير : المصدر السابق، ج ١٠، ص ٧٤٥

(٣) الطبرى : المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٧٣ - ٢٧٥. أحمد إبراهيم الشريف وآخر العالم الإسلامى

فى العصر العباسى، الطبعة الخامسة، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٣١٨

(٤) السعوى : المصدر السابق، ج ٤، ص ٨٥، ابن كثير المصدر السابق، ج ١٠، ص ٧٥٧ - ٧٥٨.

ماجد المرجع السابق، ص ٤٣

## الاضطرابات الداخلية وثورة بعض الأقاليم فى عهد هارون الواثق؛

شهد عهد الواثق كثيراً من الاضطرابات والثورات أهمها ثورة عرب الجزيرة خاصة قبيلة بنى سليم من قيس عيلان<sup>(١)</sup>. الذين أحدثوا ذعرا وقلقا فى الطريق إلى المدينة المنورة حيث تسلطوا على الأسواق والأسعار وقتلوا الكثير من العرب عام ٢٣٠هـ / ٨٤٤م<sup>(٢)</sup> مما أحدث كثيراً من الذعر والفوضى فى منطقة الحجاز وعلى الرغم من أن الواثق أرسل جيشا لقمعهم إلا أنه لم يتمكن من ردهم تماما إذ استباحوا القرى وتحولوا إلى قطاع طرق وعبثوا بالأمن فى ربوع البلاد، فاضطر الواثق إلى إرسال جيش آخر بقيادة بغا الكبير (أبو موسى) وقائده طردوش فقاتل بنى سليم وأسر منهم عدداً كبيراً وأجبرهم على مصالحته بعد أن حبس الخطيرين منهم على الدولة وعاد بباقي الأسرى إلى المدينة وحبسهم عام ٢٣٠هـ<sup>(٣)</sup>.

كما حاربت جيوش الواثق قبيلة بنى مرة الذين تغلبوا على فدك وفى البداية فشل الواثق فى قمعهم لأنهم تفرقوا فى الصحارى وشكلوا خطراً جسيماً على دولته إلا أنه تمكن فى النهاية من هزيمتهم كما تمكن من قمع قبيلة بنى نمير وذلك سنة ٣٣٢هـ / ٨٤٦م<sup>(٤)</sup>. الذين كانوا قد عاثوا فى منطقة الحجاز فساداً كبيراً فكلف الواثق بغا الكبير بالسير لهم جهة اليمامة<sup>(٥)</sup>....

(١) ابن كثير : المصدر السابق، ج ١٠، ص ٧٤٧؛ ماجد : المرجع السابق، ص ٤٣٢.

(٢) الطبرى : المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٧٨.

(٣) ابن الاثير : المصدر السابق، ج ٦، ص ٨١.

(٤) ابن كثير : المصدر السابق، ج ١٠، ص ٧٥٥؛ الطبرى : المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٨٨.

(٥) اليمامة : مأخوذة من اسم بلاتر يقال له اليمام، وهى مدينة بينها وبين البحرين ١٠ أيام، وهى معبودة من نجد وقاعدتها حجر وكان اسمها قديماً «جوا» فسميت باليمامة ومنها منازل طسم وجديس وللعزید عنها : انظر ياقوت الحموى : المصدر السابق، ج ٥، ص ٥٠٥.

وقتل عددا كبيرا وأسر الآخرين ثم التقى مع بنى تميم، وكان جيشه يبلغ ألف فارس بينما كانوا هم فى ثلاثة آلاف فارس فجرت بينهم حروب كثيرة انتصر فى النهاية جيش هارون الواثق وتمكن من إعادة الأمن والاستقرار إلى ربوع البلاد. ويقول ابن كثير أن بُغا عاد إلى بغداد ومعه أعيان روعسانهم فى القيد والأسر وكان معظمهم من أكابر تميم وسليم وكلاب ومرة وثلعة وطى<sup>(١)</sup>.

ولعل أخطر المشاكل التى واجهت الواثق كانت من جهة الأردن وكان سببها أبو حرب اليمانى المعروف بالمبرقع<sup>(٢)</sup>. فقد كان مصدر قلق منذ عهد أبيه المعتصم وأحدث فتنة شديدة فى البلاد ... وقد فشل المعتصم فى استئصال شأفته رغم أنه أرسل إليه جيشاً قوياً ضم مائة ألف مقاتل .. وقد تردد جيش المعتصم فى مهاجمته لكثرة عدد أتباعه<sup>(٣)</sup>. ولما تولى الواثق وجه إليه جيشاً آخر بقيادة رجاء بن أيوب ومعه عدد من القواد الترك فأخمد فتنة المبرقع وقتل ما لا يقل عن ألف وخمسمائة رجل من طائفة القيسية، الذين زاد الصراع معهم واصطدامهم مع اليمنية وتمكن من التصدى لهم فى مرج

---

(١) الطبرى : المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٨٨؛ عبد المنعم ماجد : المرجع السابق، ص ٤٢٢.

(٢) سُمى بهذا الاسم لأنه كان دائم التلثم بهذا البرقع ليخفى وجهه عن السلطان بعد أن أتهم بقتل أحد الحراس بجهة الأردن وتمكن من إشعال نار الفتنة فى كل منطقة فلسطين وأرهم الناس أنه السفينى المنتظر للانتقام لبنى أمية من العباسيين وللمزيد انظر ابن الاثير : المصدر السابق، ج ٦، ص ٧٢؛ ابن كثير : المصدر السابق، ج ١٠، ص ٧٤٠؛ حسن إبراهيم حسن : التاريخ السياسى والثقافى والاجتماعى، بيروت، ١٩٦٤، ج ٢، ص ٧٨.

(٣) ابن كثير : المصدر السابق، ج ١٠، ص ٧٤٠.

راهط ثم اتجه ابن أيوب بعد ذلك للمبرقع وتمكن من أسره ونقله إلى سامراء حيث قتل هناك فاستقرت الأوضاع في الشام ثم قام الواثق بتعيين إيتاج والياً عليه ولكنه فضل الإقامة في سامراء مثل غيره من الولاة الترك<sup>(١)</sup>.

### هارون الواثق وموقفه من كتاب الدواوين

حين تولى الواثق حكم البلاد كانت ذكرى نكبة البرامكة<sup>(٢)</sup> ماثلة أمام عينيه، وكان استبدادهم بالأمور المالية للبلاد ليس خافياً على أحد ... وقد تجدد في عهده الكثير من الأقاويل حول إسراف كتاب الدواوين واستبدادهم بالأمور المالية وخاصة بعد أن رأى زيادة ثرواتهم وأملاكهم فجأة وشعر بخيانتهم وإسرافهم في أمور الدولة.. فصادر أملاكهم ويقال إنه ضربهم ألف سوط ويقال أنه سجنهم وعذبهم ليعلنوا عن مصدر ثروتهم، ويحكي عن هارون الواثق أنه جلس ذات ليلة مع بعض سمارة وسئل عن نكبة البرمكة فذكر أن جده هارون الرشيد كان قد أعجب بجارية فساوم سيدها فقال له أمير المؤمنين «... أنى أبيعها لك بمائة ألف دينار فاشتراها منه ثم أمر

---

(١) فازيليف : العرب والروم ، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، مراجعة د. فؤاد حسين على ، بطرسبرج ١٩٠٠، ص ١٧٥. ابن الأثير : المصدر لسابق، ج ٦، ص ٧٣، ابن كثير : المصدر السابق، ج ١٠، ص ٧٤٨، ماجد : المرجع السابق، ص ٤٣٤.

(٢) أثبت العديد من الأقاويل حول نكبة البرامكة ومنها قصة العباسة أخت هارون الرشيد، واستبدادهم بالمال والسلطة، وقبل أنهم كانوا يميلون لعادات مجوسية مثل إشعال البخور والنار في المساجد إلى آخر الروايات، وحول أسباب نكبتهم بالتفصيل في عهد هارون الرشيد انظر ابن كثير : المصدر لسابق، ج ١٠، ص ٣٦٣، ٦٤٤ - ٦٤٥، على إبراهيم حسن : التاريخ الإسلامي العام، القاهرة، ١٩٧١، ص ٥٦٦.



سحى ابن خالد بن برمك أن يرسل له المال فاعترضها لست عنده فتعذر الرشيد هل حقا أن بيت مالى حال فأرسل الرشيد إليه يؤنبه ويقول «أما فى بيت مالى مائة ألف دينار» ثم بدأ يتتبع أموال بيت ماله فوجد أن البرامكة قد استولوا عليه فأخذ يترقب تصرفاتهم ومصادر أملاكهم وبدأ التنكيل بهم<sup>(١)</sup>، هذا سبب بالإضافة إلى العديد من الأسباب الأخرى عن نكبة البرامكة ... وأعجب الواثق بسياسة جده وقرر أن يسير على نهجه وترقب عماله ووجد أن أموالهم لا تتفق مع قيمة الأرزاق التى يحصلون عليها فاعتبرهم خونة ويطش بهم<sup>(٢)</sup>. هم داخل الدواوين وكان هارون الواثق يردد دائما مقولة حفظها عن جده فى هذه المناسبة «إنما العاجز من لا يستبد»<sup>(٣)</sup>.

### هارون الواثق وموقفه من مسألة خلق القرآن

لقد شارك الواثق أباه فى ميوله المذهبية وآرائه الفلسفية وتشدد فى نشر آرائه الخاصة بمسألة خلق القرآن مما أثار عليه مشاعر أهل بغداد الذين سخطوا عليه وتآمروا على قتله، فقد أمر الواثق أمير البصرة أن يمتحن الأئمة والمؤذنين فى مسألة خلق القرآن وهذا هو نهج أبيه من قبل ولكن أدى ذلك إلى إثارة مشاعر الناس ضده وكان أكثرهم ثورة أحمد بن نصر الخزاعى<sup>(٤)</sup>. وهو من أهل الحديث وكان قائماً بالأمر بالمعروف والنهى

(١) ابن كثير : المصدر السابق، ج ١٠، ص ٧٤٨

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق، ج ٦، ص ٧٩. محمد الخضرى المرجع السابق ص ٢٥٢

(٣) ابن الأثير نفس المصدر ص ٨٠ ابن كثير المصدر السابق، ص ٧٤٨

(٤) للمريد عن شخصية أحمد بن نصر الخزاعى انظر ابن كثير المصدر السابق، ج ١٠، ص ٧٥

عن المنكر وساعده فى دعوته رجلان من أهل بغداد هما أبو هارون السراح وكان يدعو أهل الجانب الشرقى والآخر طالب ويدعو أهل الجانب الغربى<sup>(١)</sup>. وقد أمر الواثق بإلقاء القبض على أحمد بن نصر الخزاعى فأحضر مقيداً وسأله عن القرآن فقال له كلام الله وكان أحمد قد استتقل وتطيب<sup>(٢)</sup>. فقال له الواثق : أمخلوق هو ؟ قال هو كلام الله. فقال له : وماذا تقول فى ربك أترأه يوم القيامة؟ فقال: يا أمير المؤمنين قد جاءت الأخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : «ترونها يوم القيامة كما ترون القمر لا تضامون فى رؤيته» فنحن على الخبر.

وقال تعالى «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة»<sup>(٣)</sup>. فقال الواثق ويحك أيرى كما يرى المحدود الجسم ؟ ويحويه مكان ؟ ويحصره الناظر؟ إنما كفرت برب صفته ما تقولون فيه. وكان الواثق متشدداً فى رأيه بخلق القرآن بدون دليل ولا برهان ولا سنة ولا قرآن<sup>(٤)</sup> وفى نفس الوقت الذى أصر فيه الخزاعى على أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق فى أشياء كثيرة<sup>(٥)</sup>. وقد أخذ الواثق رأى الفقهاء فى أمر أحمد الخزاعى فقالوا: له

(١) ابن كثير : المصدر السابق، ج ١٠، ص ٧٥٠، السيوطى : المصدر السابق، ص ٣٨٥، الطبرى : المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٣١.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق، ج ٦، ص ٨٧.

(٣) السيوطى : المصدر السابق، ص ٢٨٥، ابن الأثير : المصدر السابق، ج ٦، ص ٨٦، الطبرى : المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٣١.

(٤) ابن رسل (ت ٧٧٨هـ) عباس بن مجاهد بن على بن يوسف بن عمر : نزهة العيون فى تاريخ الطوائف القرون، مخطوط بمكتبة جامعة الإسكندرية - رقم ١١٢٩ لوحة ٩ ب، بن الأثير: المصدر السابق، ج ٦، ص ٨٦.

(٥) ابن كثير : المصدر السابق، ص ٧٥٠، عبد المنعم ماجد : المرجع السابق، ص ٤٣٤

حلال الضرب فدعا بالسيف وقال إذا قمت إليه فلا يقوم من أحد معي فأبى  
أحتسب خطاي إلى هذا الكافر الذى يعبد ربا غير الذى نعبد ولا نعرفه  
بالصفة التى وصفه بها ثم أمر بالنطع<sup>(١)</sup>، فأجلس عليه وهو مقيد وضرب  
عنقه وسقط صريعا- ثم حمل بعد أن فصلت رأسه عن عنقه وحمل إلى  
الخطيرة التى صلب فيها بابك الحزمى<sup>(٢)</sup>، ثم حملت رأسه إلى بغداد وظل  
أياماً فى الجانب الشرقى وأياماً فى الجانب الغربى وعنده الحرس ليلاً  
ونهاراً وقد كتب على رأسه هذه رأس الكافر المشرك أحمد بن نصر  
الخزاعى ممن قتل على يد عبد الله هارون الإمام الواثق بالله أمير المؤمنين  
بعد أن أقام عليه حجة خلق القرآن ونفى التشبيه.

ويقال أنه عرض عليه التوبة، والرجوع إلى الحق فأبى إلا المعاندة  
والتصريح<sup>(٣)</sup>، والجدير بالذكر أن مسألة خلق القرآن هذه كانت سبباً فى

---

(١) النطع هو عبارة عن جلدة ملتزمة بعظم الخلفاء فيها أثر كالخنزير وقيل النطاع هو يوم من أيام  
العرب . . وربما المقصود به الخشبة التى توضع أسفل المشتقة فى وصفنا الحال والمزيد انظر  
ابن منظور (ت ٧١١هـ) جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب دار المعارف بدمشق  
تاريخ، ج ٦، ص ٤٤٦٠ - ٤٤٦١.

(٢) بابك الحزمى هو مؤسس الحركة الحزمية وهى حركة زندقة والمادة تنادى بتناسخ الأرواح من  
الحيوان إلى الإنسان وقد ظهرت فى عهد الأمين وله آراء خطيرة فى إشاعة اللذات وشيوع النساء  
والمزيد انظر عبد الرحمن العمرو (دكتور) : أثر الفرس السياسى ، الطبعة الأولى ١٩٧٨، ص  
٢٧٠ - ٢٩٨.

(٣) يقال أن رأس الخزاعى ظلت معلقة سنتين إلى أن تول المتوكل فأنزلها ودفنها والمزيد انظر ابن  
كثير : المصدر السابق، ج ١٠، ص ٧٥٢، السيوطى : المصدر السابق، ص ٢٨٦، ابن الأثير :  
المصدر السابق، ج ٦، ص ٢٢١، الطبرى : المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٨٢، ماجد : المرجع  
السابق، ص ٤٢٩.

معاقبة الإمام أحمد بن حنبل صاحب المذهب الحنبلي المشهور وذلك في عهد الخليفة المعتصم بالله لدرجة أنه ضرب بالسوط لرأيه في هذه المسألة ورغم أن المعتصم قد خفف من موقفه تجاه هذه القضية إلا أن الوثائق أعاد للأذهان تعنت بني العباس مع غير القائلين بخلق القرآن مما زاد من كراهية الناس له خاصة بعد أن تتبع كل أنصار الخزاعي وسجنهم وقطع عنهم الأرزاق. وفي هذا الصدد يضيف أبو الفداء «أنه في عهد الوثائق لم يترك أحد حتى أخذ بمحنة خلق القرآن، فهرب الناس وملئت السجون، وحتى الذين اقتداهم الوثائق من أسارى المسلمين عند الروم امتحنوا في ذلك. ومن قال بعدم خلق القرآن يترك للروم دون اقتداء وامتدت المحنة إلى كافة الولايات بما فيها مصر حيث اضطهد الفقهاء فيها من أصحاب مالك والشافعي وكان يطوف رجل الشوارع وهو ينادى بخلق القرآن<sup>(١)</sup>.

كانت هذه لمحة سريعة عن المشاكل التي واجهت الدولة العباسية في عهد هارون الوثائق والتي شغلته فترة من الزمن مما كان له أثر مباشر على العلاقات الخارجية مع بيزنطة.

---

(١) أبو الفداء ، ص ٣٨ : ابن كثير، المصدر السابق، ج ٨٠، ص ٣٠٢ : الطبري: المصدر السابق، ص ٢٨٤ : ابن الاثير : المصدر السابق، ص ٢٣٦.

## السياسة الخارجية لهارون الواثق

### علاقته بالدولة البيزنطية

تميزت العلاقات السياسية بين الواثق والروم بالهدوء النسبي فلم تشر المصادر إلى أى غزوات قام بها بنو العباس ضد الدولة البيزنطية حيث يرجع المؤرخون أن هذه هى الفترة التى انتهت فيها فروسية بنى لعباس أو خفت حدتها، بل أن البعض يقول إن الواثق كان يميل إلى الروم باعتبار أن أمه قراطيس كانت رومية الأصل مما جعله يعزف عن معادتهم إكراماً لها، فى حين يرى البعض الآخر أن هذا يرجع إلى انشغال الخلافة العباسية فى مشاكلها الداخلية وما نхим عليها من جمود وتقاعس خاصة فى آسيا الصغرى. فى الوقت الذى لم تكن فيه الإمبراطورية البيزنطية أحسن حالاً من المسلمين فقد مات الإمبراطور ثيوفيل ٢٢٧هـ / ٨٤٢م<sup>(١)</sup>. وورث الحكم ابنه الوحيد ميخائيل الثالث وكان طفلاً فى الثالثة من عمره وترك الوصاية لأمه الإمبراطورة الشابة ثيودورا<sup>(٢)</sup>، التى أعلنت سياسة دينية مناقضة تماماً

---

(١) Zonarae, J, Opera Omina, H.C.D. in partrologiac Craecae, Tomus, (١) 135, Belgium pp. 52-54.

انظر أيضاً : فازيليف : العرب والروم، ترجمة محمد عبد الهادى شعيرة، مراجعة/ فؤاد حسنين على طبعة دار الفكر العربى، بطرسبرج ١٩٠٠، ص ١٦٩.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق، ج ٦، ص ٧٢؛ ابن كثير : المصدر السابق، ج ١٠، ص ٧٤٢؛ انظر أيضاً : أومان : الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة د/ مصطفى طه بدر، دار الفكر العربى، ١٩٥٦؛ ص ١٦٥، والجدير بالذكر أنه فيما يتعلق باسم ثيودورا فقد اختلفت المصادر العربية فى اسمها فأحياناً تذكر ثيودورا أو ثودرة.

لسياسة زوجها. فقد قضت على الاضطهاد الدينى وأعادت كل المنفيين من أماكن نفيعهم وعزلت البطريرك يوحنا النحوى محطم الأصنام فى عهد ثيوفيل ولم يمض على وفاة ثيوفيل شهرٌ واحدٌ حتى عادت الأيقونات إلى حوائط جميع كنائس القسطنطينية. مما فتح الباب من جديد لحرب دينية لا تنقطع داخل البلاد<sup>(١)</sup>. ولكن هذا لا يمنع من وجود صور عديدة للاحتكاك العسكرى بين الروم والمسلمين<sup>(٢)</sup>. حيث قام الروم بمهاجمة جزيرة كريت أقرب المعاقل الإسلامية من حدود بيزنطة<sup>(٣)</sup>. ففى مارس ٨٤٢م / ٢٢٨هـ قاد الوزير البيزنطى ثيوكتستوس حملة بحرية ضخمة لمهاجمة كريت وقد أراد ثيوكتستوس من ورائها تحقيق مجد سياسى وعسكرى لنفسه أولاً. حيث تقدم فعلاً نحو كريت ولم يلقى مقاومة تذكر<sup>(٤)</sup>. ونزل على شواطئ المدينة واحتل جزءاً من الجزيرة وأقام فيها إدارة بيزنطية تابعة له. وكادت أن تنجح خطته فى ابتلاع كريت لولا قيام أهل الجزيرة بخدعة لانقاذ مدينتهم إذ أشاعوا

(١) أومان : المرجع السابق، ص ١٦٥ - ١٦٦ : محمود سعيد عمران (دكتور) معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، بيروت، ١٩٨١، ص ١٢١ : جوزيف نسيم يوسف (دكتور) : تاريخ الدولة البيزنطية ، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦، ص ١٤٢ : أسد رستم : حرب فى الكمناس ، بيروت، ١٩٥٨، ص ٥٨ - ٥٩ : أحمد الشامى : المرجع السابق، ص ١٧٠ : ماجد : المرجع السابق، ص ٤٢٤.

Grenier, P. L'empire Byzantin, Paris, 1904, P. 162. (٢)

Baynes and Moss Byzantium, An Introduction to East Roman Civilization, London, 1926, p. 20. (٣)

Monachus, G. Monachus, Vita Recentiorum Imperatorum, In theophanes cont. C. S.H. B, (-1828), p. 814; C also : Jenkins, R, Byzantium, the imperial Centuries, London, 1966, p. 157. (٤)

داخل كريت ووسط الجيش البيزنطى أن الإمبراطورة ثيودورا قد جعلت من أحد منافسى ثيوكتستوس شريكاً لها فى الحكم وأنها أبعدته متعمدة ليخلو لها الجو فأسرع ثيوكتستوس بالعودة إلى القسطنطينية<sup>(١)</sup>، مما أعطى الفرصة للمسلمين من تدمير أسطوله تماماً رغم انشغال أسطول كريت بحروبه فى بحر إيجه ضد السواحل والجزر البيزنطية<sup>(٢)</sup>.

وفى الحقيقة فقد وقع عبء الجهاد ضد البيزنطيين على دولة الأغلبية<sup>(٣)</sup>، حيث تولى إبراهيم بن أحمد بن الأغلب مهمة الجهاد وجهز الجيوش والسرايا التى لم تتوقف طيلة عهده الذى امتد تسع عشرة سنة. ففى عهده فتحت مدينة هامة بجوار بلرم<sup>(٤)</sup> وهى مدينة مسينة أو مسيني<sup>(٥)</sup>

Symeon Magistre Historia, Chronographia, In Theophanes Cont, (١) C.S.H.B, ed. 1. Bekker, Bonn. 1838, pp. 1-484; Theophanes Cont, op. cit. p. 203; Monachus, op. Cit. pp. 814-815; cf. Also, Fin Lay, History of the Byzantine Empire, London, 1906, p. 166; Bury, History of Eastern Roman Empire, London, 1912, p. 292; Foord, The Byzantine Empire, London, 1911, p. 231.

(٢) إبراهيم العلوي (دكتور): الأساطيل العربية فى البحر المتوسط، القاهرة، ١٩٥٧، ص ١٠٢؛ فازيليف: العرب والروم، ص ١٧٢.

(٣) مؤسس هذه الدولة هو إبراهيم بن الأغلب على عهد الخليفة هارون الرشيد حيث أرسله إلى تونس لقمع ثورات البربر والادارسة فاستولى عليها وأزال ملك العباسيين إلا اسم الخلافة وللمزيد انظر حسن إبراهيم: المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٩٦.

(٤) بلرم: هى عظم مدن جزيرة صقلية فى بحر المغرب لها سور شاهق وبها العديد من الشوارع الضخمة الواسعة وبها عشرة مساجد وللمزيد انظر ياقوت الحموي: المصدر السابق ج ١، ص ٥٧٢.

(٥) مسينة: بلدة تقع على ساحل صقلية مما يلى الروم مقابل ريو وهى بلد فى القسطنطينية والواقف فى مسنى يرى ريو، قيل أن طولها ٣٩ درجة وعرضها ٢٨ وللمزيد انظر ياقوت الحموي: ج ٤، ص ٤٤٦. انظر كذلك ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٤، ص ٤٣١ دار الكتاب اللبناني ١٩٦٨.

Measana عام ٢٢٨هـ / ٨٤٣م وهى مدينة هامة بها ميناء يقع على مضيق مسينى فى رأس الجزيرة ويحيط بها الجبال جهة الغرب، وبداية غزو مسنى كان بحملة قام بها الفضل بن جعفر الهمدانى وكانت حملته برية وبحرية بهدف الاستيلاء على مسينى. وفعلاً نزل فى مرسى مسينى وغنم غنائم كثيرة<sup>(١)</sup>. كما استأمن أهل نابل<sup>(٢)</sup> وصاروا معه ولكنه لم يتمكن من أخذ مدينة نابل<sup>(٣)</sup> لقوتها، وفى الحقيقة تشير بعض المصادر إلى أن أهل نابل هم الذين سعوا لعقد تحالف مع الفضل الهمدانى، ورغم عدم وضوح الدوافع لهذا الحلف<sup>(٤)</sup> إلا أن الروايات العربية تشير إلى أن نجاح قوات الأغالبة فى دخول حدود مسينا هدد جنوب إيطاليا بأكمله وأجبر نابلى على طلب الصلح حيث كانت تعاني من الصراعات العنيفة مع جيرانها مما كان له أثر خطير فى طلب التحالف مع المسلمين بعد تخلصها من الخطر اللمباردى .. فى حين يذكر ابن الأثير أنهم اضطروا لعقد الصلح حيث كلف الفضل مجموعة كبيرة من رجاله استدأروا خلف جبل مطل على نابلى وصعدوا إليه ونزلوا إلى المدينة وأهل البلد مشغولون بقتال جعفر فلما رأوا ذلك فتحوا أبواب المدينة

(١) ابن الأثير : المصدر السابق، ج ٦، ص ٧٥؛ انظر أيضا.

(٢) Ostogosky, G, History of the Byzantine State, translated by Joan Hussery, Oxford, 1956, p. 195. Bury, op. cit., p. 313;

(٣) كانت مدينة نابلى شديدة الحصانة وهى تابعة لإيطاليا وقيم فيها الشريف، ومنها كان يحكم صقلية فإذا وصل الشريف إليها يغادرها نوقها إلى صقلية وللمزيد عنها انظر : قسطنطين السابع إدارة الإمبراطورية البيزنطية، عرض وتحليل د/ محمود سعيد عمران، بيروت، ١٩٨٠، ص ١٠١.

Bury. Op. Cit., P. 313;

(٤)

انظر أيضا : ابراهيم العدوى : المرجع السابق، ص ٧٩ - ٨٠.



وعقدوا الصلح قهراً وليس رغبة منهم كما أشارت بعض الروايات<sup>(١)</sup>.

بعد ذلك تقدم الفضل وحاصر مدينة مسكان واستولى عليها، كما هاجم الأغالبة مدينة شرة<sup>(٢)</sup>. فقاتله أهلها قتالاً شديداً، ولكن صمد المسلمون وهزموا الروم فيها وقتل منهم ما يزيد عن ١٠,٠٠٠ رجل واستشهد من المسلمين ثلاثة ويقول ابن الأثير أنها كانت مدينة قوية لم يكن بصقلية مثلاً<sup>(٣)</sup>.

وقد ظل الفضل بن جعفر يحكم خططه لإسقاط مسيني ففي عام ٢٣٢هـ / ٨٤٧م وصلته أنباء أن أهل تلك المدينة تحالفوا مع بطريك صقلية لينصرهم على المسلمين فقال لهم : سأتى إليكم بجيوش والعلامة لوصولي أن توقد النار ثلاث ليال على الجبل الفلاني<sup>(٤)</sup>. فإذا وصلت تكاثفت جيوشكم معي ونزلنا على المسلمين بغتة، فلما علم الفضل أرسل من أوقد النار ثلاث ليال، وأعد خطة عسكرية لملاقاة أهل المدينة ليونيتتى<sup>(٥)</sup>. ومسيني الذين خرجوا للقتال فلم يجدوا سوى المسلمين وانتظروا وصول البطريرك واشتدت

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق، ج ٦، ص ٧٥؛ انظر أيضاً.

Ostrogosky, Op. Cit., P. 157-158.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق، ج ٦، ص ٦٥.

Bury, Op. Cit., P. 157-158

(٣)

وانظر ابن خلدون : العبر ، ج ٤، ص ٤٣١.

(٤) فازيليف : العرب والروم، ص ١٨١.

(٥) مدينة هامة تقع في القسم الشرقي من الجزيرة بين قسطنطينيا وسرقوسة للمزيد انظر فازيليف :

العرب والروم، ص ١٨١.

الحرب وهزم أهل مسيني فرقة صغيرة من المسلمين وكانت خطة الفضل استدراك باقى جيوش مسيني، وخرج كل أهالى المدينة فطوقوا من قبل المسلمين وأعمل السيف فيهم. فطلبوا الأمان على أنفسهم. وأجابهم المسلمون إلى ذلك وسلموا المدينة<sup>(١)</sup>. وقد أقام المسلمون فترة بمدينة تسمى طارنت من أرض انكبردة<sup>(٢)</sup>. وسكنوها. وكانت هذه ضربة قاصمة للإمبراطورة ثيودورا وسياستها الفاشلة ناهيك عن مؤامرات وفسائس القصر الإمبراطورى.

كما هاجم أسطول الأغالبة مدينة قلورية<sup>(٣)</sup>. جنوب إيطاليا<sup>(٤)</sup>. وتمكنوا من مهاجمة مراكز عديدة فيها واستولوا على كثير من المدن والحصون منها

---

Bury, Op. Cit., PP. 306-307; CF. Also; Bay nes and Moss, Op. Cit., (١) PP. 18-19.

وأبضا لويس ارشيبالد : القوى البحرية والتجارية فى البحر المتوسط (٥٠٠-١١٠٠م) ترجمة أحمد محمد عيسى ، مراجعة محمد شفيق غبريال، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٢١٤؛ أحمد رمضان (نكتود) : تاريخ فن القتال البحرى فى البحر المتوسط فى العصر الوسيط، مطبعة هيئة الآثار، ص ٢٢ وللمزيد عن مراحل الصراع بين أهل مسيني والفضل بن جعفر أنظر ابن الاثير : ج ٦، ص ٧٥-٧٦.

(٢) انكبردة : بلا واسعة للفرنج ما بين الأندلس والقسطنطينية على طرف بحر الخليج بمحاذاة جبل التل وتمر على محاذاة ساحل المغرب شرقاً إلى أن تتصل ببلاد قلورية وللمزيد انظر ابن الاثير : المصدر السابق، ج ٦، ص ٧٦، فازيليف : العرب ولروم : ص ١٨٠؛ إبراهيم العلوى : الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، ص ٩١. وانظر ابن خلدون : العبر المجلد الرابع ص ٤٣٦.

(٣) قلورية : جزيرة تقع شرقى صقلية نخلة فى البحر على شكل مستطيل من أشهر مدنها قسانة وقطر ونية وستانة وبها جنسبىات مختلفة وللمزيد عنها انظر ياقوت : المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٤٦.

Bury, Op. Cit., P. 316.

(٤)

بارى<sup>(١)</sup> Barium. وكانوا قد أغاروا عليها من قبل وأعطت لهم القدرة على التحكم فى مدخل بحر الأدرياتيك<sup>(٢)</sup>. أو ما يسميه العرب بخليج البنادقة نسبة إلى مدينة البندقية. وقد حاول البنادقة إيقاف هذا الزحف فاستعانوا بالروم<sup>(٣)</sup>. وأغاروا على سفن الأغالبة ودارت معركة حاسمة انتصر فيها الجيش العربي على جيش الروم والبنادقة وهلك الكثيرون.

ورغم أنه قد سبق وسلم له أهل مدينة نابلى<sup>(٤)</sup>. إلا أنهم سرعان ما أعلنوا التمرد على المسلمين بسبب استخدام سواحلهم كقواعد لأسطولهم الأمر الذى دفع بنابلى إلى التحالف مع باقى المدن الإيطالية المجاورة وكونوا أسطولا ضخما لمقاومة خطر المسلمين<sup>(٥)</sup>. فلم يطل خضوع أهل نابلى للمسلمين بسبب ذلك الحلف العسكرى الضخم الذى أجبرهم على التخلي عن مواقعهم بسواحل المدينة.

وفى عام ٨٤٦م / ٢٣١هـ أغار الأغالبة على مدينة روم التى كانت تتمتع بحصانة شديدة<sup>(٦)</sup>. وكان يحيط بها عشرة أبواب ضخمة من الرخام

---

(١) Bury, Op. Cit., PP. 313- 316.

(٢) أشار فازيليف إلى تردى أحوال الإمبراطورية وفشل ثيودورا فى إنقاذ الموقف ضد عرب صقلية "مما دفعهم إلى الصلح والمهادنة مع المسلمين انظر فازيليف : العرب والروم، ص ١٣٥. وواصل الأغالبة أغاراتهم على قلورية وما حولها انظر ابن خلدون : العبر : المجلد الرابع ص ٤٣٣.

(٣) أشار بيورى إلى عقد أحلاف عسكرية بين البنادقة والروم منذ أمد بعيد وللمزيد انظر : Bury, Op. Cit., PP. 325-326.

(٤) ابن كثير : المصدر السابق، ج ١٠، ص ٧٨٨.

(٥) فليب حتى : العرب تاريخ موجز، بيروت، ١٩٤٦، ص ٢٠٢ : فازيليف : العرب والروم، ص ١٨٥.

(٦) Foord, Op. Cit., P. 231.

الأبيض وتعلوها الأعمدة ويكثر فيها الكنائس<sup>(١)</sup>. وأشهرها كنيسة طولها ألف ذراع فى خمسمائة وعرضها مائتى ذراع ويرجح أنها الفاتيكان مركز البابوية ويوجد بها قبر الحواريين بطرس San Peter وبولس San Pools ويقال أنهما مدفونان فى أجران من الرخام الأبيض بحيث يراهم الناس<sup>(٢)</sup>. وتشير المصادر إلى أن الأغلبية فى غزوهم لروما اتجهوا أولا نحو سردينيا<sup>(٣)</sup>. وجعلوا منها قاعدة عسكرية دائمة لهم. ومنها اتجهوا شمالاً بحذاء الساحل الإيطالى واكتسحوا فى طريقهم عددا من الموانى الهامة ودخل أسطولهم نهر التيبر الذى يشق روما ويسمى أيضا نهر رومية ويطلق عليه فى بعض المصادر نهر قسطنطين<sup>(٤)</sup>. وتشير بعض الروايات إلى أن العرب دخلوا روما نفسها وأحرقوا المدينة ونهبوا ذخائرها<sup>(٥)</sup>. وعبثوا بقبر القديس بطرس بولس وقبور البابوات وأثاروا الذعر فى المدينة<sup>(٦)</sup>. ويشار أيضا إلى أن العرب قاموا بحملة أخرى أكثر إعداداً وتنظيماً ونزلوا فى

(١) Bury, Op. Cit., P.314.

(٢) Bury, Op. Cit., P.314.

انظر : أيضا فازليف : العرب والروم ، ص ١٨٥ .

(٣) سردينيا جزيرة كبيرة فى بحر المغرب أكبر من صقلية وأقريطش غزاها المسلمون وملكوها سنة

٩٢هـ واستفاد منها الأغلبية فى غزواتهم وهى الآن بيد الفرنج وقيل أن سردينيا مدينة أخرى داخل

صقلية وللمزيد انظر ياقوت : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣٦ .

(٤) Decline, 6, pp. 42-45.

وأيضا فازليف : العرب والروم ، ص ١٨٥ .

(٥) Foord, Op. Cit., P. 231.

(٦) Bury, Op. Cit., P.315.

ميناء أوستيا Ostia قرب روما<sup>(١)</sup>. حيث التقى أسطولهم بأسطول الروم. ويقال أن جنوا وبيزا والبندقية وقفت إلى جانب البابا هذه المرة. حيث كان هذا مقدمة لأحلاف عسكرية عقدتها هذه المدن مع الإمبراطورية أيضا<sup>(٢)</sup>. وقد كان من سوء حظ المسلمين أن هبت عاصفة قوية دمرت بعض مراكب العرب فهزموا واضطروا إلى الانسحاب<sup>(٣)</sup>. وقد بالغ أهل روما في الاحتفال بانتصارهم على العرب في هذه الموقعة لدرجة أنهم قاموا بعمل احتفال ضخم للقديسين علقوا فيه أسلحة العرب حول المذبح<sup>(٤)</sup>. وصورت هذه الأحداق في لوحة معلقة في كنيسة الفاتيكان بريشة الفنان الإيطالي رفايللو ورغم هذا فلم يأمن الروم خطورة العرب واستعدادهم لمعاودة الكرة رغم الهزيمة فتشير المصادر إلى أن البابا يوحنا الثامن John VIII<sup>(٥)</sup>. أراد أن يبعد العرب نهائياً عن روما فاضطر إلى الالتزام بدفع جزية لهم لمدة عامين<sup>(٦)</sup>.

---

(١) عبد المنعم ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى؛ بيروت، ١٩٦٦، ص ١٠٢.  
(٢) Pstrogorsky, Op. Cit., P. 196; Bury, Op. Cit., PP. 315; Foord, op. Cit., P. 231.

انظر أيضا فازليف : العرب والروم، ص ١٨٥.

(٣) ارشيبالد لويس : القوى البحرية، ص ٢١٦؛ فليب حتى : العرب تاريخ موجز، ص ٢٠٢.

(٤) Bury, Op. Cit., PP. 315-316.

انظر أيضا فازليف : العرب والروم، ص ١٨٥.

(٥) Jenkins, Op. Cit., P, p. 174.

(٦) فليب حتى : العرب تاريخ موجز ، ص ٢٠٢ انظر أيضا :

Ency de l'IsI ltd, t4, p . 415.

فى نفس الوقت الذى حاولت فيه بيزنطة استرداد جزيرة صقلية فأرسلت حملة عسكرية ضخمة أسندت قيادتها إلى ثيوكتستوس<sup>(١)</sup>. الذى لم يثبت جدارته من قبل مما أثار تساؤلات عدة فقد سبق وأخفق فى حملته الأولى ضد كريت عام ٨٤٣م / ٢٢٨هـ<sup>(٢)</sup>. فما الداعى لتكليفه بهذه الحملة.

فمن الغريب أن ثيودورا وضعت ثققتها الكبيرة فيه من جديد دون غيره من رجال البلاط نو الكفاءة الأعلى فى سجلهم العسكرى أمثال مانويل الذى كان له شهرة عسكرية عظيمة على عهد الإمبراطور ثيوفيل، وقد وافق ثيوكتستوس على الفور على أمل تحقيق مجد شخصى عجز عن تحقيقه فى حملته الأولى<sup>(٣)</sup>. وليحقق رغبة ثيودورا فى انتزاع أى مكاسب عسكرية على حساب المسلمين<sup>(٤)</sup>.

عموماً لقد استعدت ثيودورا لتجهيز جيوش ثيوكتستوس فى الوقت الذى كان فيه المسلمين قد كثفوا من غاراتهم على أراضي بيزنطة حتى

---

(١) Symeon, Op. Cit., P. 654.

وأيضاً فازيليف : العرب والروم، ص ١٧٢.

(٢) Jenkins, Op. Cit., P. 157.

وانظر أيضاً ابن خلدون : البر المجلد الرابع ص ٤٣٢ - ٤٣٣.

(٣) Ostrogorsky, op. cit. , p. 157.

انظر أيضاً فازيليف : العرب والروم ، ص ١٧٢.

(٤) Symeon, op. cit., p. 654.

وأيضاً فازيليف : العرب والروم، ص ١٧٢.

(٥) Symeon, op. cit., p. 654, cf also, Ostrogorsky, op. cit., p. 196.

وأيضاً فازيليف : العرب والروم، ص ١٧٢.

وصلوا بالقرب من موروبوتامون Mouropotomon عند مدخل البسفور<sup>(٥)</sup>. وهناك أدركهم ثيوكتستوس بقواته واشتبك معهم وتمكنت الجيوش الإسلامية بقيادة عمر بن عبد الله الأقطع من إنزال هزيمة ساحقة بثيوكتستوس<sup>(١)</sup>. فهلك كثير من جند الروم وفر البعض الآخر ومنهم من انضم إلى جيوش المسلمين<sup>(٢)</sup>.

وهكذا فشلت تلك المحاولة البيزنطية للتأثر من المسلمين نتيجة ضرباتهم المتلاحقة للجبهة الشرقية للإمبراطورية<sup>(٣)</sup>. وقد حاول بعض المؤرخين محو عار تلك الهزيمة عن ثيوكتستوس وإلقاء اللوم على عاتق برداس شقيق ثيودورا<sup>(٤)</sup>. رغم أن برداس لم يشترك في حملة بيزنطة في موروبوتامون.. وقد حدد المؤرخون ذلك الاتهام في أن برداس هو الذي حرّض جند البيزنطيين على الفرار للمعسكر الإسلامي. ومما أكد هذا الاتهام أن برداس سارع بمغادرة العاصمة بعد توجيه اللوم إليه دون أن يحاول تبرئة نفسه أمام شقيقته ثيودورا<sup>(٥)</sup>. بل الأخطر من ذلك أن أهم معاوني برداس ويدعى

(١) Brehier, (L) *vei et Mort de Byzance*, Paris, 1969, p. 113, Foord, op. cit., p. 232; Ostrogorsky, op. cit., p. 196.

Symeon, op. cit., p. 654.

(٢)

وأيضاً فازيليف : ص ١٧٤.

Jenkins, op. cit., p. 159.

(٣)

(٤) أومان : المرجع السابق، ص ١٦٦.

(٥) Symeon, op. cit., p. 654, cf also, Ostrogorsky, op. cit., p. 196, Jenkins, op. cit., p. 159.

وأيضاً : فازيليف : العرب والروم ، ص ١٧٤.

ثيوفانس الفرعاني Theophanes Farghana كانت له اليد الطولى فى المؤامرة التى أطاحت بثيوكتستوس بعد ذلك<sup>(١)</sup>.

ومما يؤيد ذلك أن ثيوكتستوس كانت له عدة محاولات من قبل للإطاحة ببرداس والحد من سلطانه بالقصر خاصة حين أصبح زميلاً لشقيقته ثيوبورا فى الوصاية<sup>(٢)</sup> على العرش وفى هذا الصدد ليس من المستبعد أن يكون لبرداس نفس دور الخديعة الذى لعبه ضد ثيوكتستوس أثناء وجوده فى جزيرة كريت عام ٨٤٣م<sup>(٣)</sup> / ٢٢٨هـ... فقد أسرع ثيوكتستوس بالعودة إلى العاصمة خوفاً من مكائد برداس له<sup>(٤)</sup>؛ كأن الخديعة والدسيسة كانت سجالاً بين برداس وثيوكتستوس منذ أمد بعيد.

عموماً فقد استمرت المناوشات بين المسلمين والروم، وقد شعرت ثيوبورا بعدم قدرتها على مواجهة المحاولات الإسلامية الدائمة للنيل من حدود بيزنطة خاصة وأن الإمبراطور ميخائيل الثالث حتى بعد بلوغه سن الرشد لم يكن الشخصية القوية التى يمكن أن تنهض بالقوة الدفاعية لبيزنطة فقد ظل غارقاً فى اللهو والسكر والمجون ولولا أن الدولة كانت

(١) Diaconi Leonis, Historia in Patrologiae Graecae, Tomus, 117, Belgium, P. 840.

C.M.H., Vol. IV. I., p. 108.

(٢)

وأيضاً أوهان : المرجع السابق، ص ١٦٦.

(٣) فازيليف : العرب والروم، ص ١٧٤.

Bury, Op. Cit., p. 238; Jenkins, op. cit., p. 155, Ostrogorsky, op. cit., (٤) p. 196.



منظمة تنظيمياً دقيقاً لتحطمت حكومة الإمبراطورة أمام العريضة المبالغ فيها من قبل ميخائيل الثالث الذي بدا وقد فقد توازنه وأسلم زمام الأمور إلى صديقه بازيل المقدوني خاصة بعد أن تخلص من خاله برداس بأن ذبحه لكي يحكم منفرداً ولكن دون جدوى<sup>(١)</sup>.

ويلاحظ أن البيزنطيين قد اعترفوا أمام أنفسهم بعدم قدرتهم على مواجهة المسلمين سواء على الجبهة الشرقية مع الخلافة العباسية أو مع مسلمي كريت وصقلية باعتبارهم الجانب الأضعف حيث لقوا هزائم متوالية على أيدي المسلمين فتيقنوا أنهم بحاجة إلى تدعيم دفاعاتهم في هذه المناطق. ورغم هذا فقد استمرت حالة التوتر قائمة بين الجانبين وتمثلت في الغارات المتبادلة صيفاً وشتاءً وراح ضحيتها كثير من المحاربين مما دعا إلى تهدئة الأحوال وإزالة التوتر والتقاط الأنفاس لكسب جولات عسكرية أخرى. في الوقت الذي كان فيه الخليفة هارون الواثق يؤثر الهدوء والعزلة ولم يكن راضياً عن سياسة الأغلبية ضد بيزنطة وليس له سلطة فعلية عليهم لوقف غاراتهم. فانغمس هارون في مشاكله الداخلية<sup>(٢)</sup> وأسبابها العديدة التي استعرضنا آثارها في بداية هذا البحث. ويبدو أن الواثق قد قرر وقف أي نشاط عسكري من جهته تجاه بيزنطة لدرجة أنه عزل واليه على الثغور والعواصم وهو أحمد بن سعيد الباهلي<sup>(٣)</sup> بسبب خروجه في شاتية ضد

Jenkins, op. cit., p. 157.

(١)

وأيضاً أومان : الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١٦٦.

(٢) ابن كثير : المصدر السابق، ج ١٠، ص ٧٤٥؛ ابن الأثير : المصدر السابق، ج ٦، ص ٨١؛ ماجد : المرجع السابق، ص ٤٢٨ - ٤٢٩.

Ostrogorsky, op. cit., p. 196; Jenkins, op. cit., pp. 158-159.

(٣)

وأيضاً عبد العزيز سالم (دكتور) : العصر العباسي الأول ، الإسكندرية، ١٣٩٨، ص ٢٢٩.

الروم وتصدى له أحد بطارقة الروم ورغم أن عدداً من سفنه قد غرق في نهر البذندون<sup>(١)</sup> بسبب العواصف الشديدة والتلوج، إلا أنه غنم غنائم كثيرة منهم وعاد بباقي جيشه فرد عليه الوثائق بعزله وعين مكانه نصر بن حمزة الخزاعي<sup>(٢)</sup>.

ويرجع عدد من المؤرخين أن الوثائق لم تكن تنقصه الكفاءة العسكرية ليخوض الجهاد ضد البيزنطيين ولكن أصبح شغله الشاغل ذلك النفوذ التركي المتزايد داخل الخلافة<sup>(٣)</sup>. فلم يشأ أن يزيد الطين بلة بعبء جديد من الصراع الخارجى وصرف النظر نهائياً عن معاداة الروم وقرر فتح باب المفاوضات وتبادل الأسرى.

وفى هذا الصدد يشير بعض المؤرخين المحدثين أن ثيودورا هى التى عرضت عقد هدنة وصلاح بين الطرفين يتم فيه تبادل الأسرى<sup>(٤)</sup>. فى حين يرى البعض الآخر كما سبق القول أن الظروف التى أملت بالخلافة هى التى أجبرت الوثائق على طلب الهدنة. فى حين يرى فريق ثالث أن طول الصرع

---

(١) البذندون : بفتحين ومكون النون والدال مهملة وواو ساكنة هى قرية بينها وبين طرسوس يوم واحد مات فيها الخليفة المأمون ونقل ودفن فى طرسوس وللمزيد انظر ياقوت : المصدر السابق، ج ١، ص ٤٢٠.

(٢) الشامى : المرجع السابق، ص ١٧٠.

Bury, op. cit., pp. 315 - 316.

(٣)

Bury, op. cit., p. 274; Ostrogorsky, op. cit., p. 196; Foord, op. cit., (٤) p232

وأيضاً لازيليف : العرب والروم : ص ١٧٥.

وتزايد عدد الضحايا والأسرى أوجد رغبة قوية لدى الطرفين على وقف دمار الحرب على الحدود<sup>(١)</sup>. ناهيك عن الالتزامات المالية الضخمة التي كان يدفعها الطرفان من جراء هذه الحروب<sup>(٢)</sup>. فى حين يرى الكثيرون أن أضرار الحروب كانت أوضح على بيزنطة منها على الجانب الإسلامى بل يرى البعض أن مشاكل الواصل لم تكن من الخطورة والقوة ولعل ذلك يفسر ويؤكد أن بيزنطة هى التى كانت بادئة بطلب الهدنة وتبادل الأسرى.

أما عملية تبادل الأسرى فقد كانت تسير ضمن خطة وقواعد محكمة تبدأ بسفارات يشترك فيها ولاة الثغور والمناطق الأكثر عرضة للحرب فإذا نجحت تلك المفاوضات كانت تتم عملية الفداء وتبادل الأسرى<sup>(٣)</sup>. وفى الحقيقة فإن عملية تبادل الأسرى لم تكن جديدة العهد على تاريخ الخلافة العباسية فقد سبق ذلك أكثر من فداء للأسرى ولكن جميعها كانت فى شكل هدنة مؤقتة سرعان ما تشتعل بعدها الحرب أما الفداء فى عهد الواصل فلم يعقبه حرب بعده<sup>(٤)</sup>. عموماً لقد بدأت مراسم تبادل الأسرى فى ١٠ محرم

(١) Finlay, op. cit., p. 154.

وكذلك إبراهيم العلوى : الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، ص ٦٧.

(٢) Vasiliev, A, History of the Byzantine Empire, Medfson, 1986, pp.273-274

(٣) Bury, op. cit., pp.234-275; Ostrogorsky, op. cit., p.196.

(٤) تشير المصادر إلى أن أول فداء للأسرى كان عام ١٢٩ هـ على عهد الخليفة أبو جعفر المنصور ولكن أعقب كل فداء حروب عديدة بين الطرفين ما عدا عهد هارون الواصل للمزيد انظر الطبرى : المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٨٥ ما جد : العصر العباسى الأول، ص ٤٢٢.

عام ٢٣١هـ / ١٦ سبتمبر ٨٤٥م<sup>(١)</sup>. وقد ذكرت المصادر الإسلامية تفاصيل هذا الفداء وشروطه. فقد أورد اليعقوبي والطبري أن البيزنطيين كانوا هم البادئين بإرسال سفارة إلى هارون الواثق بتكليف من الإمبراطور ميخائيل III وطلب إحلال السلام محل الحرب والتفاوض بشأن تبادل الأسرى وقد رحب الواثق على الفور<sup>(٢)</sup>. فقد أرسل سفيره أحمد بن قحطبة<sup>(٣)</sup>. إلى الإمبراطور البيزنطي لمعرفة مدى استعداد بيزنطة لتنفيذ هذا الفداء، والتعرف على العدد الحقيقي للأسرى وقد اتضح له أن عددهم حوالي ثلاثة آلاف رجل وخمسمائة امرأة وصبي وتم الاتفاق بين الجانبين على إجراء عملية الفداء عند نهر اللامس<sup>(٤)</sup>. حيث تجهز رجل من عند هارون وهو حفيد مسلم بن قتيبة وكان يسمى (الواثق أحمد) ومعه أحد الأتراك وهو الحضي خاقان الخادم<sup>(٥)</sup>. في حين أشرف على عملية الفداء من الجانب البيزنطي

(١) ابن كثير : المصدر السابق، ج ١٠، ص ٧٤٥؛ ابن الأثير : المصدر السابق، ج ٦، ص ٨٨؛ محمود سعيد عمران : المرجع السابق، ص ١٢١.

(٢) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، ج ٣٠، ص ٢٠٧؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٨٦-٢٨٧.

(٣) الطبري : المصدر السابق، ج ٩، ص ١٤٢. أيضا.

Bury, op. cit., p. 275.

(٤) نهر اللامس : هي قرية على شط بحر الروم من ناحية ثغر طرسوس تم عليه الفداء وكان الروم يقدمون في البحر فيكونون في سفنهم ويقع الفداء. انظر ياقوت الحموي : المصدر السابق، ج ٥، ص ٩؛ فازليف : العرب والروم، ص ١٧٧، انظر أيضا :

Ostrogorsky, Op. cit., p. 196.

(٥) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، ج ٣، ص ٢٠٧؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٨٦؛ المسعودي : المصدر السابق، ج ٤، ص ٦٥.

قائدان هما أنقاس ولستوس<sup>(١)</sup>. ويقال أن عدد المسلمين كان من الضخامة بحيث قلق المبعوثان البيزنطيان فطلبوا عقد هدنة مع خاقان الخادم مدتها أربعين يوماً بصورة تكفي لإرجاع الأسرى إلى بلادهم<sup>(٢)</sup>. وفي ١٦ سبتمبر ٨٤٥م/ ١٠ محرم ٢٣١هـ. وهو يوم عاشوراء كما ذكر الطبري وابن الأثير<sup>(٣)</sup>. بدأت عملية الفداء بإظهار حسن النوايا حيث أطلق البيزنطيون سراح عبد الله الطرطوسي وكان من أشرف طرطوس وأسرته البيزنطيون في إحدى غزواته منذ ثلاثين عاماً على أراضيتهم فكانت عودته سليماً ومعزاً إلى الخليفة هارون لها رد فعل طيب على الجانبين كما تبع ذلك إطلاق سراح عدد كبير من وجوه الأسرى المسلمين<sup>(٤)</sup>. وقد انفرد الطبري بذكر هذه الرواية بإسهاب من بين جملة المصادر ولم تذكر التفاصيل في أى من المصادر البيزنطية. ويشير فازيليف أن المسلمين وقفوا على الجانب الشرقى للنهر بينما وقف البيزنطيون على الجانب الغربى وفجأة ظهرت خلافات جادة بين الطرفين<sup>(٥)</sup>. حيث رفض الروم فداء العجزة من النساء والرجال أو فداء الأطفال<sup>(٦)</sup>. وكاد أن يفتل الاتفاق واستمر الخلاف أياماً إلى أن اتفقا على

(١) Ostrogorsky, op. cit., p. 196; Bury, op. cit., p. 276.

انظر أيضاً فازيليف : العرب والروم، ص ١٧٦.

(٢) فازيليف : العرب والروم، ص ١٧٧؛ الطبري المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٨٦.

(٣) الطبري : نفسه ، ص ٢٨٧؛ ابن الأثير : المصدر السابق، ج ٦، ص ٨٨؛ ابن كثير : المصدر

السابق، ج ١٠، ص ٧٥٤ - ٧٥٥؛ عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص ٢٢٨-٢٢٩.

(٤) فازيليف : العرب والروم، ص ١٧٧.

(٥) Ostrogorsky, op. cit., p. 196.

(٦) فازيليف : العرب والروم، ص ١٧٧؛ وأيضاً

Bury, op. cit., p. 279؛ Finlay, op. cit., p. 154.

فداء رجل برجل<sup>(١)</sup>. أو نفس بنفس دون النظر للسنة<sup>(٢)</sup>. وقد كان عدد أسرى المسلمين ضخماً لدرجة أن الواثق أمر بشراء من يباع في بغداد والرقعة من العبيد الروم فلم يكفى ذلك، فلم يرى الخليفة إلا أن يخرج كل من عنده من نساء الروم في بلاطه الخاص حتى تتقارب أعداد أسراه مع أسرى الروم<sup>(٣)</sup>. وإلى أن اكتمل العدد وتساوى بين الطرفين يشير الطبري إلى أن الواثق أمر بتكوين جماعة من يحيى بن آدم الكرخي البغدادي وجعفر بن الحذاء وطالب ابن داود لامتحان الناس في مسألة خلق القرآن فمن نفى قدم القرآن ورؤية الله في الآخرة افتدى على الفور ويوزع عليهم أموال في الحال وقيل أنه كان يمنح كل أسير عند الفداء ديناراً، أما من لا يرفض نفى رؤية الله وقدم القرآن كان يترك للروم ولا يفتدى<sup>(٤)</sup>.

وقد ذكر المسعودي<sup>(٥)</sup> في مروج الذهب أنهم كانوا كثيرين. حيث بلغ عدد من افتدى من المسلمين أربعة آلاف وخمسمائة شخص<sup>(٦)</sup>. وكانت

(١) فازيليف : العرب والروم، ص ١٧٧.

(٢) الطبري : المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٨٧.

(٣) فازيليف : العرب والروم، ص ١٧٧.

(٤) الطبري : المصدر السابق، ج ٥، ص ٨٨؛ فازيليف : العرب والروم؛ ابن الاثير : المصدر السابق،

ج ٦، ص ٨٨ - ٨٩.

(٥) المسعودي : مروج الذهب، ج ٤، ص ٦٥، ابن الاثير : المصدر السابق، ج ٦، ص ٨٨ : انظر

ايضا :

Bury, op. cit., p. 275' p. 275' cf. also : Ostrogorsky, op. cit., p. 196.

(٦) ابن كثير : المصدر السابق، ج ١٠، ص ٧٥٤ - ٧٥٥؛ عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص ٢٢٧

الطريقة المتبعة في الفداء أن يقف الطرفان كما سبق القول على ضفتي نهر اللامس ويجعلوا عليه قنطرتين واحدة للروم والأخرى للمسلمين فيطلق الروم أسير ممن عندهم فيطلق المسلمون في نفس الوقت أسيراً رومياً فإذا اقترب المسلم من المسلمين صاح الله أكبر فيرد عليه باقى المسلمين بالتكبير كذلك، ويشير فازيليف أن الروم فعلوا مثلهم في التكبير وقد أكد ابن الاثير ذلك<sup>(١)</sup>.

وقد تميز هذا الفداء أيضاً بإطلاق الروم سراح شخصية هامة جداً في التاريخ الإسلامى وهو مسلم بن أبى مسلم الجرمى وكان على دراية كبيرة بالروم وبلادهم وله مصنفات في أخبار ملوكهم وذى المراتب العليا منهم كما كان على دراية بمسالك وطرق الروم وأفضل أوقات الغزو والغارات عليهم ومن جاورهم من الممالك من برغان والبرغز والصقالية<sup>(٢)</sup> وغيرهم، حتى يقال أن العالم الجغرافى ابن خرداذبة استمد الكثير من المعلومات الجغرافية عن آسيا الصغرى من مسلم الجرمى وصارت معلوماته أساساً لكل التاليف الجغرافية في العصور الوسطى<sup>(٣)</sup>.

وقد أشارت المصادر العربية أن كثيرين من الأسرى كانوا من أهل الذمة حيث لم يفرق هارون الواثق بين مسلم وغير مسلم وأفتدى الجميع ولعل

(١) ابن الاثير : المصدر السابق، ج٦، ص٨٨؛ فازيليف : العرب والروم، ص ١٧٨.

(٢) الصقالية : هم عدد من الأمم منهم التصارى ومنهم المجوس، يعبدون الشمس ولهم بحر يجرى من المشرق إلى المغرب يتصل ببحر البلغار ولهم أنهار كثيرة وعلى قدر كبير من التحضر والمهارة في كثير من الفنون وللمزيد عنهم أنظر : المسعودى (ت ٢٤٥) أبو الحسن على بن الحسين : أخبار الزمان / الطبعة الخامسة، بيروت ، ١٩٨٣، ص ٩٢ - ٩٣.

(٣) إبراهيم العلوى : المرجع السابق، ص ٩٨.

هذا ينفي الكثير من الاتهامات التي وجهت للوائق بشأن عدم فدائه لمن لا يقول بخلق القرآن من المسلمين فإذا كان هذا موقفه المتسامح من أهل الذمة وكيف حرص على فدائهم فكيف يكون هذا هو موقفه مع جماعة المسلمين مهما كان حجم الخلاف في الرأي معهم أعتقد أنها مبالغة من خصوم هارون الواثق لإدانتته الشديدة في قضية خلق القرآن وخلافه مع أحمد بن نصر الخزاعي وأتباعه ومؤيديه وقد كانوا كثيرين في بغداد وسامراء<sup>(١)</sup>.

أما عن مدة الفداء فقد اختلفت المصادر العربية في ذلك فيذكر الطبري أنها كانت سبعة أيام في حين يذكر المسعودي أنها كانت عشرة أيام<sup>(٢)</sup>.

ولو حاولنا تقييم عملية الفداء نجد أن لها بعداً حضارياً عظيماً إذ أوجدت فرصة للاحتكاك الحضاري بين المسلمين والبيزنطيين وأوجدت عملية تأثير وتأثر بين كلا الجانبين، خاصة أن الأسرى لدى الطرفين كانت تتم عملية تجنيد دقيقة لمهاراتهم وقدراتهم ففي بيزنطة كانوا يوزعون على مختلف المصانع والحرف للاستفادة من خبراتهم وكانت لهم دار خاصة تسمى «دار البلاط» وتشتمل على غرف كبيرة يقيم فيها الأسرى، أما عظماء الأسرى فيقال إنها كانت لهم دار خاصة بالقرب من قصر الإمبراطور

---

(١) أنكر ابن كثير ما تردد حول موقف الواثق من الأسرى الذين رفضوا القول بخلق القرآن، وقال أن مسألة الفداء لم يكن لها علاقة بقضية خلق القرآن انظر ابن كثير : المصدر السابق، ج ١٠، ص ٧٥٥. في حين أكدها اليعقوبي والطبري والسيوطي وابن الأثير وللمزيد انظر اليعقوبي : المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٠٧؛ الطبري : المصدر السابق، ج ٥، ص ٢١٨٨؛ المسعودي : المصدر السابق، ج ٤، ص ٦٥ - ٦٦، السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٨٧.

(٢) الطبري : المصدر السابق، نفس الصفحة، المسعودي : المصدر السابق، نفس الصفحة.



البيزنطى ليكونوا تحت رعايته وإشرافه بدليل أن عبد الله الطرسوس الذى عاد بعد ثلاثين عاما من الأسر عاد معززا مكرما متأثرا بكثير من عادات ومناسبات البيزنطيين<sup>(١)</sup>.. وتشير المصادر إلى أن هؤلاء الأسرى تمتعوا بمعاملة طيبة من قبل السلطات البيزنطية واحترمت عقيدتهم ولم يكرهوا على شرب الخمر أو أكل لحم الخنزير، كما لم يتعرضوا لأى نوع من التعذيب وزاولوا صنوفا من التجارة والحرف والألعاب المرحية، وكانت تقام مباريات فى سباق الخيل بين المسلمين والبيزنطيين وكان الروم يخضرون لمشاهدة هذه لمباريات بل كان الإمبراطور يمنح الهدايا للمسلمين بعد فوزهم فى هذه المباريات، وبالمثل فقد لقي الأسرى البيزنطيون معاملة طيبة فى ديار الإسلام<sup>(٢)</sup>.. وأعد لهم فى القاهرة مكان خاص يسمى «المناخ» خاص بالأسرى الرجال فى حين يوزع الأطفال والنساء على الخليفة وكبار رجال الدولة<sup>(٣)</sup>.

وقد تطورت العلاقات بين المسلمين والبيزنطيين على عهد هارون الواثق، فقد تم إرسال بعثات علمية للبحث والدراسة وتبادل الكتب والمعارف<sup>(٤)</sup> مما كان له آثار حضارية متميزة لدى الطرفين.

(١) إبراهيم العنوي : الإمبراطورية البيزنطية، ص ٩٥؛ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى، ج ٢، ص ٤٦٨.

(٢) إبراهيم العنوي : المرجع السابق، ص ٩٦ - ٩٧.

(٣) المرجع السابق، ص ٩٦؛ حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٦٨؛ محمد جمال الدين سنور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق، القاهرة، ١٩٦٥، ص ١٧١ - ١٧٢.

(٤) ابن خرداذية : المسالك والممالك، ص ١٠٦ - ١٠٧؛ المقدسى : أحسن التقاسيم، ١٥٢.

وبعد ورغم أن السياسة الخارجية لهارون الواثق قد اتسمت بالاعتدال والسكينة مع البيزنطيين، إلا أن هذا لم يوقف استفحال خطر الضعف والتفكك في جسد الدولة العباسية فهذه كانت فترة أقول نجم العباسيين العظماء وزيادة تغلغل العنصر التركي وهيمنتته على الواثق وسلبه كل مقاليد السلطة والسيادة داخل وخارج دولته، بالإضافة إلى ما نتج عن مشكلة خلق القرآن من آثار سلبية خطيرة ضد الواثق فلم يحرص على الجهاد ووقف معادياً لنشاط الأغلبية العسكرية ضد الروم. وفتح الباب للكثير من الفتن والصراعات، خاصة أنه لم يعين ولياً لعهد بسبب تدخل الأتراك في هذه القضية وحسمها لصالح أخيه المتوكل بدلاً من ابنه محمد وذلك لأن المتوكل كانت أمه تركية من خوارزم<sup>(١)</sup>. أقصد أنه تضافرت على عهد الواثق كثير من العوامل التي أضعفت دولته وهزت كيانها، مما أعطى في النهاية صورة لا تنبض بالحياة والنشاط والاحتكاك العسكري واستعراض القوى الإسلامية ضد البيزنطيين وهذا ليس فقط على الصعيد الإسلامي بل أيضاً على المستوى البيزنطي فقد كان انغماس الإمبراطور ميخائيل الثالث في ملذاته وشهواته له أثر خطير على تقاعس وقصور سياسته الخارجية تجاه المسلمين، فلم ترغب بيزنطة في تفجير الحرب على الحدود الشرقية في آسيا الصغرى وكرست جهودها ضد المسلمين في كريت وصقلية الذين باتوا يشكلون خطراً جسيماً على أمن بيزنطة في حوض البحر المتوسط. بالإضافة إلى تفتت الأوضاع الداخلية في بيزنطة وتزايد الصراع على السلطة بين

(١) وللمزيد انظر : ابن كثير : المصدر السابق، ج ١٠، ص ٢٠٢ - ٢٠٨؛ ماجد : المرجع السابق، ص ٤٣٠؛ محمد الغزالي : المرجع السابق، ص ٢٤٩ - ٢٥١.

برداس وثيوكستوس واضطراب شخصية ميخائيل الثالث وعيته ومجونه كل هذا ألقى بظلاله على العلاقات السياسية مع هارون الواثق وفرض الصلح والسلام على الطرفين.

### وفاة الخليفة هارون الواثق

توفي هارون الواثق في ٢٢ من ذي الحجة ٢٣٢هـ / ٨٤٧م وسيطر الأتراك على أمور الدولة بصورة كاملة. وفي هذا الصدد يقول المسعودي «إن الواثق توفي وهو في مدينة سامراء، وقيل إنه مات وعمره ٢٦ عاماً وقيل ٢٢ عاماً واختلفوا في موته مثلما اختلفوا في ميلاده»<sup>(١)</sup>.

وفي وفاته قيل إنه كان يعالج من مرض الاستسقاء وعولج بالإقعاد في تنور ساخن فوجد لذلك راحة فأمرهم في اليوم التالي بالزيادة في درجة سخان التنور وجلس مدة أطول من ذي قبل فأغمى عليه وأخرج منه وصير في محفة وحضره الفضل بن إسحاق الهاشمي وعمر بن فرج. ولم يعلموا بموته حتى ضرب بوجهه المحفة فعلموا أنه مات وقيل حضر وفاته أحمد بن أبي داود يغمضه ويصلح من شأنه. ودفن في قبره في قصره بالهاروني<sup>(٢)</sup>. وكانت خلافته خمس سنين، وتسعة أشهر وخمسة أيام<sup>(٣)</sup>.

(١) اختلفت المصادر حول يوم وفاته ولكنها اتفقت في أنه في شهر ذي الحجة سنة ٢٣٢هـ فقيل أنه

مات يوم ٦ أو ١٠ أو ٢٢ من ذي الحج سنة ٢٣٢هـ وللمزيد أنظر المسعودي : المصدر السابق،

ج ٤، ص ٦٥؛ الطبري : المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٩٠.

(٢) ابن كثير : المصدر السابق، ج ٦، ص ٧٥٣؛ الطبري : المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٩٠ - ٢٩١؛

ابن الأثير : المصدر السابق، ج ٦، ص ٩٢.

(٣) للمزيد أنظر الطبري : ج ٥، ص ٢٩١.

وخلص القول فلم تكن الظروف التي أُلْتُ بعهد الواثق يمكن أن تقلل من شأنه كآخر الخلفاء العظام لعصر القوة العباسي، فقد عرف عنه أنه كان شديد الاهتمام بالعلم والعلماء، عقد كثيراً من مجالس العلم وناقش العديد من القضايا مع جماعة الفقهاء والمتكلمين .. كان محباً للشعر والأدب مطلعاً على آراء الفلاسفة والأدباء، وكثيراً ما سأل واستفسر عن علم الطب وحضر مجلسه يوحنا بن ماسويه وجبريل بن بختيشوع وغيرهم .. وكان كثير القراءة عن الكواكب والرياح ومواقع البلدان والظواهر الجغرافية التي تسببها البحار، شغوفاً بسيرة الإسكندر الأكبر، عطوفاً على رعيته، لم يقصر في حق العلويين بل بالغ في إكرامهم وتعهد برد أموالهم .. واهتم كثيراً بأحوال الحرمين الشريفين وأقام الكثير من المنشآت لراحة الحجيج<sup>(١)</sup>.

وبعد وفاته مباشرة يذكر الطبري أن حضر أحمد بن داود وإيتاخ ووصيف وعمر بن فرج الزيات وأنهم أصروا على تقليد ابنه محمداً أمور الدولة وكان غلاماً صغيراً فآلبسوه دراعة سوداء وقلنسوة فإذا هو قصير فقال لهم وصيف «أما تتقون الله» تولون مثل هذا الخلافة وهو لا يجوز معه الصلاة. فتناظروا فيمن يولونه ... واستقر الرأي على أخيه جعفر ولم يكن قد لقب بالمتوكل فآلبسوه الدراعة السوداء وعممه أحمد بن داود. وكان جعفر يقول أخاف أن يكون الواثق لم يمت فأروه إياه وهو مسجى. فقبل ويأيعوه في دار العامة ولقب بالمتوكل<sup>(٢)</sup>. ولعل هذا ما يؤكد أن الاتراك فعلاً لم يوافقوا على تعيين الواثق ابنه محمداً ولياً لعهد في حياته. والدليل التخبط والحيرة فيمن يلي أمر المسلمين يوم وفاة هارون الواثق. وكانت هذه هي السمة المميزة لعصر الضعف العباسي وتغلغل العنصر التركي في أمور السياسة والحكم.

(١) ابن كثير : المصدر السابق، ج ١٠، ص ٧٥٣ - ٧٥٥؛ ابن الأثير : المصدر السابق، ج ٦، ص ٩٢.

(٢) الطبري : المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٩٣.

## الخاتمة

وبعد فقد حاولنا فى تلك الدراسة السريعة حول أهم حقبة زمنية فى تاريخ الخلافة العباسية فى نهاية عصرها الأول، أن نستعرض كافة القضايا التى تركت بصماتها على السياسة الخارجية للخليفة هارون الواثق مع البيزنطيين وكانت تلك الأمور السبب الرئيسى فى حالة المصالحة والهدوء وتبادل الأسرى مع بيزنطة. فقد استعرضنا تغلغل العنصر التركى فى أمور السياسة والحكم، كما تناولنا قضية ثورة بعض الأقاليم ضد الواثق، وناقشنا موقف الواثق للمتشدد من كتاب الدواوين وقضية خلق القرآن، ثم انتقلنا للحديث عن أحوال بيزنطة على عهد الإمبراطور ميخائيل III وكيف كانت شخصيته العابثة الماجنة سببا فى كثير من الاضطرابات الداخلية فى دولته، وتقاعس سياسته الخارجية ضد المسلمين فى الوقت الذى نشطت فيه دولة الأغابة ومسلمو كريت وتحملوا وحدهم عبء الجهاد ضد البيزنطيين.

كما استعرضنا رغبة الطرفين البيزنطى والإسلامى فى عقد الصلح وتبادل الأسرى، واختتمنا البحث ببعض الجوانب الشخصية لحياة هارون الواثق حتى وفاته.

## قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر والمراجع الأجنبية :

Theophanes (Continuates), Historia, in, C. S. H.B, Bonn,1838.

Symeon Magistre Historia, Logothet, Chronographia, In Theophanes Cont, G.S.S.H.B, ed. 1. Bekker, Bonn. 1838, pp. 1-484;

Monachus, Vita, G. Monachus, Vita Recentiorum Imperatorum , In Theophanes Cont. C. S.H. B,(1828), p.761-924.

Leonis Diaconi, Historia, Patrologia Craecae tomus 117, Belgium.

Joannis Zonarae, opera omnia, H.C.F. in Patrologiae Craecae, tomus, 135, Belgium.

Encyclopaedia of Islam,

C.M.H, Cambridge Medieval History. Vol. IV, Part 1,p.102.

Brehier, L., veii et Mort de Byzance, Paris, 1969.

Bury, H.B,History of Eastern Roman Empire,London, 1912.

Baynes and Moss, Byzantium an Introduction to East Roman Civilization, Oxford, 1969.

Gibbon, (Ed), The History of the Decline and Fall of the Roman Empire, 7. vols.

Gregoire, H, Inscription Historiques Byzantines, Ancyre et les Arabs sous Michel L'ivrogne, In Byzation Revue, Tome IV, Paris, 1929, pp. 437-448.

Finlay, G., History of the Byzantine Empire, London, 1906.

Foord, E., The Byzantine Empire, London, 1911.

Jenkins, R, Byzantium, London, 1966.

Ostrogosky, G, History of the Byzantine State, translated By J. Hussery, Oxford, 1950.

Vasiliev.A, History of the Byzantine Empire, Medison,1928

## قائمة المصادر العربية

- ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٧، ج ٦.
- ابن خردادبة : (ت. حوالي ٣٠٠هـ) أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله : كتاب المسالك والممالك، لندن، ١٨٩٩.
- ابن دقماق (ت ٨٠٩هـ) : إبراهيم بن محمد أيدمر العلاني : الجواهر الثمين في سير الملوك والسلطين، تحقيق د/ سعيد عبد الفتاح عاشور، بدون.
- ابن رسول (ت ٧٧٨هـ) عباس بن مجاهد بن علي بن يوسف بن عمر : نزهة العيون في تاريخ الطوائف القرون، مكتبة محافظة الإسكندرية - رقم ١١٢٩ تصوير شمس.
- ابن كثير (ت ٧٧٤) : الإمام الحافظ أبو الفداء بن كثير : البداية والنهاية الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٧٧، ج ١٠.
- أبو الفداء : (ت ٧٣٢هـ) عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن علي : المختصر في أخبار البشر (ويعرف بتاريخ أبو الفدا) القاهرة، ١٣٢٥هـ.
- ابن منظور (ت ٧١١هـ) جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب دار المعارف، ج ٦.
- السيوطي (ت ٩١١هـ) : جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، بيروت، ١٩٨٦، الطبعة الأولى.
- الطبري : (ت ٣١٠هـ) : أبو جعفر بن محمد بن جرير الطبري : تاريخ الدول والملوك، الطبعة الثانية، ٥ أجزاء ، بيروت ١٩٨٨.



القلقشندي (ت ٨٢١هـ) أحمد بن علي القلقشندي : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا تحقيق د/ يوسف طویل، ١٤ جزء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧

اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى، ج ٣٠، ص

المسعودى : (ت ٣٤٦هـ) : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، ج ٤، بيروت، بدون تاريخ.

المقدسى : (عاش فى القرن ٤هـ / ١٠م) : شمس الدين أبو عبد الله المعروف بالبشارى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، الطبعة الثانية، لندن ، ١٩٠٦.

اليعقوبى : (ت ٢٨٤هـ) : أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، تاريخ اليعقوبى، ٣ أجزاء، بغداد ، النجف، ١٣٥٨.

ياقوت الحموى : (ت ٦٢٦هـ) : شهاب الدين أبى عبد الله، معجم البلدان، تحقيق فريد الجندى، ٥ أجزاء ، بيروت : ١٩٩٠م.

## المراجع العربية والمعربة

- إبراهيم العلوى (دكتور) : ١- الأساطيل العربية فى البحر المتوسط، القاهرة ، ١٩٥٧.
- ٢- الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، الفجالة، ١٩٥١.
- حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى الأول، الطبعة الخامسة، القاهرة، بدون .
- أحمد رمضان (دكتور) : تاريخ فن القتال البحرى فى البحر المتوسط فى العصر الوسيط، مطبعة هيئة الآثار.
- أحمد الشامى (دكتور) النولة الإسلامية فى العصر العباسى الأول، ص ١٦٩ - ١٧٠.
- أحمد مختار العبادى (دكتور) : التاريخ العباسى والأندلسى، بيروت.
- أسد رستم : حرب فى الكنائس، بيروت ، ١٩٥٨.
- الشيخ محمد الخضرى بك : تاريخ الأمم الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٠.
- أومان : الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة د/ مصطفى طه بدر، دار الفكر العربى، ١٩٥٦.
- حسن إبراهيم حسن : التاريخ السياسى والثقافى والاجتماعى، ٤ أجزاء، بيروت، ١٩٦٤.
- عبد العزيز سالم (دكتور) : العصر العباسى الأول ، الإسكندرية، ١٣٩٨.
- عبد الرحمن العمرو (دكتور) : أثر الفرس السياسى ، الطبعة الأولى ١٩٧٨.
- عبد المنعم ماجد : ١- العصر العباسى الأول، ٢ ج، القاهرة ١٩٧٣.
- ٢- العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، بيروت، ١٩٦١.

- على إبراهيم حسن (دكتور) : التاريخ الإسلامى العام، القاهرة، ١٩٧١.
- فازيليف : العرب والروم، ترجمة محمد عبد الهادى شعيرة، مراجعة/ فؤاد حسنين على طبعة دار الفكر العربى، بطرسبرج ١٩٠٠.
- قليب حتى : العرب تاريخ موجز، بيروت، ١٩٦٤.
- لويس ارشيبالد : القوى البحرية والتجارية فى البحر المتوسط (٥٠٠-١١٠٠م) ترجمة أحمد محمد عيسى ، مراجعة محمد شفيق غبريال، القاهرة، ١٩٦٠.
- محمد جمال الدين سرور (دكتور) : تاريخ الحضارة الإسلامية فى المشرق ، القاهرة، ١٩٦٥.
- محمود سعيد عمران (دكتور):١- تاريخ الدولة البيزنطية، بيروت ، ١٩٨١.
- ٢- إدارة الامبراطورية البيزنطية للإمبراطورقسطنطين السابع، عرض وتحليل د/ محمود سعيد عمران، بيروت، ١٩٨٠.
- محمد محمد مرسى الشيخ (دكتور) : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.

مسينا

طبرمين

جبل النار

قطانية

كيفالو

بمرمة

قصريانة

لنتيني

سرقوسة

نوطس

مودكا

ميناو

دغوس

بثيرة

قصريانة

ليكاتا

جرجنت

بلرم

طرابنش

طرابنس

مازر

فتوحات المسلمين صقلية

## **البدارة نموذج ...**

**لقضايا منهجية فى البحث الاثنروبولوجى**

**بحث مقدم من**

**د. عبد الصمد مصطفى سالم**



## البداوة نموذج ...

### لقضايا منهجية فى البحث الأنثروبولوجى

بحث مقدم من د. عبد الصمد مصطفى سالم (\*)

لقد شاع فى البحث الاجتماعى الاستخدام المتفاوت للعديد من القضايا العلمية بمفاهيم وتفسيرات متباينة، ترتب عليه استخدام مفاهيم وأدوات البحث فى غير مواضعها السليمة، مما كان له أكبر الأثر على تدنى مستوى التحليل والنتائج، فتزايد لدى العديد من العلماء الإحساس بوجود هذا التكرار فى الاستخدام، وهذا يبدو بوضوح عند تناول مجموعة من المصطلحات والمفاهيم كالبداوة والحضر والريف والمجتمع المحلى وغيرها من الأنماط المجتمعية الثنائية فى إطار البحث الأنثروبولوجى، الذى كان يعالج تلك القضايا العلمية فى إطار مذاهب وفلسفات من يقومون بمعالجتها بعيداً عن تفحص طبيعة المفاهيم والتفسيرات. وهكذا ترسخت مثل تلك الدراسات على مفاهيم وتؤويلات مذهبية دون النظر إلى الخصائص الذاتية لها، التى يجب أن تتجاوز مستوى تلك التحليلات أو التؤويلات، مع ضرورة التأكيد على أهمية التنوع والتباين فى التفسيرات والتحليلات باعتبار أن ذلك يضيف عمقاً فى دراسة وتحليل الظاهرة، التى مرجعها الاهتمامات المختلفة لكافة نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .... الخ (١)

\* مدرس الأنثروبولوجيا بكلية التربية بالعريش، جامعة قناة السويس .

(1) Hobart, Mark, (ed), 1993, An Anthropological Critique of development, the Growth of Ignorance, EIDOS (European inter university development opportunities study), London.

وهذا لاشك يؤدي بدوره إلى وجود فروق فى التقييم والرؤى والنتائج، أى بدوره إلى عدم إعطاء معرفة حقيقية بالظاهرة، أو فى إيجاد رؤية شاملة وليس من أجل السعى إلى إيجاد متطابقات فى النتائج على موضوع ما بعينه، غير أن هذا قد يكون فى إطار البحث العلمى مفيداً، ولكنه فى حالات أخرى لا يصلح مما يصبح معه بالتالى التحليل والتفسير لا قيمة له على الإطلاق قد يصل بالبحث إلى نتائج خادعة، على هذا لابد أن يتواكب استخدام المفاهيم وما يرتبط بها من تفسيرات مع ما يتلاءم منهجياً ونظرياً بما يخدم طبيعة الظاهرة التى بصدد المعالجة.

وهذا أيضاً ما ينطبق على البعض من المناهج العلمية التى تكون فى طبيعتها ذات صفة علمية صرفة، لذا فهى فى حاجة إلى إعادة نظر فى ضوء استخداماتها السابقة فى البحث السوسولوجى، نتيجة كونها لم تستطع وضع إجابات على التساؤلات البحثية، خاصة أنه أعطت نتائج غير فعالة عن التطبيق، هذا فى حد ذاته قد أدركه علماء الأنثروبولوجيا أنفسهم، لهذا ذهبوا إلى وضع افتراض منهجى قائم على وجود علاقة محددة بين أهداف البحث والأسلوب المنهجى المتبع فى البحث، ويبرز هذا عند الاستخدام المنهجى البنائى الوظيفى، خاصة أن البعض قد خلط بين المعالجة الاجتماعية والثقافية، وهو الأمر الذى شجع بعض العلماء إلى ضرورة التأكيد على حتمية الاعتماد على وسائل وطرق أخرى فى المعالجة المنهجية، لتسمح بدراسة الظواهر الاجتماعية فى إطار المعايير المنهجية المقبولة وفقاً لطبيعة الظاهرة، دون إدخال فلسفية أو أيديولوجية يترتب عليها الخروج بنتائج



مبهمة عن الدراسة، أو أن تكون النتائج أكثر من مجرد كونها رؤى أدبية، كما يرجع ذلك إلى التبسيط المفرط في الاستخدام المنهجي، ونذكر على سبيل المثال الوصف والاستخدام الإحصائي في البحث السوسولوجي الذي يبتعد عنه الكثيرون بإهمالهم الإحصاء كأن الاهتمام بالإحصاء سوف يبعد بالبحث الاجتماعي عن أهدافه، وغالباً ما يكون هذا فيه الكثير من المبالغة والتعسف وسوء تناول المنهج السليم، وكل هذا يمثل في حد ذاته منغصات سلبية للبحث السوسولوجي منهجياً ونظرياً<sup>(١)</sup>.

إن تلك القضايا المنهجية في حاجة إلى المزيد من المناقشة لوضع إجابات أكثر قبولاً، على الرغم من أن تلك الإجابات في العادة تكون صعبة في البحث الاجتماعي لوجود ذلك التباين الواضح في المفاهيم والنظريات للكثير من القضايا في حين أن ذلك التباين قد يكون هاماً ومفيداً في بناء نظرية لها القدرة على التطبيق وعلى تحقيق نجاحات أكثر، وهذا ما يمكن قياسه من خلال التعرف على مدى كفاءة تلك المفاهيم في إطار البناء النظري في تفسير الظاهرة الاجتماعية من خلال تفسير السلوك الإنساني وظواهره الاجتماعية، وهذا يعني أن الضعف الذي تبني عليه النظرية يتبعه بالتالي ضعف أكثر تأثيراً في المنهج، وهذا في حد ذاته يتطلب إيجاد معالجات منهجية لتلك القضايا ووضع الحلول لها. ولهذا نتساءل دون حرج في هذه المناقشة نحو الإدعاء بوجود تقصير في الاستخدام المنهجي، أم أن بعض مناهج البحث أصبحت تفتقر إلى معايير مقبولة بعد التطورات الحادثة على

---

(١) سليمان خلف، الانثروبولوجيا السياسية، دراسة نقدية للاتجاهات والمناهج في الانثروبولوجيا السياسية، حويلات كلية الآداب جامعة الكويت، الحولية الثانية عشرة، الرسالة التاسعة والسبعون، ١٩٩٢.

العلوم الإنسانية، أم من أجل اقتفاء أسلوب منهجى مختلف أكثر تطوراً !

ونعرض هنا للاتجاه البنائى الوظيفى باعتباره النموذج الأمثل فى البحث الأنثروبولوجى، إلا أنه فى الوقت نفسه نجده قد قدم تحليلات غابت عنها الدقة، مما أصبحت معه النتائج عديمة الفائدة الأمر الذى دفع البعض فى البحث عن رؤية نظرية ومنهجية جديدة، خاصة أن هذا المنهج لم يستطع الالتزام بعملية الفصل فى التحليل والتفسير بين ما هو ثقافى واجتماعى فإنه مازالت عملية الفصل فى البحث الأنثروبولوجى قائمة على المفاهيم التقليدية لهما، باعتبار الجانب الثقافى قائماً على مفاهيم وتضمينات فكرية وإدراكية Ideational or Cognitive entities من حيث الاهتمام بمفاهيم الناس people's concepts ونماذجهم Standard وكذلك للاستجابات الأساسية فى التفاعل، وبالتالي عدم الاهتمام بالأحداث اليومية Events وأنماط الحياة اليومية وكذا الأنماط الإحصائية Statistica 1 patterns، وأما الجانب الاجتماعى أو ما يعرف بالأنثروبولوجيا الاجتماعية فلقد اتجهت اتجاهها أنثولوجيا فى التحليل لتجنب عبء اللاعقلانية الوظيفية الكامنة، ولهذا نجد أن دراسات الدين والسحر والطقوس الشعائرية كانت قد سيطرت على البحث الأنثروبولوجى، كما كانت أيضاً كفيلة بإبعاد الأنثروبولوجيا الاجتماعية عن دراسة الأحداث الاجتماعية اليومية وكذا أشكالها الإحصائية، وهذا بدوره يوضح مدى حدوث الغموض فى الاستخدام المنهجى والنظري نتيجة لعدم الفصل بين ما هو ثقافى وما هو اجتماعى، مع أن هذا الخلط قد ارتبط منذ نشأة علم الأنثروبولوجيا ذاته.

فمع بداية القرن التاسع عشر كان الاختيار بين ما هو ثقافى وما هو اجتماعى عادة ما يكون مجرداً من المدلول المعرفى، وفى بداية الثلاثينيات ساد الفكر البنائى الوظيفى لراد كليف براون باعتباره الثقافة هى تلك الأشكال الفكرية، كما كانت لرؤية سير جيمس فريزر على أن السحر والدين لا تحمل أى قدر من التشابه كالأحداث اليومية وهو الأمر الذى أثر كثيراً فى استخدام الكثيرين للثقافة مثل كلايد كلوكوهن وكروبير على غرار ما يسمى بالظاهرة الاجتماعية والثقافية فى علم لاجتماع الألمانى .

وأما عن تايلور فقد تأثر بدوره من Comte و Teodor waiz و Qustav klemm الذى وضع فى كتابه الثقافة البدائية، ومع ذلك نجد أنه قد أحجم عن استخدام المفاهيم والمصطلحات الفرنسية. إلا أنه بعد نشر كتابى هربرت سبنسر The study of sociology ومبادئ علم الاجتماع The principles of sociology نالت المصطلحات الفرنسية القبول والتناول عند علماء الأنثروبولوجيا البريطانيين، مما كان له دوره فى الاهتمام بالجانب الاجتماعى. وأما عن الرؤية الثقافية فى البحث الأنثروبولوجى فقد كانت هى الباعث الرئيسى فى الاهتمام بالجانب الاجتماعى، فبالنظر إلى كتاب روبرت لوى Lowie المجتمع البدائى Primitive society نجد أن أفكاره وآراءه تواكب الأفكار المتداولة لمورجان فى كتابه المجتمع القديم Ancient society ، وإن كان الأخير له تميزه عن فكرة الثقافة البدائية التى تناولها تايلور فى كتابه الذى حمل نفس العنوان رغبة من مورجان فى الإشارة إلى الاهتمام بالجانب الاجتماعى «المجتمع» كبديل عن الثقافة الذى أبدى فيه مورجان اهتماماً كبيراً بالتنظيم الاجتماعى والبناء الاجتماعى

واعترضه كذلك على التكنولوجيا والأيدولوجية ، بينما حاول بول رادين P. Radin السير على نفس الدرب، ولكن برؤية مختلفة في ما يعنيه بالجانب الاجتماعي، حيث يرى ضرورة إغفال الجوانب الفيزيقية، والأيكولوجية واللغوية عند دراسة الجانب الاجتماعي. وعلى جانب آخر ذكر مالينوفسكى فى خطاب له بعث به إلى مدير مدرسة لندن للاقتصاديات London school of economics عام ١٩٢٣ بشأن موافقته كمحاضر فيها حيث اقترح فيه أن تكون محاضراته تحت عنوان «الأنثروبولوجيا الاجتماعية» على اعتبار أن مدرسة لندن تمثل مركزا لعلم الاجتماع ذات طابع إنجليزى تقليدى. ومن ذلك يتضح لنا على وجود الشيفونية المحلية أو الوطنية فى التوجيهات العلمية متمثلا فى نبذ المدرسة الإنجليزية للاتجاهات الثقافية كونها مأخوذة من المصطلح الألمانى Kultur، التى كان ينظر إليها على أنها Fine shade ولهذا ظل الأنثروبولوجيون البريطانيون والمعاصرون يفضلون الاهتمام بدراسة الجوانب الاجتماعية من الحياة ويؤكد Godffry Lienhardt على أنه مازال الكثيرون من علماء المدرسة الإنجليزية يطلقون على علماء الأنثروبولوجيا الأمريكيين والمعروفين باهتمامهم الثقافى أنهم أنثروبولوجيون اجتماعيون أمثال فرانس بواس Boas وريموند فيرث وروث بندكت<sup>(١)</sup>.

ومن ثم على أى أساس إذن تتكون النظرية البريطانية للأنثروبولوجيا الاجتماعية؟ فلقد اعتمدت تلك النظرية على التطور والنمو الكبير الذى حدث

(1) Kuper, Adam, 1996, Anthropology and Anthropologists. The modern British School. Routledge. England.

- Urry, James, 1993, Before social Anthropology. Essay on the history of British anthropology.

لعلم الاجتماع الفرنسى خاصة فى التفسيرات والتحليلات الدوركايمية التى استندت على أفكار كل من هربرت سبنسر خاصة ما يعرف بـ Super organic و Comte عن الحقائق أو الوقائع الاجتماعية Social facts للوحدات الأساسية للأحداث الثقافية الاجتماعية، ولهذا اعتمدت تلك النظرية البريطانية على نظرية المعرفة الدوركايمية للوقائع أو الأحداث الاجتماعية الحادثة الآن<sup>(١)</sup>.

وهذا ما أوضحه راد كليف براون من أن تأثير دور كايم كان ضروريا لتطوير ونمو الاتجاه البنائى الوظيفى البريطانى British structural functionalism وهذا الدور لعبه أيضا Parson فى شيوع الاتجاه البنائى الوظيفى والاستعانة به فى الدراسة الثقافية فى الولايات المتحدة، ولذا لم يكن لرادكليف براون دور فى هذا، وكما أكد Parsons أيضا على أن الأنساق الاجتماعية تتكون من ثلاثة أبعاد أساسية هى البناء الاجتماعى والثقافة والأيكولوجيا كما كان له تأثيره على Kroeber الذى يرى أن الثقافة تتمثل فى تلك القيم Values بمعنى أن تلك القيم تمثل الثقافة التى ينظر إليها على أنها Motor Reactions أو القوى المحركة لردود الأفعال وكذلك السلوك المستحدث، ويتفق كل من Comte على أن كل من Parsons, Kroeber وسبنسر وماكس فيبر ودوركيم قد تحدثوا عن المجتمع على أساس أنه مجموعة من المعانى أو المفاهيم الضرورية التى لها بالضرورة نفس الشئ الذى يعنيه تايلور بالثقافة، ولذا فقد كان من الضرورى إيجاد تفسيرات أكثر وضوحاً لهذه المفاهيم الغامضة والكثيرة للثقافة والمجتمع،

---

(1) Ibid.

ولذا نرى ضرورة التناول المنهجي الثقافي في حدود التفسيرات الخاصة للمفاهيم المستخدمة في شقها الضيق عند الاستخدام المنهجي عن ما هو متبع لدى الكثيرين من علماء الأنثروبولوجيا الأمريكيين، مع ربط المفاهيم التي تم وضعها في إطار أنماط القيم والأفكار أو في إطار بعض المعاني الرمزية كعوامل تعمل على تشكيل الإنسان وسلوكه<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا الأساس فإن الاختيار المنهجي والنظري بين ما هو اجتماعي وثقافي هو اختيار لأجل إيجاد معطيات ملائمة للواقع الاجتماعي ودينامياته، وهذا الاجتهاد المنهجي يمثل أحد أهم مراحل البحث الأنثروبولوجي حساسية، من حيث الاستخدام المنهجي السليم دون الاعتماد على إجابات ذات طابع فلسفي أو علمي صرف تعتمد على أفكار ومعايير معقدة ومبهمه، وعلى هذا السياق ترتبط القضية المنهجية بالأسس النظرية المتبعة التي اعتمد عليها في التحليل الأنثروبولوجي. ومع هذا نؤكد على أن كل من الجانبين الاجتماعي والثقافي كان لهما دورهما وتميزهما بما أفاد البحث الأنثروبولوجي في مرحلة من مراحل تطوره، وهذا ما يبرز في اهتمام البحث الأنثروبولوجي بإبراز مستويات التغير الثقافي والاجتماعي من خلال دراسة المجتمع البدوي كبناء اجتماعي<sup>(٢)</sup>.

إن الاستخدام النظري للبداءة في العديد من الدراسات السابقة يتم معالجته بطريقة مزدوجة، فتارة في إطار البحث الاجتماعي وتارة أخرى في

(1) Harris, Marvin, 1980, History Ideological of the Separation of social and cultural Anthropology. In, Ross, Eric B. Beyond the Myths of culture, Essays in cultural materialism Academic press N.Y.

(٢) محمد عبده محجوب، أنثروبولوجيا المجتمعات البدوية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية،

الإطار الثقافى، وقد يبدو هذا مقبولا من الإطار المنهجى وذلك للعديد من الاعتبارات المذهبية التى صاغها العديد من علماء الأنثروبولوجيا، إلا أنه فى حقيقة الأمر يمثل قضية منهجية هامة فى البحث الأنثروبولوجى، خاصة أنه أصبح الآن وجود حاجة ملحة للتمييز بين ما هو اجتماعى وثقافى، نتيجة لوجود التداخل والخلط المستمر بين المفهومين، حتى إننا نجد فى حالة اختيار أى منهما يكون فى العادة مجرداً من المدلول المعرفى والفكرى منهجياً ونظرياً، ولعل أقرب مثال فى ذلك هو الاتجاه البنائى الوظيفى لرادكليف براون الذى مازال مسيطراً على الفكر الأنثروبولوجى بل على أغلب الدراسات والبحوث التى اعتمدت على المبدأ الوظيفى فى تحليلاتها دون تمييز فخرجت النتائج بالكثير من المعانى الغامضة والخادعة لطبيعة الظاهرة، ونتيجة لذلك ذهب العديد من الدراسات إلى نتائج مؤداها ضرورة الاهتمام بعمليات التفاعل والتساند فى العلاقات والبعد فى التحليل عن العوامل السببية فى الظاهرة وهذا دفع رالف لينتون Linton إلى محاولته فى توضيح هذا بالتفريق بين الشكل والمعنى فى الاستخدام الوظيفى للثقافة بفشكل الثقافة «البدوية» ما هو يمكن إدراكه وفهمه عن طريق الحواس عامة وما يمكن وصفه بشكل موضوعى عن الحياة البدوية، والمعنى هو مجموعة الأشياء أو الذاتية التى تتضمنها هذه السمة التى تتميز بها الثقافة الضمنية، وأما عن استخدامها فهو علاقتها بالأشياء خارج المجتمع والثقافة، وأما وظيفتها فهى علاقتها داخل المجتمع والثقافة (١).

فالبداوة فى ضوء ما يراه رالف لينتون من ناحية الشكل هى عبارة

---

(1) Kroeber. A. L., 1963, Anthropology, Culture and the world, Partterns and Processes. Hercaules Brace Inc., N.Y.

عن مجموعة من الصفات الأيكولوجية ممثلة في الكثبان الرملية وسهول ومرتفعات وندرية المياه في الحياة الصحراوية وكلها أشياء محسوسة من خلال صعوبة الحياة في مثل تلك الظروف، وهذا المظهر الحسى في المعنى الثقافى يضاف عليها سمة البداوة كسمة الثقافة البدوية. والحقيقة أن البداوة لانجدها فقط في المناطق الصحراوية، ولكن في مناطق الغابات والمناطق الجبلية وغيرها من المناطق التى تخضع تماما للظروف الأيكولوجية، ومن ثم فأنشطة الرعى أو الجمع والالتقاط أو الصيد هى أنشطة لا تهدف قط إلى الاستخدام الأمثل لطبيعة الحياة السائدة لكل منطقة من تلك المناطق بقدر أن أنساق القيم هى تلك القوة المحركة لأداء تلك الوظائف، ولهذا فإنه من الناحية الوظيفية هنا لا تعنى توفير وسائل معينة لأفراد تلك الجماعات أو المجتمعات كاستجابة لنسق القيم، وعلى هذا فإننا فى هذا البحث نركز على المعنى الذاتى للثقافة البدوية الذى لا شك فى أنه يختلف من مجتمع لآخر على نحو ما عرضنا.

ومن ثم فإن مسألة ما يعرف بالتكيفات الثقافية فى البحث الأنثروبولوجى لابد لها أن توضع داخل إطار نسق القيم، وخلاف ذلك لا يمكن لأى إنسان فى أية ثقافة أن يقوم بنشاط الرعى فى صحراء جرداء، أو بالأمل فى البحث عن موارد معيشية من خلال الجمع والالتقاط أو حتى الصيد خوفا من الأخطار التى يلاقيها»، ولكن نسق القيم هو الذى عزز من تلك الأفعال الاجتماعية، الذى جعل لها دورها المزيج، بينما نجد أن الرؤية الوظيفية لها جانب واحد يتمثل فى القيام بالوظيفة ذاتها المحصورة داخل نطاق النشاط سواء أكان الرعى أو الصيد ... الخ، بينما نجد نسق القيم



يحوى تلك الأفعال المتنوعة والمختلفة فى كافة نواحي الحياة البدوية الاجتماعية، والسياسية والضبط الاجتماعى التى تمثل استجابات ذات علاقات سببية وليست وظيفية، فلم يعد الرعى فى الصحراء أو حتى الصيد فى المناطق الجبلية يمثل استجابات منتظمة للحاجة البشرية الذاتية لاعتمادها على متغيرات يصعب الاعتماد عليها والتحكم فيها، ويدل على ذلك أنه على الرغم من الاتصال الثقافى وانفتاح المجتمع البدوى على الثقافات الأخرى، إلا أن الرعى مازال قائما كما أن الكثير من الكتابات تشير إلى جماعات اللابوتيين فى الدول الإسكندنافية مازالوا يمارسون الحياة البدوية على الرغم من التقدم التكنولوجى فى تلك المناطق، فممارسة الحياة البدوية ليست حاجة مستمرة وملحة وأساسية بقدر أنها تلك الثقافة<sup>(١)</sup>.

وهذا أيضا يمكن التأكيد عليه من خلال النسق السياسى بتحليل القضاء العرفى فى المجتمع البدوى الذى يتصف بالقبول والاختيار كجزء من الأعراف والتقاليد حيث إن تنفيذ قواعد الضبط الاجتماعى صادر عن رضا واختيار وفق مبادئ تتفق مع تلك القواعد والمبادئ الأخلاقية لاعتبارات تتعلق بنسق القيم ومبادئ الأخلاق التى هى القاعدة الأساسية لروح القانون العرفى<sup>(٢)</sup>. بينما وظيفة القانون الوضعى هى تنظيم السلوك الإنسانى من

(1) Harris, Marvin, 1980. op.cit.

• أنظر إلى دراسات كل من :

محمد عبده محجوب ، الكويت والهجرة، دراسة للآثار الديموجرافية للبتروى فى المجتمع العربى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٧٧.

فاروق مصطفى إسماعيل، التغير الاجتماعى الصحراوى : دراسة فى منطقة مريبط، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآداب، جامعة الإسكندرية، إشراف أ.د. عاطف غيث، ١٩٧١.

عليه حسن حسين ، التغير الاجتماعى للوادي الجديد : دراسة أنثروبولوجية للواحات الخارجة، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية الآداب، جامعة الإسكندرية، إشراف أ.د. أحمد أبو زيد، ١٩٧١.

(٢) القضاء العرفى فى شمال سيناء، لجنة جمع التراث بمحافظة شمال سيناء ١٩٩١.

خلال توقيع الجزاء وجبر الخارجين عن نظم المجتمع الالتزام بها ولو باستخدام القوة عند الضرورة عند تطبيق الجزاءات وذلك عن طريق سلطة عليا تستخدم القوة المادية، وليصبح الأمر يتخذ صفة الإلزام لتنظيم الحياة والسلوك داخل المجتمع، ولكن في القضاء العرفي داخل المجتمع البدوي فالالتجاء إلى الجزاء هو من الأمور الاستثنائية، لأنه في الغالب ما يكون الاحترام والطاعة عن رضى وقبول تامين، لأن القاعدة القانونية تم قبولها برضا واختيار كما أنها تتفق مع قيم ومبادئ الدين التي هي في حد ذاتها تمثل القاعدة القانونية التي يمكن لها أن توفر الحماية والاستقرار لأفراد المجتمع البدوي(\*) . ولذا يمكن التأكيد بالادعاء بأن القضاء العرفي أكثر تطوراً وتقدماً من نظيره الوضعي، وكفى القول بأنه يوجد في بعض الثقافات أن يلجأ الفرد إلى أخذ حقه بنفسه وهذا ما جعل الحياة الاجتماعية في هذه الثقافات غير مستقرة وأقرب مثال على ذلك ما يعرف بظاهرة الثأر الذي يمثل مخالفة لنظم المجتمع باعتباره ليس له أسس ثقافية بقدر كونه ممارسة تعتمد على القوة الذاتية.

ومن ثم فالتحليل الثقافي يأخذ برؤية أن القضاء العرفي هو الطريق الذي توحى به الفطرة ومنه أنشأت المجتمعات الأولى القاعدة القانونية، ولهذا فالقضاء العرفي أبعد كثيراً من أن يكون له دور وظيفي كنسق للضبط

(\*) أنظر إلى دراسات :

محمد عبده محجوب ، نظم الحكم في المجتمعات القبلية : دراسة أنثروبولوجية مقارنة في بعض المجتمعات الأفريقية، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآداب، جامعة الإسكندرية، إشراف أ.د. أحمد أبو زيد ١٩٦٧ . ٠ -

محمد عبده محجوب ، موسوعة القانون العرفي لقبائل أولاد علي، العرايد المنبوعة والجاري الحكم بموجبها والقواعد الشرعية في تحديد قيمة الدية والنظارة في الصحراء الغربية المصرية، ١٩٩٢ .

الاجتماعى على نحو القانون الوضعى، بقدر أنه يمثل حاجة ثقافية أو كسلوك ثقافى لمظاهر التجربة من خلال ممارستها أنها تعكس طبيعة تركيب السلوك الثقافى داخل المجتمع البدوى بالرجوع إلى هذا التركيب الثقافى يمكن اكتشاف نسق القيم من خلال سلسلة الأنشطة الثقافية المختلفة المتميزة لأفراد المجتمع البدوى وليس فقط من خلال تحليل القانون العرفى. وهذا أيضا ما ينطبق على غيرها من العناصر الثقافية كاللغة حيث نجد أن البحث اللغوى الأنثروبولوجى قد سار على هدى مجموعة من المبادئ التقليدية المعروفة، ولذا فهناك ضرورة إلى تحليل منهجى فى إطار الفهم السليم للبداءة من خلال اكتشاف تلك المفاهيم الثقافية التى عادة ما تكون غير لغوية بتحليل محتوياتها التى تبدو لنا غامضة فى كافة مستويات التحليل الأنثروبولوجى، ومن ثم فنحن فى حاجة إلى محاولة التعرف على تلك الجوانب غير اللغوية لنستنبط منها دلالات لغوية، وهذا سوف يؤدى إلى دراستها دراسة ترابطية فى إطار التحليل الثقافى لمصطلح البداءة.

ولعل البحث فى الثقافة كحقيقة مطلقة هى عملية بحثية تفوق طاقة وقدرة الباحث الأنثروبولوجى، نظراً لأن الثقافة هى ميدان واسع مترامى الأطراف ولكونها مجموعة تجارب حياتية استمدت عبر التاريخ مما أضفى عليها صفة التراكم الاجتماعى، ولهذا فإن تفسير الثقافة بشكل موضوعى يمثل طريقة صعبة، حيث إن الثقافة فى طبيعتها لا تبدو لنا كظاهرة واضحة الإدراك خاصة التعريفات التقليدية لها التى تحمل الكثير من الأفكار والمعانى الفضفاضة، بل بكثير عن المعنى الشائع والمألوف، ويبدو هذا فى المشكلات الحالية للثقافة، خاصة ما يعرف اليوم بالانقسام الثقافى الحادث

فى العففء من بلدان العالم، التى أصفءت بفورفا ءعكس قضاىا علمفة ءفءة لفسء ءقاففة علف ءوماف هو معارف علفه، الأمر الذى فءطلب وءوء رؤى ءفءة ءفرض ذافها علف البءء الأنءروبولوجى نظرفا ومنهءفاً.

ومن ءم فإن قالب النظرفة ءقاففة لافء له أن فسفر مع أحداث ءافرفف ولفس ضءه علف اعءبار أن ءومر ءقاففة فكمف فى ءافرفف ولا فمكن ءصور ءافرفف بلا ءقاففة والشعب الذى ففقد ءقاففه ففقد ءءماً ءافرففه، ولهذا فهى ءعكس بصورة ءففة وسلفة قءراء وإمكانفاء المعءمع، ولا فوءء معءمع أو ءفى ءماعة فمكن لها أن ءعفش ءاىل ذاففة ءقاففة ءاصة بها، فهناك الآلفة والءفنامفة فى ءءفاعل والاشءراك فى ءقاففة عامة «ءقاففة الأم»، وهذا فمكن إدراكه فى نسفء العلاءاء الاءءماعفة للءماعة، وإن كان ءءلفل ذلك بشكل موضوعى فمءل صعوبة بالغة فى إدراكه بءلقائفة. وفى هءه النقطة فءب أن ءؤكد علف أن ءراءسة الأنءروبولوجفة قء ظءل ءءى الآن مقفءة بموضوع الذاففة ءقاففة نظرفا ومنهءفاً، فعلى سبفل المءال مازاء ءءرس البءاوة وقضاىافها ءاىل إطار الانءماء القبلى والعرفى الأمر الذى ءعل مسءوى ءءلفل الأنءروبولوجى لا فءعءى سوى ءراءسة البءاء القبلى المغلق، مما ابءءء أفضاف بمسءوى ءءلفل عن معرفة العلاءاء السببفة والمءءاىلة للءفاة الاءءماعفة البءوفة التى هى فى ءقففءها ءقوم علف ءءفاعل المسءمر مع المعطفاء المعطفة بها، الذى فظهر فى صور ءءى، وفى ءنوع الأنشطة الءفاةفة المءءلفة.

وما زال أفضاف الاءءاء الساءء فى البءء الأنءروبولوجى هو الاعمءاء

على أساليب منهجية معينة واعتبارها النموذج الأمثل، ففي دراسة البداوة على سبيل المثال نجد الابتعاد عن الوصف - حيث لاقت البحوث الوصفية الكثير من النقد، بل ذهب الكثيرون من علماء الأنثروبولوجيا بادعائهم بأن دراساتهم تبتعد عن الوصف خاصة الوصف البسيط - رغم أن الوصف يمثل الخطوة الأولى الأساسية في البحث الأنثروبولوجي على اعتبار الوصف يمثل معرفة مطلوبة(\*) . إلا أن هذا الوصف في حاجة إلى صياغة منهجية تتناسب مع الواقع الاجتماعي لأجل الكشف عن سبل الحياة المتاحة داخل المجتمع البدوي، ولتحقيق ذلك يتطلب من الباحث في مثل تلك البحوث على وضع عدد كاف من الفروض والمفاهيم المسبقة حتى يمكن إيجاد تفسير سليم للظاهرة، أو بتعبير آخر أن الوصف المطلوب في دراسة الظاهرة أنثروبولوجيا في حاجة إلى دليل تجريبي أكثر من الاعتماد عليه في المقارنة التي عادة ما تكون غير عادلة ومنصفة، على نحو ما ذهب إليه الكثيرون في دراسة الظواهر الاجتماعية.

والوصف هنا في دراسة المجتمع البدوي يستند إلى وصف حقائق ثقافية عن الحياة البدوية دون الاعتماد على أدبيات تقليدية تصور الحياة البدوية باعتمادها على الرعى كأحد النشاطات الحياتية المتاحة التي فرضتها الظروف الأيكولوجية بما يتواءم مع طبيعة الحياة الصحراوية، مما دفع العديد من الدراسات إلى الافتراض بأن الرعى يمثل أداة معيشية تتناسب تناسباً متوازياً مع ما تسمح به الظروف الأيكولوجية السائدة، أو بتعبير آخر

---

(\*) أنظر إلى دراسة : أحمد أبو زيد ، المجتمعات الصحراوية في مصر، البحث الأول، شمال سيناء، دراسة إثنوجرافية للنظم والأنساق الاجتماعي، المركز القومي للبحث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ١٩٩١.

وحدها تحدد وتشكل الممارسات السلوكية، وهذا يعد قولاً غير ذي معنى، ولذا من الضروري التأكيد على أن المكونات أو العناصر الثقافية لها نفس ذلك التأثير. وعلى هذا فالرعى أو الأنشطة الرعوية أو غيرها من الأنشطة الأخرى كالزراعة والصيد هي أنشطة قامت نتيجة أيديولوجيا ثقافية، كما أنها في نفس الوقت أنشطة تمثل شكل من أشكال الاستجابة للظروف المعيشية المحيطة المرتبطة بنسق القيم<sup>(١)</sup>.

وإذا كانت الرؤية التحليلية تنطلق من المفهوم النظري للبداءة نجد أن الشروق الثقافية قد انبثقت بطريقة أو بأخرى من الظروف الأيكولوجية، وهذا جعل الرعى الوسيلة الأساسية بل يمثل النموذج الأمثل داخل إطار نسق القيم لأن خلاف ذلك المعيار القيمي يصبح مستوى التحليل سطحي، على اعتبار أن القياس الذي نستعين به في التحليل والتفسير يتسق مع نسق القيم كمعيار للقياس كواقع فعلى يمكن الاعتماد عليه أو بتعبير آخر أن نسق القيم يمثل ذلك المبدأ الذي يعبر عن دور الظاهرة في الحياة الاجتماعية داخل المجتمع البدوي.

إن وصف التحولات التي حدثت في المجتمع البدوي يجب أن يعتمد في دراستها على فروض ثقافية وليست اجتماعية على اعتبار أن الثقافة هي المحرك أو القوة التي دفعت إلى التغيرات الاجتماعية الحادثة الآن في المجتمع البدوي، ولو كان مرتبطاً بنسق القيم الذي سمح بذلك التغير - والوصف هنا غير معنى به استنباط التباين الاجتماعي والثقافي، ولكن الذي نعى به في البحث هو تحديد السمات والخصائص التي تتضمنها الثقافة

(1) Galaty, John G., 1981, Introduction Nomadic Pastoralists social change process and erspectives, E. J. Brill leiden, Netherlands.

البدوية، وهذا عكس ما هو متبع فى البحث الأنثروبولوجى التقليدى الذى يعتمد على منظورين منهجيين فى دراسة البداوة، الأول يركز على مسألة الاهتمام الثقافى والاجتماعى، وأما المنظور الثانى فيعتمد على ما يتصف به المجتمع البدوى بأنه مجتمع تقليدى غير متغير بالطريقة التى تحدث فى باقى الثقافات الأخرى - وأنه من خلال دراسة نتائج العديد من الدراسات السابقة تأتى عملية الوصف منهجيا بأفكار غير موضوعية وفقا مع طبيعة ما حدث ويحدث فى المجتمع البدوى بل فى غيرها من المجتمعات الأخرى التى تعيش حالة من التغير والتبدل الدائم والمستمر، ولذا فالفروض التى وضعت فى إطار تلك الدراسات الأنثروبولوجية المعتادة قد جاءت غير متسقة بالواقع الاجتماعى والثقافى، ولهذا يمكن القول فى هذا السياق إن أية دراسة سارت على النحو السابق للمنظورين السابقين قد اعتمدت على الوصف البسيط ذى الرؤية النظرية الأكثر تبسيطا، وهذا ما يرفضه البحث الأنثروبولوجى فهى دراسات لم يستفد منها كثيرا بما أفرزته الدراسات الحقلية، أو أنها قد ألفت بنتائج الدراسة الحقلية جانبا، ولهذا فهى دراسات وُصفية لم تستند لدلالات واقعية. ولقد كان من نتائج مثل هذه الدراسات أنها قد ذهبت إلى وصف الحياة البدوية بالاستاتيكية نتيجة الاعتماد على متغير واحد فى الدراسة كمنظور أحادى فى تماسك أنساق وأنظمة المجتمع نتيجة لافتراض مؤداه أنه مجتمع مغلق واعتبار البداوة فى حد ذاتها نسق متميز فى انغلاقه.

ولهذا يمكن القول أن البحث الاجتماعى اعتمد كثيرا على أطر ومصطلحات محددة ومتكررة أضفت سمة الإستاتيكية على البحث

الاجتماعى وكذلك فى التصنيف ووضع المعايير، وهو الأمر الذى دفع البعض إلى معالجة تلك القضايا فى إطار الدراسة الاجتماعية التى هى فى حقيقتها فى حاجة إلى التجديد حتى يصبح المنهج المتبع فى دراسة ما صالحا للتطبيق، وهذا فى حد ذاته ليس عملا سهلا خاصة عند وضع معايير منهجية مقبولة فى ضوء القواعد السوسيولوجية المتعارف عليها. ف رؤية البداوة أو غيرها من الأنماط الثقافية على أنها مجتمعات متخلفة أو مغلقة فيه الكثير من التعسف، ولذا فإن المقارنة على هذا النحو مع الثقافات الأخرى لا يمكن أن يكون مقبولا خاصة عند مقارنتها فى ضوء الوسائل التكنولوجية المتاحة والأساليب المعيشية البسيطة مقارنة بالأساليب العصرية من حيث أن أى من أدوات الحياة المعيشية البدوية المستخدمة فى الحياة اليومية لا تقل فى تقدمها عن مثيلتها فى الثقافات الأخرى، وهذا يدل على أن نسق المعايير لا يقبل المقارنة والقياس على هذا النحو المستخدم فى بعض البحوث الاجتماعية، وهو ما نعى به تعديل المنظور المقارن كمنظور تقليدى اتجه إلى ما يعرف بالأشكال القديمة والحديثة فى البحث الأنثروبولوجى.

وهذا أيضا ما تجده على نحو اهتمام البحث الأنثروبولوجى بموضوع العادات والتقاليد إلى أبعد حد ممكن، وهذا يتطلب أيضا إعادة النظر لآى دراسة تتعلق بذات الموضوع لأجل ترسيخ مفاهيم موضوعية تبتعد عن المفاهيم التقليدية السائدة فى البحوث الأنثروبولوجية، فإذا كانت أنساق القيم هى ذلك البناء النظرى والمنهجى إلا أن ذلك لا يمكن أن يكون مدخلا منهجياً لتقسيمات علمية تعسفية لموضوع المجتمع، رغم أنه يمكن القول أن مثل تلك التقسيمات كانت تمثل محاولات جادة لإيجاد رؤية سليمة مع



الاعتراف بأن تلك الرؤى كانت إلى حد ما مفيدة للبحث الأنثروبولوجى فى إيجاد تحليلات تتسم بالمرونة لإبراز النظم السائدة فى المجتمع، إلا أنها لا يمكن أن تكون ذلك النموذج الأمثل غير كونها تمثل صوراً أو أشكالاً لأفكار نظرية، ولذا نجد أن الاهتمام بموضوع العادات والتقاليد كمدخل فى فهم المجتمع أوقع العديد من العلماء فى دراسة تلك المجتمعات من مدخل واحد وهو أنساق القرابة لأى موضوع بحثى وما زالت تلك الرؤى مهيمنة على البحث الأنثروبولوجى جعلت منها نظرية أساسية فى فهم البناء الاجتماعى والثقافى(\*)، إلا أن الجانب الإيجابى فى ذلك أن أغلب تلك الدراسات أكدت على قوة البناء الثقافى ومع هذا ما زال هناك العديد من البناءات فى حاجة لاكتشاف رؤى منهجية جديدة تتناسب مع الواقع الاجتماعى، كما أن الاعتماد على قوة البناء الثقافى لا يمكن أن تكون دليلاً بالادعاء على أن مثل هذه المجتمعات تمثل نموذجاً فى البناء له شكل خاص، لأن قوة البناء الثقافى تمثل نوعاً من الآلية والديناميكية ضمن الثقافة العالمية(1).

ولذا فإن الادعاء بمفاهيم وتفسيرات للبداءة على أنها نمط من أنماط الحياة التقليدية يحتاج إلى وقفة منهجية دقيقة، فالتقليدية هنا ليست بالمعنى المتخلف أو البدائية أو أنها تشير إلى قياس لمستوى تكنولوجى أو ثقافى معين، بقدر أنها تعنى من وجهة نظرنا بأنها نسق قيم تدل على البقاء والاستمرار، كما أنها فى نفس الوقت تأكيد على أن أداء بعض الأنشطة (1) أنظر إلى دراسة : فاروق مصطفى إسماعيل، العلاقات الاجتماعية بين الجماعات اللاتينية فى منطقة غرب مريوط، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية الآداب، جامعة الإسكندرية، إشراف أ.د. أحمد أبو زيد، ١٩٧٥.

(1) Gingrich, André 1992. Concepts and confusions, Understanding Middle eastern societies. in current Anthropology, vol. 33 N 1. 1992.

داخل الحياة البدوية يجب أن يتم بنفس الطريقة، وهذا لا يعنى بالتقليدية هنا أيضا الإشارة إلى الحياة الرعوية فى المجتمع البدوى حيث لا يجب أن يفسر الرعى بأنه الطريقة الطبيعية التى يجب أن يمارسها الأفراد كون أن ذلك يمثل تلك السمات الثقافية ومركز الدفع لأنماط العلاقات الاجتماعية، وليس على النحو الذى نتصوره عن المجتمع البدوى الذى يشكل محيطاً اجتماعياً معقداً ومغلقاً، الأمر الذى ساعد فى التأكيد على تلك المغالطة العلمية فى القول بأن البداوة هى تلك الحياة البسيطة التى صورها البعض على أنها النموذج الأمثل لتلك المجتمعات. ولذا يجب أن ننظر إلى مصطلح البداوة على أنه طريقة للنظر إلى الأشياء وتحليلها فى إطار كونها نسق قيم تنبثق من الثقافة وليس من ديناميات التكيف الأيكولوجى.

ولهذا من الضروري أن نستبعد بعضاً من الأفكار والمفاهيم المتعلقة بالتقليدية التى كانت أمراً مسلماً كروى منهجية ونظرية، ومع هذا فإن تحليل مصطلح البداوة يمكن تحليله إلى عدد من المعايير:

#### ١- المعيار الأول : الانتماء العام كصفة أساسية .

٢- المعيار الثانى : هو المعيار الذاتى من حيث الإنتاج الذاتى أو التسيير الذاتى، وهذا الإنتاج الذاتى يمثل قيمة اقتصادية وثقافية تتجه نحو الموارد الطبيعية المتاحة(\*) .

---

(\*) انظر إلى دراسة: عبد الله عبد الغنى غانم ، التبادل وعمليات الاستثمار والادخار فى المجتمع التقليدى والحضرى، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، إشراف أ.د. أحمد أبوزيد، ١٩٧١.

### ٣- المعيار الثالث : سلطة ذاتية مطلقة.

٤- المعيار الرابع : تعدد محاولات الأنشطة ووسطيتها، أو ما يسميه Cole تحت خط الإنتاج pluri-Economic أو ما يراه Eph'ol "complex Economic" الذى يمثل نظاماً اجتماعياً ذا أيديولوجية جماعية فى ضوء نسق القيم الذى جعل منها وحدة اجتماعية مستقلة اقتصادياً<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا نجد أن معالجة البداوة تتطلب إيجاد مجموعة من التصورات المنهجية والنظرية حتى يمكن لها معالجة طبيعة التغيرات الحادثة فى المجتمع البدوى، خاصة تطور صورة القرية البدوية، الأمر الذى يتطلب من التحليل الأنثروبولوجى إيجاد معايير التطور التى يمكن التنبؤ بها والتى كانت السبب فى حدوث تطور التجمعات البدوية إلى مستوى القرية ذى النمو الحضرى، مع هذا يجب الإشارة إلى أن طبيعة نشأة القرية فى المجتمع البدوى قد جاءت لتواكب طبيعة المجتمع البدوى وثقافته، ويمكن لنا فى هذا السياق أن نسجل الملاحظات التالية :-

١- فمن ناحية المكان نجد أن القرية البدوية قد تكونت وفق نسق القيم من حيث الارتباط بالأرض فى حدود الحيازات المتفق عليها، إلا أن العلاقات الاجتماعية خرجت عن حدود تلك الحيازات لتواكب تطور التجمعات البدوية، ولذا فالتحليل الأنثروبولوجى لابد له أن يوضح بجلاء تلك السمات الثقافية وأساليب المعيشة التى تغيرت نتيجة التغيرات التى طرأت على المجتمع،

(1) Marx. Emanuel. 1984, Economic change among pastoral Nomads in middle East, in Marx,E. and Shmueli, A. (eds) The changing Bedouin, Tranaction inc., N. J.

وعلى هذا فإن تلك التفسيرات تبدو قيمتها فى ضوء النظرية الثقافية، التى يمكن لها أن تفسر وتحدد السمات الثقافية التى كان لها دورها فى التغيرات التى حدثت فى الحياة البدوية ويصل بالتفسيرات إلى استنتاجات أكثر ملائمة تتفق مع النظرية الثقافية لما تعكسه من صور حقيقية لقدرات وإمكانيات المجتمع البدوى، وكذا لقدرات ودوافع الناس وكلها عوامل ساعدت على تكوين ثقافة المجتمع ووضعت الأطر الملائمة لنسق القيم السائد فى المجتمع البدوى(\*) .

٢- أن انحسار الرعى لا يقابله سقوط شرط البداوة، كما أن اشتغال الإنسان البدوى بالزراعة غير المستقرة، أو حتى المستقرة لا يضيف سمة الطابع الريفى على نمط الحياة البدوية فالقرية البدوية لها خصائصها وإيقاعها الخاص بها وهو ليس إيقاع العمل الرتيب أو المنتظم على نحو ما هو سائد فى القرية الريفية، وإنما هو إيقاع منقطع مرتبط بما تسمح به الظروف الأيكولوجية، وبالتالي يمثل الجانب الأيكولوجى شرط البداوة. وفى هذا السياق نعرض مثالا لجماعات اللابونيين Lapps القاطنين للأقاليم الشمالية فى إسكندنافيا وفنلندا والسويد والنرويج الذى يركز نشاطهم الاقتصادى على رعى الرنة المستأنس فى رحلات يتجاوزون فيها حدود الدول الإسكندنافية حسب الظروف المناخية المتاحة من حرارة ودفء، كما أن لابينو الساحل الأسكندنافى على الرغم من أنهم أول من استأنسوا حيوان الرنة، إلا أنهم قد تركوا رعى الرنة، ومع هذا فهم يعيشون حياة مستقرة بلا

---

(\*) انظر إلى دراسة: فوزى رضوان العربى، نظام وحيازة الأرض وأثره فى النظم الاجتماعية التقليدية : دراسة فى الأنثروبولوجيا الاجتماعية رسالة دكتوراة مقدمة لكلية الآداب، جامعة الإسكندرية، إشراف أ.د. أحمد أبو زيد ١٩٧٩.

تنقل ولكنها بدوية محضة، ولهذا فالظروف الأيكولوجية هي أهم معايير البداوة، ولهذا لا يصلح أن يكون التجوال والترحال والاشتغال بالرعى أو الصيد أو الجمع أو القنص وحدهما معيارا للبداوة.

٣- يمكن لنا أن نطلق على الثقافة البدوية بأنها ثقافة بلا زمن، فمن واقع الحياة الاجتماعية والاقتصادية نجد أنها ثقافة لديها القدرة على الاستمرار في الزمن دون وجود ضرورة في التغيير باعتبار أن لها القدرة على إيجاد الأسلوب المعيشي القادر على استيفاء متطلبات الحياة اليومية، فقد يبدو للباحث الأنثروبولوجي أن التجوال والترحال هو أحد أهم شروط البداوة، ولكن في ضوء نسق القيم البدوية، نجد أنها ضرورة ثقافية تعود عليها الإنسان الذي يعيش في تلك الثقافة سواء في المجتمعات الصحراوية أو في المناطق القطبية الشمالية أو غيرها من المجتمعات الشبيهة بها في أن يعيش حياة فيها حرية الترحال والتنقل (الحرية كمعيار قيمى) الذى يمثل بالنسبة له كذاتية ثقافية أو كنسق للقيم الذى مازال له دوره المؤثر في حياة تلك المجتمعات سواء الصحراوية أو القطبية الشمالية، وحتى لدى جماعات اللابونيين التى تعيش في المناطق الاسكندنافية المتقدمة رغم ما بها من ازدهار مطرد في الحياة الاقتصادية، وهذا يؤكد على أن مسألة الاحتياجات الثقافية تمثل حياة مصيرية للإنسان رغم حركة الزمن التى تتطلب التغيير ولهذا سنتظّل الثقافة البدوية في تلك المجتمعات شاهدا لتراث يعبر عن قيم وسمات نحن أحوج إليها اليوم باعتبارها أحد عناصر الثقافة القومية. ولهذا يجب الاهتمام بالمفهوم الذاتى «لمصطلح البداوة» على نحو ما ذهب إليه ماكس فيبر Weber بأن الفعل الاجتماعى social action يمثل نتاجا

للمعنى الذاتى سواء أكان هذا المعنى واضحا أو كامنا (١).

إذا كانت الرؤية الأنثروبولوجية التحليلية للرعى ترى على أنه نشاط يمثل رد فعل طبيعى تجاه تلك الظروف الأيكولوجية مدعما بالأيديولوجيا الثقافية ونسق القيم، فإن ذلك من شأنه أن نجد فى العديد من المجتمعات الأخرى التباين فى اختلاف وسائل وأدوات المعاشة وفقا لنمط الحياة الطبيعية كالرعى فى المجتمعات الصحراوية وحياة الجمع والالتقاط والقنص والصيد فى المناطق القطبية الشمالية وهى أنشطة تتسم بالبداءة، لذلك نجد هناك ضرورة فى تباين الاستخدام المنهجى الأنثروبولوجى لمصطلح البداءة باعتبار أن الثقافة هى ذلك العامل المتغير بينما الظروف الأيكولوجية هى ذلك العامل الثابت، ومع هذا قد تبدو الملاحظة السوسيولوجية فى دراسة مثل تلك الأنماط لا يمكن الاعتماد عليها باعتبارها الطريقة المثلى منهجيا لوجود مسلمة راسخة لدى الباحث الأنثروبولوجى باعتبار الرعى أو الحياة الرعوية هى الأسلوب المعيشى المناسب للحياة الصحراوية، وهذا لاشت يجعل الباحث يبعد بتحليلاته عن اكتشاف وسائل أخرى داخل الحياة البدوية. ولذا يجب البحث فى استنباط واكتشاف ماهية الرعى داخل الحياة البدوية؟ ففى الحياة الصحراوية لاشك فى أن الرعى كمهنة أو كنشاط يتميز بشئ مختلف تماما عن سائر الأنشطة الأخرى السائدة فى المجتمع البدوى من حيث أن الرؤية المنهجية للرعى - رغم الفردية الواضحة للملاحظة - ترسم صورة العمل

---

(1) Dirk. Käsler. 1994. Max weber : The Living classic " Sociology in Germany". Development Institutionalization - Theoretical Disputes. in Soziologie. Journal of the Deutsche Gesellschaft für soziologie verlage leske + Budrich. opladen. leverkusen No 3. 1994.

(\*) أنظر إلى دراسات .

المشترك ومرعاة الصالح العام للعائلة والقبيلة معا، كما نجده قائما وفقا للنسق العقائدى لارتباطه بدوافع ومضامين دينية لما يمثله من مكانة اجتماعية ودينية ومع هذا لا يمكن الافتراض بأن الرعى فى المجتمع البدوى يمثل مهنة فى إطار مفهوم العمل من الناحية الاجتماعية نظرا لعدم وجود سقف معين للإنتاج والربح منه كمهنة شأن أى مهنة أخرى لعدم وجود دوافع الإنتاج، ولكن يمكن لنا الادعاء افتراضيا بأنها مهنة ذات دوافع ثقافية ويدل على ذلك من خلال الآتى :

أ- أن العمل بالرعى داخل المجتمع البدوى يكون شكل مجموعات صغيرة أو ضيقة تقوم على التعاون العائلى.

ب- الرؤية إلى القطيع «الثروة الحيوانية» على أنه رأس مال ذو وجهة اجتماعية لأجل استحواز النفوذ والسلطة داخل المجتمع، وليس لاهتمامات اقتصادية. وعلى هذا فالرعى يدخل ضمن نسق القيم وليس النسق الاجتماعى أو الاقتصادى، ومع هذا يمكن القول بأن أنساق القيم داخل المجتمع البدوى استطاعت إيجاد حوافز جديدة نحو نشاطات إيجابية رغم عدم ارتباطها بالإنتاج، ولذا يمكن استغلال هذا الجانب القيمى لدفع تلك الأنشطة نحو إيجابية أكثر تفيد المجتمع والمجتمع المحلى.

ومن ثم ماذا نقصد بمفهوم العمل داخل المجتمع البدوى؟ الحقيقة هناك العديد من الأنشطة الأخرى بجانب الرعى فمن ناحية تفسير نسق العمل داخل نظام البداوة أو فى ضوء المفهوم الذاتى لمفهوم العمل عامة نجد أنها أعمال أو أنشطة لا تتعلق بالعمل لأنها أنشطة لا ترتبط بمفهوم المنفعة

العامة وهذا منهجيا يتطلب تحليلا خاصا يتفق مع طبيعة الدراسة وعناصرها، فدراسة العمل وطبيعته داخل الحياة البدوية بشكل شامل وأقرب للواقع الاجتماعى، يمكن تصوره على أساس أنه أسلوب تكيفى مع الظروف الأيكولوجية المتاحة، وليس كتقنية وهذا بدوره يجعلنا نفرق بين ما هو تقنية وما هو أسلوب، فالأول يعنى معرفة تجريبية، وأن هذه التقنية تمثل أحد مؤشرات استخدام التكنولوجيا فى أساليب العمل المختلفة التى تعتمد على مبادئ وقواعد وفرضيات علمية متطورة، بينما الأسلوب هو معرفة تقليدية فيها قدر من الثبات والاستمرار التقليدى فى طرق ووسائل العمل ... ومن ثم تتساءل عن مدى إمكانية استخدام أية منها فى ظل التغيرات الحادثة الآن فى المجتمع البدوى؟ فمن ناحية استخدام مصطلح «أسلوب للعمل» فى إطار مصطلح البداوة فإنه يعنى بأنه مجرد «رد فعل طبيعى» تجاه الظروف الأيكولوجية، إلا أن هذا التحليل يجرّد العمل من الكثير من المفاهيم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية كرد فعل اجتماعى تفرضه طبيعة الحياة الاجتماعية السائدة. وبالتالي فهل يصلح هنا الاستخدام المنهجى الوصفى لظاهرة العمل؟ افتراضياً لا يصلح باعتبار أن العمل كظاهرة اجتماعية يمثل مجموعة من الحقائق الاجتماعية التى لا يمكن وصفها منهجياً بقدر أن السمات التكنولوجية المصاحبة لمظاهر العمل يمكن وصفها منهجياً بطريقة تاريخية مقارنة. ولذا فإن عملية تفسير العمل داخل المجتمع البدوى تعتمد على المفاهيم المسبقة حيث نجد أنه يمثل مهمة ثقافية يهدف منها الصعود إلى «المكانة الاجتماعية»، وليس الهدف هنا هو العمل من أجل الإنتاج والحصول على قيم نفعية، وهذا ما سبق تأكيده على نشاط الرعى، وكما



نلاحظه على أنشطة القضاء والمحكمين وقادة المجتمع وشيوخه(\*) . وعلى هذا فإن النظرية الأساسية فى دراسة البداوة تعتمد على نظرية ثقافية ونسق القيم من حيث إنها لا تأخذ على عاتقها تحديد الاختلافات الخاصة بالميراث الاجتماعى من حيث الاهتمام بالاختلافات والتشابهات بين الثقافات بقدر أنها تأخذ فى الاعتبار أن تبتعد عن عقد المقارنات التقليدية التى لم يستفد منها البحث الأنثروبولوجى على نحو موضوعى، جعلت البحث الأنثروبولوجى يسير فى حلقة مفرغة الأمر الذى يتطلب إجراء القياس المنهجى لنتائج هذا الإطار المنهجى، خاصة أن القياس لنتائج مثل تلك الدراسات يمثل مشكلة منهجية، من حيث أن كل قياس يفترض وجود مقاييس أخرى تعمل كلها على تحقيق نفس الهدف، فالافتراض باعتبار أن تلك المقاييس تسير على نحو متجانس فيه الكثير من المبالغة فى مجال البحث الاجتماعى، ومن ثم فإن الاختيار فى حد ذاته يشكل صعوبة بالغة نظريا ومنهجيا كما أن القياس فى البحث الاجتماعى يصعب أن يعبر عنها بعبارة اجتماعية، فعلى سبيل المثال نجد أن دراسة البداوة دراسة مقارنة مع غيرها من النظم الاجتماعية يمثل تعسفا فى التحليل المقارن، وبالتالي فى القياس، فالتجانس واللاتجانس فى البيانات القياسية هو المعنى فى ذلك بقدر أن ذلك أبعد ما يكون فى القياس فماذا إذن نعنى من ذلك؟ أعتقد أن دراسة النموذج البدوى

- لبنية محمد موسى : الصفوة واتخاذ القرارات فى المجتمعات التقليدية، دراسة فى الأنثروبولوجيا السياسية المقارنة، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية الآداب، جامعة الإسكندرية، إشراف أ.د. أحمد أبو زيد.

- : مقومات الزعامة فى المجتمعات التقليدية : دراسة فى الأنثروبولوجيا السيكولوجية المقارنة، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآداب، جامعة الإسكندرية، إشراف أ.د. أحمد أبو زيد .١٩٧٩

(\*) يؤخذ على العديد من الباحثين إضافة البيانات الرسمية عن مجتمع الدراسة، كشكل منهجى دون

يجب أن يقارن بنفس النموذج الثقافى، وليس وفق افتراضات منهجية أخرى وأن لا تكون مقياسا لغيرها من النماذج الأخرى، وملخص ما نعى به هذا القياس هو دراسة المجال الاجتماعى العام لأشكال العمليات والعلاقات الاجتماعية المختلفة زمنيا ومكانيا.

كما أن القياس المقارن هو أيضا فى حاجة إلى إعادة نظر منهجيا ونظريا، وخاصة أن رؤية المجتمعات أو الثقافات فى ضوء الدراسة المقارنة أو النظرية المقارنة تضع البحث الأنثروبولوجى فى وضع لا يحسد عليه يمكن أن يقال عليه بأنه تعسف علمى وهذا يفقد المنهج المقارن المصداقية العلمية عندما نجد البحوث الأنثروبولوجية تنتهج المقارنة كأسلوب معتاد يجعل من المقارنة أداة منهجية ليس لها مبرر علمى؛ وهذا ما يمكن ملاحظته فى دراسة البداوة على سبيل المثال لا الحصر، فكل دراسة من دراسات البداوة فى الثقافات المختلفة فى حاجة إلى فروض منهجية مختلفة حتى تصبح المقارنة عادلة وإيجابية، وهذا السياق ينقلنا إلى القياس الإحصائى من حيث الاعتماد فى القياس على الأعداد أو الأرقام الحسابية والإحصائية التى بدورها يمكن الاستفادة منها للإشارة إلى دلائل اجتماعية وثقافية عندما يكون التناول فيه الواقعية والدقة والأمانة وهذا بدوره يدعم النتائج وتخرج بدورها دقيقة على نفس النحو، فالإحصاء لا يستخدم فى البحث الاجتماعى على هوى الباحث، ولكنه تقنية كأداة منهجية، فالإحصاء هنا يتخذ شكلا علميا عندما يستخدم فى تحليل الظاهرة التى يصعب دراستها بأسلوب الفكر المنهجى العلمى المجرى الصرف، الأمر الذى يجعل من استخدام

الإحصاء يمثل هدفاً معلناً وواضح الاستخدام، وهذا أيضا يخضع لشروط منهجية حتى يمكن الخروج من هذا الإحصاء باستنتاجات تفيد غرض البحث، عندما تصبح الأرقام والإحصاء هو ذلك الشرط اللازم للدراسة أكثر من كونه إحصاء علمي في حد ذاته الذي من خلاله يمكن الاستدلال على طبيعة الظاهرة وما يحيط بها من دلائل يمكن من خلاله التعرف على ماهية البناء العام للظاهرة كأسلوب منهجي في التحليل والتفسير وفي تقييم النتائج(\*).

فالدلالة الإحصائية في البحث الاجتماعي لا تمثل منظوراً أحادي الجانب، أو ذا رؤية محصورة ومحددة في جانب ما بقدر أن دلالاته تكون ذات معنى في البحث الاجتماعي رغم كونه وحدة تحليلية محدودة ومحصورة داخل ذات النطاق، وهو ما ينطبق تماماً على ظاهرة البداوة في ضرورة الرصد والمتابعة في الحياة الاجتماعية برؤية شاملة حتى يمكن من خلاله التعمق في دراسة الظاهرة الاجتماعية. فاستخدام نتائج الإحصاء وترجمتها إلى مفاهيم اجتماعية وثقافية واقتصادية في دراسة مثل البداوة أو الحياة البدوية كعامل متغير والأخذ باعتبار الثقافة أو النسق القيمي كعامل ثابت مع التأكيد على أن اختيار وتحديد طبيعة المعامل يمثل قضية منهجية يخضع بدوره لطبيعة النظرية التي يعتمد عليها الباحث في وضع الفروض، وهذا يتطلب المزيد من المراجعة النظرية والمنهجية الدقيقة وهو ما يحتاج إلى وقت وتدريب وخبرة لا يملكها الكثيرون حتى يكون الاختيار موفقاً.

---

تحليلها واستخدامها كأداة منهجية في التحليل الأنثروبولوجي.

والذى يمكن التاكيد عليه أنه مازال البحث الأنثروبولوجى فى حاجة إلى المزيد من المعالجات لتأكيد أو تصحيح المسارات المنهجية لإيجاد معالجات إيجابية ومعاصرة فى دراسة الظاهرة الاجتماعية. وهذا بالتالى يؤكد على وجوب الكثير من القضايا المنهجية التى هى فى حاجة إلى مراجعة ودراسة علمية متكاملة.

## المراجع :

أحمد أبو زيد ، المجتمعات الصحراوية فى مصر، البحث الأول، شمال سيناء، دراسة  
إثنوجرافية للنظم والأنساق الاجتماعية، المركز القومى للبحث الاجتماعية  
والجنائية، القاهرة، ١٩٩١.

سليمان خلف، الأنثروبولوجيا السياسية، دراسة نقدية للاتجاهات والمناهج فى  
الأنثروبولوجيا السياسية، حوليات كلية الآداب جامعة الكويت، الحولية  
الثانية عشر، الرسالة التاسعة والسبعون، ١٩٩٢.

عبد الله عبد الغنى ، التبادل وعمليات الاستثمار والادخار فى المجتمع التقليدى  
والحضري، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الإسكندرية،  
إشراف أ.د. أحمد أبو زيد، ١٩٧١.

عليه حسن حسين ، التغير الاجتماعى للوادي الجديد : دراسة أنثروبولوجية للوحدات  
الخارجية، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية الآداب، جامعة الإسكندرية،  
إشراف أ.د. أحمد أبو زيد، ١٩٧١.

فاروق مصطفى إسماعيل، العلاقات الاجتماعية بين الجماعات اللاتينية فى منطقة غرب  
مريوط، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية الآداب، جامعة الإسكندرية، إشراف  
أ.د. أحمد أبو زيد، ١٩٧٥.

..... التغير الاجتماعى فى المجتمع الصحراوى : دراسة فى منطقة  
مريوط، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآداب، جامعة الإسكندرية،  
إشراف أ.د. عاطف غيث، ١٩٧١.

فوزى رضوان العربى، نظام وحيازة الأرض وأثره فى النظم الاجتماعية التقليدية  
دراسة فى الأنثروبولوجيا الاجتماعية رسالة دكتوراة مقدمة لكلية الآداب،  
جامعة الإسكندرية، إشراف أ.د. أحمد أبو زيد ١٩٧٩.

ليبية محمد موسى : الصفوة واتخاذ القرارات فى المجتمعات التقليدية، دراسة فى  
الأنثروبولوجيا السياسية المقارنة، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية الآداب،  
جامعة الإسكندرية، إشراف أ.د. أحمد أبو زيد، أ.د. على أحمد عيسى و  
أ.د. عبد الرحمن خليفة، ١٩٨٣.

..... : مقومات الزعامة فى المجتمعات التقليدية : دراسة فى  
الأنثروبولوجيا السيكولوجية المقارنة، رسالة ماجستير مقدمة لكلية  
الآداب، جامعة الإسكندرية، إشراف أ.د. أحمد أبو زيد ١٩٧٩.

محمد عبده محبوب ، الكويت والهجرة، دراسة للأثار الديموجرافية للبتروى فى المجتمع  
العربى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٧٧.

..... : نظم الحكم فى المجتمعات القبلية : دراسة أنثروبولوجية مقارنة فى  
بعض المجتمعات الأفريقية، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآداب، جامعة  
الإسكندرية، إشراف أ.د. أحمد أبو زيد ١٩٦٧.

..... : موسوعة القانون العرفى لقبائل أولاد على، العوايد المتبعة والجارى  
الحكم بموجبها والقواعد الشرعية فى تحديد قيمة الدية والنظارة فى  
الصحراء الغربية المصرية، ١٩٩٣.

..... : أنثروبولوجيا المجتمعات البدوية، الهيئة المصرية العامة للكتاب،  
الإسكندرية، ١٩٨١.

..... : القضاء العرفى فى شمال سيناء، لجنة جمع التراث بمحافظة  
شمال سيناء ١٩٩١.

Dirk. Käsler. 1994. Max weber : The Living classic " Sociology in Germany". Development Institutionalization - Theoretical Disputes. in Soziologie. Journal of the leske + Deutsche Gesellschaft für soziologie verlage Budrich. opladen. leverkusen No.3.1994.

Galaty, John G., 1981, Introduction Nomadic Pastoralists social change process and erspectives, E. J. Brill Ieiden. Netherlands.

Gingrich, André 1992. Concepts and confusions, Understanding Middle eastern societies. in current Anthropology.vol. N.1.1992. 33

Harris, Marvin, 1980, History Ideological of the Separation of social and cultural Anthropology. In, Ross, Eric B. cultural Bevond the Mylts of culture, Essys in materialism Academic press N.Y.

Hobart, Mark, (ed), 1993, An Anthropological Critique of development, the Growth of Ignorance, EIDOS university development opportunities (European inter study), London.

Kroeber. A. L., 1963, Anthropology, Culture and the world, Partterns and Processes. Hercaules Brace Inc., N.Y.

Kuper, Adam, 1996, Anthropology and Anthropologists. The modern British School. Routledge. England.

Marx. Emanuel. 1984,Economic change among pastoral Nomads in middle East, in Marx,E. and Shmueli, A. (eds) The changing Bedouin, Tranaction inc., N. J.

Urry, James, 1993, Before social Anthropology. Essay on the - history of British anthropology, Hawood Academic publishers Switzerland.



الصراع بين عباس حلمي الأول  
وأفراد أسرته ونتائجه  
١٨٤٨-١٨٥٤م

دكتور  
فوزي السيد السيد المصري  
مدرس التاريخ الحديث والمعاصر  
كلية الآداب - جامعة طنطا

١٩٩٩م

[illegible]

1. *Pharmaceuticals*

بسم الله الرحمن الرحيم  
مقدمة

تتناول هذه الدراسة واحداً من الموضوعات الهامة في تاريخ مصر الحديث وهو الصراع بين عباس حلمي الأول وأفراد أسرته ونتائجـه (١٨٤٨-١٨٥٤م) حيث أن ذلك الصراع بدأ منذ تولي عباس باشا للحكم وذلك عندما أساء معاملة أفراد تلك الأسرة الذين انقلبوا عليه وتفننوا في إثارة غضبه حتى يقدم على ارتكاب ما يجر عليه غضب السلطان العثماني ، هذا في الوقت الذي فتحت فيه الدولة العثمانية أبوابها أمام معارضي عباس للإقامة فيها لزعة حكمه والانتقاص من سيادة مصر والتدخل في شئونها لإلغاء الامتيازات التي حصلت عليها في عهد محمد علي باشا .

وقد اتخذ ذلك الصراع أشكالاً مختلفة منها تقديم الشكاوى والمرائض ضد بعضهم البعض مقرونة بالهدايا والأموال للسلطان والحاشية ، فضلاً عن تدبير المؤامرات وتسويق الشائعات وكلما زاد ضغط معارضي عباس عليه وروجوا ضده الشائعات كلما زاد في إنفاق الأموال وتقديم الهدايا للسلطان وحاشيته مما كلف خزانة البلاد أموالاً طائلة في تلك الفترة

ومما لا شك فيه أن ذلك الصراع المحموم بين عباس باشا من جهة ومعارضيه من جهة أخرى قد أدى إلى ارتباك أمور البلاد وعدم استقرارها مما دعا ممثلي الدول الأجنبية الموجودين بالأسنانة إلى عقد الاجتماعات والمطالبة بعزل عباس باشا واسترداد مصر من أسرة محمد علي نهائياً ، وهذا يدل على عدم استقرار الحكم في مصر في تلك الفترة .

والله الموفق

دكتور

فوزي المصري

أغسطس ١٩٩٩م

كانت ولاية مصر طبقاً لبنود تسوية ١٨٤٠/١٨٤١م تؤول إلى أكبر الذكور الأحياء من نسل محمد على، وبالتالي فقد أصبح هذا المنصب بعد موت إبراهيم باشا من حق عباس باشا بن طوسون لأنه الأكبر سناً، حيث كان يتقدم في العمر على كل من سعيد باشا بن محمد على وأحمد وإسماعيل ومصطفى فاضل أبناء عمه إبراهيم، ولذا فعندما مات إبراهيم باشا في نوفمبر ١٨٤٨م اتفق السفراء الأجانب في الأستانة مع الباب العالي بناءً على توصية القناصل العموم على أن يخلفه عباس باشا، وبناءً على ذلك صدر فرمان سلطاني بتوليته حكم مصر. (١)

ومنذ أن تولى عباس الحكم كانت الدولة العثمانية قد بدأت في تنفيذ ما أصبح فيما بعد تقليداً عثمانياً لمحاولة الانتقاص من سيادة مصر بإثارة العراقيل والمشكلات في وجه ولايتها حتى يتسنى لها التدخل وإلغاء الامتيازات إلى حصلت عليها مصر وجعلها ولاية ذات وضع خاص بين ولايات الدولة العثمانية، ولم يكن هذا فقط ما اتبعته الدولة العثمانية تجاه ذلك الوالي الجديد بل أنها اتبعت تقليداً عثمانياً آخر لزعزعة حكمه والانتقاص من سيادة مصر في عهده ألا وهو دعوة أعضاء الأسرة العلوية للإقامة في الأستانة وتكوين نواة مستمرة لمعارضته ومركزاً لتدبير المؤامرات ضده. (٢)

ومما تجدر الإشارة إليه أن دعوة الدولة العثمانية لبعض أفراد الأسرة العلوية للإقامة في الأستانة كان يمثل ضغطاً شديداً على عباس باشا الذي حاول في كثير من الأحيان منعهم من السفر إلى هناك وخاصة النساء بحجة «أنه رجل يخاف على شرفه» ولكن مزاعمه هذه لم تفلح في منعهم من السفر إلى

(١) مارلو-جون: ترجمة عبدالعظيم ومضان: تاريخ النهب الاستعماري لمصر من الحملة الفرنسية ١٧٩٨م إلى الاحتلال البريطاني ١٨٨٢م، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ٦٣، ٦٤.

(٢) مارلو - جون : نفس المرجع، ص ٦٧.

الاستانة حيث سافرت إليها الأميرتان نازلى هانم وزينب هانم كريمتا محمد على باشا وعمتا عباس باشا <sup>(١)</sup> ولحق بهما إلى هناك الأمير محمد على تجل محمد على باشا الكبير حيث كانوا قد قدموا عرائض يلتمسون فيها من السلطان السماح لهم بالسفر إلى عاصمته ولما كان هذا مما يوافق السياسة العثمانية تجاه عباس فقد وافق السلطان على طلبهم، وحاول عباس منعهم من السفر إلى هناك إلا أن الأميرتين نازلى هانم وزينب هانم تمكنتا من السفر إلى العاصمة العثمانية، وظل والى على موقفه الراض لسفر أفراد الأسرة العلوية إلى الأستانة رافعاً شكواه إلى السلطان للحيلولة دون سفرهم متعللاً بأن السماح لهم بالسفر «سيؤدى إلى سوء الحالة فى مصر ويمرور الزمن لا يبقى فيها أحد» <sup>(٢)</sup> إلا أن السلطان لم يسمع لتلك الشكوى وأرسل القبول كتخدا إلى مصر لإحضار الخييز محمد علي <sup>(٣)</sup> وأنعم عليه برتبة الفريق والمرتب المخصص لها <sup>(٤)</sup>.

(١) محافظ عابدين. محفظة ١٢٤ تركى، ملف المتفرقات، وثيقة تركية فى ١٤ ربيع آخر ١٢٦٦ هـ (٢٨ فبراير ١٨٥٠م) من كلين هانم إلى الجنب العالى عباس باشا.

(٢) محافظ عابدين. محفظة ١٢٥ تركى، ملف المتفرقات، وثيقة تركية فى ١٧ جمادى أول ١٢٦٧ هـ (٢٠ مارس ١٨٥١م) من كلين هانم إلى الجنب العالى عباس حلمى الأول.

(٣) محافظ عابدين. نفس المحفظة، وثيقة فى ١٧ جمادى أول ١٢٦٧ هـ (٢٠ مارس ١٨٥١م) من كلين هانم إلى الجنب العالى عباس حلمى الأول.

(٤) محافظ عابدين. محفظة ١٢٥، ملف المتفرقات، وثيقة تركى فى ٥ رجب ١٢٦٩ هـ (١٥ إبريل ١٨٥٣م) من كلين هانم إلى الجنب العالى عباس حلمى الأول.

أما عن بقية معارضى عباس باشا البارزين الذين سمح لهم السلطان بالسفر إلى الأستانه والإقامة فيها فهم الأمير حليم بك نجل محمد علي باشا الكبير الذى بادر بمجرد وصوله إلى الأستانه بزيارة الصدر الأعظم ليقدّم له شكوى ضد مسلك عباس باشا نحو أفراد الأسرة العلوية الموجودين بمصر.<sup>(١)</sup> وقد سافر مع الأمير حليم على نفس الباخرة الأمير مصطفى فاضل بك نجل إبراهيم باشا<sup>(٢)</sup> الذى كان سفره صدمة لعباس باشا الذى كان يعامله معاملة حسنة<sup>(٣)</sup> ولكنه كما يدعى عباس «سلك مسلك المعارضة والخيانة بدون مبرر مثل سائر الأعضاء» وكان عباس قد حاول جاهداً أن يضمه إلى صفه بالعطف عليه ورعايته ومنحه الأموال ولكن دون جدوى<sup>(٤)</sup> وكان قد سبقه إلى هناك أخوه اسماعيل باشا منضمّاً إلى جبهة المعارضة ضد عباس.<sup>(٥)</sup>

وقد انضم سعيد باشا أيضاً إلى معارضى عباس فى الأستانه حيث سافر إليها وأقام فيها لفترات طويلة طوال حكم عباس حظى فيها بالرضا السلطاني، وكان دائم التشهير به سواء لدى السلطان أو الصدر الأعظم.<sup>(٦)</sup> كما انضمت

---

(١) محافظ عابدين. محفظة ١٢٥. ملف المتفرقات، وثيقة تركيه فى ١٦ رمضان ١٢٦٧هـ (١٥ يوليو ١٨٥١م) من كلين هانم إلى الجناب العالى عباس حلمى الأول.

(٢) محافظ عابدين. نفس المحفظة والوثيقة.

(٣) محافظ عابدين. محفظة ١٢٥، ملف المتفرقات، وثيقة تركية فى ٢٣ شعبان ١٢٦٧هـ (٢٣ يونيو ١٨٥١م) من عباس باشا إلى كلين هانم.

(٤) محافظ عابدين: نفس المحفظة والوثيقة. ملحق رقم (١).

(٥) محافظ عابدين: نفس المحفظة والوثيقة.

(٦) محافظ عابدين: محفظة ١٢٧. ملف المتفرقات، وثيقة تركيه فى ١٦ صفر

١٢٦٩هـ (٣٠ نوفمبر ١٨٥٢م) من كلين هانم إلى الجناب العالى عباس باشا.

إلى جبهة المعارضة أيضاً والددة زينب هانم التى كانت قد قدمت العرائض إلى والددة السلطان تلتمس فيها السماح لوالدتها بالحضور إلى الاستانة والاقامة معها ، وكان عباس معارضاً لسفرها ولكنه اضطر إلى السماح لها بالسفر بعد أن سمح لها السلطان بذلك. (١)

ومحاشك فيه أن السياسة الاستبدادية التى اتبعها عباس باشا فى حكمه وسوء معاملته لأفراد الأسرة العلوية هى التى دفعتهم إلى معارضته والدخول معه فى صراع محموم لعزله، بل ومغادرة مصر إلى الأستانة للعيش فى حمى السلطان وتدبير المؤامرات ضده لإثارة غضب السلطان عليه وعزله. وكان عباس باشا قد تمادى فى استبداده فرفع أفراد الأسرة العلوية شكايرهم إلى السلطان أوضحوا فيها أنه «لايسمح بمقابلة أحد للآخر، ولايكن التزاور حتى فى حالة المرض، ولايرى الأخ أخاه، هذا إلى أن الناس لاتأمن على نفسها ولاعلى أموالها، وإذا قدم أحد من إسطنبول يحجز فى دار تشبه السجن بحيث لايرى أحداً». (٢)

وكان عباس قد اشتد فى تطبيق سياسته الإستبدادية تلك فقام بنفى كل من يوشى به إليه إذ قام بنفى مجموعة من الموظفين والنساء بدون ذنب جنوه اللهم إلا أنه بلغته وشاية عنهم « بأنهم يعملون سحراً له » (٣) كما قام بنفى

---

(١) محافظ عابدين. محفظة ١٢٧، ملف المتفرقات، وثيقة تركية فى ٣ جماد أول ١٢٦٩هـ (١٥ فبراير ١٨٥٣م) من كلين هانم إلى الجنباب العالى عباس باشا.

(٢) محافظ عابدين. محفظة ١٢٥، ملف المتفرقات، وثيقة تركية فى ٢ جماد آخر ١٢٦٧هـ (٤ إبريل ١٨٥١م) من كلين هانم إلى الجنباب العالى عباس باشا. (ملحق ٢).

(٣) محافظ عابدين. محفظة ١٢٤، ملف المتفرقات، وثيقة تركية فى ٢٩ ذى القعدة ١٢٦٦هـ (٦ أكتوبر ١٨٥٠م) من فاطمة الزهراء إلى الجنباب العالى عباس باشا.

مجموعة من أتباع سعيد باشا بدعوى الخيانة وتدبير مؤامرة لإثارة الاضطرابات والفساد فى الوجه البحرى. (١) وكان أنصار عباس باشا فى الأستانة لا يكفون عن إسداء النصيح له ويطالبونه بأن يعامل معارضيه بالحسنى حتى لا يضجون بالشكوى فيتسببون فى إزعاج السلطان وبالتالى يشيرون غضبه ضده. (٢)

ومن الجدير بالذكر أنه عندما كان عباس يرفض السماح لمعارضيه بالسفر إلى الأستانة كان هؤلاء يتحايلون عليه ويتعللون بالمرض ويطلبون السفر إليها للعلاج بها للفرار من ظلمه واستبداده، ومن هؤلاء مصطفى فاضل بك الذى انقلب على عباس وانضم إلى معارضيه ورفض التعاون معه وتعلل بتدهور صحته وطلب منه السماح له بالسفر إلى الأستانة للعلاج فسمح له بذلك. (٣)

**الصراع بين عباس باشا ومعارضيه من أفراد الأسرة العلوية:**

عندما اشتد الصراع بين أفراد الأسرة العلوية انقسم هؤلاء إلى فريقين، الفريق الأول وهم معارضو عباس من أفراد الأسرة سواء الذين كانوا يقيمون فى مصر أو الذين سافروا إلى الأستانة للإقامة بها واشتطوا فى عدائهم له، والفريق الثانى ويتكون من عباس وبعض أنصاره المقيمين فى العاصمة العثمانية الذين جندهم للرد على معارضيه هناك وتفنيدهم مزاعمهم. (٤) وبينما

---

(١) محافظ عابدين. محفظة ١٢٦، ملف المتفرقات، وثيقة تركية فى ٣ رمضان

١٢٦٨هـ (٢١ يونيو ١٨٥٢م) من كلين هانم إلى الجنب العالى عباس باشا.

(٢) محافظ عابدين. محفظة ١٢٤، ملف المتفرقات، وثيقة تركى فى ٢٩ ذى

القعدة ١٢٦٦هـ (١٦ أكتوبر ١٨٥٠م) من كلين هانم إلى الجنب العالى

عباس باشا.

(٣) محافظ عابدين. محفظة ١٢٥، ملف المتفرقات، وثيقة تركى فى ٢٣

شعبان ١٢٦٧هـ (٢٣ يونيو ١٨٥١م) من عباس باشا إلى كلين هانم.

(٤) محافظ عابدين. محفظة ١٢٧، ملف المتفرقات، وثيقة تركيه فى ٧ ربيع

آخر ١٢٦٩هـ (٢٠ يناير ١٨٥٣م) من كلين هانم إلى الجنب العالى عباس

باشا.



كان فريق المعارضين لعباس يتكون من معظم أفراد الأسرة العلوية تقريباً.<sup>(١)</sup> كان الفريق المؤيد له يتكون من أميرتين الأولى وهى الأميرة فاطمة الزهراء<sup>(٢)</sup> أما الأميرة الثانية فهى أخته «بزمى هانم» التى كانت محظية للسلطان ثم رفعت لتصبح الزوجة السادسة له.<sup>(٣)</sup>

**جهود معارضى عباس للنيل منه:**

اتخذ الصراع بين هذين الفريقين أشكالاً مختلفة فبينما لجأ عباس إلى الاستبداد وتقييد الحريات وخاصة لأفراد الأسرة العلوية<sup>(٤)</sup> لجأ معارضوه إلى

---

(١) محافظ عابدين. محفظة ١٢٥، ملف المتفرقات. وثيقة تركية فى ٢٣ شعبان

١٢٦٧هـ (٢٣ يونيو ١٦٥١م) من عباس باشا إلى كلين هانم.

(٢) الأميرة فاطمة الزهراء هى زوجة الأمير اسماعيل كامل بن محمد على باشا

الكبير، وهى من أسرة كريمة من الأستانه، كانت تقيم مع زوجها فى مصر

ولكنها آثرت الإقامة فى الأستانه بعد موته، اتخذها عباس باشا صنيعة له

هناك لتنفيذ رغباته وإبطال مزاعم معارضيه، وكانت ترسل له التقارير بصفة

مستمرة لتنبيه فيها بمساعيها لتنفيذ رغباته والطرق التى تتبعها لتحسين

علاقته بالباب العالى، وقد استخدمها عباس عيناً له على معارضيه تتعقب

تحركاتهم وتتابع أخبارهم وتنفذ مزاعمهم بل وتطلق ضدهم الشائعات

المضادة، وكانت تسمى بعدة أسماء هى: «زهراء هانم» أو «كلين هانم»

أو «الهانم-البولاقية» وكانت تقاريرها مكتوبة باللغة التركية وترجمت أخيراً

إلى اللغة العربية، وتوفيت فى رجب ١٢٧٤هـ (فبراير ١٨٥٨م). محافظ

عابدين تركى. محفظة ١٢٧، ملف المتفرقات، فى ٢٥ ذى الحجة ١٢٧٤هـ

(١٦ سبتمبر ١٨٥٨).

(٣) محافظ عابدين. محفظة ١٢٧، ملف المتفرقات. وثيقة تركية فى ٩ شعبان

١٢٦٩هـ (١٩ مايو ١٨٥٣م) من كلين هانم إلى والده الجناب العالى عباس

باشا.

(٤) محافظ عابدين. محفظة ١٢٥، ملف المتفرقات. وثيقة فى ٢ جماد آخر

١٢٦٧هـ (٥ إبريل ١٨٥١م) من كلين هانم إلى الجناب العالى عباس باشا.

رفع الشكاوى ضده وتقديم العرائض للسلطان لإثارة غضبه ضد عباس<sup>(١)</sup> فضلاً عن ترويج الشائعات المغرضة ضده وخاصة عندما حاول التقرب إلى السلطان من خلال محاولاته لتزويج ابنه إلهامى باشا من أميرة سلطانية فأنبرى معارضوه لترويج الشائعات التى تحول دون إقامه وأدعوا أن إلهامى باشا لديه جارية حامل منه، وكان هدفهم من ذلك عرقلة ذلك الزواج وتعكير الجو بين السلطان والوالى، وقد ردت كلين هانم على تلك الشائعة بأن إلهامى باشا «مشغول بالدرس وتحصيل العلوم والفنون، وأن أبيه يعنى بتربيته وتعليمه اكبر عناية» وأن هذه الجارية أنما هى جارية عباس باشا.<sup>(٢)</sup>

كانت الشائعات سلاحاً قوياً استخدمه معارضو عباس باشا ضده لتشويه صورته لدى السلطان والحاشية، وكان لعمته نازلى هانم دور كبير فى ترويج تلك الشائعات لإزعاجه وزلزلة عرشه. وإمعاناً فى إثارته أعلن معارضوه أنهم سيطالبونه بميراثهم الموجود لديه وأن كلاً منهم سيوكل أحد الأمراء المقيمين بمصر للحصول على هذا الميراث<sup>(٣)</sup> كما أشاعت نازلى هانم أنها عندما كانت بمصر أثبتت لرايتها (زوجة محمد على) غرفة مزودة ببعض المقاعد المغطاة بأقمشة حريرية، ولما علم عباس بذلك غضب وقال «ما هذا؟ كيف يصح لها أن

---

(١) محافظ عابدين. محفظة ١٢٤. ملف المتفرقات، وثيقة فى ٢٩ ذى القعدة ١٢٦٦هـ (٦ أكتوبر ١٨٥٠م) من فاطمة الزهراء إلى الجناب العالى عباس باشا.

(٢) محافظ عابدين. محفظة ١٢٧. ملف المتفرقات، وثيقة فى ١٩ ربيع أول ١٢٦٩هـ (٣١ ديسمبر ١٨٥٢م) من كلين هانم إلى الجناب العالى عباس باشا.

(٣) محافظ عابدين. محفظة ١٢٦. ملف المتفرقات. وثيقة فى ١٧ ربيع أول ١٢٦٨هـ (١ يناير ١٨٥١م) من كلين هانم إلى الجناب العالى عباس باشا.

توثث غرفة الزوجة محمد على مثل الغرفة التى أثبتتها لوالدتي؟» وقد أثارت تلك الشائعة غضب السلطان والحاشية على مدى تحكم عباس واستبداده حتى مع أفراد الأسرة العلوية. (١)

وكان سعيد باشا كلما سافر إلى الأستانة وحظى بالعطف السلطاني ينتهز تلك الفرصة لتشويه صورة عباس باشا لدى السلطان والحاشية، كما كان يفعل نفس الشئ مع الصدر الأعظم (٢) ولم يكتف سعيد باشا بترويع الشائعات ضد عباس بل كثيراً ما كان يتناول عليه ويهدده علناً حيث أعلن فى إحدى زيارته للأستانة « أنه عندما يعود إلى مصر سيجعل عاليها سافلها » (٣)، فضلاً عن كل ذلك فقد كان سعيد باشا لا يكف عن تدبير المؤامرات ضد عباس فى مصر لزعزعة استقراره وذلك عندما جمع الجنود والمدافع للتمرد ضده وإثارة البلبله والإضطراب فى الوجه البحرى ولكن عباس باشا تمكن من قمع ذلك التمرد. (٤)

ورغم جهود معارضى عباس للتشهير به وإزعاجه إلا أن عمته نازلى هانم كانت أخطر معارضيه إذ لم تكف لحظة - منذ وصولها للأستانة - عن الكيد له وتقديم الشكاوى والعرائض لتوغر صدر السلطان والحاشية ضده، كما كانت لا تتورع عن ترويع الشائعات وبث الوشايات المغرضة ضده والإعلان عن

---

(١) محافظ عابدين. محفظة ١٢٥. ملف المتفرقات. وثيقة فى ٢ جماد آخر

١٢٦٧هـ (٥ إبريل ١٨٥١م) من كلين هانم إلى الجنب العالى عباس باشا.

(٢) محافظ عابدين. محفظة ١٢٦. ملف المتفرقات. وثيقة فى ١٦ شوال

١٢٦٨هـ (٤ أغسطس ١٨٥٢م) من كلين هانم إلى الجنب العالى عباس

باشا.

(٣) محافظ عابدين. نفس المحفظة والوثيقة.

(٤) محافظ عابدين. نفس المحفظة. وثيقة فى ٣ رمضان ١٢٦٨هـ (٢٢ يونيو

١٨٥٢م) من كلين هانم إلى الجنب العالى عباس باشا.

أنه سوف يعزل قريباً حيث أرسلت إلى أخيها سعيد باشا في مصر تبشره « بأن عباس باشا سيعزل بعد أسبوع تقريباً وستكون أنت الوالى » وكانت هذه الشائعات من القوة والانتشار لدرجة أنها كانت تتردد على ألسنة الوزراء وحاشية السلطان. وقد وقع هذا الكتاب فى يد عباس باشا الذى أمر بنسخ صورة منه وإرساله إلى السلطان والصدر الأعظم ليوغر صدرهما ضد معارضييه ولكن بدون جدوى. <sup>(١)</sup> وفضلاً عن كل ذلك فقد كانت نازلى هانم تكتب باستمرار إلى أكثر امراء الأسرة العلوية المقيمين بمصر تحثهم فيها على مغادرتها والسفر إلى الأستانة للعمل سرياً ضد عباس وعزله حيث أن الظروف مهيأة لذلك. <sup>(٢)</sup>

وإذا كانت نازلى هانم تمثل أخطر معارضى عباس باشا وأكثر من روج شائعات ضده، فإنه لم يكن يخشى أحداً من معارضيه مثلما كان يخشى الأمير مصطفى فاضل، لدرجة أنه كتب إلى فاطمة الزهراء فى الأستانة يحذرهما منه ويطلب منها أن تكون على يقظة تامة تجاهه، وألا تتكلم عنه يسوء إلا إذا بدأ هو بالكلام عن عباس وذلك لأن « له آثار مشهورة فى ميدان الكلام والتزوير » كما حذرهما من لقائه والاستماع لكلامه لأنه بلباقته قد ينجح فى ضمها إلى صفوف معارضيه. <sup>(٣)</sup>

(١) محافظ عابدين. محفظة ١٢٦. متفرقات، وثيقة تركية فى ٥ محرم ١٢٦٨هـ (٢ نوفمبر ١٨٥١م) من فاطمة الزهراء إلى الجناب العالى عباس باشا. ملحق (٣).

(٢) محافظ عابدين. محفظة ١٢٧. متفرقات، وثيقة تركية فى ١٨ ذى القعدة ١٢٦٩هـ (٢٤ أغسطس ١٨٥٣م) من كلين هانم إلى الجناب العالى عباس باشا.

(٣) محافظ عابدين. محفظة ١٢٦، ملف المتفرقات، وثيقة فى ٢٣ شعبان ١٢٦٧هـ (٢٣ يونيو ١٨٥١م) من عباس باشا إلى كلين هانم.

ومما تجنّبوا الإشارة إليه أن معارضى عباس فى الأستانة بذلوا الكثير من الأموال والرشاوى والهدايا للسلطان وحاشيته ووالدته بالإضافة إلى الوزراء والصدر الأعظم ليوغروا صدورهم ضده لعزله من منصبه وتولية سعيد باشا مكانه، فكثيراً ما قدمت نبلزلى هاتى الهدايا للسلطان والحاشية، حيث قدمت عند وصولها للعاصمة العثمانية مبلغاً للسلطان قدره سبعة آلاف كيس<sup>(١)</sup> وكانت لا تترك مناسبة إلا وقدمت قىها الهدايا والجوارى للسلطان ووالدته بغير حساب، هذا فضلاً عن الهدايا السرية التى كان معارضو عباس يقدمونها لرعزعة عرشه والنيل منه.<sup>(٢)</sup> أو لإثارتة وجعله يغضب عليهم ليرتكب أعمالاً مناقية لرضاء السلطان مما يكون مدعاة لجر غضبه عليه. أو يهرب من القاهرة ويقيم خارجها وبالتالي لا يتمكن من تصريف أمور البلاد كما ينبغى مما يعرضه لغضب الباب العالى ويكون سبباً لعزله.<sup>(٣)</sup>

#### جور كلين هانم فى الدفاع عن عباس فى الأستانة:

إذا كان معارضو عباس قد بذلوا قصارى جهدهم لتشويه صورته والنيل منه لدى السلطان وحاشيته فإن عباس لم يقف مكتوف الأيدى بل أنه جند من يقوم بالرد على مزاعم معارضيه وتفنيدها معتمداً فى ذلك على أرملة عمه فاطمة الزهراء (كلين هانم) التى أقامت بعد موت زوجها فى الأستانة، وكانت بمثابة عينه الساهرة التى ترصد تحركات معارضيه، وتناصحه الأمين التى كثيراً ما أسدت إليه النصائح والإرشادات لتفادى غضب السلطان، وقد تكفلت بالرد

(١) محافظ عابدين. نفس المحفظة، وثيقة تركية فى ٥ محرم ١٢٦٨هـ

نوفمبر ١٨٥١م) من كلين هانم إلى الجناب العالى عباس باشا.

(٢) محافظ عابدين. نفس المحفظ والوثيقة.

(٣) محافظ عابدين. نفس المحفظة والوثيقة.

على شائعات معارضية وتفنيدها مستعينة فى ذلك بأموال عباس التى أرسلها إليها لتنفقها فى الأستانة على السلطان وحاشيته بغير حساب<sup>(١)</sup> كما أعتمد عباس أيضا على أخته «بزمى هانم» التى كانت محظية للسلطان ثم رفعت إلى درجة الزوجة السادسة له ثم أصبحت بعد ذلك كبيرة زوجات السلطان، وكان مركزها السامى هذا سندا لعباس وكثيراً ماخفت من غضب السلطان عليه،<sup>(٢)</sup> لأنها كانت تتحين الوقت المناسب لتمدح أخيها أمامه وتنفذ مزاعم معارضية ضده<sup>(٣)</sup> ولم يكن ذلك بدون مقابل فقد قدم إليها عباس الهدايا والأموال بغير حساب لتعضد موقفه أمام السلطان، وكان فى إحدى المرات قد قدم إليها مبلغاً من المال قيمته ٢٠٠ ألف قرش، هذا عدا المجوهرات والهدايا الفاخرة.<sup>(٤)</sup>

ومما تجدر الإشارة إليه أن كلين هانم . كانت العين الساهرة لعباس فى الأستانة تتابع معارضية وتراقب تحركاتهم، كما استطاعت بأمواله أن تنفذ إلى داخل القصر السلطانى وتقدم هداياه وأمواله إلى السلطان وحاشيته بغير حساب أيضا.<sup>(٥)</sup> كما استطاعت أن تكسب إلى جانبها والددة السلطان عن طريق

(١) محافظ عابدين، محفظة ١٢٧، ملف المتفرقات، وثيقة تركية فى ٢٥ شعبان ١٢٦٩هـ (٥ يونيو ١٨٥٣م) من كلين هانم إلى الجنب العالى عباس حلمى الأول.

(٢) محافظ عابدين، محفظة ١٢٧، ملف المتفرقات، وثيقة فى ٩ شعبان ١٢٦٩هـ (١٩ مايو ١٨٥٣م) من كلين هانم إلى الجنب العالى عباس باشا.

(٣) محافظ عابدين، نفس المحفظة، وثيقة فى ٢٢ شعبان ١٢٦٩هـ (١ يونيو ١٨٥٣م) من بزمى هانم (الزوجة السادسة) إلى كلين هانم.

(٤) محافظ عابدين، نفس المحفظة، وثيقة فى ٥ ذى الحجة ١٢٦٩هـ (١٠ سبتمبر ١٨٥٣م) من كبيرة زوجات السلطان إلى كلين هانم.

(٥) دفاتر معية سنية تركى . دفتر ٧٩ وثيقة ٦٠١ فى ٨ شوال ١٢٦٨هـ (٢٧ يوليو ١٨٥٢م) من المعية السنية إلى البك الخزينة دار. ملحق (٤).

تقديم الهدايا الفخمة والأموال الطائلة إليها لتساعدوا على تفنيد مزاعم المعارضين والتقليل من شأنها لدى السلطان. وكان من بين ما قدمته لوالدته قنجة<sup>(١)</sup> كما قدمت إليها مبلغاً من المال مقداره عشرة آلاف كيس بمناسبة زواج أحد أبنائها.<sup>(٢)</sup>

وفضلاً عن تقديم الهدايا والأموال لوالدة السلطان فقد قدمت كلين هانم الهدايا والأموال أيضاً إلى حريم السلطان لإفساد مزاعم معارضيه، من ذلك أنها قدمت مبلغاً من المال إلى السلطانة عظيمة - إحدى زوجات السلطان - قيمته ٨٠٠ كيس، كما قدمت إلى زوجته الأخرى السلطانة عادلة مبلغاً قيمته ١٠٠٠ كيس<sup>(٣)</sup> وقدمت لشقيقته بزمى هانم (الزوجة السادسة للسلطان) مبالغ مالية مقدارها ثلاثة آلاف كيس من أجل تحقيق مطالبه لدى السلطان<sup>(٤)</sup>.

أما عن هدايا عباس لحاشية السلطان فقد قدمت كلين هانم إليهم هدايا قيمة منها مبلغاً مالياً قدرة ٣٥ كيساً إلى الباشكاتب السلطاني فريد أفندي بمناسبة عقد قران نجله، كما قدمت إلى نقيب بك أحد رجال الحاشية مبلغاً قدرة ٢٥ ألف قرش، وقدمت إلى سليم بك « كبير التشريفياتية » مبلغاً مماثلاً، ثم

---

(١) القنجة هي زورق خصوصي كالذهبية تقريباً.

(٢) محافظ عابدين تركي. محفظة ١٢٤. ملف المتفرقات، وثيقة في ٢٩ ذي الحجة ١٢٦٦هـ (٤ نوفمبر ١٨٥٠). من كلين هانم إلى الجناب العالي عباس باشا.

(٣) محافظ عابدين. محفظة ١٢٣، ملف المتفرقات، وثيقة في ٢١ جماد أول ١٢٦٥هـ (١٥ مايو ١٨٤٩) من فاطمة الزهراء إلى الجناب العالي.

(٤) محافظ عابدين. محفظة ١٢٧، ملف المتفرقات، وثيقة في ٩ شعبان ١٢٦٩هـ (١٩ مايو ١٨٥٣م) من بزمى هانم إلى كلين هانم.

عادت وقدمت لهما مبالغ مالية أخرى قيمتها ٥١٢ ألف قرش<sup>(١)</sup> كما قدم مبالغ مالية قيمة « للاسطى خزیندار السلطان »<sup>(٢)</sup>.

ورغم العداء المستحكم بين عباس باشا والصدر الأعظم رشيد باشا - الذى كان مؤيداً لمعارضيه - فقد استطاع عباس باشا عن طريق كلين هانم أن يقدم إلى الصدر الأعظم هدايا قيمة ومبالغ طائلة منها مبلغا ماليا قيمة ٢٠٠ ألف قرش هدية له بمناسبة زواج ابنه ، ولما رفض الصدر الأعظم أن يأخذ هذا المبلغ بدون علم السلطان فقد استطاعت كلين هانم أن تقدمه إلى زوجته على أنه هدية من عباس باشا بمناسبة زواج ابنهما فقبلت المبلغ شاكرة له صنيعه ووعدتها بإجابة مطالبه لدى الصدر الأعظم. وهكذا دواليك.<sup>(٣)</sup>

وعندما واجهت الدولة العثمانية ضائقة مالية فى أواخر عام ١٨٥٢م ولم يشأ السلطان أن يقترض من أوروبا فقد طلب من عباس باشا أن يمدّه بالمال اللازم لتجاوز تلك الأزمة، وبناء على نصيحة كلين هانم أرسل عباس المبلغ الذى طلبه السلطان مما أدى إلى حصوله على رضائه عنه، واعتبرت كلين هانم ذلك نصراً لعباس على خصومه المقيمين فى الأستانة، كما اقترحت عليه تأجيل سداد الأموال التى يدفعها كمرتبات لمعارضيه من أفراد الأسرة العلوية لمدة تتراوح بين أربع أو خمس سنوات بحجة أن كمية ضخمة من أموال الخزانة المصرية قد أرسلت إلى السلطان لحاجته إليها.<sup>(٤)</sup>

---

(١) محافظ عابدين. نفس المحفظة، وثيقة تركية فى ١٩ ذى الحجة ١٢٦٩هـ (٢٤ سبتمبر ١٨٥٣م) من كلين هانم إلى الجناب العالى.

(٢) محافظ عابدين. نفس المحفظة، وثيقة فى ٥ ذى الحجة ١٢٦٩هـ، (١٠ سبتمبر ١٨٥٣م) من الأسطى خزیندار السلطان إلى الجناب العالى.

(٣) محافظ عابدين . محفظة ١٢٤، ملف المتفرقات، وثيقة فى ٢٩ ذى الحجة ١٢٦٦هـ (٧ نوفمبر ١٨٥٠م) من كلين هانم إلى الجناب العالى. ..

(٤) محافظ عابدين. نفس المحفظة. وثيقة تركية فى ٢٥ ذى الحجة ١٢٦٨هـ (٩ أكتوبر ١٨٥٢م) من كلين هانم إلى الجناب العالى عباس باشا.



ولم يتوقف الأمر عند تقديم الهدايا والرشاوى علناً من عباس وخصومه للسلطان وحاشيته بل أن كلا الفريقين تسابق على تقديمها سرّاً للحصول على الرضا السلطاني<sup>(١)</sup> ولفرط ما كان يرسله عباس من أموال وهدايا للسلطان والحاشية فقد عين صرافاً خياصاً في الأستانة لصرف الأموال التي تطلبها كلين هانم لتقديمها هناك.<sup>(٢)</sup> وهكذا كانت أموال مصر تنفق في العاصمة العثمانية بلا حساب سرّاً وعلانية لينال كل من الفريقين المتصارعين الرضا السامى وليحقق مطالبه ضد الطرف الآخر مما كلف الخزانة المصرية في تلك الفترة أموالاً طائلة.

ولم يقف دور كلين هانم في الأستانة عند حد تقديم الهدايا والرشاوى للسلطان وحاشيته بل أنها كانت تقوم بدور آخر لا يقل أهمية عن ذلك وهو مراقبة تحركات خصوم عباس وكتابة التقارير المفصلة عن نشاطهم هناك وارسالها إليه أولاً بأول.<sup>(٣)</sup> كما كانت تقوم بالرد على المزاعم والشائعات التي كانوا يطلقونها هناك وذلك من خلال تقديم العرائض التي تفند تلك المزاعم إلى السلطان مباشرة حيث أرسلت إلى عباس باشا تخبره بذلك قائلة «أنها قدمت إلى جلالة السلطان ما كلفت بعرضه من البيانات تارة شاكية من الأسرة وأخرى شاكرة على أفندينا ومشيدة بأعماله».<sup>(٤)</sup> وكان هذا هو الدور الأساسى الذى كلفت بالقيام به.

(١) محافظ عابدين. محفظة ١٢٦، وثيقة تركية فى ٥ محرم ١٢٦٨هـ (٢)

نوفمبر ١٨٥١م) من كلين هانم إلى الجناب العالى عباس باشا. ملحق ٥.

(٢) محافظ عابدين. نفس المحفظة والوثيقة.

(٣) محافظ عابدين. محفظة ١٢٥، ملف المتفرقات، وثيقة فى ٤ ربيع آخر

١٢٦٧هـ (٧ فبراير ١٨٥١م) من كلين هانم إلى الجناب العالى عباس باشا.

(٤) محافظ عابدين. محفظة ١٢٧، ملف المتفرقات، وثيقة تركية فى ١٠ محرم

١٢٦٩هـ (١٥ أكتوبر ١٨٥٢م) من كلين هانم إلى الجناب العالى.

وفضلاً عن كل ذلك فقد كانت كلين هانم لاتتورع عن بث الوشائيات وترويج الدعايات السيئة فى الأستانة ضد معارضى عباس باشا سواء المقيمين فيها أو الموجودين بمصر فى محاولة منها لتفنيذ مزاعمهم.<sup>(١)</sup> وكانت تستعين فى ذلك بوالدة السلطان التى استطاعت أن تضمها إلى جانبها ضد جبهة المعارضة لدرجة أنها لاماتت ذهبت نازلى هانم لزيارة كلين هانم فى منزلها لتعلن لها شماتها فيها بعد موت نصيرتها حيث قالت لها: «هاهى ذى والدة السلطان ماتت، وماذا تكون أهميتك بعدها». <sup>(٢)</sup>

وما لاشك فيه أن خصوم عباس المقيمين فى الأستانة كانوا يعتبرون كلين هانم عدوهم الأول فيها لأنها كانت تنفق الأموال بلا حساب فى القصر السلطانى فضلاً عن تقديم العرائض والشكاوى لإبطال مزاعمهم وبث الشائعات المغرضة ضدهم ولذا فعندما مرضت أعلنت الأميرات المعارضات لعباس عن مكافأة سخية قدرها عشرين ألف قرش لمن يأتهم بخبر موتها، بل أنهم وعدوا الأطباء الذين كانوا يعالجونها بتقديم مبلغ ٨٠ ألف قرش «إذا وجدوا سبيلاً للتعجيل بموتها». <sup>(٣)</sup>

ومن الواضح أن كلين هانم كانت العقل المفكر والناصح الأمين لعباس فى الأستانة حيث كان يعمل بمشورتها وينفذ نصائحها بدعوى قهر خصومه المقيمين فيها والدليل على ذلك أنه لما ساءت العلاقات بين السلطان وروسيا وبدت بوادر الأزمة بينهما فى رمضان ١٢٦٩هـ (يونيو ١٨٥٣م) مما أزعج السلطان،

---

(١) محافظ عابدين. محفظة ١٢٧، ملف المتفرقات، وثيقة فى ٥ ذى الحجة

١٢٦٩هـ (١٠ سبتمبر ١٨٥٣م) من كلين هانم إلى الجتاب العالى.

(٢) محافظ عابدين. نفس المحفظة، وثيقة فى ١٩ ذى الحجة ١٢٦٩هـ (٢٤

سبتمبر ١٨٥٣م) من كلين هانم إلى الجتاب العالى عباس باشا.

(٣) محافظ عابدين. محفظة ١٢٦. ملف المتفرقات، وثيقة فى ١٩ رمضان

١٢٦٨هـ (٨ يوليو ١٨٥٢م) من كلين هانم إلى الجتاب العالى.

فأشارت كلين هانم على عباس بإرسال ما يمكن إرساله من الجند والمهمات والأسطول وغيرها لضمان نيل عطف السلطان ورعايته « ولكنى يكون قهراً لخصومه » وأكدت عليه لإرسال تلك القوات سواء وقعت الحرب أم لم تقع. (١) ولم تكذب قمر أسابيع قليلة إلا وكان عباس قد استجاب لمشورتها وأرسل مجموعة من قطع الأسطول المصرى على ظهرها ١٤ ألف جندى لمؤازرة السلطان فى أزمته مع روسيا مما كان له رد فعل إيجابى لدى السلطان، أما أثره على معارضيه فقد أعلنت كلين هانم أن ذلك « سيميت أعداءنا غيظاً » (٢).

وعندما قامت حرب القرم بين روسيا والدولة العثمانية (١٨٥٤-١٨٥٦م) لم يتورع عباس باشا عن إرسال ٢٠ ألف جندى مصرى وعدداً كبيراً من جنود الأسطول للمشاركة فى تلك الحرب إلى جانب الدولة العثمانية. (٣) وقد أبلت تلك القوات بلاءاً حسناً فى هذه الحرب التى لم يشهد عباس نهايتها، حيث مات فجأة فى ١٣ يوليو ١٨٥٤م بقصره فى بنها على إثر نوبة من الصرع. (٤)

(١) محافظ عابدين. محفظة ١٢٧، ملف المتفرقات، وثيقة تركية فى ٩ رمضان

١٢٦٩هـ (١٧ يونيو ١٨٥٣م) من كلين هانم إلى الجناب العالى عباس باشا.

(٢) محافظ عابدين : نفس المحفظة، وثيقة تركية فى ٢٠ شوال ١٢٦٩هـ

(٢٧ يوليو ١٨٥٣م) من كلين هانم إلى الجناب العالى .

(٣) عبدالله عبدالرازق ابراهيم وشوقى الجمل: تاريخ مصر والسودان الحديث

والمعاصر، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٩٣.

(٤) السيد رجب حراز: المدخل إلى تاريخ مصر الحديث من الفتح العثمانى إلى

الاحتلال البريطانى ١٨٨٢-١٥١٧م، دار الجامعى للطباعة، القاهرة ،

١٩٧٠م، ص ٣٠١.

إقامة عباس خارج القاهرة وأثر ذلك على إدارة مصالح البلاد:

لاشك أن ضغط معارضى عباس<sup>عليه السلام</sup> كان يسبب له إزعاجاً مستمراً حيث كانوا يعتمدون إثارته «ليمعن في الهرب» ويقيم خارج القاهرة ليبعد عن إثارتهم له وتحرشهم به حتى لا يرتكب ضدهم ما يجبر عليه غضب الباب العالي<sup>(١)</sup> ولذا فقد كان عباس يفضل الإقامة - في أحيان كثيرة - خارج عاصمته حيث كان يقضى أغلب وقته في قصره بينها<sup>(٢)</sup> وإمعانا في الهروب من معارضيه فقد كان يذهب ليقوم في مكان يطلق عليه «دار البيضا» على مسافة ثمانى عشرة ساعة من العاصمة مما كان يتسبب في تعطيل مصالح البلاد وكان ذلك مما يجبر عليه غضب السلطان.<sup>(٣)</sup>

أثر الصراع بين أفراد الأسرة العلوية على ممثلى الدول الأجنبية  
بالأستانة:

مما لا شك فيه أن الصراع الذى نشب بين أفراد الأسرة العلوية وقتل في الصراع بين عباس باشا من جهة ومعارضيه من أفراد الأسرة من جهة أخرى قد أدى الى سوء الأحوال في البلاد وارتباك أمورها مما دعا ممثلى الدول الأجنبية المقيمين في الأستانة إلى عقد عدة اجتماعات لمناقشة الأوضاع في مصر فاقترح فريق منهم «بوجوب نزع مصر من أسرة محمد على نهائياً» واقترح فريق ثان ضرورة «عزل عباس باشا وتعيين سعيد باشا بدلاً منه بينما اقترح فريق آخر بإبقاء عباس باشا في عرشه مع تقييد يده في الإنفاق وذلك بتخصيص مرتب

(١) محافظ عابدين تركى. محفظة ١٢٦، ملف المتفرقات، وثيقة في ٥ محر

١٢٦٨هـ (٢ نوفمبر ١٨٥١م) من فاطمة الزهراء إلى الجتاب العالى.

(٢) السيد رجب حراز: المرجع السابق، ص ٣٠١.

(٣) محافظ عابدين تركى. محفظة ١٢٥، وثيقة تركية في ١٧ جماد أو

١٢٦٧هـ (٢٠ مارس ١٨٥١م) من كلين هانم إلى الجتاب العالى.

شهرى ثابت له قدره ألف كيس شهرياً. وما كان ذلك ليحدث إلا بسبب سوء الأوضاع التى نجمت عن ذلك الصراع.<sup>(١)</sup>

وعلى هذا يتضح أن الصراع الذى نشب بين أفراد الأسرة العلوية منذ تولى عباس باشا الحكم كان بسبب استبداد عباس معهم ومعارضتهم له ومغادرتهم مصر إلى الأستانة للعمل ضده من هناك لزلزلة عرشه وزعزعة حكمه.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الدولة العثمانية كانت فى اليد الطولى فى إذكاء نار ذلك الصراع، حيث عملت منذ تولى عباس الحكم على الإقتصاص من سيادة مصر والتدخل فى شئونها من أجل إلغاء الإمتيازات التى حصلت عليها مصر فى عهد محمد على، وبالتالى فقد وجهت الدعوة لمعارضيه للإقامة فيها والعمل من هناك لعزله.

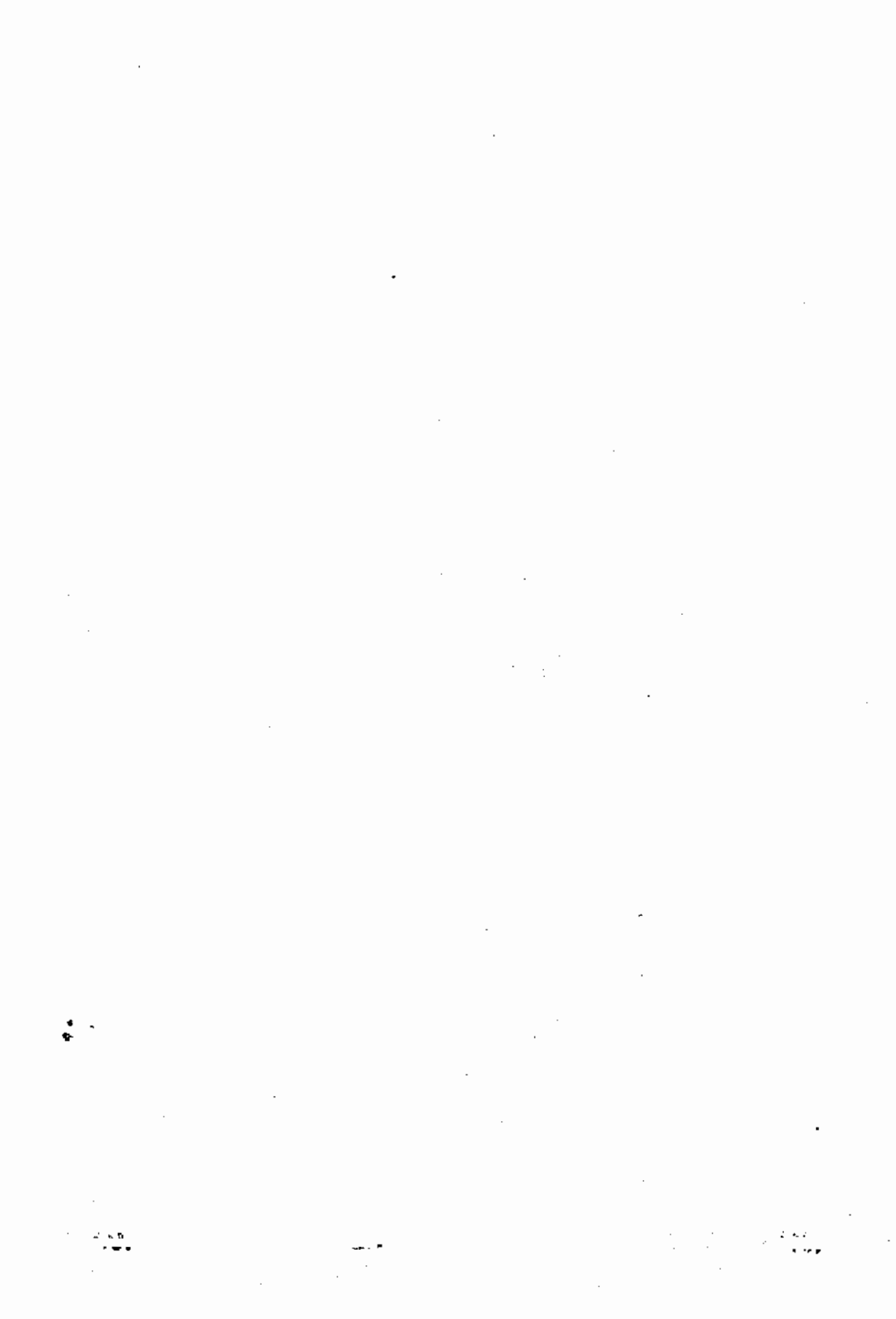
وقد اتخذ هذا الصراع وسائل شتى منها تقديم الشكاوى المدعمة بالهدايا والأموال للسلطان والحاشية فضلاً عن تدبير المؤامرات وترويج الشائعات ضد بعضهم البعض مما أربك أمور البلاد، ذلك الأمر الذى أزعج ممثلى الدول الأجنبية المقيمين بالأستانة فعقدوا الإجتماعات واقترحوا استرداد مصر نهائياً من أسرة محمد على، وهذا يدل دلالة واضحة على مدى ما وصلت إليه الأمور من ارتباك وعدم استقرار للحكم فى مصر خلال تلك الفترة.

---

(١) محافظ عابدين. محفظة ١٢٤، ملف المتفرقات، وثيقة قى ١٩ ذى القعدة ١٢٦٦هـ (٢٧ سبتمبر ١٨٥٠م) من فاطمة الزهراء إلى الجناب العالى عباس حلمى الأول. ملحق رقم (٦).



## ملاحق البحث





---

اتهام عباس باشا لمعارضيه بأنهم سلكوا مسلك الخيانة

---

محافظ عابدين، محفظة ١٢٥، ملف المتفرقات، وثيقة تركية في ٢٣ شعبان ١٢٦٧هـ (٢٣ يونيو ١٨٥١م) من عباس باشا إلى كلين هانم.

تعليمين ما كنا نשמع به الأمير مصطفى بك فجل إبراهيم باشا من العطف والرعاية ومنحه الأموال، ولكنه في الفترة الأخيرة سلك مسلك المعارضة والخيانة بدون مبرر مثل سائر الأعضاء، وكلما طلبته لشيء يتظاهر بالمرض وأصبح معي متغيراً وفاتراً، فقلت له إن كنت تريد رتبة نرسل لك لكنه رفض وطلب السفر إلى اسطنبول لاعتلال صحته وقد أذننا له بذلك.

---

ترويض افراد الأسرة العلوية للشائعات في الأستانة

عن استبداد عباس باشا

---

محافظ عابدين، محفظة ١٢٥، ملف المتفرقات، وثيقة تركية في ٢  
جماد آخر ١٢٦٧هـ (٤ إبريل ١٨٥١م) من كلين هانم إلى الجناب العالي عباس  
باشا.

قد ذاعت هنا إشاعات تفيد أنه لا يسمع في مضر بمقابلة أحد لآخر،  
ولا يمكن التزاور حتى في حالة المرض، ولا يرى الأخ أخاه، فذا إلى أن الناس  
لاتأمن على أنفسهم ولا على أموالها، وإذا قدم أحد من استطنبول يحجز في دار  
تشبه السجن بحيث لا يرى أحداً.

---

ترويح نازلى هانم الشائعات عن عزل عباس باشا

---

محافظ عابدين، محفظة ١٢٦، ملف المتفرقات، وثيقة تركية فى ٥ محرم  
١٢٦٨ هـ (٢ نوفمبر ١٨٥١ م) من فاطمة الزهراء إلى الجناب العالى عباس  
باشا.

قيل أن نازلى هانم قد كتبت إلى سعيد باشا تقول إن عباس سيعزل بعد  
أسبوع تقريبا وستكون أنت الوالى . وقد سمعت هذا من الخازنة الأولى لجلالة  
السلطان وسمعته من الكبراء فى الخارج ، وقد وقع هذا الكتاب فى يد دولتكم ،  
وأن دولتكم قد أمر بنسخ صورة منه ، وأرسل الكتاب الأسمى إلى جلالة  
السلطان ليكون على دراية تامة بأفعال هؤلاء التحف \* .

---

(\*) كانت كلين هانم تطلق على معارضى عباس باشا اسم التحف.

---

هدايا من عباس باشا للسلطان وحاشيته فى الأستانة

---

دفاتر معية سنية تركى. دفتر ٧٩ وثيقة ٦٠١ فى ٨ شوال ١٢٦٨هـ  
(٢٧ يوليو ١٨٥٢م) من المعية السنية إلى البك الخزينة دار.

بأن مبلغ المائتين وخمسين كيسا المعطاه لحضرة كلين هانم وكذلك مبلغ  
الخمسة أكياس المعطاه لإدريس أغا، وأيضاً مبلغ المائتا كيس الذى أخذته من  
الخواجه مقرديج كاشمن للهدايا المقدمة لجلالة السلطان فى الأستانة يجب قيده  
بالدفتر.

---

تسابق نازلى هانم وكليين هانم فى  
تقديم الهدايا سرّاً للسلطان والداشية

---

محافظ عابدين، محفظة ١٢٦، ملف المتفرقات، وثيقة تركية فى ٥ محرم  
١٢٦٨هـ (٢ نوفمبر ١٨٥١م) من كليين هانم إلى الجتاب العالى عباس باشا.

جاءنى نذير أغا وأخبرنى بما قدمته نازلى هانم سرّاً من الهدايا للأعتاب  
السلطانية. وإنى قابله بالمزيد.

---

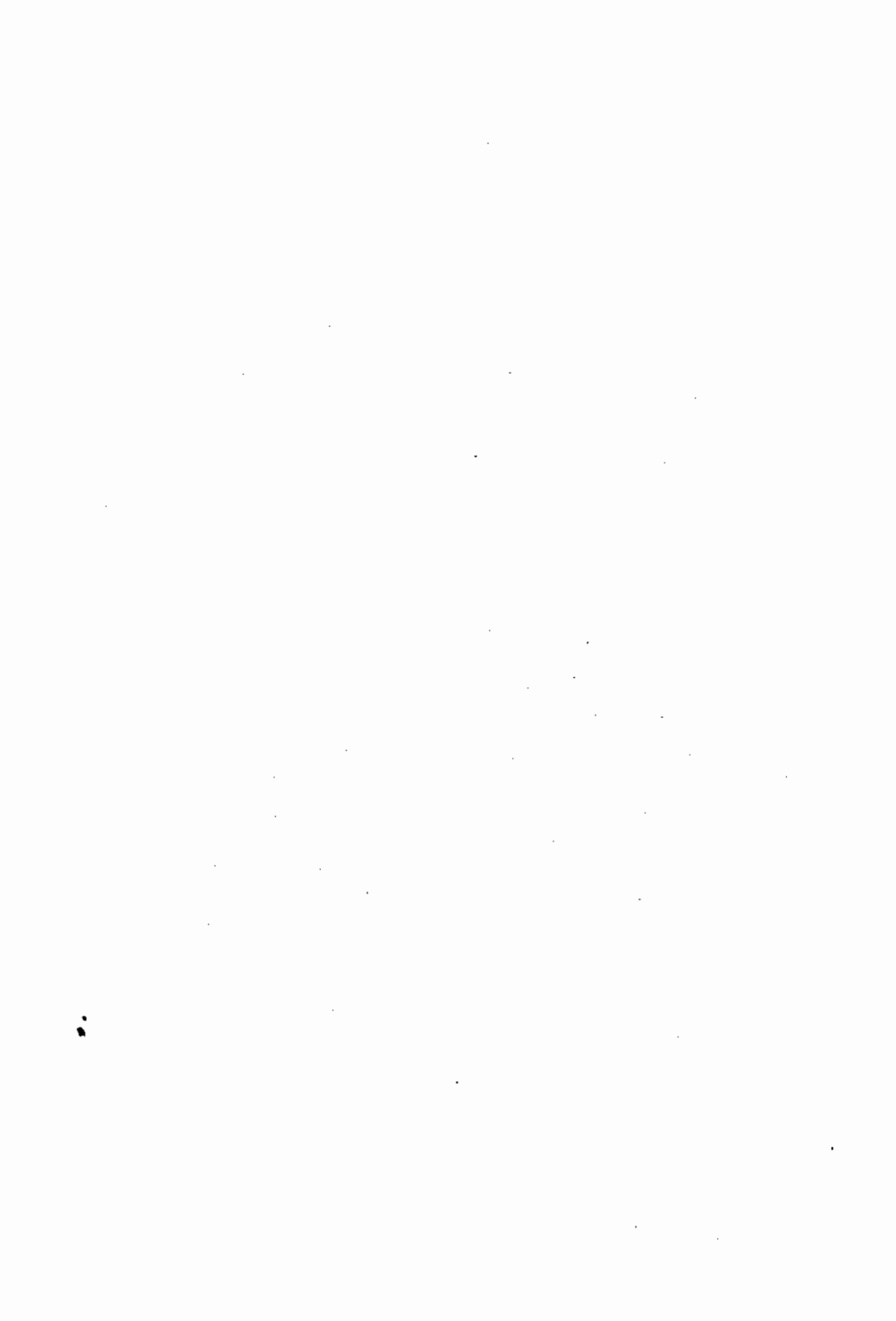
اثر سوء الأحوال فى مصر فى عهد عباس باشا  
على ممثلى الدول الأجنبية المقيمين بالآستانة

---

محافظ عابدين، محافظة ١٢٤، ملف، المتفرقات، وثيقة تركية فى ١٩ ذى  
القعدة ١٢٦٦هـ (٢٧ سبتمبر، ١٨٥٠م) من فاطمة الزهراء إلى الجتاب العالى  
عباس حلمى الأول.

لقد بلغت أعتاب دولتكم بالبريد السابق أنباء الوقايح التى وقعت قبل  
هذا بالتفصيل، ولعل دولتكم علمتم أن هذه الحوادث قد بلغت درجة انتهت  
إلى عقد مجالس شتى من قبل ممثلى الدول الأجنبية ومن غيرهم الموجودين  
ههنا فذهب بعضهم إلى وجوب نزع مصر من أسرة محمد على بتاتا، وذهبت  
طائفة إلى التزام جانب سعيد باشا وتعيينه من هنا بصفته مأموراً واستخدامه  
بهذه الصورة واقترح آخرون إبقاء عباس باشا كما فى السابق بتخصيص مرتب  
له قدره اثنى عشر ألف كيس سنوياً بحساب ألف كيس لكل شهر.

## المصادر والمراجع





أولاً: وثائق غير منشورة:

أ- الوثائق العربية:

١- دفاتر معية سنية تركى:

دفتر رقم ٧٩

٢- محافظ عابدين تركى:

| م | رقم المحفظة | م | رقم المحفظة |
|---|-------------|---|-------------|
| ١ | ١٢٣         | ٤ | ١٢٦         |
| ٢ | ١٢٤         | ٥ | ١٢٧         |
| ٣ | ١٢٥         |   |             |

ثانياً: المراجع العربية:

١- السيد رجب حراز: المدخل إلى تاريخ مصر الحديث من الفتح العثمانى إلى

الاحتلال البريطانى ١٥١٧-١٨٨٢م، دارالجامعى

للطباعة، القاهرة، ١٩٧٠.

٢- عبدالله عبدالرازق ابراهيم وشوقى الجمل: تاريخ مصر والسودان الحديث

والمعاصر، القاهرة، ١٩٩٧م.

٣- مارلو- جون : ترجمة عبدالعظيم رمضان: تاريخ النهب الاستعمارى لمصر

من الحملة الفرنسية ١٧٩٨م إلى الاحتلال البريطانى

١٨٨٢م، القاهرة، ١٩٧٦م.

1.  $\frac{1}{2} \log 2$

2.  $\frac{1}{2} \log 2$

3.  $\frac{1}{2} \log 2$

4.  $\frac{1}{2} \log 2$

5.  $\frac{1}{2} \log 2$

6.  $\frac{1}{2} \log 2$

7.  $\frac{1}{2} \log 2$

8.  $\frac{1}{2} \log 2$

9.  $\frac{1}{2} \log 2$

10.  $\frac{1}{2} \log 2$

11.  $\frac{1}{2} \log 2$

12.  $\frac{1}{2} \log 2$

13.  $\frac{1}{2} \log 2$

14.  $\frac{1}{2} \log 2$

15.  $\frac{1}{2} \log 2$

16.  $\frac{1}{2} \log 2$

17.  $\frac{1}{2} \log 2$

18.  $\frac{1}{2} \log 2$

19.  $\frac{1}{2} \log 2$

20.  $\frac{1}{2} \log 2$

21.  $\frac{1}{2} \log 2$

22.  $\frac{1}{2} \log 2$

23.  $\frac{1}{2} \log 2$

# جيرمورفولوجية الحفر الكارستيه

فى

النطاق الممتد بين القاهرة والسويس

إعمراد

د/أحمد السيد محمد معنوق

مدرس بجامعة حلوان

1. *Chlorophyll *a** and *Chlorophyll *b** were determined by the method of Arar and Collins (1971).

[illegible]

170

[illegible]

...and the

**جيومورفولوجية الحفر الكارستية**  
**فى النطاق الممتد بين القاهرة والسويس**  
**إبراهيم د/ أحمد السيد محمد معزى - مدرس بجامعة حلوان**

يغطى الحجر الجيري - على اختلاف عمره الجيولوجى - مساحة واسعة من الأراضى المصرية؛ وعلى الرغم من ذلك لم يعتن الجيومورفولوجيون المصريون عناية كافية بدراسة الظواهر الجيومورفولوجية المرتبطة بالصخور الكربونية بعامة والحجر الجيري منها خاصة وهى الظواهر التى تسمى اصطلاحاً باسم الظواهر الكارستية . وجاءت فقط هذه الدراسات إما ضمن المضمون العام للدراسات الجيومورفولوجية الإقليمية أو حينما يكون للحجر الجيري تأثير واضح على بعض خصائص المظهر الجيومورفولوجى ، أما الدراسات الكارستية (المباشرة) فهى قليلة ، وربما يعود ذلك إلى أن ظواهر الكارست فى مثل إقليمنا الذى تقع ضمنه (الجاف) ليس لها وضوح الظواهر الأخرى التى تنتشر فى هذا الإقليم ، فضلاً عن أن توقف تطورها أو بقاء هذا التطور ربما لا يغرى باحثى الجيومورفولوجيا للاهتمام بهذه المظاهر (١) .

وقد يمتد عدم الاهتمام كذلك ليشمل الظواهر الجيومورفولوجية المرتبطة بأنواع أخرى من الصخور مثل : الصخور النارية بعامة والجرانيت منها خاصة ، والصخور البركانية كذلك، ورغم أن هذه الاهتمامات لا غنى

---

(١) يذكر « ثومبوري » أن أكثر جهات العامل التى تتميز بوضوح الظواهر الكارستية هى النطاقات المدارية والمعتدلة الباردة : أنظر :

"Thornbury, W.D., (1969), "Principles of Geomorphology". John Wiley & Sons, Inc., U.S.A., 2nd Edit., P341.

عنها للجيومورفولوجى عند تأصيل المظاهر الجيومورفولوجية على أساس أنواع الصخر ونظامه أحد ركائز الدراسات الجيومورفولوجية ، فإن ذلك كله يجب أن يولى الجيومورفولوجيون العناية اللائقة ، وهو بلا شك أمر يسهم فى إثراء الفكر الجيومورفولوجى .

وفى موضوع دراستنا الحالية يشير الباحث إلى أن نتائج دراسات جيومورفولوجيا الكارست فى منطقة معينة لا يجب أن تنطبق بالضرورة على منطقة أخرى ؛ ومن ثم يجب أن تكون الدراسات الكارستية تفصيلية وموضوعية وعلى أماكن محدودة ؛ ثم ليكن بعد ذلك جمع المتشابه منها فى نسق أو إطار واحد يمكن من خلاله معرفة مدى تشابك وتشابه العوامل والعمليات المختلفة التى تحدد جوانب كثيرة من خصائص المظهر الجيومورفولوجى الكارستى .

اسباب إختيار الباحث لهذا الموضوع :

١- قلة الدراسات الجيومورفولوجية التى تعالج جيومورفولوجيا الكارست فى مصر خاصة وأن عمليات التنمية المتصلة بال عمران والطرق والإنشاءات تقوم فى بعض المناطق التى تتألف من تتابعات صخرية من بينها الحجر الجيرى، وقد حدى ذلك بالباحث لتطبيق دراسته على منطقة شرق القاهرة وحول الطريق المرصوف بين المعادى والعين السخنة وبين أُلماظة والسويس، وهى مناطق مفتوحة أمام العديد من المشروعات العمرانية (التجمع الخامس - القطامية - مدينة بدر - وغيرها) وجميعها بعد طفرة عمرانية .

٢- إن التنبيه إلى خصائص العمليات الكارستية وإمالة اللثام عن بعض ظاهرات الكارست عند مثل هذه المناطق ربما يساعد على درء بعض الأخطار المحتملة - أو على الأقل التقليل من أثارها - التي ربما تنشط مع عمليات التسوية والتمهيد، أو مع توفر كمية من مياه الصرف الصحي والتي بدورها تعمل على تنشيط العمليات الكارستية ، وينجم عن ذلك كله حدوث عمليات لها أخطارها كعمليات الانهيار والهبوط الأرضي أو تراجع الحواف أو حركة المفتتات فوق سفوح مثل هذه المناطق، ولا شك أن ذلك كله يهدد الاستخدامات البشرية التي تنشط مع تزايد حركة الإعمار والإستغلال بهذه المناطق.

٣- معرفة طبيعة العمليات الكارستية من حيث معدلات نشاطها وقدرتها التحاتية وبخاصة على تكوين ظاهرة (الحفر الكارستية) لا يكشف فقط عن علاقة صخور الحجر الجيري بعناصر المناخ وبخاصة الحرارة والرطوبة ؛ وإنما يساعد في تفسير مراحل التطور التي تنشأ بها ظاهرة أقراص الحفر الكارستية ، بل وتشير كذلك إلى إمكانية فهم مستقبل هذه الظاهرة ، أخذين في الاعتبار العلاقات المتشايكة والمعقدة بين خصائص الحجر الجيري وطبيعة العمليات التي تسهم في تحديد ملامح وخصائص ظاهرات الكارست بعامة والحفر منها خاصة .

٤- أن الدراسات الجيومورفولوجية إن كانت تهتم بإبراز الملامح الجيومورفولوجية لظاهرات كبيرة الحجم فإنها لا يجب أن تغفل عن دراسة ومعالجة قضايا جيومورفولوجية الكبيرة الحجم .

٥- معرفة الخصائص العامة لثقوب وحفر الدوال الكارستية المرتبطة بالصخور الجيرية والتي تشبه مستعمرات عشب الدل (أو أقراص العسل كما تسميها بعض الدراسات الجيومورفولوجية العربية انظر سمير سامى محمود، (١٩٨٩)).

٦- من نافذة القول أن يذكر الباحث أن قرب منطقة الدراسة بل وملاصقتها لمدينة القاهرة (شرق حتى مدينة نصر وحتى المعادي) وتوفير شبكة من الطرق المرصوفة والمدقات كان وراء تطبيق هذه الدراسة عند تلك المناطق، كما أنها من المناطق التي زارها الباحث في دراسات ميدانية متعددة وتدريبية مع طلابه ببعض أقسام الجغرافيا وتوغل بهم ومعهم في كثير من أنحائها.

ولإيجاز هذه الدراسة :

١- درس الباحث الخصائص الجيولوجية في شرق القاهرة (تعتبر جزءاً من شمال غرب هضبة المعازة الجيرية) واستعان في ذلك بالخرائط الجيولوجية والصور الجوية لقراءة وتفسير الملامح الجيولوجية العامة لهذه المنطقة نشأة وتطوراً، وركز على صخور الحجر الجيري الإيوسيني (الأوسط والأعلى) الذي تطورت عليه ظاهرة الحفر الكارستية ، فضلاً عن دراسة الخصائص البنيوية والتراكيب المميزة لهذه الصخور وعلاقة ذلك كله بخصائص الظاهرة موضوع الدراسة .

٢- دراسة الملامح العامة للمناخين القديم والحديث خاصة عنصرى الحرارة والرطوبة، وإلى أى مدى يمكن أن يسهما في تكوين وتشكيل وتطور ظاهرة الحفر الكارستية .



٣- الربط بين نتائج هذه الدراسات وبين الواقع الحقلى من خلال الدراسات الميدانية المتعددة إما للاستزادة والاستيضاح أو لإجراء القياسات المورفومترية الحقلية وكذلك لتأكيد ما انتهى إليه الباحث من نتائج .

٤- استلزم العمل الميدانى استخدام أدوات لقياس عناصر الظاهرة وأجزائها (مما يفيد فى عمليات التحليل المورفومتري) وإجراء الفحص الدقيق للعديد من هذه (الثقوب) على اختلاف أشكالها ومواقعها، والتقاط الصور الفوتوغرافية، وكذلك ملاحظة ودراسة خصائص التطور الذى تميزت به الثقوب ، ومن المهم أن نذكر أن موضوع هذه الدراسة لم يعتمد فقط على تحليل الخرائط والصور الجوية وإنما - يشكل أساسى - على نتائج الدراسات ميدانية والملاحظات الحقلية التى أولاها الباحث عناية خاصة .

هذا ويرى الباحث ضرورة توضيح أن موضوع الدراسة الحالية (حفر التخلل أو مستعمرات أقراص العسل) تختلف عن ظاهرة جيوب التحليل SOLUTION POCKETS التى ترتبط أساساً بصخور الطباشير ، وتنشأ أساساً على هيئة ثقوب ثم سريعاً ما تتطور نتيجة للخصائص التركيبية والمعدنية التى يتميز بها الطباشير حتى تبدو على هيئة جيوب متسعة ومتصلة ، كما أن ظاهرة (الحفر الكارستية) تختلف عن ظاهرات أحواض الكارست وهو أنه (دولينات) التى غالباً ما تنشأ فوق الأسطح الأفقية للصخور الجيزية ، بينما ظاهرة الحفر الكارستية من الظاهرات المميزة لحواف الحجر الجيري .

وعموماً وحتى تسهّل المقارنة بين ظاهرة الحفر الكارستية وظواهرات الكارست الأخرى يمكن القول أن ظواهرات الكارست تنقسم إلى :  
Jennings, J. N. (1985). PP 73-134

أولاً : الظواهرات الدقيقة السطحية وتحت السطحية سواء التي تتكون فوق الأسطح الجيرية العابرة أو المغطاة جزئياً أو كلياً وتضم :

١- النقر الصغيرة سواء الناشئة عن عمليات تحلل (تسهم فيها النباتات والأشنيات بدور رئيسي وفعال) ، أو الناجمة عن الارتطام المباشر لحبات المطر ثم إسالتها، وعادة ما تتميز هذه النقر بصفات لونية تعكس خصائص عمليات التحلل الكارستي، وإن كان معظم هذه الألوان تتمثل في الأسود والأزرق والأخضر المائل للزرق والرمادي .

٢- علامات التماوج الناجمة عن التحلل Solution ripples .

---

\* فيما يتعلق بالدراسات الكارستية انظر أيضاً :

١- جودة حنين جودة (١٩٨٨) . الجيومورفولوجيا - دراسة في علم أشكال سطح الأرض، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ص ص ٤٥٩ - ٤٧٦ .

٢- حسن سيد أحمد أبو العنين (١٩٨١) ، أصول الجيومورفولوجيا ، دراسة الأشكال التضاريسية لسطح الأرض، الدار الجامعية للطباعة والنشر، ط٦، بيروت، ص ص ٤٩٩ - ٥٢٢ .

٣- سميح أحمد عوده (١٩٨٤) ، جيومورفولوجية الهوات في الجبل الأخضر ، قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية ، نشرة رقم ٦٣ .

٤- محمد صبري محسوب سليم (١٩٩٧) ، جيومورفولوجية الأشكال الأرضية، ط١ ، دار الفكر العربي، القاهرة ، ص ص ٢٣٩ - ٢٦٣ .

٥- محمد صفدي الدين أبو العز (١٩٦٥) ، قشر الأرض، ص ص .

\*\* تدخل جميعها ضمن ما يعرف بظاهرة أحواض التحلل الصغير ( small solution basins ) وتسمى Kamenitza أنظر : (Stephen. T. . (1985) p55)

٣- جداول التحلل ومسيلاته ( يمكن تسميتها حروز التحلل )  
Rillenkarren) Solution Flutes (وهى عبارة عن حروز مستقيمة  
منحدرة ضروب أسفل السفح تفصلها أعراف (ضلوع) واضحة rips  
.sharp

٤- حفر التحلل للمساء solution bevels التى تظهر عند نهاية أو بداية  
المسيلات أو الحروز.

٥- أقماع التحلل solution funnel (beel steps) وتعرف بالألمانية  
(Trichter- Trittkarren) وترتبط بعمليات التحلل التى تسود أسفل  
بقع الجليد .

٦- مسيلات (حروز) التحلل بفعل المطر rain salution runnels، وتنشأ  
فوق حواف الحجر الجيرى عند نهايات الضلوع التى تفصل بين الحروز  
، وهى أكثر اتساعاً بمرتين أو ثلاث عن مسيلات التحلل، وإن كانتا  
تشابهان فى شكل مقطعيهما العرضى وتسمى بالألمانية  
Rinnenkarren ، وعادة ما تنشأ هذه المسيلات عن الأمطار أو الثلج  
أو من النباتات وكذلك بفعل المياه التى تتجمع عن عمليات الارتشاح عبر  
الفواصل التى تكتنف الحجر الجيرى ، ومن ثم تتعدد أشكال هذه  
المسيلات مثل : المنثنية meandering ومسيلات الحواف wall  
solution runnels وهى أكثر عمقاً عن جريانات المطر ومسيلاته .

٧- فواصل التحلل المتسعة (grikes) solution- widened joints  
وتعرف فى الألمانية بأسم kluftkarren وهى فى العادة فواصل

مستقيمة وعميقة ومتسعة تنتظم على هيئة شبكة خطوطها بزاوية تبلغ نحو ٩٠.

ثانياً : الأشكال الكارستية الكبيرة : مثل

١- الخوانق Gorges .

٢- كهوف أنشاءات الأودية Meander caves .

٣- الكبارى الطبيعية Natural bridges .

٤- الأودية العمياء وشبه العمياء Half-blind and blind valleys .

٥- حواف رؤوس الأودية Steepheads والتي تنشأ عن جيشانات الينابيع ومن ثم تصبح عملية التقويض الينبوعى Spring sapping هى العملية الرئيسية فى تكوين هذا النوع من الحواف، ويبدو مظهرها العام على هيئة حوائط عالية متراجعة، ولها مسميات محلية عديدة مثل : (world's end) cul de sacs, valclos reculees, steephead

٦- الأودية الجافة التى تميز مناطق الصخور الجيرية.

٧- الدولينات بأنواعها المختلفة (الحفر الكارستية على اختلاف أنواعها).

٨- الأعراف المسننه (الأعراف الكارستية).

٩- أبراج الكارست .

١٠- منخفضات الكارست المغلقة المتسعة Uvala (ذات قيعان متماوجه).

١١- أحواض الكارست الفسيحة المغلقة ذات القيعان المستوية وهذه لا يقل اتساعها عن ٤٠٠ م ويبدو بعضها ممتدا ومفتوحا.

١٢- النواخذ الكارستية .

١٣- السهول الكارستية .

١٤- الكهوف بأنواعها المختلفة.

على أية حال فإن التصنيفات التأصيلية للمظاهر الكارستية التي أوردها الباحث هنا ليست هي الوحيدة، بل هناك تصنيفات أخرى وجميعها تشير إلى مدى تعقد المظهر الجيومورفولوجى الكارستى، حتى أن الفصل بين الكثير من الظاهرات المتشابهة يعد أمراً بالغ الصعوبة، وبخاصة إذا كانت عملية التمييز تعتمد على خصائص وصفات بالغة الدقة ومتناهية الصغر، كما يعود ذلك أيضاً إلى طبيعة العمليات الكارستية وألياتها المسؤولة عن إكساب كل ظاهرة من ظاهرات الكارست تفصيلاتها، وقد انعكس ذلك كله بالطبع على صعوبة تمايز هذه الظاهرات، ومن ثم يرى الباحث أن تجمع هذه الظاهرات فى فئات أو مجموعات تضم الأنواع المتشابهة (أو القريبة التشابه) سواء فى خصائصها الشكلية أو فى الآليات المسؤولة عن تكوينها، وقد يمهّد ذلك إلى دراسات أكثر تخصصاً عن ظاهرات الكارست على أرض مصر، وسوف يساعد ذلك بالطبع على تفهم طبيعة العلاقة بين خصائص هذه الظاهرات وبين العوامل والعمليات التى أسهمت فى إبراز هذه السمات والخصائص، وربما كانت الدراسة الإقليمية الكارستية محاولة للتغلب على صعوبة الدراسة الموضوعية لظاهرات الكارست المتنوعة.

## ضوابط نشأة وتطور الحفر الكارستية :

رأينا من العرض السابق مدى تباين أشكال الظواهر الجيومورفولوجية الكارستية وتنوعها بين ظاهرات دقيقة وأخرى كبيرة وبالرغم من ذلك فإن هذه الظاهرات تخضع فى نشأتها وتطورها لمجموعة من الضوابط الحاكمة. تتمثل فى (Jennings, J.N.,(1985), Pp.70-73).

١- عوامل تختص بطبيعة الصخور ذاتها، ووجود أو عدم وجود غطاء المفتتات الصخرية، ويمكن تسميتها باسم العوامل الثابتة .

٢- المناخ والنبات الطبيعى (عوامل متغيرة) ويمكن تسميتها كذلك باسم العوامل المتغيرة النشطة.

٣- عوامل تاريخية وتعبر عن مدة النشاط التى تعرضت له الظاهرة منذ نشأتها الأولى، ومن ثم فإن ملامح الظاهرة هى فى الحقيقة انعكاس لعامل الزمن، ويدخل ضمن هذه العوامل التداخل البشرى وإلى أى مدى أسهم هذا التدخل فى زيادة النشاط أو تعديله، وربما يؤدي ذلك إلى القضاء على الظاهرة التى تكونت تماماً.

وفيما يلى محاولة لدراسة أثر كل عامل من هذه العوامل على حده، مع الأخذ فى الاعتبار - ابتداء - أن هذه الدراسة التفصيلية وعلى هذا المستوى هى محاولة لفهم دور كل عامل على حدة للوقوف على مدى ما أسهم به فى تكوين أو تطوير ظاهرة الحفر الكارستية، ومن الجدير بالذكر أن الحقائق الجيومورفولوجية تؤكد أن دور أية عامل من العوامل الجيومورفولوجية -









لوحة رقم (١) ناظراً صوب الجنوب الغربى

توضح اللوحة :

## أولاً : الخصائص الجيولوجية :

تندمى صخور الحجر الجيري التى ترتبط بها ظاهرة الحفر الكارستية فى منطقة الدراسة إلى عصر الأيوسين وبخاصة قسماها الأوسط والأعلى شكل رقم (١) وشكل رقم (٢) اللذان يضمنان مجموعة من الأعضاء (تكوينات) على النحو التالى ومن الأقدم إلى الأحدث :

١- الأيوسين الأوسط ويضم تكوينى جبل خوف والمرصد ويبلغ سمكهما معاً نحو ٢٤٢ م.

٢- الأيوسين الأعلى ويضم تكوينات :

٤- العنقابية ٤٦ متر.

٣- وادى خوف ٤٨ متر.

٢- وادى جزاوى ٤٤ متر.

١- القرن ٣٠ متر.

ويتألف الأيوسين الأوسط من صخور الحجر الجيري الذى يتميز بلونه الأبيض الناصع وصلابته الواضحة ويتداخل معه طبقات رقيقة من المارل وبخاصة أجزاءه السفلى، ويعلوه حجر جيري أبيض غنى بحفريات النيموليت، ويغطيها جمينعاً أربع طبقات من الدولوميت بسمك يتراوح بين نصف المتر والمتر الواحد (Abd-El-Tawa, S., 1986, pp. 26-38)

وقد أوضحت نتائج الدراسة الميدانية بالاستعانة بالخريطة الجيولوجية ندرة ظاهرة الحفر الكارستية على واجهات مكاشف الحجر الجيري التابع

للأيوسين الأوسط، ويعود ذلك لاندماج الحجر الجيري وصلابته وقلة احتوائه على الفواصل والشقوق، كما تقل كذلك على صخور الدولوميت التى تؤلف الأجزاء العليا من الأيوسين الأوسط (لوحة ١).

أما الحجر الجيري الذى ينتمى للأيوسين الأعلى فيبدو مختلطاً بالرمال، ويتداخل فيه طينقات مارلية وحجر طينى (انظر العمود الجيولوجى ش رقم ٢) ولذا تميل ألوانه إلى اللون البنى.

وقد لاحظ الباحث أثناء دراسته الميدانية أن معظم الحفر الكارستية ترتبط بصخور الحجر الجيري الأيوسينى الأعلى، ويعود لذلك لكثرة الفواصل والشقوق التى تكتنف وحداته الصخرية، فضلاً عن أن وجود طينقات المارل والحجر الجيري المارلى والحجر الطينى والتى يتوفر عنها رطوبة تحتفظ بها لمدة أطول ويسهم فى توغل نشاط عمليات التحلل والإذابة فى صخور الحجر الجيري وتكوين الحفر الكارستية، بل لقد ساعد ذلك فى تطوير أشكال هذه الحفر حينما اتصلت بعضها ببعض الآخر، ومن ثم بدت أكبر حجماً وأكثر اتصالاً، ولاشك أن توفر غطاء المفتتات التى تتوج أسطح أراضي ما بين الأودية التى تقطع فى صخور الأيوسين الأوسط والأعلى قد ساهم كذلك فى هذا الفعل، إذ أدى وجود هذه المفتتات إلى تقليل فرص التبخر ومن ثم ازدادت مدة نشاط التحلل الذى تعرض له الحجر الجيري أسفل هذه الغطاءات.

وعلى أية حال فإن استجابة الصخور الجيرية لعمليات التحلل تعتمد على الخصائص الطبيعية والتركيب الكيميائى لهذه الصخور، ويتوقف ذلك

أيضاً على سهولة (أو صعوبة) تغلغل النشاط داخل جسم الصخر، والذي يتوقف بدوره على : خصائص النسيج الصخري، ومدى ما يكتنف هذه الصخور من فواصل وشقوق وأسطح انفصال طبقي وخطوط صدوع ومحاور التواءات وجميعها بلاشك تشير إلى بعض معاني التركيب الصخري structure والذي يبدو منه أهمية نفاذية ومسامية هذه الصخور (Trudgill, s., (1985), pp. 7-25).

كما أن طبيعة الصخور الجيرية من حيث سرعة استجابتها لعملية التحلل والذوبان يعتمد في الأساس على علاقة الجير بالمياه الحمضية وهي المياه الذائبة فيها ثاني أكسيد الكربون، وطبيعي أن ندرة الغطاء النباتي الذي يعد من سمات منطقة الدراسة كان له دور سلبي، ومن ثم أصبح لغاز ثاني أكسيد الكربون الموجود بالهواء قرب سطح الأرض الدور الرئيسي في حامضية مياه الأمطار الساقطة، ومن ثم يشتد تأثيرها الكيميائي في تحلل وإذابة المواد الجيرية وتكوين الحفر الكارستية، بل وظاهرات الكارست الأخرى بشرط استمرار وبقاء الظروف التي تسهم في استمرار وبقاء نشاط التحلل (Ritter, D.F., (1978), pp.465-509).

كما أن تباين نشاط عمليات الإذابة والتحلل بحيث تبدو معه بعض أجزاء الصخر منحوتة وبعضها الآخر ليست كذلك مما ينعكس بالتالي ليس فقط على نشأة هذه الحفر الكارستية، بل وتطوير مظهرها العام، ويتوقف ذلك أيضاً على مدى تماسك الصخور الجيرية واندماجها مما يقلل من فرص توغل عمليات التحلل والإذابة بشكل واضح، ومن ثم تقل حفر التحلل الكارستي وترتبط فقط بمكشوف الصخر كما هو الحال في منطقة الدراسة

على مكاشف الحجر الجيري الأيوسيني الأوسط، ومعظم حفر التحلل التي درسها الباحث على الحجر الجيري الأيوسيني الأوسط كانت مرتبطة بأسطح الانفصال الطبقي، وتميزت بصغر أحجامها وقلة أعدادها وربما لم تتطور كثيراً عن ظروف نشأتها الأولى رغم ما يبدو على بعضها من تأثر بفعل البرى والاكنتساح بواسطة الرياح، وقد أورد «جون شميد» June c.schmid فى ترجمته الإنجليزية عن العالم الألماني «الفريد بوجل» Alfred Bögli بعض خصائص الحجر الجيري وسماته التي تسهم فى نشأة وتطوير الأشكال الكارستية بشكل عام وحفر التحلل أحدها بالطبع على النحو الذى يوضحه الجدول التالى (\*):

جدول رقم (١) خصائص الصخور الجيرية ومدي استجابتها للعمليات الكارستية

| نوع الصخر                | نسبة الشوائب % | الاستجابة للعمليات الكارستية                                                                                                       |
|--------------------------|----------------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| الحجر الجيري / طين Clay† |                |                                                                                                                                    |
| حجر جيري نقي جداً        | صفر - ٥        | ممتاز                                                                                                                              |
| حجر جيري                 | ٥ - ١٠         | جيد                                                                                                                                |
| حجر جيري مارلي           | ١٠ - ٢٠        | تكوين الحفوز الكارستية والدولينات (جيد)، الشوائب ٢٠٪ (كهوف صغيرة)، أما إذا زادت الشوائب عن ٢٠٪ فقد لا تتمثل فيه الظواهر الكارستية. |

(\*) (أنظر: Bögli, A., (1912), Karsthydrographie und physische speläologie Translated by : Schmid, J.C., (1980), "karst hydrology and physical speleology, springer - verlag, Berlin., 4-11.

|                                                   |             |                                                    |
|---------------------------------------------------|-------------|----------------------------------------------------|
| مارل / اردواز مارلی                               | ۷۰ - ۲۰ %   | مصمت (لا يوجد كارسست)                              |
| طين مارلی                                         | ۸۵ - ۷۰ %   | مندمج / مصمت / لدن Plastic                         |
| طين Clay                                          | ۱۰۰ - ۸۵ %  | مندمج / مصمت / لدن Plastic                         |
| ب- حجر جيري / كيريتي Limestone / SiO <sub>2</sub> |             |                                                    |
| حجر جيري                                          | صفر - ۱۰    | ممتاز - جيد                                        |
| حجر جيري / صوان                                   | ۳۰ - ۵      | جيد                                                |
| حجر جيري مع رمال                                  | ۳۰ - ۱۰     | صلب متماسك (ربما لا يوجد به ناعمة كوارتزية كارسست) |
| حجر جيري كوارتيزي                                 | ۵۰ - ۳۰     | لا يوجد كارسست                                     |
| حجر رملی كوارتيزي مع خليط من الحجر الجيري         | ۹۰ - ۵۰     | لا يوجد كارسست                                     |
| حجر رملی كوارتيزي كوارتيزيت                       | ۱۰۰ - ۹۰    | لا يوجد كارسست                                     |
| ج- حجر الفراغات % volume of pores                 |             |                                                    |
| جرانيت                                            | ۰,۸۶ - ۰,۰۵ | (مضغوط pressed)                                    |
| الاردواز                                          | ۰,۷ - ۰,۵۴  |                                                    |
| حجر رملی                                          | ۳۹,۸ - ۳,۳۲ |                                                    |
| حجر رملی صلب                                      | ۴           |                                                    |
| حجر جيري                                          | ۲,۵۵ - ۰,۶۷ | خالی من الفواصل                                    |
| طباشير                                            | ۴۳,۹ - ۱۴,۴ |                                                    |
| بولوميت                                           | ۲۲,۱۵ - ۱,۵ | خالی من الفواصل                                    |
| رخام                                              | ۰,۵۹ - ۰,۱۱ | خالی من الفواصل                                    |
| رمال خشنة                                         | ۴۱ - ۳۹     |                                                    |
| رمال ناعمة                                        | ۴۹ - ۴۴     |                                                    |
| اللويم                                            | ۵۴ - ۵۰     |                                                    |

|                                                                                                                                                                                   |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| <p>د- الكثافة : الحجر الجيري ٢,٥ جم / سم<sup>٣</sup> ويمثله الجبس ،</p> <p>الحجر الجيري المسامي أقل من ٢,٣ جم/سم<sup>٣</sup> .</p> <p>الطباشير أقل من ١,٦ جم/سم<sup>٣</sup> .</p> |
| <p>هـ- مقاومة الضغط (مقاومة الطرق) وتحدد ك. ب / سم<sup>٢</sup></p> <p>وتتراوح في الحجر الجيري بين ١٠٠ - ٢٤٠٠</p>                                                                  |
| <p>و - الذوبان في حامض الهيدروكلوريك البارد (جيد الذوبان) والدافئ (واضح الذوبان)</p>                                                                                              |

ويتطبيق بعض هذه الخصائص على الحجر الجيري الأيوسيني الأوسط والأعلى في منطقة الدراسة يتضح قابلية هذه الصخور لتكوين بعض نماذج الظواهر الكارستية، ولكن خصائص هذه الظواهر تخضع لطبيعة التفاعل بين خصائص الصخور الجيرية والظروف الهيدروجينية المساعدة على تحلل هذه الصخور، فضلا عن أن استمرار تأدية هذه العمليات لدورها يتوقف على استمرار الأحوال المناخية التي أدت إلى تكوين هذه الظواهر. -

ثانيا : الخصائص المناخية والنبات الطبيعي :

لا ترتبط نشأة الحفر الكارستية وتطورها بخصائص الصخور الجيرية فحسب، بل إن آلية التكوين والتطور تعتمد على طبيعة الظروف المناخية التي

تسود على مناطق الصخور الجيرية، ولا يمكن على وجه الدقة تحديد العمليات المختلطة التي تتضافر - أو تتنافر - لتكوين وتطوير هذه الظواهر حتى ولو تم ذلك في ضوء النتائج التي تتوفر عن التجارب الجيومورفولوجية، لأن ذلك عادة ما يتم وفق ظروف تتفق مع متطلبات التجربة وأهداف البحث.

وعلى أية حال فإن نشأة الحفر الكارستية تعتمد كما سبق الذكر على خصائص الصخور الجيرية نوعاً ونظماً، وعلى الدور الذي تلعبه الظروف المناخية وبخاصة عنصرى الحرارة والرطوبة، ويمكن التعبير عن ذلك في ضوء الجوانب القياسية (مورفومترية) لخصائص الحفر بمعدل التحلل الكارستى، ويشير هذا المعدل إلى أن زيادة معدلات ذوبان الحجر الجيري تعتمد على زيادة محتوى المياه من غاز ثانى أكسيد الكربون، وتزيد قدرة المياه على إذابة هذا الغاز كلما كان الماء أكثر برودة، دون إغفال ما يسهم به النبات من مواد عضوية تساعد على توفير فرص أفضل لسرعة التحلل (\*):

(\*) أورد June C. Rchmid في كتابه المترجم عن Bögli من ص ٤٦ - ٤٩ أن : معدل التحلل

$$K = \frac{KG}{PA \cdot 10^6 l}$$

الكارستى على النحو التالى:

حيث : K تشير إلى معدل التحلل الكارستى ( مم / لكل ١٠٠٠ سنة).

KG = إجمالى الموارد الجيرية التى تحللت ويمكن الحصول عليها من تحليل المياه الجوفية القريبة.

A = المساحة (كم<sup>٢</sup>)

وأورد كذلك أسباب عدم الاعتماد مباشرة على نتائج مثل هذه المعادلات، خاصة وأن هذه النتائج تعتبر مؤشرات عامة فقط، ويجب أن تدرس خصائص الكارست ومعدلات التحلل فى كل جالة أو منطقة دراسة خاصة :



$$\text{معدل التحلل الكارستى} = \frac{\text{معدل المطر الصافى} \times \text{متوسط المحتوى الكربونى للمياه الجوفية}}{100}$$

- معدل المطر الصافى = المعدل السنوى للمطر (مم) مطروحا منه متوسط كمية البخر السنوى (مم)

- اعتبر الباحث أن متوسط المحتوى الكربونى للمياه الجوفية = ٠,٢ ملجم / ل.

- المعادلة نقلا عن: محمد قائد حاج حسن (١٩٩٦)، ص ص ١٠٢ - ١٠٣ و ص ٣٦٤.

وقبل أن ندخل فى دراسة خصائص معدل التحلل الكارستى وعلاقته بتشكيل حفر الكارست فى منطقة الدراسة يحسن أن نشير إلى ظروف المناخ الراهن، مما يساعد فى تفسير وتأريخ هذه الظاهرة.

تتميز منطقة الدراسة الحالية بارتفاع درجة الحرارة، إذ يبلغ المتوسط السنوى نحو ٢٥م ، يزداد إلى نحو ٢٧,٨م صيفا ويقل شتاء فيبلغ نحو ١٤,٤م ويانحرف لكليهما عن المتوسط يبلغ ٩,٧+ - ١٢,٥ للفصلين على الترتيب، مما يشير إلى الفارق الواضح بين درجة حرارة كل من الصيف والشتاء، ويسقط عليها أمطار سنوية تبلغ نحو ٢٤مم معظمها فى الشتاء (١٠,٥مم) بينما ينعدم المطر صيفاً.

أنظر أيضا : Ollier. C. D. (1979). PP. 242-252.

\* بالاعتماد على بيانات الهيئة العامة للأرصاد الجوية، المعدلات المناخية، محطة أرصاد حلوان حتى عام ١٩٩٩م (وقد أعدت بناء على طلب خاص من الباحث وعلى نفقته لأغراض البحث العلمى، إضافة إلى جداول المعدلات لمحطة أرصاد حلوان (من سنة ١٩٣١ - سنة ١٩٦٠) Table A1 & A2 ص ص ٧٠ - ٩٠.

وظروف مناخية على هذا النحو ليست كافية إطلاقاً لتكوين ظاهرات الحفر الكارستية، ذلك أن معدل التحلل الكارستى ( كل ألف سنة) وفق هذه الظروف والذي قام الباحث بحسابه اتضح أنه معدل ضئيل للغاية، وقد بلغ ٢,٦ مم/ ١٠٠٠ سنة، حتى ولو بلغ هذا المعدل ٤٠ مم/ ١٠٠٠ سنة كما جاء في بعض الدراسات (جنوب فرنسا انظر محمد فائد، ١٩٦٩، ص ٢٦٤\*\*) فهو أيضاً معدل ضئيل للغاية ولا يكفى لتكوين هذه الحفر، ولعله يساعد فقط على تطوير الأشكال الدقيقة ببطء، ومعنى ذلك أن ظاهرة الحفر الكارستية موضوع الدراسة الحالية لا تعود للظروف المناخية الراهنة ولكنها ظاهرات موروثة تنتمى إلى فترات أغزر مطراً.

ولتوضيح العلاقة بين معدل التحلل الكارستى وحجم الحفر والمدة اللازمة لتكوينها نورد الجدول التالى :

جدول رقم (٢) المدة الزمنية اللازمة لتكوين الحفرة الكارستية حينما يكون معدل التحلل الكارستى

| حجم الحفرة مم <sup>٢</sup> | أ : ٢,٦ مم/ ١٠٠٠ سنة | ب : ٤٠ مم/ ١٠٠٠ سنة |
|----------------------------|----------------------|---------------------|
| ١٠٠٠                       | سنة ٣٨٥              | سنة ٢٥              |
| ١٠٠٠٠                      | سنة ٣٨٤٦             | سنة ٢٥٠             |
| ١٥٠٠٠                      | سنة ٥٧٦٩             | سنة ٣٧٥             |
| ٢٠٠٠٠                      | سنة ٧٦٩٢             | سنة ٥٠٠             |
| ٢٥٠٠٠                      | سنة ٩٦١٥             | سنة ٦٢٥             |
| ٣٠٠٠٠                      | سنة ١١٥٣٨            | سنة ٧٥٠             |

الجدول من إعداد الباحث.

\*\* (تتباين سرعة التحلل الكارستى باختلاف النطاقات المناخية والعمر، نفس المرجع، ص ٢٤٧ - ٢٧٩).

وبوضح ذلك أنه كلما كان حجم الحفرة كبيراً فإنها تحتاج لمدة زمنية طويلة لكي تتكون، مما يعنى أيضاً أن الحفر الكارستية الكبيرة الحجم أقدم نشأة، كما أن زيادة معدل التحلل الكارستى يتبعها قلة فى المدة الزمنية اللازمة لتكوين حفر الكارست.

وربما كانت هذه النتائج صحيحة إلى حد كبير، بمعنى أن حجم الحفرة الكارستية يعد مدلولاً على زيادة معدلات التحلل الكارستى أو نقصه، ولكنه فى رأى الباحث لا يعبر عن العمر النسبى لهذه الحفر إلا فى حدود ضيقة، فربما يكون كبر حجم الحفر الكارستية ناجم عن تلاحم بعضها ببعض الآخر، أو ربما تكون الفواصل والشقوق سبباً آخر، وقد شاهد الباحث العديد من هذه النماذج أثناء دراسته الميدانية، حتى بدى بعض هذه الحفر كفتحات الكهوف (لوحة رقم ٢)، أو على هيئة مظلة صخرية (لوحة رقم ٣).

كما أن سرعة التحلل الكارستى وزيادة معدلات تعتمد على كثير من العوامل، يتصل بعضها بخصائص الحجر الجيرى الذى يتعرض لعمليات التحلل : سواء ما يتعلق بدرجة نقائه (جدول رقم ١) أو بكثرة الفواصل والشقوق وخطوط الصدوع التى تكتنفه، ومدى توفر الغطاء النباتى الذى يسهم إلى حد واضح فى حامضية المياه فتزداد قدرتها على إحداث الذوبان والتحلل بارتفاع هذه الحامضية، كما يتعلق الأمر كذلك بخصائص الأمطار الساقطة من حيث حجم حبيبات قطراتها، وفى هذا الشأن ذكر (Ritte, D.F. 1978. pp. 405-509)، أن الأمطار الرذاذية أكثر قدرة على إحداث التحلل عن قطرات المطر الكبيرة الحبات، ويعتمد ذلك أيضاً على مدة

التساقط واستمراريته، وتوزيعه وشدته، وعلاقة خصائص الأمطار بدرجة الحرارة (التبخّر)، هذا فضلاً عن طبيعة الانحدار العام للسطح الذى تسقط عليه الأمطار، فكلما كانت درجة انحداره هينة كلما توفرت الفرصة لبقاء الماء مدة أطول على السطح ومن ثم تزيد فرصة التحلل والذوبان، أما إذا كانت درجة الانحدار شديدة فإن ذلك يساعد على تطوير أشكال كارستية خطية Karren وأقنية مائية وجداول تساعد على انصراف المياه صوب المنحدرات (المراجع السابق).

على أية حال فإنه وفى ضوء ظروف الجفاف الحالى (ندرة سقوط الأمطار وربما انعدام التساقط ولفترة زمنية طويلة وارتفاع درجة الحرارة) وعدم توفر غطاء نباتي، كلها من العوامل التى تؤكد انتماء حفر الكارست إلى ظروف أغزر مطراً مما هى عليه الآن، ومن ثم يتوفر عنها معدلات تحلل كارستى أعلى، ويكفى للظروف الراهنة الفرصة الضئيلة لإحداث تطور بطيء وبمعدلات تحلل كارستى منخفضة، ورغم محدودية هذا الدور (وبخاصة فعل الضباب والندى والرياح) إلا أنه دور لا ينكر.

#### الحفر الكارستية : النشأة والتطور :

درس الباحث على صخور الحجر الجيري الأيوسيني الأوسط والأعلى فى مناطق شرق القاهرة عدداً كبيراً من حفر التحلل الكارستية(\*)، وشملت هذه الدراسة جوانب مورفومترية عديدة لتحديد ملامح هذه الحفر وفق نموذج خاص أعده الباحث لهذا الغرض (ملحق ٢) وتبعاً لنتائج القياس الحقلى المباشر يمكن تصنيف حفر التحلل الكارستى إلى :

---

\* بلغ عدد الحفر التى تم دراستها حقلية أكثر من ٥٠٠ حفرة.



لوحة رقم (٢)

### جدول رقم (٣)

تصنيف حفر التحلل الكارستى حسب الحجم \*

| الوصف  | الحجم (مم <sup>٣</sup> )     | ملاحظات |
|--------|------------------------------|---------|
| دقيقة  | أقل من ٥٠٠ مم <sup>٣</sup>   |         |
| صغيرة  | ٥٠٠ - ١٥٠٠ مم <sup>٣</sup>   |         |
| متوسطة | ١٥٠٠ - ٣٠٠٠ مم <sup>٣</sup>  |         |
| كبيرة  | ٣٠٠٠ - ٤٥٠٠ مم <sup>٣</sup>  |         |
| ضخمة   | أكبر من ٤٥٠٠ مم <sup>٣</sup> |         |

١- الحفر الدقيقة وهذه بلغ متوسط طولها ١٠ مم ومتوسط العرض نحو ٢٠ مم، على حين بلغ متوسط عمقها نحو ٥ مم، وتظهر معظم هذه الحفر على صخور الأيوسين الأسفل (الحجر الجيري المندمج الصلب) وكذلك على صخور الدولوميت، وإن كانت تتميز بوفرة أعدادها فوق صخور الحجر الجيري عن الدولوميت، وقد أظهر الفحص الميداني أنها تتميز بميلها لاتخاذ شكل دائري، ويخلو قاعها من أى مفتتات كما تتميز جوانبها بلونها الفاتح، ويرى الباحث أن مثل هذا النمط ربما نشأ حديثاً جداً، فهى بهذه الأبعاد تناهز حجماً يبلغ نحو ١٠٠٠ مم<sup>٣</sup> ومثل هذا الحجم يمكن أن ينشأ فى مدة زمنية لا تزيد كثيراً عن ٢٥ سنة بمعدل تحلل كارستى ٤٠ مم/ ١٠٠٠ سنة، ويبدو مظهرها العام على هيئة حفر صغيرة ذات جوانب ملساء ناعمة، وربما

\* الجدول من إعداد الباحث بالاعتماد على نتائج القياس الحقلى لأجزاء وعناصر هذه الحفر، ونظراً لكثرة أعداد الحفر المقاسة حقلياً رأى الباحث تصنيفها على النحو الوارد بالجدول.

تكون قد نشأت فى بادئ الأمر على هيئة ندب ارتطام مطر Rain print ثم تطورت بما توفر من رطوبة محدودة بفعل الندى والضباب الذى يحدث أحياناً، مما يعطى الفرصة (المحدودة) لتطوير خصائص الشكل التى تتسم به هذه الحفر، وهنا لا تغفل على أثر الرياح الهابة فى نحت وبرى جوانب وقاع هذه الحفر واكتساح مفتتات التحلل الناعمة، ومن ثم تبرز عملية تعميق وتوسيع هذه الحفر. كما لا تغفل كذلك أثر بعض عمليات حركة المفتتات وبخاصة عمليات التساقط والزحف فى تطوير وتوضيح مثل هذه الحفر.



لوحة رقم (٣-أ) - أعلى



لوحة رقم (٣-ب) - أعلى



٢- الحفر الصغيرة والمتوسطة : وترتبط هذه الحفر بنوعى الصخور الجيرية والدولوميتية سواء التابعة للأبوسين الأوسط أو الأعلى، وهى الحفر التى تتراوح أحجامها بين ١٠٠٠ مم - ٤٥٠٠ مم ٢، وهذه الحفر نشأت أصلاً على هيئة حفر دقيقة، ثم تلاحم بعضها ببعض الآخر، فبدت أكبر حجماً وأكثر وضوحاً، وإن كانت تتميز كذلك بجوانبها الملساء وبوجود بقايا ضلعية (حزوز نحيفة غائرة فيما بين جنبات الحفرة الواحدة) مما يدل على أن عملية النمو نجمت عن إتصال الحفر بعضها ببعض الآخر، وإن كان الفحص الميداني أبرز وجود بعض أترية التحلل (موان جيرية دقيقة وناعمة ملتصقة بجنبات الحفرة وبعضها الآخر على القاع) مما يدل كذلك على استمرار تأثرها بعمليات التحلل ولكن على نطاق محدود، وقد عثر الباحث بين ثنايا بعض الحفر على بقايا رملية أخشن من المفتتات الجيرية ويدل ذلك على تأثرها بفعل الرياح الهابة والتى ساهمت فى برى هذه الحفر وتذرية مؤاينها الناعمة وربما تخلف عن ذلك ارساب بعض الرمال التى كانت ضمن حمولة الرياح\*.

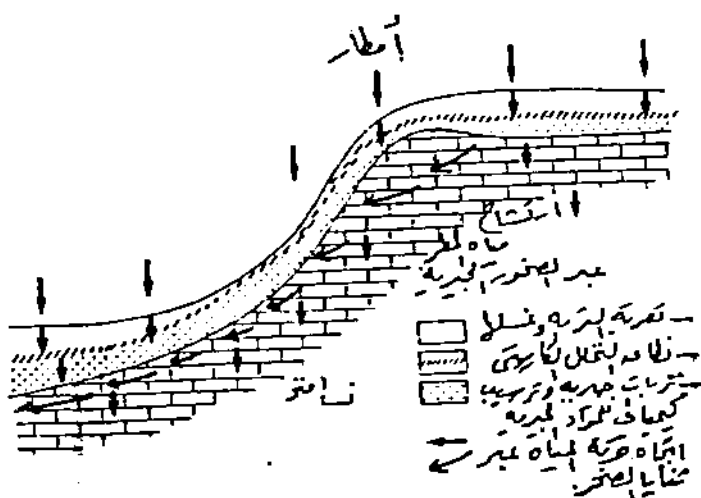
٣- الحفر الكبيرة : وهى التى يزيد حجمها عن ٤٥٠٠ مم ٢ وقد أتضح من الدراسة الميدانية أن هناك نوعان من هذه الحفر (لوحات أرقام ٣ ، أو ٤ ، ٥ ، ٦ ، و٧) ..

النوع الأول : وهو مرتبط بالفواصل والشقوق، بمعنى أن توغل عمليات التحلل داخل ثنايا الفواصل والشقوق مما عمل على زيادة تعميقها

---

\* الرياح السائدة شمالية شرقية وشمالية غربية وتتراوح نسب الهبوب فى هذين الاتجاهين بين ١٩,٥٪ - ٢١,٢٪ و ٧,٦٪ - ١٧,٨٪ لهما على الترتيب (أنظر ملحق رقم ١).

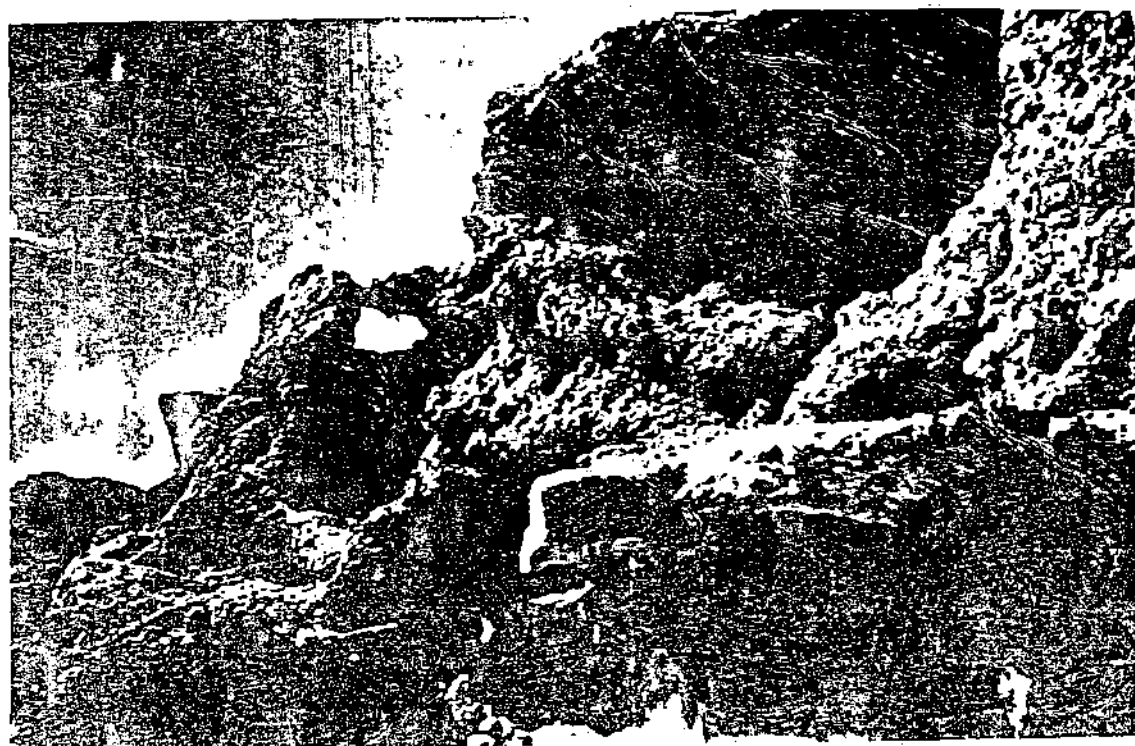
وتوسيعها فبدت على هيئة حفر أكبر، وزاد من وضوحها تأثر هذه الحفر باكتساح الرياح لنواتج التحلل والذوبان، كما أن حركة المواد Mass Movement صوب حضيض السفح عملت هي الأخرى على تعرية قيعان هذه الحفر، ومن ثم تصبح باستمرار عرضة للتأثير المباشر لعمليات التحلل، سواء من المياه المرتشحة من أعلى السفح متباعدة ثانياً الفواصل والشقوق (شكل رقم ٢) أو من المياه المتبقية عن الندى والضباب الحاليين، كما أنها تصبح كذلك تحت التأثير المباشر للرياح الهابة برياً ونحلاً ونقلاً مما يزيد من اتساع واستطالة وعمق هذه الحفر، وبالتالي زيادة أحجامها. ويضاف إلى هذا النوع تلك الحفر التي تنشأ حينما تتوغل المياه المرتشحة على أعلى السفح متباعدة خطوط الصدوع (لوحة رقم ٦) (لوحة رقم أ و ب).



شكل رقم (٢) حركة المياه فوق سفوح الحجر الجيري وآثارها الجيومورفولوجية

بتصرف عن : Trudgill, S., (1985), P. 48. مع الأخذ في الاعتبار أن نطاق التحلل

الكارستي هو النطاق النشط.



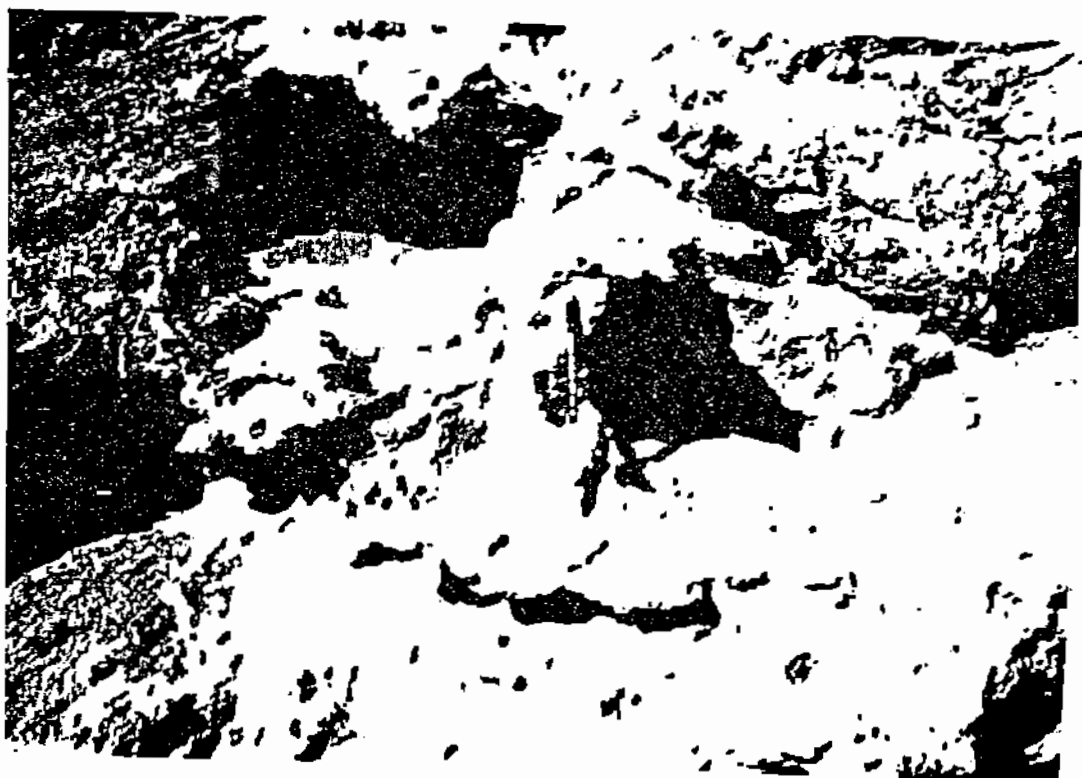
لوحة رقم (٤)



لوحة رقم (٥)



لوحة رقم (٦-١)



لوحة رقم (٦-ب)



لوحة رقم (٧)



لوحة رقم (٨ - ١)





لوحة رقم (٨ - ب)

أما النوع الثانى : فهى الحفر التى نشأت متتبعة أسطح الانفصال الطبقي (لوحة ٣ب)، وفى هذا النوع يبدو أن حفر التحلل الكارستى نشأت عن ارتشاح المياه فوق السفوح الهينة الانحدار أعلى الهينات التضاريسية وتمكنت من الوصول إلى أسطح الانفصال الطبقي على واجهة المنحدر، وساعد ذلك على نشاط عمليات التحلل فى فترات غزارة المطر بالطبع، وحينما أعقب ذلك ذبذبة مناخية دفيئة تبخرت المياه مخلفة وراءها مفتحات جيرية ناعمة كانت من الضعف والليونة حتى أنها تعرضت للتذرية بفعل الرياح الهابة، ونجم عن ذلك تكوين حفر صغيرة ومستطيلة تتفق مع أسطح الانفصال الطبقي، ومع تكرار حدوث هذه الظروف المناخية بين غزارة الأمطار ثم ارتفاع درجة الحرارة والجفاف واستمرار عمليات التحلل ثم اكتساح وتذرية مفتحات التحلل ازداد اتساع وامتداد وتعميق هذه الحفر حتى بلغت امتداداً يفرق فى بعض الأحيان بضعة أمتار ويعمق يصل إلى نحو نصف المتر (لوحات أرقام ٣ ، ٩)، وقد تتصل بعض الحفر حتى أنها لتبدو على هيئة كوه (النافذة الصغيرة) (لوحة رقم ٤)، هذا مع الأخذ فى الاعتبار كذلك أن الفترات التى ارتفعت فيها درجة الحرارة لم يعطل أثنائها نشاط التحلل الكارستى تماماً، ولكن يمكن القول أنه كان بطيئاً وذلك نظراً لعدم توفر الرطوبة الكافية لإحداث عمليات الإذابة والتحلل، بل وربما ساعدت عمليات حركة المواد فوق السفوح على إكساب هذه الحفر بعض خصائصها الشكلية وبخاصة عمليات تساقط المفتحات وزحفها صوب حضيض المنحدر، فضلاً عن تأثرها بالرياح الهابة كما سبق الذكر. وبناء على اعتبار حجم هذه الحفر فى ضوء معدل التحلل الكارستى المحسوب (جدول رقم ٣) يمكن

إرجاع الحفر المتوسطة الحجم إلى عمر يناهز ٢٠٠٠ عام حيث كانت الظروف أكثر رطوبة، وقبل أن تحل ظروف المناخ الجاف الحالي. (انظر محمد فائد، ص ٦١). بينما تعود الحفر الكبيرة (تبلغ حجماً أكبر من ٤٥٠٠ مم<sup>٢</sup>) إلى نهاية البلايوسين و بداية الهولوسين\*.

على أية حال فإن تكوين هذه الحفر فضلاً عن أنه ظاهرة جيومورفولوجية مميزة، إلا أنه ساهم في إبراز خصائص وملامح جروف الحجر الجيري الأيوسيني الأعلى الذي يتميز بوجود هذه الحفر، فضلاً عن تعرضه لعمليات تقويض واضحة حينما تمكنت عمليات الإذابة من تطوير أشكال الحفر وتكوين ستائر أو أغشية التحلل (مواد ضعيفة يسهل إزالتها) التي تغطي بعض أجزاء من الواجهات الحرة لجروف الحجر الجيري الأيوسيني الأعلى.

---

\* فيما يتعلق بالظروف المناخية أثناء البلايوسين يمكن الرجوع إلى :

جودة حسنين جودة ، ١٩٩٨ ، الجغرافيا الطبيعية للزمن الرابع، دار المعرفة الجامعية - الاسكندرية



لوحة رقم ٢



ن. ع (۹ - ب)



لوحة رقم (٩ - ج)

وساعد وجود مفتتات التحلل ضمن نواتج تفكك وتحلل صخور التزل على توفير تربة محلية نمت عند بعضها نباتات وأعشاب (فقيرة) ربما يتوفر عنها ثانى أكسيد الكربون الذى يسهم بدور فعال فى استمرار وتنشيط حدوث عمليات الإذابة والتحلل بشرط ضرورة توفر المياه.

ومن المشاهدات الميدانية للباحث أن عمليات تطوير حفر الكارست نجم عنها توفر كمية من المفتتات التى تحركة صوب أدنى السفح فى صورة تساقط صخرى (الوَحْتان ٧ أ و ب) أو زحف لهذه المفتتات صوب أدنى السفح كذلك، ويمثل ذلك خطراً يهدد سلامة الحركة على الطرق التى توجد فى المنطقة مثل طريق مرصد القطامية (طريق مرصوف) وهو من الطرق الحيوية التى تخدم عمليات نقل نواتج المحاجر العديدة المنتشرة فى هذه الأرجاء إلا أن إزالة هذه النواتج باللوادر لضمان استمرار كفاءة هذه الطرق فى تأدية وظيفة الحركة الآمنة عليها يمكن أن يتسبب عنه خلل فى منظومة العلاقات المتشابكة التى تضمن استقرار وثبات السفح (أحمد معتوق ١٩٩٣ ص ٤٢-٤٣)، هذا ويرى الباحث كذلك أن أية مشروعات لتنمية المنطقة وما حولها تنمية متواصلة ومستدامة يجب أن تأخذ بعين الاعتبار آثار عمليات تحلل وإذابة الحجر الجيرى (القديمة والحديثة) درءاً للأخطار التى ربما تقلل من كفاءة واستمرارية هذه المشروعات.

## خاتمة

نوجز فيما يلي نتائج هذه الدراسة :

١- يجب أن نوجه فى الجيومورفولوجيا عناية خاصة بالظاهر الجيومورفولوجية التى يلعب نوع الصخر ونظامه دوراً بارزاً فى تد ملامح وصفات هذه الظاهرات، وذلك حتى لا يكون الاهتمام ف بالإقليمية الجيومورفولوجية أو تأثير العامل أو العملية فى الدراسات.

٢- رغم أن الحجر الجيرى يغطى مساحة كبيرة من أرض مصر، إلا الباحث يرى أن هناك عدداً محدوداً ممن اهتموا بالدراس الجيومورفولوجية المتخصصة فى الحجر الجيرى بالذات.

٣- لا يجب كذلك أن تستحوذ الظاهرات الجيومورفولوجية الكبيرة. اهتمام دارس الجيومورفولوجيا، على حساب دراسة الظاهرات الدقة وربما يساعد الفهم الصحيح لخصائص وملامح هذه الظاهرات. تحديد ملامح وخصائص الظاهرات الأكبر.

٤- ظاهرة الحفر الكارستية فى مناطق الحجر الجيرى الأيوسينى الأدنى والأعلى تظهر فى مناطق متفرقة فى شرق القاهرة (المنطقة التى الباحث دراسته عليها) على الواجهات الحرة لسفوح منحدرات الحجر الجيرى.

٥- لا تعود ظاهرة الحفر الكارستية إلى الظروف المناخية الراهنة التى تت بندرة سقوط الأمطار وارتفاع درجة الحرارة (ظروف جفاف)، بل



ظاهرة حفيرية ربما تعود إلى آخر فترة مطيرة، أى منذ نهاية البلايوسين ومضى ذلك أن أعمارها ربما تعود إلى نحو ١٥ - ٢٠ ألف سنة، حيث كانت ظروف المطر أغزر والنبات الطبيعى أكثر (مع تسليمنا بأن الغابة المتحجرة (جبل الخشب) هى للنباتات التى كانت موجودة)، ومن ثم يساعد ذلك على تنشيط عمليات التحلل والإذابة فى صخور الحجر الجيرى الأيوسينى الأوسط والأعلى.

٦- أن هذه الظاهرة متباينة الخصائص والملامح تبعاً للضوابط التى أسهمت فى تحديد هذه الملامح، فبعضها حديث جداً نشأ عن عمليات ارتباط حبات المطر بالواجهة الصخرية ثم حدثت عمليات التحلل بعد ذلك، وهنا يلعب توجيه المطر بالنسبة للهيئة التضاريسية دوراً لا يغفل، إذ يظهر معظم هذه الحفر على السفوح الشمالية.

٧- عمليات الجريان السطحى فوق قسم القمة و بالاتجاه نحو الواجهة الحرة تساعد على تنشيط عمليات إذابة محدودة ساعدت على اتساع بعض الثقوب وبخاصة التى تقترب صوب أعلى السطح.

٨- ساعد ارتشاح المياه وتسريها داخل فتحات الفواصل والشقوق على تكوين حفر كارسيتية واضحة مرتبطة بهذه الفواصل، كما أن ارتباط بعض الحفر بأسطح الانفصال الطبقي يمكن تفسيره أيضاً بعمليات الإذابة التى تمت على امتداد هذه الأسطح، وينطبق ذلك أيضاً على الحفر التى ارتبطت بخطوط الصدوع.

٩- لا يمكن إغفال دور الرياح الهابة فى نحت وبرى جوانب هذه الحفر

وقيعانها، ثم اكتساح نواتج هذا الفعل وساعد ذلك على زيادة اتساع وتعميق هذه الحفر وتطوير خصائصها الشكلية.

١٠- لعل التعرض لرخات المطر المحدودة الحالية أمر يجب أن يؤخذ في الاعتبار لتفسير الاستمرار (المحدود) لعمليات الإذابة، وإن كان توفر فرص الرطوبة من خلال الندى والضباب أكثر أهمية (فى رأى الباحث) فى استمرار هذا الدور، مع الأخذ فى الاعتبار قلة وجود الغطاء النباتى وارتفاع درجة الحرارة مما يقلل من فرصة تطوير هذه الأشكال الجيومورفولوجية الدقيقة.

١١- رغم بطء عمليات التحلل الحالية إلا أن القديمة منها تطورت بشكل واضح فبدت مثل المظلات الصخرية (الأسقف)، كما ساعد ذلك أيضا على إحداث عمليات تقويض لقاعدة السفح، وتوفر عن مجمل النشاط مفتتات الحجم والشكل والتي بدورها تحركت إما على هيئة تساقط أو زحف صخرى، مما يهدد عمليات التنمية التى تتم فى المنطقة.

١٢- إن عمليات التنمية المتصلة والمستدامة فى هذه المناطق يجب أن تأخذ بعين الاعتبار أية احتمالات حتى ولو كانت ضئيلة للأخطار الناجمة عن تطوير الحفر الكارستية بفعل عمليات الإذابة والتحلل.

ورغم صعوبات جمة صادفها الباحث إلا أنه تمكن بفضل الله وبمعاونة بعض من يفهمون طبيعة البحث العلمى ومشاقه من التغلب على بعضها وتبقى مسألة التكلفة المادية لبعض الأغراض التى تعين على استجلاء الصورة الجيومورفولوجية وبيان جميع جوانبها من الأمور التى ستظل عقبة

كداء فى هذا الطريق ما لم يتم التغلب عليها ولذا يرجو الباحث ويأمل :

١- أن تكون مراكز الأبحاث فى خدمة مثل هذه الدراسات لإجراء التحليلات اللازمة مثل تحليل العناصر المشعة التى يمكن الاستفادة منها فى معرفة العمر النسبى للظاهرة.

٢- التحليلات الكيمائية للمياه ولعينات الصخور.

٣- التحليلات الفيزيائية لمعرفة إجهادات الصخور الجيرية.

كما يقترح الباحث كذلك :

١- إنشاء محطات رصد مناخية ومزودة بأجهزة حديثة فى بعض المناطق القريبة من القاهرة (مرصد القطامية - جبل الخشب - التل الأبيض).

٢- اتخاذ تدابير ووسائل تحد أو تقلل من أخطار تساقط وزحف وانهيار الصخور، وقد شاهد الباحث مثل هذه الوسائل على سفوح جبل عسير بالمملكة العربية السعودية.

٣- تضافر جهود العلماء فى مجالات عديدة وبخاصة الهيدرولوجيا (السطحية والجوفية) والجيوفيزياء والمهندسون والجيومورفولوجيون وغيرهم ممن يمكن الاستفادة من خبراتهم عند التخطيط الشامل لمثل هذه المناطق لضمان استمرار وتنشيط عمليات التنمية فى مجالاتها المتعددة .

## المراجع العربية:

أحمد السيد معتوق، الملامح الجيومورفولوجية للانزلاقات، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (مقبول للنشر).

جودة حسنين جودة، ١٩٨٨م، الجغرافيا الطبيعية للزمن الرابع، دار المعرفة العربية، الإسكندرية.

جودة حسنين جودة، ١٩٨٨م، الجيومورفولوجيا - دراسة في علم أشكال سطح الأرض، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

حسن سيد أحمد أبو العيتين، ١٩٨١م، أصول الجيومورفولوجيا - دراسة الأشكال التضاريسية لسطح الأرض، الدار الجامعية للطباعة والنشر، ط ٦، بيروت.

سميح أحمد عودة، ١٩٨٤م، جيومورفولوجية الهوات في الجبل الأخضر، قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية، نشرة رقم ٦٢.

سمير سامى محمود محمد، ١٩٨٩م، منطقة جنوب شرق القاهرة (شرق المعادى وحلوان) دراسة، جيومورفولوجية، رسالة - ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة القاهرة.

سيد عبد الخالق سيد، ١٩٩٥م، دلتا وادى حوف كمركز استقرار في عصر ما قبل التاريخ، دراسة في الجغرافيا التاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة.

محمد صبرى محسوب سليم، ١٩٩٧م، جيومورفولوجية الأشكال الأرضية، ط ١، دار الفكر العربى، القاهرة.

محمد صفى الدين أبو العز، ١٩٦٥م، قشرة الأرض، القاهرة.

محمد فائد حاج حسن، ١٩٩٥م، أسس الجيومورفولوجيا المناخية منشورات جامعة دمشق.

### المراجع الأجنبية :

Bögli, A., (1912), Karsthydrographie und physische speläologie Translated by : Schmid, J.C., (1980), "karst speleology, springer - verlag, hydrology and physical Berlin., 4-11.

Jennings, T.N., (1985), "Karst Gemorphology", Basil Black well Inc., U.S.A., N.Y.

Ollier. C. D. (1979). Weathering, Longman, London..

Ritter, D.F., (1978), "Process geomorphology", Wm.c. Brown Compant Pub., U.S.A.

Thornbury, W.D., (1969), "Principles of Greomorphology". John Wiley & Sons, Inc., U.S.A., 2nd Edit., P341.

Trudgill, S., (1985), Limestone Geomorphology, Longman, U.S.A., N.Y.

## لوحة رقم ( ١ ) ناظراً صوب الجنوب الغربى

توضح اللوحة : ندرة حفر التحلل الكارستى فوق أرصفة الدولوميت  
بوادى المرصد.

## لوحة رقم ( ٢ ) ناظراً صوب الجنوب

توضح اللوحة تباين اتساع حفر الكارست فوق صخور الحجر الجيرى  
الايوسينى الأعلى حيث تبدو صغيرة ومتزاحمة (أعلى يسار الصورة)  
بينما تبدو فتحات بعض هذه الحفر على هيئة متسعة حينما ترتبط  
بالفواصل والشقوق، ويوضح اللون الفاتح داخل الحفرة (حيث يجلس  
الباحث) آثار حديثة لعمليات تساقط صخرى جرف صوب أدنى  
السفح. الحفر الكبيرة ذات أشكال قمعية.

## لوحة رقم ( ١٣ ) أعلى : ( ناظراً صوب الجنوب الغربى )

توضح اشتداد عمليات التحلل الكارستى على سفوح الحجر الجيرى  
الايوسينى الأعلى بامتداد أسطح الانفعال الطبقي ربما ساعد على  
تطوير أشكال الحفر الكارستية فبدت على هيئة مظلة صخرية.

## لوحة رقم ( ٣ ب ) أسفل - ناظراً صوب الجنوب

حفر الكارست على امتداد أسطح الانفصال الطبقي وقد اتصلت  
بعض الحفر الكارستية ببعضها البعض الآخر، بينما لم يزل بعض  
آخر من هذه الحفر على انفراد، لاحظ نمو بعض النباتات عند  
حضيض السفح.

#### لوحة رقم ( ٤ ) ناظراً صوب الجنوب الشرقى

- نماذج من الحفر الدقيقة والصغيرة والمتوسطة.

ويلاحظ كثرة أعداد الحفر الدقيقة فوق واجهات الحجر الجيرى الأيوسينى الأعلى، على حين نمت الحفر الصغيرة والمتوسطة وازداد حجمها امتداداً وعمقاً واتساعاً حتى بدى بعضها على هيئة كرة، يلاحظ كذلك أثر الفواصل والشقوق فى زيادة أحجام الحفر الكارستية.

#### لوحة رقم ( ٥ ) ناظراً صوب الشمال

رغم ما يكتنف الحجر الجيرى الأيوسينى الأعلى من حفرة صغيرة، إلا أن وجود الفواصل والشقوق ساعد على توغل عمليات التحلل داخل ثنايا هذه الفواصل وعمل ذلك على تكوين حفر كارستية أكبر.

#### لوحة رقم ( ٦ أ ) إتجاه النظر رأسى

تأثرت بعض حفر التحلل الكارستى بالرياح الهابية، حيث تمكنت الرياح من صقل ويرى جوانب وقيعان الحفر، ونقلت بعض المواد بينما تخلفت المواد الأخشن داخل بعض الحفر.

#### لوحة رقم ( ٦ ب ) إتجاه النظر جنوباً

ترسبت داخل بعض حفر التحلل الكارستى مواد رملية خشنة (رواسب هوائية)، كما توضح اللوحة كذلك إمكانية نمو حفر التحلل الكارستى واتصالها بعضها ببعض الآخر وتكوين حفر أكبر حجماً.

## لوحة رقم (٧) ناظرًا صوب الشرق

حجر جيرى أيوسينى أعلى ينفصل بطبقات نحيفة من المارل، تأثر بالصدوع وعلى امتداد خط الصدع ازدادت عمليات التحلل وترسبت المواد الجيرية التى كانت ذاتية ونمى فوقها بعض النبات، ونجم عن توغل عمليات التحلل على امتداد خط الصدع تكوين حفر تحلل كارستى، يلاحظ كذلك عمليات التعرية والإزالة التى أصابت الواجهة الصخرية ومن ثم يبدو لونها فاتحاً.

– عدد الحفر قليل لصلابة واندماج الحجر الجيرى.

## لوحة رقم (٨) أ ، ب

حجر جيرى أيوسينى أعلى يكتنفه الفواصل والشقوق الرأسية وتتركش حفر التحلل الكارستى. يلاحظ تأثر مكاشف الحجر الجيرى بعمليات التساقط الصخرى.

## لوحة رقم (٩) أ ، ب ، جـ

نماذج متباينة لأنواع الحفر الكارستية.

أ : الدقيقة وقد اتصل بعضها ببعض الآخر، كما يظهر تأثرها باكتساح الرياح لبعض موادها الدقيقة.

ب : الصغيرة والمتوسطة التى ارتبطت بإتساع الفواصل والشقوق.

جـ : الحفر التى نشأت على امتداد خط الصدع.

تابع ملحق رقم (١) السنة المثوية لعدد ساعات هبوب الرياح السطحية (بالعقدة) من الاتجاهات المختلفة (بالدرجات).



# ملحق رقم (١)

## المدلات والنسبات الشهرية لبعض العناصر الجبرية لحطة أرصاد وحلولان

| البيانات                                    | الشهور | يناير | فبراير | مارس | أبريل | مايو | يونيه | يوليه | أغسطس | سبتمبر | أكتوبر | نوفمبر | ديسمبر |
|---------------------------------------------|--------|-------|--------|------|-------|------|-------|-------|-------|--------|--------|--------|--------|
| درجة الحرارة (درجة مئوية)                   | ١٨,٧   | ٢٠,١  | ٢٢,٧   | ٢٨,١ | ٣٢,٣  | ٣٢,٦ | ٣٢,٦  | ٣٤,٦  | ٣٤,٨  | ٣٩,٥   | ٢٠,٠   | ٢١,٣   | ١٩,٧   |
| الرياح (درجة مئوية)                         | ١٠,٤   | ١٠,٢  | ١١,٦   | ١٣,٩ | ١٤,٦  | ١٢,٨ | ١٢,٨  | ١٣,٥  | ١٣,٣  | ١٢,٤   | ١١,٧   | ١٢,٠   | ١٢,٦   |
| درجة الحرارة الصغرى (درجة مئوية)            | ٨,٣    | ٩,٩   | ١١,١   | ١٤,٢ | ١٧,٧  | ١٩,٨ | ١٩,٨  | ٢١,١  | ٢١,٥  | ٢٠,١   | ١٨,٣   | ١٤,٣   | ٧,١    |
| المرسطة (درجة مئوية)                        | ١٣,٥   | ١٥    | ١٧,٩   | ٢١,٢ | ٢٥    | ٢٦,٣ | ٢٦,٣  | ٢٧,٩  | ٢٨,٢  | ٢٦,٣   | ١٩,٢   | ٢٠,٣   | ١٣,٤   |
| الرطوبة النسبية (%)                         | ٥٩     | ٥٣    | ٤٨     | ٤١   | ٤٠    | ٤٣   | ٥٢    | ٥٥    | ٥٥    | ٥٥     | ٥٩     | ٥٩     | ٩٠     |
| مجموع كمية المطر لمدة سنة ١٩٣١ سنة ١٩٦٠ (م) | ٧,٨    | ٤,٢   | ٧,٥    | ٠,٧  | ٢,٥   | -    | -     | -     | -     | -      | -      | -      | -      |
| مجموع كمية المطر لمدة سنة ١٩٦٠ سنة ١٩٩٩ (م) | ٣,٨    | ٣,٦   | ٢,٤    | ٠,٩  | ١,٨   | ١١,١ | ١١,١  | ١١,٣  | ١١,٣  | ١٠,٩   | ٠,٧    | ٢,٩    | ٥,٥    |
| مدة سطوع الشمس (ساعة / شهر)                 | ٧,٢    | ٧,٩   | ٨,٦    | ٩,١  | ١٠,٣  | ١١,١ | ١١,٣  | ١١,٣  | ١٠,٩  | ١٠,١   | ٩,٥    | ٨,٢    | ٦,٧    |
| الغطاء لسوى سطح البحر (مكروسيكال)           | ١٩,٣   | ١٩,٩  | ١٧,٦   | ١٥,٦ | ١٣,١  | ١١,٩ | ١١,١  | ١٠,٦  | ٨,٧   | ١٢,٠   | ١٥,٥   | ١٨,١   | ١٩,٦   |

أثر = كمية من المطر > ٠,١ مليمتر

عن الهيئة العامة للأرصاد الجوية، إدارة المناخ.

- المتوسطات والبيانات : من حساب الباحث بالاعتماد على البيانات الواردة بالملحق

- تغطي بيانات محطة حلوان منطقة نصف قطرها ٥٠ كم.

- حسب الباحث قوتية الجفاف واتضح أنها = ٠,٧ مما يدل على شدة جفاف هذه المنطقة

## تابع ملحق رقم ( ١ )

النسبة المئوية لمدة ساعات هبوب الرياح السطحية (بالمقدرة) من الاتجاهات المختلفة (بالدرجات) \*

| الاتجاه (ب) السرعة (د)     | ٣-١ | ٤-٦  | ٧-١٠ | ١١-١٦ | ١٧-٢١ | ٢٢-٢٧ | ٢٨-٣٣ | ٣٤-٤٠ | ٤١-٤٧ | ٤٨-٥٥ | ٥٦-٦٣ | ٦٣-٦٧ | ملاحظات   |
|----------------------------|-----|------|------|-------|-------|-------|-------|-------|-------|-------|-------|-------|-----------|
| يمكن<br>ليس لها اتجاه محدد | ٠.١ | ٠.١  | ٠.١  | -     | -     | ١     | -     | -     | -     | -     | -     | -     |           |
| ٣٤-١٤                      | ١.٢ | ٢.٣  | ٧.٠  | ٧.٠   | ٠.٨   | ٠.١   | -     | -     | -     | -     | -     | -     | الشماليات |
| ١٢-٠.٤٤                    | ١.١ | ٢.١  | ٦.١  | ٨.٥   | ٢.٠   | ٠.٤   | -     | -     | -     | -     | -     | -     | ٢١,٣      |
| ٧٤-٠.٤٠                    | ٠.٥ | ١.٣  | ٢.٥  | ٢.٣   | ٠.٩   | ٠.٢   | -     | -     | -     | -     | -     | -     | ٨.٧       |
| ٧٥-١.٠٤                    | ٠.٥ | ١.٠  | ١.١  | ٠.٦   | ٠.١   | -     | -     | -     | -     | -     | -     | -     | ٢.٢       |
| ١٠.٥-١٣٤                   | ٠.٦ | ١.١  | ٠.٦  | ٠.٣   | ٠.٢   | -     | -     | -     | -     | -     | -     | -     | الشماليات |
| ١٣٤-١٠.٥                   | ٠.٦ | ١.١  | ٠.٦  | ٠.٢   | ٠.٢   | -     | -     | -     | -     | -     | -     | -     | ٢.٥       |
| ١٣٥-١٦٤                    | ٠.٥ | ١.٠  | ٠.٨  | ٠.٢   | -     | -     | -     | -     | -     | -     | -     | -     | الشماليات |
| ١٦٥-١٩٤                    | ٠.٥ | ٠.٨  | ٠.٩  | ٠.٤   | ٠.١   | -     | -     | -     | -     | -     | -     | -     | ٢.٧       |
| ١٩٥-٢٢٤                    | ٠.٤ | ٠.٧  | ٠.٨  | ٠.٦   | ٠.١   | -     | -     | -     | -     | -     | -     | -     | الجنوبيات |
| ٢٢٥-٢٥٤                    | ٠.٤ | ٠.٦  | ٠.٩  | ٠.٤   | ٠.١   | -     | -     | -     | -     | -     | -     | -     | ١.٩       |
| ٢٥٥-٢٨٤                    | ٠.٥ | ٠.٩  | ٠.٩  | ٠.٨   | ٠.٢   | -     | -     | -     | -     | -     | -     | -     | ٢.٣       |
| ٢٨٥-٣١٤                    | ٠.٨ | ١.٨  | ٢.٦  | ٢.٣   | ٠.٣   | -     | -     | -     | -     | -     | -     | -     | الجنوبيات |
| ٣١٥-٣٤٤                    | ١.٢ | ٢.٦  | ٦.٤  | ٦.١   | ٠.٥   | -     | -     | -     | -     | -     | -     | -     | ٧.٨       |
| الاجمعي                    | ٨.٢ | ١٩.٤ | ٣٠.٢ | ٢٠.٤  | ٤.٩   | ٠.٧   | -     | -     | -     | -     | -     | -     | ٣٥١٧٧,٨   |

\* من : جداول الهيئة العامة للأرصاد الجوية - محطة أرصاد حلوان - للفترة من ١٩٦٨ - ١٩٩٨ م.

\*\* مثل الاتجاه السائد لمحطة أرصاد حلوان

**نموذج مقترح لجدول بيانات القياسات المحلية للحفر الكارستية**

[illegible]

- تحديد الاتجاه باستخدام البوصلة المنشورية.

511



معركة أنقره عام ٨٠٥هـ / ١٤٠٢م  
وأثرها على العلاقات البيزنطية العثمانية في  
مطلع القرن التاسع الهجري  
(الخامس عشر الميلادي)

دكتور

عبد الرحمن محمد العبد الغني

مدرس تاريخ والعصور الوسطى

كلية الآداب - جامعة الكويت

قسم التاريخ



معركة أنقرة عام ٨٠٥ هـ / ١٤٠٢ م ، وأثرها على العلاقات

البيزنطية العثمانية في مطلع القرن التاسع الهجرى

( الخامس عشر الميلادى )

يد صراع الدولة البيزنطية ضد العثمانيين الحلقة الأخيرة من حلقات صراعها من أجل البقاء . ولم يكن هذا الصراع متكافئاً بعد أن تقلصت مساحة بيزنطة بشكل كبير ، وضاعت منها أقاليم عديدة فى آسيا الصغرى والبلقان . ويمكن القول إن تلك الدولة عانت من الضعف والتدهور ، وظهرت عليها علامات الشيخوخة منذ مطلع القرن الثالث عشر الميلادى (أواخر القرن السادس الهجرى) <sup>(١)</sup>.

وكانت إمارة آل عثمان من الإمارات التركية التى نشأت فى الأطراف الشمالية الغربية لآسيا الصغرى ، ولكنها أخذت فى توسيع رقعتها على حساب جيرانها من البيزنطيين ، والإمارات التركية الأخرى التى ظهرت على أنقاض دولة سلاجقة الروم فى مطلع القرن الثامن الهجرى ( بداية القرن الرابع عشر الميلادى ) ، ونجحت فى الاستيلاء على عدد من المدن البيزنطية الهامة فى آسيا الصغرى؛ إذ سقطت بروسا (برسا) Brusa فى أيدي الأتراك العثمانيين عام ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ م ، كما سقطت مدينة نيقية Nicaea عام ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م <sup>(٢)</sup>. وكانت آسيا الصغرى هى ميدان توسع الأتراك العثمانيين طيلة عهد عثمان الأول ( ٦٨٧ - ٧٢٧ هـ / ١٢٨٨ - ١٣٢٦ م ) والفترة المبكرة من عهد ابنة أورخان الأول ( ٧٢٧ - ٧٦٤ هـ / ١٣٢٦ - ١٣٦٢ م ) . ونجح العثمانيون فى القضاء على الوجود البيزنطى فى الأناضول.

وخلال أحداث الحرب الأهلية فى الدولة البيزنطية <sup>(٣)</sup> استعان يوحنا كنتاكوتزينوس John Contacuzenus بالأمير أورخان فعرف العثمانيون طريقهم إلى البلقان <sup>(٤)</sup>، وهكذا وقف العثمانيون على حقيقة ضعف الدولة البيزنطية ، وبدأت تراودهم فكرة انتزاع أملاكها . وبنهاية الحرب الأهلية البيزنطية سنة ١٢٥٤م لم تعد هناك حاجة إلى وجود العثمانيين فى الجانب الأوروبى من أراضى الدولة البيزنطية ، بيد أنهم رفضوا العودة إلى آسيا الصغرى.

وكان العثمانيون قد استولوا فى عام ٧٥٢ هـ / ١٢٥٢م على قلعة تزييمب Tzympe بالقرب من غاليبولى Gallipoli ، وفى ربيع أول عام ٧٥٥ هـ / مارس ١٢٥٤م ، وبعد زلزال مدمر دفع البيزنطيين إلى الهرب من هذه المنطقة قام سليمان ابن الأمير أورخان الأول باحتلال غاليبولى نفسها <sup>(٥)</sup> . وقام الأمير أورخان بإعادة بناء حصن غاليبولى ، وأبقى فيه حامية كبيرة فأصبح للعثمانيين موطئ قدم فى البلقان . وفى عام ٧٥٧ هـ / ١٢٥٦م اضطرت بيزنطة إلى الاعتراف بالوجود العثمانى هناك مقابل عدم تعرض الأتراك العثمانيين إلى السفن التى تحمل الأطعمة إلى عاصمتهم القسطنطينية <sup>(٦)</sup> .

وفى عام ٧٦٤ هـ / ١٢٦٢م نجح العثمانيون فى الاستيلاء على مدينة أدرنه Adrianople ، ومنها انطلقوا غرباً حتى وصلوا إلى مدينة فيليبوبولس Philipopolis عام ٧٦٥ هـ / ١٢٦٢م ، وسيطروا على وادى ميسترا Mistra ، وعزلوا بذلك بيزنطة عن جيرانها فى البلقان <sup>(٧)</sup> .



وإذا كان العثمانيون في البداية قد اتخذوا من بروسا (برسا) في غرب

آسيا الصغرى عاصمة لهم ، فإن الأمير العثماني مراد الأول ( ٧٦٤ - ٧٩٢ هـ )

هـ / ١٣٦٢ - ١٣٨٩ م ) أكد الأطماع العثمانية في البلقان حين قام بنقل

عاصمته من بروسا (برسا) إلى أدرنه عام ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢<sup>(٨)</sup>.

وأمام تزايد الخطر العثماني على بيزنطة لجأ البيزنطيون إلى عدة

أساليب لمحاولة وقف هذا الخطر وإنقاذ دولتهم من السقوط. فاتجه أباطرة

بيزنطة أولاً إلى الدول المجاورة ، وخاصة دولتي الصرب والمجر طلباً

للمساعدة ، وقد تحمل الصرب عبء مقاومة العثمانيين في بداية الأمر ،

وأعدوا حملتين عسكريتين لهذا الغرض . فبعد سيطرة العثمانيين على تراقيا

أصبحت مقدونيا هدفهم التالي ، فقرر الأمير الصربي يوحنا أوجليشا John

Uglisa الخروج لقتال الأمير مراد الأول ، وحاول تنظيم جبهة تقاتل الأتراك

العثمانيين ، ولكن لم ينضم إليه سوى أخيه الملك الصربي فوكاشين Vuka-

sin (١٣٦٥-١٣٧١م). وقاد الأخوان جيشاً صربياً باتجاه أدرنة حيث تمت

المواجهة بين مراد الأول عند شرنومن Cernomen الواقعة على نهر مارتيزا

Maritsa ( مارিকা Marica ) في ١٥ ربيع أول عام ٧٧٣ هـ / ٢٦ سبتمبر

١٣٧١م وانتهت المعركة بانتصار العثمانيين ومقتل الأخوين الصربيين<sup>(٩)</sup>.

وترجع أهمية المعركة إلى أنها أضعفت من قوة الصرب ، كما ترتب عليها

أيضاً خضوع دولة البلغار للعثمانيين<sup>(١٠)</sup>.

وفي محاولة أخرى من جانب الصرب لوقف المد العثماني تحالف لازار

Lazar أمير راسكيا ®†Rascia (١٣٧١-١٣٨٩م) مع تفرتكو†Tvrtko

فلك البوسنة. وفي معركة كوسوفو kosofo التي جرت في ١ رجب عام ٧٩٢

هـ/ ١٥ يونيو ١٣٨٩م. الحق العثمانيون هزيمة كبرى بالصرب. وعلى الرغم من سقوط الأمير العثماني مراد الأول قتيلا في المعركة فإن ابنه بيازيد الأول (٧٩٢-٨٠٥ هـ / ١٣٩٨ - ١٤٠٢م) نجح في تحقيق النصر. وقد ترتب على هذه المعركة القضاء على استقلال دولتي الصرب والبوسنة. وخضع الصرب والبوسنيين للعثمانيين، كما انخرطوا في الجيش العثماني<sup>(١١)</sup>. وفي عام ٧٩٦ هـ / ١٣٩٣م نجح العثمانيون في فتح بلغاريا وسقطت عاصمتها تورنوفو Tranovo.

أما دولة المجر فقط أنزعجت لسقوط دول البلغار والصرب والبوسنيين، وتزايد الخطر العثماني في المنطقة، وشرعت في التشاور مع دول الغرب الأوربي والبابوية من أجل الإعداد لحملة صليبية. وقام البابا بونيفاس التاسع Boniface IX (١٣٨٩-١٤٠٤م) بالدعوة لحملة صليبية عام ٧٩٧ هـ / ١٣٩٤م لإنقاذ مملكة المجر<sup>(١٢)</sup>. ويمكن تفسير حماس البابوية على أساس أن الدول التي سبق أن تعرضت للخطر العثماني مثل بيزنطة، والصرب وبلغاريا كانت دول أرثوذكسية المذهب، ومن ثم لم تهب البابوية لإنقاذها. أما المجر التي تتعرض للخطر هذه المرة فهي دولة كاثوليكية المذهب، وكان لزاما على البابوية أن تقدم المساعدة لإنقاذها من العثمانيين.

كانت فرنسا أسرع دول الغرب الأوربي مشاركة في هذه الحملة، إذ بادر فيليب البرجندى Philip Burgandy نوق بيرجنديا بإرسال قواته للمجر، كما أرسلت إنجلترا، وألمانيا، وبولندا قوات محدودة للمشاركة في هذه الحملة. وفي ظل هذا الحماس توافدت الجيوش الغربية على المجر حتى بلغ عدد القوات المشاركة مائة ألف مقاتل، كما اهتمت البندقية بالمشاركة في

هذه الحملة وأُرسلت عدداً من سفنها لهذا الغرض. كما شاركت سفن جنوه وروبوس، وخيوس أيضاً فى هذه الحملة<sup>(١٣)</sup>. ولم يكن بيازيد الأول أقل استعداداً حيث جمع عدداً من القوات متشابهاً، وانضمت إليه القوات الصربية الحليفة، وعددها خمسة عشر ألف مقاتل بقيادة ستيفن بن لازار Stephen Lazarerie<sup>(١٤)</sup>.

تقدم الجيش الصليبي بقيادة سجموند Sigismund ملك المجر (١٣٨٧ - ١٤٣٨م) حتى وصل إلى نيقوبولس Nicopolis التى كانت من أهم المعاقل العثمانية على نهر الدانوب، وألقى الصليبيون عليها الحصار. ولكن المدينة صمدت للحصار ورفضت الاستسلام. وأسرع بيازيد الأول للقاء الصليبيين أمام المدينة. وفى معركة نيقوبولس التى دارت فى ٢٠ من ذى الحجة عام ٧٩٨ هـ / ٢٥ سبتمبر ١٣٩٦م حقق بيازيد الأول نصراً حاسماً، وفشلت الحملة الصليبية التى علق عليها الغرب وبيزنطة أملاً كبيراً فى طرد العثمانيين من البلقان.

ومن الجدير بالذكر، أن دولة الصرب الخاضعة للعثمانيين قد حافظت على الالتزام باتفاقها معهم، وكما كان موقف بيزنطة سلبياً حينما وقعت المواجهة بين العثمانيين من ناحية، والصرب، والبُلغار من ناحية أخرى فإنها (أى بيزنطة) اتخذت موقفاً سلبياً أيضاً من صليبية نيقوبولس خوفاً من إثارة غضب العثمانيين، وفقدان ما تبقى لها من أملاك<sup>(١٥)</sup>.

على أية حال، لم يهتم السلطان بيازيد الأول بملاحقة الجيش الصليبي عقب معركة نيقوبولس وأثر أن يغتنم الفرصة فاتجه لحصار مدينة

القسطنطينية عام ٧٩٩ هـ / ١٣٩٦ م، خاصة وقد ساد اعتقاد بإمكانية سقوطها عقب فشل الحملة الصليبية سابقة الذكر. وكان السلطان قد أغضبه وقوف الإمبراطور مانويل الثانى اليولوج Manuel II Palacologus (١٣١٩ - ١٤٢٥ م) على الحياد فى هذه المعركة. وتوقع منه تقديم المساعدة له. ولم يكتف السلطان العثمانى بفرض الحصار على القسطنطينية بل حاول الاستفادة من الخلافات القائمة بين أفراد الأسرة الحاكمة فيها، فشجع الإمبراطور المشارك يوحنا السابع John VII على الانفراد بالعرش دون عمه مانويل الثانى واعدإياه بالمساعدة، ولكن يوحنا السابع رفض ذلك بسبب تشككه بنوايا السلطان (١٦) ولم يستمر الحصار العثمانى للقسطنطينية طويلا؛ إذ قام السلطان بيازيد الأول برفعه والانسحاب من أمام العاصمة البيزنطية.

وقد أثار انسحاب العثمانيين من أمام القسطنطينية الكثير من التكهّنات. فيرى البعض أن العاهل العثمانى رفع الحصار بعد موافقة الإمبراطور البيزنطى على زيادة الجزية المفروضة عليه من قبل السلطان (١٧). ويرى آخرون أن رفع الحصار حدث بسبب تخوف بيازيد الأول من رد فعل الغرب الأوروبى، واحتمال حشده لحملة جديدة (١٨). وترى مجموعة أخرى من المؤرخين الحديثين أن العثمانيين لم تكن لديهم قوة بحرية كافية لإحكام الحصار على المدينة (١٩).

وعندما تزايد الضغط العثمانى على القسطنطينية أنكر الإمبراطور مدى الضعف الذى أصاب بولته وعجزه عن المقاومة، وهنا راودت العاهل

البيزنطى فكرة الذهاب بنفسه إلى الغرب الأوروبى طلباً للمزيد من المساعدة. وقد غادر الإمبراطور عاصمته فى ديسمبر عام ١٢٩٩م تاركاً يوحنا السابع ابن أخيه على رأس الدولة حين عودت (٢٠). وعندما علم السلطان بيازيد الأول برحيل الإمبراطور البيزنطى أسرع لفرض الحصار على القسطنطينية، وأرسل إلى يوحنا السابع عام ٨٠٥ هـ / ١٤٠٢م يطالب بتسليم المدينة مهدداً إياه بالقضاء على سكانها عند دخولها عنوة (٢١).

وإذا كان يوحنا السابع قد عجز عن إقناع السلطان العثمانى برفع الحصار عن العاصمة البيزنطية، فإنه سعى فى الوقت نفسه إلى الاستنجاد بـ تيمور لnk (٧٦٨ - ٨٠٨ هـ / ١٣٦٦ - ١٤٠٥م) وحثه على محاربة العثمانيين (٢٢). كما سعت بعض القوى السياسية فى الغرب الأوروبى إلى الاتصال بـ تيمور لnk أملاً فى التحالف معه للقيام بعمل مشترك ضد العثمانيين (٢٣).

وكانت الحدود الفاصلة بين إقليم الجزيرة وشمال الشام، وآسيا الصغرى تمثل منطقة احتكاك بين ثلاث قوى رئيسية فى ذلك الوقت، جمعت بينها العقيدة الإسلامية، وتناقضت مصالحها السياسية، وهى إمبراطورية المغول التى أقامها تيمور لnk، ودولة سلاطين المماليك فى مصر والشام، والدولة العثمانية. وكان من الطبيعى أن يقع الصدام بين هذه القوى، وهى تسعى لزيادة رقعة ممتلكاتها فى منطقة تشابكت حدودها وتقاطعت. وكان المغول يمثلون خطراً كبيراً على القوتين المملوكية والعثمانية (٢٤). ولقد أدى النمو المطرد للقوة العثمانية، وزيادة رقعة ممتلكاتها شرق آسيا الصغرى على حساب الإمارات التركية المستقلة هناك (٢٥) إلى قلق تيمور لnk الذى

اعتقد أن العثمانيين سيتوسعون مزيداً إلى الشرق. وزاد من حدة العداء بين المغول والعثمانيين أن كل طرف كان يؤوى عنده الهاربين من الطرف الآخر<sup>(٣)</sup>.

وقد أجمل بعض المؤرخين الأسباب التي أدت إلى زيادة التوتر بين الدولتين العثمانية والتميمورية فيما يلي :

١- تجاوز حدود الدولتين ، وطموحات العاهلين المغولي والعثماني.  
٢- خشية تيمور لك من التوسع العثماني شرقاً على حساب أقاليم تدين بالولاء له. وكانت مخاوف العاهل المغولي ترجع إلى حقيقة أن أقليم أذربيجان يسكنه العديد من القبائل التركية، وقد يشجع هذا بيازيد الأول على ضم هذا الأقليم إليه كما فعل مع الإمارات التركمانية في شرق الأناضول.

٣- رغم أن تيمور لك لم تكن لديه أطماع في ضم آسيا الصغرى إلى ممتلكاته، فإنه كان يطمع في ضم المناطق الشرقية منها، ولهذا طالب بضم سيواس Siwas، وملطيه، والبستان، وكماخا إلى أملاكه.

٤- كان تيمور لك قد استولى على بغداد في عام ٧٩٦هـ / ١٢٩٣م بناء على طلب من سكانها الساخطين على سلطانهم أحمد بن أويس الجاركي، فلجأ هذا السلطان، وحليفه التركماني قره يوسف إلى السلطان العثماني بيازيد الأول فأحسن استقبالهما فخشى تيمور لك من قيام تحالف عثماني تركماني قد ينضم إليه المماليك في شمال بلاد الشام

إليه؛ مما يهدد مصالح دولته. ولهذا طلب تيمور لك من بيازید تسليم اللاجئين المذكورين له، ولكن السلطان العثماني رفض طلب العاهل المغولي.

٥- كانت الإمارات التركمانية في شرق الأناضول في أواخر القرن السابع عشر الميلادي (أواخر القرن التاسع الهجري) تخشى تعاظم قوى العثمانيين خاصة وأن بيازید الأول قد استولى على بعضها؛ لذلك كانوا على استعداد لإغراء تيمور لك بمهاجمة الدولة العثمانية للقضاء عليها، وعندما استولى بيازید على عدد من تلك الإمارات فر أمراؤها إلى العاهل المغولي وحثوه على التدخل لإعادتهم إلى إماراتهم.

٦- كانت القوى الأوروبية الناقمة على القوة العثمانية مستعدة لأن تمد يدها لأية قوة قادرة على هزيمة العثمانيين؛ لذلك سعت جنوه، وقشتاله إلى التحالف مع تيمور لك. ولقد شجعت هذه الاتصالات هذا الأخير على العمل ضد الدولة العثمانية.

٧- نظرة العداء المتبادلة بين العاهل المغولي والعثماني وسعى كل منهما إلى تبرير شن الحرب على الآخر وفق مصالح دولته.

٨- اختلفت المصادر في بيان أسباب الصراع بين تيمور لك وبيازید، فبينما أرجعت المصادر التيمورية الفارسية أسباب الصراع إلى تعنت السلطان العثماني، وإستعلائه، وسوء تصرفه، حصرتها المصادر العثمانية في رفض تيمور لك عروض المصالحة التي عرضها بيازید، كما أشارت إلى المظالم التي أوقعها العاهل المغولي بالمسلمين (٢٧).

ومما لاشك فيه أن التوسع العثماني في شرق الأناضول قد أزعج تيمور  
لنك خاصة بعد سيطرة بيازيد على مدينة سيواس التي اعتبرها العاهل  
المغولي مدينة حيوية لاستراتيجيته التوسعية (٢٧).

وقبل أن يبدأ تيمور لنك حملته على بلاد الشام، حرص على تأمين  
مؤخرة جيشه فغبر إلى آسيا الصغرى في محرم من عام ٨٠٣هـ/ أغسطس  
١٤٠٠م، وهاجم سيواس، ونجح في اقتحامها في ٦ محرم عام ٨٠٣هـ/ ٢٧  
أغسطس ١٤٠٠م، وأعدم الحامية العثمانية فيها، وكان من بين من أعدمهم  
أميرها أرطغرل ابن بيازيد (٢٨).

غضب بيازيد من هجوم تيمور لنك على سيواس وما أن رحل عنها إلى  
بلاد الشام حتى أسرع السلطان العثماني إلي شرقى آسيا الصغرى، حيث  
استعاد سيواس، وقام بمهاجمة مدينة أرزنجان Erzcan التي كانت تتمتع  
بحماية تيمور لنك (٢٩). عاد بيازيد بعد ذلك لمواصلة حصار القسطنطينية.  
ويبدو أنه لم يكن يتوقع عودة تيمور لنك السريعة لتهديد آسيا الصغرى مرة  
أخرى. ومن المرجح أن الاتصالات بين الأباطور المشارك يوحنا السابع  
وتيمور لنك لم تنقطع؛ لأن الأخير سرعان ما عاد إلى شرقى آسيا الصغرى،  
وأرسل إلى بيازيد في معسكره أمام القسطنطينية سفارة تحمل رسالة  
شديدة اللهجة طالب فيها السلطان العثماني برفع الحصار عن  
القسطنطينية، وإعادة كل أملاك الأباطور البيزنطى إليه. فأغلظ العاهل  
العثماني الرد على سفراء تيمور لنك، وقام برفع الحصار عن العاصمة  
البيزنطية ونقل قواته إلى آسيا الصغرى (٣٠).



وهكذا بدأ كل من العاهلين العثماني والتممورى فى عام ٨٠٤هـ/ ربيع ١٤٠٢م يعدان العدة للمواجهة الحاسمة المرتقبة بينهما. حشد تيمور لك قواته، كما وصلته التعزيزات من أنحاء إمبراطوريته، وكانت فى معظمها من الفرسان. بينما جمع بيازيد قواته المرابطة فى آسيا الصغرى والبلقان (٢١).

وبينما كان الترابط والتناسق ووحدة الهدف والدين من أهم عناصر القوة التى تميزت بها قوات تيمور لك، التى دعمتها مجموعة من الأفيال الهندية؛ فإن قوات بيازيد كانت تفتقر إلى ذلك، إذ اشتملت على فرق من المشاة شكل الأتراك العثمانيون معظم جنودها، فضلاً عن فرق من العناصر المعاهدة، مثل: فرسان الصرب، وكان عددهم يتراوح بين عشرة آلاف، وخمسة عشر ألف بقيادة استيفان لازارفيتش Stephen Lazrvich (٢٢). كما ضمت القوات العثمانية عدداً من جنود الإمارات التركمانية فى آسيا الصغرى التى ضمها بيازيد، بينما فر أمراؤها إلى جانب تيمور لك (٢٣). ويمكن القول إن جيش بيازيد كان يعتمد على فرق المشاة التى شكلت فرقة الإنكشارية قوته الضاربة (٢٤).

عبر بيازيد المضائق متجهاً إلى آسيا الصغرى، وأقام معسكره فى سهل فسح بجوار مدينة أنقره. ولما كان تيمور لك قد أسرف فى تدمير المناطق التى مر بها (٢٥)، فإن السلطان العثماني كان متلهفاً للبحث عنه والدخول معه فى معركة لوقف الأعمال التدميرية التى كان يقوم بها فى الأراضى العثمانية. ويرى بعض المؤرخين أن تعجل بيازيد لقتال تيمور لك جعله يرتكب أخطاء عسكرية دفع ثمنها غالباً فى النهاية (٢٦). أما تيمور لك فقد

دخل آسيا الصغرى عن طريق أرزروم وكماخا ثم عبر قيصرية، وتقدم في اتجاه أنقرة. وحرص على العبور من سيواس إلى أنقره متخذاً الطريق الشمالى الذى يتميز بوفرة مياهه، فاكسب بذلك ميزة إستراتيجية، حيث أجبر خصمه على البحث عن الماء والمؤن عبر الطريق الجنوبى الذى لم تتوفر فيه المياه.

ويمكن القول، إن نتيجة المعركة قد حُسمت قبل أن تبدأ حيث عانى الجيش العثمانى لأنه قطع مسافة كبيرة قبل أن يصل إلى موقع المعركة مما جعله مجهداً قبل القتال من نقص المياه، وهلك منه قرابة خمسة آلاف جندى من العطش (٣٧). وعلى الرغم من هذه الخسارة التى لحقت بقوات بيازيد قرر المبادرة بالدخول فى معركة فاصلة ضد تيمور لنك، الأمر الذى اعتبره البعض خطأ آخر من الأخطاء التى ارتكبها السلطان العثمانى فى هذه المعركة (٣٨)، حيث لم يكن هناك ما يدعو إلى الخروج لملاقاة خصمه، فقد كان باستطاعته أن يتحصن غربى أنقره بدلا من أن يرهق جيشه تحت شمس يوليو المحرقة لملاقاة تيمور، كما أجهد قواته بعدم اختياره الموقع المناسب لمقابلته. وكان من الأفضل له أن يترك عدوه يستنفد بعض قواه فى الاستيلاء على أنقره نفسها، ثم يقابله بجيشه وراء المدينة مباشرة، ولكن بيازيد لم يقبل بهذا رأى من مستشاريه، وفضل أن يكون اللقاء الحاسم مع تيمور لنك أمام أنقره. وبذلك ارتكب خطأ إستراتيجيا جسيما وهو مقبل على معركة مصيرية بالنسبة له (٣٩).

على أية حال، التقى الجيشان يوم السابع والعشرين من ذى الحجة عام ٨٠٥هـ/ الثامن والعشرين من يوليو ١٤٠٢م، وكان الجناح الأيسر

للعثمانيين يعتمد أساساً على قوات الإمارات التركمانية، التي ما أن شاهد أفرادها أمراءهم وهم يقاتلون إلى جانب تيمور لك حتى انحازوا إليهم، وتركوا بيازيد جانباً. أما بقية الجناح الأيسر فكان يتكون من الفرق العثمانية المربطة في الأناضول بقيادة سليمان أكبر أبناء بيازيد (٤٠).

وكان الخطأ الثاني الذي وقع فيه السلطان العثماني أنه وضع في مقدمة جيشه عناصر مغولية مرتزقة، وكانت عادة العثمانيين هي جعل المقدمة من العناصر غير النظامية بهدف إرهاب العدو واستنفاد جهده في هجمته الأولى، ولكن بيازيد لم يقدر أن جيش تيمور كان يتكون من المغول، وأنه كان من السهل على هذه العناصر التتريّة المرتزقة في جيشه الانضمام إلى بني جلدتهم في الجيش المعادي إذا كانوا في المقدمة، وهو ما حدث عندما بدأت المعركة بين الجانبين (٤١).

وفيما عدا العناصر المغولية المرتزقة التي انحازت إلى جانب تيمور لك، والعناصر التركمانية التي انضمت إلى قادتها، كانت كل وحدات الجيش العثماني مخصصة في ولائها للسلطان بيازيد، وحاربت إلى جانبه بنظام وشجاعة. وكان الجناح الأيمن في جيش العاهل العثماني يضم فرقة فرسان من الصرب بقيادة إستيفان لازاريفيتش (Stephen Lazarevich ١٣٨٩ - ١٤٢٧م) الذي كان يعد حليفاً مخلصاً لبيازيد. أما بقية هذا الجناح فكانت تتكون من الفرق العثمانية المربطة في البلقان. وكان السلطان نفسه في القلب تحيط به فرقة الأنكشارية، ومعه أبناءه مصطفى، وعيسى، وموسى. أما المؤخرة فكانت بقيادة ابنه محمد (٤٢).

وكما سبقت الإشارة حين بدأت المعركة بتقدم القوات المغولية المرتزقة من جيش بيازيد وقعت الخيانة، وانحازت هذه القوات إلى جانب تيمور لك، وعندما فشل العاهل العثماني في السيطرة على تلك القوات أصدر أمره إلى الجناح الأيسر بالهجوم، إلا أن قوات الإمارات التركمانية انضمت هي الأخرى إلى صف جيش تيمور<sup>(٤٣)</sup>. وهكذا تحددت نتائج معركة أنقره في لحظاتها الأولى. وأمام هذه الخيانة المزدوجة أضطر بيازيد إلى التراجع خطوة خطوة. والحقيقة أن فرسان الصرب الذين كانوا في الجناح الأيمن من الجيش العثماني قاتلوا بشجاعة حتى حازوا إعجاب تيمور لك، وكان لهم الفضل في إنقاذ سليمان الابن الأكبر لبيازيد، وأحد أخواته<sup>(٤٤)</sup>. ولكن قوات تيمور لك تمكنت من إلحاق الهزيمة بالقوات العثمانية في الجناحين الأيسر والأيمن.. كما استطاعت قطع خطوط الرجعة على القلب الذي يقوده السلطان نفسه. وظل بيازيد في تراجعه حتى صمد في الدفاع على ربوة عالية من أرض المعركة. ولكن قوات تيمور لك تكاثرت عليه، وقطعت عنه سبل الهرب<sup>(٤٥)</sup>. ولقد استمرت معركة أنقره أربعة عشر ساعة، وانتهت بانتصار ساحق لتيمور لك، ووقع بيازيد وابنه موسى أسرى في يد تيمور لك<sup>(٤٦)</sup>.

دأب المؤرخون الحديثون على توجيه اللوم إلى بيازيد على مبادرته بالهجوم وتحركه للبحث عن تيمور استعجالاً لملاقاته. فقد كانت خطته ترمى إلى مواجهة تيمور خارج الأراضي العثمانية<sup>(٤٧)</sup>. ومما لاشك فيه أن السلطان العثماني كانت لديه دوافعه، فقد كان يخشى أن يكون التأخير في

مواجهة تيمور لك فرصة أمام الكيانات المسيحية الخاضعة له في البلقان لإنتهاز الفرصة والتمرد على سلطانه، والتخلص من سيطرته. كما كان يخشى أيضا أن تتعرض الإمارات التركمانية في آسيا الصغرى التابعة له للمزيد من السلب والنهب على أيدي قوات تيمور لك. وربما كان من الأفضل لبيازيد التحالف مع دولة سلاطين المماليك للوقوف في وجه العدو المشترك لهما. ولكن الحذر والتوتر كانا يسيطران على العلاقة بينهما، مما مكن تيمور من الانفراد بكل منهما على حده (٤٨).

وبعد هذا الانتصار تقدم تيمور لك داخل أقاليم غرب آسيا الصغرى فدمر مدنها حتى بلغ بروسا عاصمة العثمانيين القديمة، وهناك استولى على حريم السلطان بيازيد وعددا من أفراد أسرته قبل أن يأمر بتدمير المدينة (٤٩). أما السلطان العثماني الذي وقع أسيرا في قبضة تيمور فقد اختلفت المصادر حول مصيره في الأسر، فالمصادر التيمورية تذكر أن بيازيد لقي من خصمه معاملة طيبة بعد وقوعه في الأسر. ولكن ابن عرب شبهه يفيد بأن تيمور عامله بقسوة، وكان يضعه في قفص من حديد بصفة دائمة، وكان ينقله في هذا القفص أينما ذهب (٥٠). ولقد حرفت الأساطير المتأخرة رواية ابن عرب شاه، فذكرت أن تيمور لك وضع أسيره في قفص من ذهب.

ويرى البعض أنه من المرجح قيام العاهل المغولي بمعاملة بيازيد معاملة حسنة، ودليلهم على ذلك بأن تيمور لك أمر بإطلاق سراح موسى بن بيازيد وسمح له بأن يحمل جثمان أبيه إلى مقبرة الأسرة العثمانية في بروسا (برسا) بعد وفاته (٥١).

وأيا كان الأمر، فقد حاولت عدة قوى أوروبية الاستفادة من وجود تيمور  
لنك في آسيا الصغرى وانتصاره على بيازيد من أجل القضاء على الوجود  
العثماني في البلقان. فقد عرض الإمبراطور المشارك يوحنا السابع على  
تيمور لنك إرسال الجزية إليه بدلا من السلطان العثماني (٥٢).

كما أبدى الجنوية استعدادهم لإرسال سفن لمنع أى إمدادات عثمانية  
قد تصل من الجانب الأوروبي إلى الجانب الآسيوي (٥٣). كذلك أبدت  
جنوها استعدادها لدفع الجزية التي كانت ترسل للسلطان العثماني إلى تيمور  
لنك (٥٤). كما عرضت إمبراطورية طرابزون استعدادها لوضع مينائها تحت  
تصرفه عند الحاجة (٥٥). أما البندقية فقد سعت للتخلص من السيطرة  
العثمانية، فتعاونت مع كل من جنوه وفرسان رودس لإرسال سفن لسد  
المضايق وشرط الدولة العثمانية إلى نصفين، وكذلك سعت لمهاجمة مدينة  
غاليبولي العثمانية (٥٦).

ومن الجدير بالذكر أن الإمبراطور مانويل باليولوج تلقى أخبار هزيمة  
السلطان بيازيد الأول بارتياح شديد، وأسرع بالعودة إلى القسطنطينية في  
يونيو سنة ١٤٠٣م، وقام بطرد الجالية العثمانية من العاصمة البيزنطية، كما  
أغلق دار القضاء الخاصة بالمسلمين فيها (٥٧).

ويمكن القول إن الغرب الأوروبي حاول الاستفادة من قوة تيمور لنك  
والتحالف معه للقيام بعمل أوروبي مغولى مشترك لإتمام القضاء على  
العثمانيين. فأرسلت كل من إنجلترا وفرنسا إلى تيمور لنك تعرضان عليه  
للتحالف (٥٨).

ويبدو أن الدافع من وراء ذلك كان الرغبة في تقديم العون العسكري للدولة البيزنطية، والوفاء بالوعد التي قدمتها فرنسا وإنجلترا للإمبراطور البيزنطي مانويل باليولوج في أثناء رحلته إلى الغرب الأوروبي.

ورغم الاستقبال الطيب لسفراء الغرب في بلاد تيمور لك، فلا يوجد ما يشير إلى قيام تحالف بين الطرفين<sup>(٥٩)</sup>. ومن المرجح أن الغرب الأوروبي أخطأ في فهم الهدف من حملة تيمور لك على آسيا الصغرى، والمواجهة التي جرت بينه وبين السلطان بيازيد. فتيمور لك لم يقصد السيطرة على أملاك العثمانيين في آسيا الصغرى التي كانت خارج نطاق طموحاته الإقليمية، بل استهدف تلقين العثمانيين درسا قاسيا حتى لا يفكرون في التوسع إلى الشرق من آسيا الصغرى على حساب ممتلكاته هناك، أي أنه كان يهدف إلى تأمين ظهره قبل الإلتجاء شرقا لفتح الصين.

على أية حال، قام تيمور لك بفرض الحصار على مدينة أزمير قبل أن يغادر آسيا الصغرى، وتمكن من الاستيلاء عليها وارتكب فيها المذابح وأنزل بها الدمار<sup>(٦٠)</sup>. وفي نهاية جمادى الثانی عام ٨٠٦هـ / ديسمبر ١٤٠٢م رحل تيمور لك عن آسيا الصغرى عائدا إلى عاصمة ملكه سمرقند، حيث توفي سنة ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م عن عمر يناهز الثانية والسبعين وهو يعد العدة لحملة جديدة لفتح الصين<sup>(٦١)</sup>.

لم ينجح تيمور لك في القضاء على العثمانيين رغم هزيمتهم في معركة أنقره عام ٨٠٥هـ / ١٤٠٢م التي ترتب عليها نتائج بالغة الأهمية، وكان أكثرها خطورة هي الحرب الأهلية العثمانية التي نشبت بين أبناء بيازيد

واستمرت عشر سنوات ٨٠٦ - ٨١٦هـ / ١٤٠٣ - ١٤١٣م. وحاول الأمبراطور مانويل باليولوج الاستفادة من هذه الحرب الأهلية بين أبناء البيت العثماني وذلك عن طريق تأييد أحد الأطراف العثمانية المتنازعة مقابل الحصول على بعض المكاسب مثل الإعفاء من الجزية، أو استرداد بعض أملاكه التي استولى عليها العثمانيون قبل ذلك. وكان لهذه السياسة دورا فعالا في استمرار هذه الحرب وإنهاك قوى العثمانيين إلى جانب أنها أطالت من عمر الأمبراطورية البيزنطية.

ظهر في معركة أنقره أربعة من أبناء السلطان بيازيد وهم : سليمان، وعيسى، وموسى، ومحمد، وكما سبقت الإشارة وقع موسى مع أبيه في أسر تيمور لNK، بينما اتجه سليمان إلى الجانب الأوربي وأقام نفسه حاكما في أدرنه، بينما تقاسم كل من عيسى ومحمد حكم الجانب الآسيوي عقب انسحاب تيمور لNK حيث حكم عيسى في بروسا ومحمد في أماسيا Amasius<sup>(١٢)</sup>. حاول سليمان أن يصل إلى تسوية مع القوى التي لها وجود ومصالح في البلقان عن طريق سلسلة من التنازلات، لذلك قام بعقد إتفاقية بين العثمانيين وكل من الدولة البيزنطية والبنديقية وجنوه ورودرس. ولقد تلاقت هذه الأطراف حول هدف أساسي احتياطي، وهو التصدي لتيمور لNK إذا فكر في العبور إلى البلقان.

وبعد هذا التناقض الواضح في موقف هذه القوى من تيمور لNK من أكثر الأمور الملفتة للنظر حيث نجد أن هذه القوى بعد أن أعلنت تأييدها له ضد العثمانيين قبل أنقره، تحاول بعد ذلك تكوين حلف للتصدي له. ويبدو أن



السبب فى ذلك يرجع إلى الخوف الذى سيطر على تلك القرى من أن ينقل  
تيمور لثك ميدان الحرب إلى أوربا (٦٣).

ولقد تضمنت الإتفاقية التى عقدها سليمان مع رابطة التحالف الجديدة  
بعض التنازلات والكثير من الامتيازات. لقد تنازل سليمان لبيزنطة عن عدد  
كبير من الحصون والمدن التى استولى عليها العثمانيون قبل ذلك مثل  
سالونيك Thessalonica والحصون الواقعة على بحر مرمرة، وشمالي  
مدينة ميسمبريا Mesembria على البحر الأسود. كما أعفى بيزنطة من  
الجزية التى اعتادت دفعها للعثمانيين. كما تعهد سليمان بأن يكون تابعاً  
للإمبراطور مقابل اعتراف الأخير به حاكماً على الجانب الأوروبى وعاصمته  
أدرنة (٦٤).

كما أتاح سليمان لرابطة هذه الدول حرية الدخول إلى مدنه وموانئه،  
وأعفاهم على سفنهم، وتعهد بإعادة أسراهم، وعدم زيادة الرسوم الجمركية  
المفروضة عليهم. كما تعهد بالآ تغادر سفنه الدردنيل أو تدخله دون موافقة  
الإمبراطور البيزنطى، ودول الرابطة المتحالفة (٦٥).

ولاشك فى أن إتفاقية عام ٨٠٦هـ / ١٤٠٢م التى عقدها سليمان مع  
رابطة الدول الحليفة فى البلقان كانت على جانب كبير من الأهمية لأنها  
حرمت العثمانيين من مصدر أساسى للدخل سواء كانت الجزية التى كانوا  
يحصلون عليها من حكام وأمراء البلقان، أو الضرائب التى كانت ترد من  
المناطق التى عادت إلى سيادة الإمبراطور البيزنطى. كما أن هذه الإتفاقية  
أدت إلى تقلص حجم أقاليم الدولة العثمانية بشكل واضح. وأمام التسياهل

من جانب سليمان فقد خرج عليه الكثير من المعارضين، ورفض كثير من الأتراك إخلاء الأراضي التي تعهد سليمان بإعادتها إلى بيزنطة. ولم يتم ذلك إلا بعد دفع مبالغ كبيرة من المال لهم<sup>(٦٦)</sup>. وعندما بلغت أنباء تحالف سليمان مع رابطة تلك الدول أعلن تيمور لك العاهل المغولي تأييده لكل من عيسى ومحمد أبناء بيازيد في الجانب الآسيوي. وكان هذا التأييد هو البداية الفعلية للحرب الأهلية بين أبناء بيازيد<sup>(٦٧)</sup>.

اشتعلت هذه الحرب الأهلية أولا بين محمد وشقيقه عيسى في الجانب الآسيوي، فقد تمكن محمد من القضاء على أقيقه والانفراد بحكم الأناضول، كما تشبه بغيره من الحكام وسك عملة تحمل اسمه<sup>(٦٨)</sup>. ولقد انزعج سليمان من تزايد نفوذ أخيه الأصغر محمد، لذلك أستعان بحليفه الإمبراطور البيزنطي، وعبر إلى آسيا الصغرى، وأحرز عدة انتصارات عليه. ودخل عاصمته بروسيا ثم أنقره<sup>(٦٩)</sup>. ولكن محمد نجح بعد ذلك في إجبار سليمان على العودة إلى البلقان عندما أرسل شقيقه موسى وأمدته بالقوات اللازمة لمهاجمة أملاكه فيها. وقد تحالف مع محمد في حربه ضد سليمان أمير ولاشيا فضلا عن البندقية التي غيرت من موقفها السابق. أما موقف بيزنطة، فالمعروف أن مانويل باليولوج وقف مرة ثانية إلى جانب سليمان في صراعه ضد أخيه موسى. واعترافا بالجميل فقد تنازل سليمان عن بعض الموانئ له في آسيا الصغرى. وعلى الرغم من تأييد الإمبراطور البيزنطي لسليمان فقد نجح موسى في القضاء عليه بالقرب من القسطنطينية وانفرد بحكم الجانب الأوروبي من الدولة العثمانية بون شقيقه محمد<sup>(٧٠)</sup>.

كان على بيزنطة أن تدفع ثمن تحالفها مع سليمان ضد شقيقه موسى الذى اعتقد أنها كانت وراء مجئ تيمور لك إلى آسيا الصغرى، ولذلك فقد حملها مسئولية هزيمة العثمانيين فى معركة أنقره (٧١). وكان من الطبيعى أن يحرص موسى على انتزاع المدن التى تنازل عنها سليمان للأمبراطور البيزنطى، ففرض الحصار على سالونيك حتى استسلمت له، ثم اتجه بعد ذلك لمحاصرة القسطنطينية (٧٢). حاولت الدولة البيزنطية البحث عن حليف جديد للتصدى لأطماع موسى فلجأت إلى أخيه محمد فى آسيا الصغرى الذى رحب بالتقارب البيزنطى لأنه وجد فيه فرصة لمعاكبة أخيه موسى على الخروج عليه. ولقد تعهد الأمبراطور مانويل باليولوج بتوفير السفن اللازمة لنقل قوات الأمير محمد إلى البلقان (٧٣).

ولقد تعددت محاولات الأمير محمد للقضاء على أخيه موسى. وإذا كان محمد قد لقى الهزيمة عام ٨٠٥هـ / ١٤١٢م فإنه عاود الكرة مرة ثانية بعد تنظيم قواته، وتقابل الطرفان فى سهل شامرلى Shamurli فى ٢٩ صفر من عام ٨١٥هـ / عشرة يونيو من نفس العام، ونجح فى القضاء على موسى الذى لاذ أتباعه بالفرار. ويموت موسى وانفراد محمد بالأمر انتهت الحرب الأهلية، وعادت الدولة العثمانية إلى سابق وحدتها التى كانت عليها قبيل معركة أنقره (٧٤).

توجه الأمير محمد غلب انتصاره على موسى إلى أدرنه حيث تم تتويجه باسم السلطان محمد الأول (٨١٦ - ٨٢٤هـ / ١٤١٢ - ١٤٢١م). وحمل لقب شلبى (٧٥). ولقد اتصف السلطان الجديد بالاعتدال والمرونة، فاعترف

بالجميل تجاه الأمبراطور البيزنطى الذى قدم له الدعم والمساعدة فى المرحلة الأخيرة من الحرب الأهلية وأعاد له كل الأراضى التى استولى عليها موسى قبل ذلك والتى تقع على البحر الأسود ويحرم مرمره وفى أقاليم تساليا (٧٦).

وإذا كان السلطان محمد الأول قد استغل السلام القائم بينه وبين بيزنطة لإقرار سلطانه فى آسيا الصغرى فإن الأمبراطور استغل ذلك أيضا وغادر عاصمته متجها إلى المورة للإشراف على دفاعات ذلك الجزء الحيوى من دولته. وفى طريق عودته من المورة التقى الأمبراطور ماثوئيل باليولوج والسلطان محمد الأول فى غاليبولى سنة ٨١٩هـ / ١٤١٦م وغلب الود على هذا اللقاء (٧٧).

وتجدر الإشارة إلى أن فترة الهدوء التى عمت شبه جزيرة البلقان لم تستمر طويلا بسبب اشتعال الحرب بين السلطان محمد الأول والبنادقة. وفى ٢٧ ربيع أول عام ٨١٩هـ / السادس والعشرين مايو ١٤١٦م حلت الهزيمة بالأسطول العثمانى أمام سفن البندقية. واضطر الأمبراطور البيزنطى فى سعيه من أجل إعادة الهدوء إلى المنطقة إلى الضغط على البندقية للحد من أعمال القرصنة، وعدم مهاجمة السواحل العثمانية. وتم تسوية النزاع فى نفس العام ليعود الهدوء والسلام مرة ثانية بين العثمانيين والبنادقة سنة ٨٢٢هـ / ١٤١٩م (٧٨). وفى العام التالى انشغل السلطان محمد الأول باندلاع ثورات داخلية تمثلت فى ثورة الشيخ بدر الدين التى ظهر فى أعقابها أحد المدعين المطالبين بالعرش العثمانى ويدعى مصطفى، ونجح هذا الثائر فى الحصول على مساعدة كل من أمير ولاشيا والأمبراطور

مانويل باليولوج<sup>(٧٩)</sup>. ويمكن تفسير موقف الأمبراطور البيزنطى المؤيد للثائر مصطفى بأنه محاولة من جانبه لإثارة الفتن وشغل السلطان العثمانى، والمعروف أن ثورة مصطفى قد باءت بالفشل، واضطر الثائر إلى الفرار إلى سالونيك، ورفض حاكمها تسليمه إلى العثمانيين، وأرسله إلى الأمبراطور فى القسطنطينية الذى تحفظ عليه فى السجن فى جزيرة لمنوس Lemnos مقابل تعهد السلطان محمد الأول بدفع نفقة سنوية للإنفاق على هذا الثائر المحجوز لدى بيزنطة<sup>(٨٠)</sup>.

وبوفاة السلطان محمد الأول فى جماد أول عام ٨٢٤هـ/ مايو ١٤٢١م، تنتهى فترة الهدوء والسلام التى ميزت العلاقات البيزنطية العثمانية فى أعقاب معركة أنقرة مباشرة. وباعتلاء السلطان مراد الثانى العرش (٨٢٤-٨٥٥هـ/ ١٤٢١ - ١٤٥١م) فى الدولة العثمانية شهدت العلاقات البيزنطية العثمانية مرحلتها الأخيرة وهى مرحلة عاد فيها الضغط العسكرى العثمانى على الدولة البيزنطية مرة أخرى، وهو الضغط الذى انتهى بحصار شامل لمدينة القسطنطينية عجز الباباطرة البيزنطيون عن التصدى له.

لقد كانت الدولة البيزنطية عاجزة عسكرياً، ضعيفة سياسياً واقتصادياً منذ فترة طويلة، ولم يكن أمامها سوى أوراق محدودة تستخدمها فى مواجهة الزحف المنظم والمستمر من جانب العثمانيين. وأما فشل الغرب الأوروبى فى تقديم دعم فعال لبيزنطة، لم يعد أمامها منذ مطلع القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) سوى أن تسعى للاستفادة من الأزمات التى واجهت العثمانيين. وكانت حملة تيمور لك على آسيا الصغرى

فرصة أحسن البيزنطيون استغلالها، كما استفادوا من تداعياتها. ويجب أن ننظر إلى معركة أنقره، والهزيمة التي لقيها العثمانيون فيها على أنها كانت الفرصة الأخيرة أمام بيزنطة لوقف المد العثماني الزاحف على عاصمتها. بيد أن الانتصار الذي حققه تيمور لك رغم نتائج المباشرة لم يؤد إلى القضاء المبرم أو الكامل على الدولة العثمانية، وإن كان قد عطل نموها واستنزاف مواردها، وأرجأ نهاية الدولة البيزنطية. ورغم هزيمة العثمانيين في أنقره، ظلت بيزنطة أضعف من أن تتصدى لهم، ولم يكن أمامها سوى ورقة واحدة تستخدمها لتكسب المزيد من الوقت.

وتمثلت تلك الورقة في الحرب الأهلية التي اندلعت في أعقاب الهزيمة العثمانية في أنقره. لقد وجد الإمبراطور البيزنطي مانويل باليولوج منفذا للتدخل في شئون الدولة بالعثمانية حين اشتعلت الحرب الأهلية بين أبناء بيازيد على امتداد عقد كامل من الزمان، وذلك عن طريق تأييد أحد الأطراف العثمانية المتنازعة ضد الآخر مقابل الحصول على بعض المكاسب، مثل الإعفاء من الجزية أو استرداد بعض أملاكه التي استولى عليها العثمانيون من قبل. وكان لهذه السياسة دوراً فعالاً في استمرار الحرب الأهلية عشر سنوات، وإنهاك قوى العثمانيين إلى جانب أنها أطالت من عمر الدولة البيزنطية.

وبعد انتهاء الحرب الأهلية العثمانية، وأمام استمرار العجز العسكري للدولة البيزنطية استمر أباطرة بيزنطة في التدخل في الشئون الداخلية للدولة العثمانية عن طريق دعم وتشجيع بعض أفراد البيت العثماني

الطامعين فى العرش، لشغل العثمانيين، وصرف أنظارهم عنها. وقد حدث ذلك عقب وفاة السلطان محمد الأول عام ٨٢٤هـ / ١٤٢١م.

وتكرر هذا أيضا عندما فرض السلطان مراد الثانى الحصار على القسطنطينية سنة ٨٢٦هـ / ١٤٢٢م، إذ نجح الإمبراطور مانويل باليولوج فى تأييد الثائر مصطفى، وإشعال ثورة فى آسيا الصغرى؛ مما أجبر السلطان مراد الثانى على رفع الحصار عن العاصمة البيزنطية لإخماد الثورة. وبذلك نجت بيزنطة من حصار آخر. وأمام تزايد الضغط العثمانى، وفشل الجهود البيزنطية على المستوى السياسى اتجهت أنظار الأباطرة البيزنطيين إلى روما اعتقادا منهم بأن البابوية أكثر قدرة على تحريك ملوك الغرب وأمرائه.

وعاد الحديث عن وحدة الكنيستين البيزنطية والغربية، وتجدد الأمل من جديد فى صورة مساعدة وشيكة من جانب الغرب، بيد أن الأيام اثبتت أن بيزنطة كانت تنتظر فى واقع الأمر أملا لم يتحقق على الإطلاق. لقد خذلها الغرب الأوروبى وتركها وحيدة تواجه مصيرها. فكانت النتيجة هى سقوط عاصمتها القسطنطينية فى نهاية الأمر فى يد السلطان العثمانى محمد الثانى (٨٥٥ - ٨٨٦هـ / ١٤٥١ - ١٤٨١م) فى ٢٠ جماد أول عام ٨٥٧هـ / ٢٩ مايو ١٤٥٣م.

## حواشي البحث

(١) أدى انحراف الحملة الصليبية الرابعة إلى سقوط القسطنطينية في يد الصليبيين عام ١٢٠٤م. وإذا كان الإمبراطور ميخائيل الثامن باليولوج (١٢٥٩-١٢٨٢م) قد تمكن من إسترجاع عاصمته عام ١٢٦١م؛ فإن الدولة البيزنطية لم تتمكن من تجاوز الصدمة والتداعيات التي صاحبت وأعقبت أحداث الكارثة. وتعد الفترة الممتدة من عام ١٢٨٢ - ١٤٥٢م فترة ضعف، وتدهور، واضمحلال سريع على كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والعسكرية. للمزيد عن هذا الموضوع، انظر :

Nicol, D., The End of the Byzantine Empire (London, 1979), pp. 29-150' Ostrogorsky, G., History of the Byzantine State, Eng. tr. J.Hussey (Oxford, 1955) pp. 467 - 572.

(٢) محمد فؤاد كوبريلي : قيام الدولة العثمانية، ترجمة : أحمد السعيد سليمان (القاهرة ١٩٩٢)، ص ٣٦٣ - ٣٦٤، وانظر أيضا :

Wittak, p., The Rise of the Ottoman Empire (London, 1958), p. 45.

(٣) دخلت الإمبراطورية البيزنطية في غمار حرب أهلية عقب وفاة الإمبراطور أندرونيكوس الثالث عام ١٢٤١م تاركاً على العرش ابنه القاصر يوحنا تحت وصاية والدته الإمبراطورة Anna ووزيره يوحنا كنتاكوتزينوس Cantacuzenus. وقد تطور الأمر عندما اغتصب كنتاكوتزينوس العرش، وأعلن نفسه إمبراطوراً مشاركاً للإمبراطور الصغير. وخلال أحداث الحرب الأهلية لاحقت الفرصة لأعداء بيزنطة ليقوم كل منهم بدور فيها، وخاصة



الصرب والعثمانيين. للمزيد عن هذا الموضوع. انظر: أسد رستم : الروم في سياستهم، وحضارتهم، ودينهم، وثقافتهم، وصلاتهم بالعرب (دار المكشوف، بيروت، ١٩٥)، ج ٢، ص ٢٣٥ - ٢٣٨.

(٤) استغل الصرب انشغال بيزنطة بالحرب الأهلية، واستولوا على بعض أقاليمها في البلقان. وكان الملك الصربي ستيفان بوشان Stephen Duszyn طموحاً، فوسع من ممتلكاته، ونجح في إخضاع تراقيا Thrace ومقونيا Macedonia، وتساليا Thessaly. وجعل من سكوبيا Skoplje عاصمة له وأعلن نفسه إمبراطور للصرب والرومان. وعندما أدرك يوحنا كنتاكوتزينوس Jone Contacuzenus خطورة أطماع ملك الصرب وعجزه هو شخصياً عن التصدي له، اضطر إلى اللجوء إلى الأمير العثماني عثمان الأول (٦٨٧ - ٧٢٧هـ / ١٢٨٨ - ١٣٢٦م) الذي أمدّه بفرقة ساعدته في استعادة تساليا من أيدي الصرب، وقد تمت بعد ذلك مصاهرة بين الطرفين، حيث تزوج الأمير أورخان من ابنة يوحنا كنتاكوتزينوس. انظر :

Chalcocondylas, I., *De Rebus Turcicis* (CSHB, Bonn, 1843), p. 67.

وانظر أيضا : على كمال بن السيد محمد أمين أفندي : كمال الإنسان في معرفة آل عثمان، محفوظ بدار الكتب المصرية، (ميكروفيلم [١٨٨٩٨]). تاريخ طلعت (٢٠٤٩) ص ١٥ : أسد رستم : الروم، ج ٢، ص ٢٨٨. أومان (شارل) : الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة : مصطفى طه بدر (القاهرة، د. ت.)، ص ٢٥٠.

(٥) Charains, P., "On the Date of the Occupation of Galipoli by the Turks", BS, 16 (1955), pp. 113 - 115,

Ostrogorsky, Byzantine State, p. 578' Vasiliev, A., History of the Byzantine Empire (Madison, 1971), 2, p. 622.

وانظر أيضا : محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٤ - ١٩١٤م)، (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٥م)، ص ٢٨ - ٢٩.

Shaw, S., History of the Ottoman Empire and Modern Turkey (Cambridge, 1952), 1, p. 17.

(٧) أنظر :

Shaw, Ottoman, I, p. 18' Taeschner, F., The Ottoman Turks to 1453, CMH<sup>(2)</sup>, 4/1 (1975), p. 762.

Creasy, E., History of the Ottoman Turks (Beirut, (٨) 1961), p. 22' Ostrogorsky, Byzantine State, p. 478.

Ducas, M., Historia Turco-Byzantine (CSHB Bonn (٩) 1834), p. 16' Inalcik, H., The Ottoman Empire, the Classical Age 1300-1600 (London, 1978), p. 15.

وتجدر الملاحظة بأن نهر مارتيزا يجري في غرب مدينة أدرنة.

Guerin, P., History de la Bulgarie (Paris, 1931), p. (١٠) 292.

Ducas, p. 16; Phrantzes (Sprentzes), G., Annales (١١) (CSHB, Bonn, 1838), p. 82; Runciman, S., The Fall of Constantinople 1453 (Cambridge, 1969), pp.38-39.

(١٢) Franzius, E., History of the Byzantine Empire (New York, 1967), p. 405' Pears, E., "The Ottoman Tursk to the of Constantinople", CMH<sup>(1)</sup>, 4 (1927), pp. 660- 705' Creasy, History, p. 35.

(١٣) نجح سجموند Sigismund ملك المجر في تجديد حوالى ٦٠ ألف مقاتل إلى جانب عشرة آلاف من الفرنسيين، وألف من الأنجليز وستة آلاف من الألمان، فضلا عن عشرة آلاف من الولاشرين، وثلاثة عشر ألف من البولنديين، والبوهيميين والإيطاليين. وللمزيد عن صليبية نيقوبولس انظر :

Atiya, A., The Crusade of Nicopolis (London, 1938), p. 46; Pears, Ottoman, p. 675; Tipton., "The English at Nicoplis" Speculum, 37/4 (1962), p. 532.

Eversley, L., The Turkish Empire (London, 1977), p. (١٤) 45.

وانظر أيضا :

محمد فريد بك : تاريخ البولة العلية العثمانية، تحقيق : إحسان حقى (دار النفائس، بيروت، بدون تاريخ)، ص ١٤٤؛ يلماز أوزتونا : تاريخ البولة العثمانية، ترجمة : عدنان محمود سليمان (أستنبول ١٩٨٨)، ج١، ص ١٧؛ سعيد أحمد برجاوى : الأمبراطورية العثمانية، تاريخها السياسى والعسكرى (بيروت ١٩٩٣)، ص ٤٢.

Shaw, Ottoman, 1, p. 21' Pears, Ottoman, pp. 670- (١٥) 675.

Chalcocondylas, p. 83; phrantzes, p. 60; Pears, Otto- (١٦)  
man, p.679; Runciman, Fall of Constantinople, p. 40.

Creasy, History, p. 44; Shaw, Ottoman, 1, p. 34. (١٧)

Pears, Ottoman, p. 679. (١٨)

Atiya, Crusades, p. 465; Pears, Ottoman, p. 677. (١٩)

(٢٠) عن رحلة الأمبراطور مانويل الثاني إلى الغرب الأوروبي، انظر.

Nicol, D., "A Byzantine Emperor in England :Manuel II's visit to London in 1400 - 1401" in : Nicol, Byzantium : Its Ecclesiastical History and Relations with the Western World (London, 1972), pp. 204 - 205; Schlumberger, G., "Un Empereur de Byzance a Paris et a Londres", in " Byzance et les Croisades (1924), pp. 87 - 147, 361 - 362.

وانظر أيضا :

محمد سهيل طقوشى : العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة،  
٦٩٨ - ١٢٤٣هـ / ١٢٩٩ - ١٩٢٤م / طبعة (دار بيروت المحروسة، بيروت  
١٩٩٥م)، ص ٥٤.

Ducas, p. 89; Atiya, Crusades, p. 465; History, p. 44. (٢١)

(٢٢) ولد تيمورلنك عام ٧٤٠هـ / ١٢٣٩م بالقرب من كش (شهر يزاب) في إقليم  
ما وراء النهر وتقع جنوب سمرقند بحوالى ٥٠ ميلا، ويحيط بنشأته الكثير  
من الغموض، وفي عام ٧٦٨هـ / ١٢٦٦م أصبح حاكما على خراسان، وأخذ

من سمرقند عاصمة له. وبينما كان الأمير العثماني مراد الأول (٧٦٤ - ٧٨٣هـ / ١٣٦٢ - ١٣٨١م) والسلطان بيازيد الأول (٧٩٢ - ٨٠٥هـ / ١٣٨٩ - ١٤٠٢م) مشغولين بتكوين إمبراطورية عثمانية في البلقان، كان تيمور لنك يبسط سلطانه على العالم الإسلامي. انظر :

جوزيف داهموس : «معركة أنقرة» في : سبع معارك فاصلة، ج٢، ترجمة : محمد فتحى الشاعر (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م)، ص ١٦٩ - ١٩٤؛ محمد أنيس : الدولة العثمانية، ص ٤٥. وانظر أيضا : لى سترينج بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة : بشير فرنسيس وكوركيس عواد (مطبعة الرابطة، بغداد ١٩٥٤م)، ص ٥١٢ - ٥١٣.

(٢٣) يوسف أصاف : تاريخ سلاطين المماليك، تحقيق : بسام عبد الوهاب الجابى (دار البصائر، بيروت، د.ت)، ص ٤٦؛ محمد أنيس : الدولة العثمانية، ص ٤٧.

(٢٤) أشار البعض إلى اشتراك بعض المماليك إلى جانب العثمانيين فى معركة أنقرة، استنادا إلى ما ذكره ابن إياس من وصول بعض المماليك إلى بيازيد الأول قبل المعركة. ويرى الباحث أن الإشارة التى ذكرها ابن إياس ليست دليلا على قيام تحالف بين العثمانيين والمماليك، والمعروف أن العلاقات المملوكية العثمانية قد شابها التوتر منذ إغارة بيازيد على أملاك المماليك فى أقاليم قليقية وضم ملطية التابعة للمماليك فى عام (٨٠٢ - ٨٠٣هـ / ١٣٩٩ - ١٤٠٠م). انظر :

ابن إياس (محمد أحمد بن إياس) : بدائع الزهور فى وقائع الدهور، تحقيق : محمد مصطفى (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م) ج١/٢، ص ٥٥٢ - ٥٥٣.

وانظر أيضا : Shaw, Ottoman, I, p. 35.

(٢٥) تقع إمارة آدن Aidin، وصاروخان Saru-Khan، ومنتش -Mentes-che، تطل على بحر إيجه، وكانت تقف في وجه بيازيد في توسعه باتجاه الأناضول فعمل على ضمها إليه. كما ضم إمارة قرمان Kermain، ثم إمارة برهان الدين الواقعة في شمال شرقي قرمان. وكانت تضم قيصرية، وسيواس Siwas، وكستاموني Castamont، فلجاً أمراؤها إلى تيمور يطلبون مساعدته ضد بيازيد. ولم يكتف بيازيد بهذا بل ضم إليه أيضا إمارة خربوت وكان بين أميرها التركمانى قره يوسف وتيمور لك صلوات قوية. فاستنجد هذا الأمير بتيمور ضد بيازيد. للمزيد عن هذا الموضوع انظر : محمد أنيس: الدولة العثمانية، ص ٣٧ - ٤٠.

(٢٦) محمد سهيل : العثمانيون، ص ٥٦ - ٥٨.

(٢٧) ابن عرب شاه : شهاب الدين أحمد بن محمد الدمشقى (ت ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م) الحمصى (مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٦)، ص ١٩١ - ١٩٣.

(٢٨) انظر :

على كمال : آل عثمان ، ص ٣١؛ إبراهيم بن عامر بن على العبيدى (المالكى) قلائد العقيان فى مفاخر دولة آل عثمان (القاهرة ١٨٩٩م) ص ٢٥٠.

وانظر أيضا :

Lane - Poole, S., Turkey (Reprnt, Lpndon, 1986), p. 65.

Chalcocondylas, pp. 146 - 147; Ducas, p. 59; Shaw, (٢٩) Ottoman, I, p. 35.

Ducas, pp. 59 - 60 : Gibbons, H., Foundation of the (٣٠)

Ottoman Empire (Oxford, 1916), p. 243.

وعن المراسلات التي تمت بين العثمانيين والمماليك لتحسين العلاقات بينهما  
للتحالف المشترك ضد خطر تيمور لك انظر :

Chalcocondylas, p. 147; Runciman Fall of Constantinople, p. 41; Davison, R., Turkey, (London, 1981), p. 26.

(٢١) هناك اختلاف كبير في المصادر بخصوص حجم قوات الطرفين التي  
اشتريكت في المعركة الحاسمة المرتقبة، فقد ذكر ابن إياس أن جيش تيمور  
كان يضم قرابة مليون مقاتل إلى ٧٠٠ ألف من الفرسان. و ٣٠٠ ألف من  
المشاة، بينما كانت قوات بيازيد لا تزيد عن ٢٠٠ ألف مقاتل. أما ابن تغرى  
بردى، فقد ذكر أن كل جندي من العثمانيين كان يقابلة عشرة من التتار،  
ويؤكد على التفاوت العددي بين الطرفين. انظر : ابن إياس : ج/٢، ص  
٦٥٩.

ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن بن تغرى بردى) : النجوم الزاهرة في  
ملوك مصر والقاهرة (دار الكتب، القاهرة دت) ج١٢، ص ٢٦٨. ويرى  
بعض المؤرخين الحديثين أن المصادر قد بالغت بشكل كبير في عدد قوات  
الطرفين، وأن العدد الذي شارك في تلك المعركة كان في حدود عشرون ألف  
مقاتل من كل جانب. انظر :

Roloff, G., "Die Schlacht bei Angora" HZ, 161  
(1940), p. 244ff.

Miller, W., The Balkans (London, 1908), p. 562; (٢٢)  
Lamouche, C., Histoire de la Turquie depuis les Ori-

gines Jusqu' a nos Jours (Paris, 1934). p. 36.

وعن إشتراك الأفيال الهندية في جيش تيمور لك. انظر .

Runciman, The Fall Constantinople, pp.-41 - 42.

Chalcocondylas, p. 154. (٣٣)

(٣٤) الأنكشارية كلمة تركية تتكون من شقين Yeni - Cheri وتعنى الجند الجدد تميزا لهم عن الجند القدامى. وهناك خلاف واضح بين المؤرخين حول زمن نشأة هذه الفرقة. فقد ذكر البعض أن الأمير أورخان هو مؤسسها، وذكر آخرون أن الأمير مراد الأول هو من أسسها. وهو الرأي الراجح؛ لأن حدود الدولة العثمانية اتسعت بشكل كبير داخل البلقان في عهد هذا الأمير. وكانت هذه الفرقة تتكون أساسا من الأطفال النصارى سواء من فقدوا أباءهم في الحرب، أو من وقع عليهم الاختيار ليمثلوا خمس الأسرى الخاص بالحاكم. وفي الحقيقة أن عدد جنود فرقة الأنكشارية في أفضل أحوالهم لم يتخطوا خمسة عشر ألف جندي، كما ظهر عند حصار القسطنطينية الأخير سنة ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م. انظر :

Taeschner, Ottoman, p. 764; Eversley, Turkish Empire, p. 44; Wittak, Rise of Ottoman, pp. 273 - 274; Shaw, Ottoman, I., p. 30.

(٣٥) ابن ابى السرور البكرى : المنح الرحمانية في الدولة العثمانية، مخطوط مصور رقم ٥٤٢٤، تاريخ، دار الكتب المصرية، ورقة ٨.

(٣٦) جوزيف داهموس : معركة أنقرة، ص ١٨٩.

(٣٧) ابن إياس: ج١/٢، ص ٦٥٩. ابن تغرى بردى : ج١٢، ص ٢٦٨.



(٢٨) يلماز أوزتونا : الدولة العثمانية، ص ١٠٩. وانظر أيضا :

Libbons, Foundation, p. 253.

(٢٩) محمد أنيس : الدولة العثمانية، ص ٤٨.

(٤٠) حسن خوجه بن على بن سليمان الحنفى : السلطان محمد الفاتح، مخطوط،

بدار الكتب المصرية ، ميكروفيلم [١٤١٨٠]، تاريخ ٦٩٨، ورقة ٣٨.

تغرى بردى، ج١٢، ص ٢٦٧. وانظر أيضا :

Lamouche, Turquie, p. 36.

(٤١) ابن عرب شاه ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨، حاشية ٣؛ محمد أنيس : الدولة

العثمانية، ص ٤٨ - ٤٩.

(٤٢) حسن خوجه بن على بن سليمان الحنفى/ بشائر أهل الأيمان بفتح آل

عثمان ، مخطوط بدار الكتب المصرية، ميكروفيلم [١٣٤٨٦]، تاريخ ٢١١٦،

ورقة ٢٨؛ ابن عرب شاه : ص ٢٢٩ - ٢٣٠، حاشية ١٠.

والنظر أيضا :

Shaw, Ottoman, I., p. 35; Lamouche, Turquie, p. 36.

(٤٣) Shaw, Ottoman, I., p. 35; Lamouche, Turquie, p. 36.

(٤٤) Runciman, Fall of Constantinople, p. 42.

(٤٥) محمد أنيس : الدولة العثمانية، ص ٤٩.

(٤٦) ابن عرب شاه : ص ٢٣٠، وانظر أيضا :

Shaw, Ottoman, I., p. 35.

(٤٧) كانت خطة بيازيد ترمى إلى ملاقاته تيمور لنك خارج الأراضى العثمانية وبالتحديد فى ضواحي سيواس. انظر : ابن عرب شاه : ص ٣٢٤.

(٤٨) كانت العلاقات بين الدولة العثمانية وسلطنة المماليك فى مصر والشام قد توترت بعد وفاة السلطان المملوكى برقوق فى ذى القعدة ٨٠٢هـ/ يونيه ١٣٩٩م. حين قام السلطان بيازيد بالاستيلاء على بعض الإمارات، والأقاليم التابعة لدولة سلاطين المماليك فى شرقى آسيا الصغرى، فى محرم ٨٠٢هـ/ سبتمبر ١٣٩٩م.

ابن إياس : ج١/٢. ص ٥٢٢ - ٥٥٣؛ حكيم أمين عبد السيد : قيام دولة المماليك الثانية (دار الكاتب العربى ، القاهرة، ١٩٦٧م)، ص ١٤٦. وانظر أيضا : Shaw, Ottoman, I., pp. 34 - 35.

(٤٩) ابن عرب شاه : ص ٣٢٧. وانظر أيضا :

Runciman, Fall of Constantinople, p. 42.

(٥٠) كانت العبارة التى أوردها ابن عرب شاه عن حالة بيازيد عقب أسره تقول : «وقع ابن عثمان فى قفص، وصار مقيداً كالطير فى قفص». وقد مال بعض الباحثين إلى تأييد رواية ابن عرب شاه، استناداً إلى سعة اطلاعه الذى انفرد به دون غيره من المؤرخين المعاصرين لذلك الحدث. ولإتقانه عدة لغات، كالفارسية، والتركية، والعربية، وهى اللغات التى حررت بها المصادر التاريخية التى تناولت تاريخ تيمور لنك والأتراك العثمانيين. انظر : ابن عرب شاه : ص ٣٢٨، حاشية ١.

(٥١) يرى البعض أن بيازيد ربما مات منتحراً. انظر :

Runciman, Fall of Constantinople, p. 42.

(٥٢) جوزف داهموس : معركة أنقرة، ص ١٨٨ . وأنظر أيضا :

Brehier, L., Vie, et Mort de Byzance (Paris, 1947), p. 474.

Brehier, Vie et Mort, p. 71. (٥٣)

وأنظر أيضا : هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى،  
ترجمة : أحمد رضا محمد رضا (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،  
١٩٩١)، ج ٢، ص ١٢٣.

(٥٤) هايد : تاريخ التجارة ، ج ٢، ص ١٢٣.

(٥٥) جوزف داهموس : معركة أنقرة، ص ١٨٨ .

(٥٦) نيقولا فاتان : «صعود العثمانيين (١٣٦٢ - ١٤٥١م) في : روبرت منتران :  
تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة : بشير السباعي (القاهرة، ١٩٩٣م) ج ١، ص  
٧٢.

(٥٧) أسرعت البندقية إلى الاتصال بالامبراطور البيزنطي مانويل باليولوج في  
١٤٠٠ بريس لإخباره بهزيمة العثمانيين في أنقرة وحثه على العودة، انظر :

Ducas, p. 78; Franzius, Byzantine Empire, p. 407, Jugie,  
M., "Le Voyage de l'empereur Manuel Palaeologue en  
Occident (1399 - 1403)", Eo, 15 (1912), p. 331.

وللمزيد عن طرد الجالية العثمانية من القسطنطينية وإغلاق دار القضاء الخاصة  
به انظر : محمد أنيس : الدولة العثمانية، ص ٤٩.

Brehier, Vie et Mort p. 474; Gibbons, Foundation, (٥٨)  
p. 243.

وانظر أيضا : هايد : تاريخ التجارة، ص ٣، ص ١٢٤؛ حكيم أمين : دولة  
الممالك، ص ١٤٤.

(٥٩) حكيم أمين : دولة المالية، ص ١٤٤.

(٦٠) Docas, p. 75.

(٦١) للمزيد عن هذا الموضوع. انظر :

Grousset, L'Empire, des steppes (Paris, 1941), pp.  
486 - 490.

(٦٢) القرمانى : أحمد بن يوسف القرمانى : أخبار الدول وأثار الأول فى  
التاريخ، تحقيق : أحمد حطيط ، وفهمى سعد (عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٢م)  
ص ٣٠٢؛ حسن خوجه بن على بن سليمان الحنفى : بشائر أهل الإيمان  
بفتوح آل عثمان : مخطوط بدار الكتب المصرية، ميكروفيلم [١٣٤٨٦]، تاريخ  
٢١١٦، ورقة ٤٩ و ٥٢.

Dennis, G., "The Byzantine - Turkish Treaty of (٦٣)  
1403", OCP, 33, (1967), p. 72.

Dennis, The Byzantine - Turkish Treaty p. 81; (٦٤)  
Nicol, Vast, Byzantine Empire. 73; H., Le Siege et  
la Paris de Constantinople Par les Turks (Paris,  
1980), p. 8.

Ducas, p. 73; Dennis, The Byzantine-Turkish Treaty, (٦٥)  
pp. 81 - 82.

Dennis, The Byzantine - Turkish Treaty, pp. 85-86. (٦٦)

Shaw, Ottoman, I., p. 37. (٦٧)

Shaw, Ottoman, I., p. 38. (٦٨)

وانظر أيضا : نيقولا فاتان : صعود العثمانيين ، ص ٨٠.

(٦٩) حسن خوجه : آل عثمان، ص ٤٩؛ نيقولا فاتان: صعود العثمانيين، ص ٨٠.

(٧٠) حسن خوجه : آل عثمان؛ ورقة ٥٠؛ على كمال؛ ورقة ٤٠ وانظر أيضا :

Pears, Ottoman, p. 685; Creasy, History, p. 52.

Pears, Ottoman, p. 686. (٧١)

Ducas, p. 92; phrantzes, p. 78; Pears, Ottoman p. (٧٢)  
686.

(٧٣) بهاء الدين محمد بن لطف الله بن عبد الله العامري الخالدي : كتاب  
المقصد الرقيع المنشأ الحاوي إلى صناعة الإنشاء، مخطوط بجامعة القاهرة  
رقم [٢٤٠-٤٥]. ورقة ٢٧١ب.

(٧٤) على كمال : آل عثمان، ورقة ٧١. وانظر أيضا :

Taeschner, Ottoman, p. 768; Shaw, Ottoman, 1, p. 53;  
Miller, Balkans, p. 563.

(٧٥) شلبى كلمة تعنى باللغة التركية (مذهب أو متدين). انظر :

Redhouse, p. Turkish and English Lexicon (Istanbul,  
1978), p. 728.

Creasy, History, p. 54. (٧٦)

Pears, Ottoman, p. 686. (٧٧)

Pears, Ottoman, p. 687; Creasy, History, p. 57. (٧٨)

وانظر أيضاً : هايد : تاريخ التجارة، ج٢، ص ١٢٥.

(٧٩) كان الشيخ بدر الدين من مشاهير علماء ذلك العصر، وقد ألف في العلوم

الدينية، ولكنه نشر أفكارا خارجة، إذ أنكر الجنة والنار، كما نادى بشيوع

المال والمساواة في الملكية. وقد تم القضاء على ثورته وإعدامه في سنة

٨٢٣هـ / ١٤٢٠م. انظر : ابن أبي سرور البكري : المنع الرحمانية، ورقة (١١)

حسن خوجه: آل عثمان، ورقة ٥٢. وانظر أيضا :

Lamouche, Turquie, p. 40, Taeschner, Ottoman, p. 658;

Shaw, Ottoman, I, p. 38.

(٨٠) على كمال : آل عثمان، ورقة ٤٩. وانظر أيضا :

Pears, Ottoman, p. 688; Creasy, History, p. 58.

## قائمة المصادر والمراجع

### أولا : المصادر والمراجع العربية :

- ابن أبى السرور البكرى : المنح الرحمانية فى الدولة العثمانية. مخطوط مصور رقم ٥٤٢٤ هـ تاريخ، دار الكتب المصرية.
- ابن إياس (محمد أحمد بن إياس) : بدائع الزهور فى وقائع الدهور، تحقيق : محمد مصطفى (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٤م).
- ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن بن تغرى بردى (الأتابكى) : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة (طبعة دار الكتب القاهرة، د. ت).
- ابن عرب شاه : شهاب الدين أحمد بن محمد الدمشقى (ت ٨٥٤هـ / ١٦٦٦م) : عجائب المقدور فى نوائب تيمور، تحقيق : أحمد فايز الحصى (مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٦٦م).
- إبراهيم بن عامر بن على العبيدى المالكى : قلائد العقيان فى مفاخر دولة آل عثمان (القاهرة، ١٨٩٩م).
- أسد رستم : الروم فى سياستهم، وحضارتهم، ودينهم، وثقافتهم، وصلاتهم بالعرب (بيروت، ١٩٥٥م) ج ٢.
- أومان (شارل) : الأمبراطورية البيزنطية، ترجمة : مصطفى طه بدر (القاهرة، د. ت) بهاء الدين محمد بن لطف الله عبد الله العامرى الخالدى (٩٣٧هـ - ١٥٣٠م) : كتاب المقصد الرفيع المنشأ الحاوى إلى صناعة الإنشاء. مخطوط بجامعة القاهرة رقم [٢٤٠٤٥].
- جوزيف داهوس : «معركة أنقرة فى : سبع معارك/ ط ٢، ترجمة : محمد هتحي الشاعر (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م).

- حسن خوجه بن على بن سليمان الحنفى : بشائر أهل الإيمان بفتوح آل عثمان، مخطوط بدار الكتب المصرية، ميكروفيلم [١٣٤٨٦] تاريخ ٢١١٦.
- حسن خوجه بن على بن سليمان الحنفى : السلطان محمد الفاتح، مخطوط بدار الكتب المصرية، ميكروفيلم [١٤١٨٠]، تاريخ ٦٩٨.
- حكيم أمين عبد السيد : قيام دولة المماليك الثانية (دار الكاتب العربى، القاهرة، ١٩٦٧م).
- سعيد أحمد بُرجاوى : الامبراطورية العثمانية، تاريخها السياسى والعسكرى (بيروت، ١٩٩٣م).
- محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربى (١٥١٤ - ١٩١٤م) مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٥م).
- محمد سهيل طقوش : العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ٦٩٨ - ١٣٤٣هـ / ١٢٩٩ - ١٩٢٤م / ط١ (دار بيروت المحروسة، بيروت ١٩٩٥م).
- محمد فريد بك المحامى : تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق : إحسان حقى (دار النفائس، بيروت، د. ت).
- محمد فؤاد كويرلى : قيام الدولة العثمانية ، ترجمه إلى العربية : أحمد السعيد سليمان (القاهرة، ١٩٩٣م).
- لى سترينج : بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة : بشير فرنسيس وكوركيس عواد (مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٤م).
- على كمال بن السيد محمد أمين أفندى : كمال الإنسان فى معرفة آل عثمان، مخطوط بدار الكتب المصرية، (ميكروفيلم [١٨٨٩٨]، تاريخ طلعت ٢٠٤٩).



- القرمانى : أحمد بن يوسف القرمانى (ت ١٠١٩هـ / ١٦١٠م) : أخبار الدول وأثار الأول فى التاريخ، تحقيق : أحمد حطيط، وفهمى سعد (عالم الكتب، بيروت ١٩٩٢م) المجلد الثالث.
- نيقولا فاتان : «صعود العثمانيين (١٣٦٢ - ١٤٥١م)» فى : روبير منتران : تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة : بشير السباعى (القاهرة، ١٩٩٢م) جزءان.
- هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، ترجمة : أحمد رضا محمد رضا (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩١م) ٣ أجزاء.
- يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة : عدنان محمود سليمان (استنبول، ١٩٨٨م) جزءان.
- يوسف أصاف : تاريخ سلاطين المماليك ، تحقيق : بسام عبد الوهاب الجابى (دار البصائر، بيروت د. ت).

ثانيا : بيان المختصرات الأجنبية :

- BS        Byzantinoslavica (Prague, 1929ff).
- CMH<sup>(1)</sup>   Cambridge Medieval History, 8 vols (Cambridge, New York, 1911 - 36).
- CMH<sup>(2)</sup>   Cambridge Medieval History, vol. 4/ pt 1 and 2 revised ed, J. Hussey (Cambridge, 1966-67).
- CSHB    Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae (Bonn, 1828 - 97).
- HZ        Historische Zeitschrift, München and Berlin 1859ff.
- OCP      Orientalia Christiana Periodica (Rome, 1935ff).

٢- المصادر والمراجع الأجنبية :

- Atiya, A., The Crusade of Nicopolis (London, 1938).
- Brehier, L., Vie et Mort de Byzance (Paris, 1947).
- Charanis, P., "On the Date of the Occupation of Gallipoli by the Turks" BS, 16, (1955), pp.
- Chalcocondylas, I., De Rebus Turcicis (CSHB, Bonn, 1843).
- Creasy, E., History of the Ottoman Turks (Beirut, 1961).
- Davison, R., Turkey (London, 1981).
- Dennis, G, "The Byzantine - Turkish Treaty of 1403", OCP, 33 (1967), pp. 72 - 88.

- Ducas, M., *Historia Turco - Byzantina* (CSHB, Bonn, 1834).
- Eversley, L., *The Turkish Empire* (London 1917).
- Franzius, E., *History of the Byzantine Empire* (New York, 1967).
- Gibbons, H., *Foundation of the Ottoman Empire* (Oxford, 1916).
- Grousset, R., *L'Empire des Steppes* (Paris, 1941).
- Guerin, P., *Histoire de la Bulgarie* (Paris, 1931).
- Inalcik, H., *The Ottoman Empire, the Classical Age 1300 - 1600* (London, 1987).
- Jugie, M., "Le Voyage de L'Empereur Manuel Palaeologue en Occident (1399 -1403)", *EO*, 15 (1912), pp. 322 - 332.
- Lamouche , C., *Histoire de la Turquie depuis les Origines Jusqu'a nos Jors* (Paris, 1934).
- Lane - poole S., *Turkey*, (Reprint London, 1986).
- Miller, W., *The Balkans* (London 1908).
- Nicol, D., "A Byzantine Emperor in England : Manuel II's visit to London in 1400 -1401", in " Nicol, *Byzantium : Its Ecclesiastical History and Relations with the Western World* (London, 1472), pp. 204-25.

- Pears , E., "The Ottoman Turks. to the Fall of Constantinople" , CMH(1), 4 (1927), pp. 660 - 705.
- Phrantzes (Sphranzes), G., Annales (CSHB, Bonn, 1838).
- Ostrogorsky, G., History of the Byzantine State, Eng., tr, J. Hussrey (Oxford, 1955).
- Redhouse, p., Turkish and English Lexicon (Istanbul, 1978).
- Roloff, G., "Die Schlacht bei Angora", HZ, 161 (1940), pp. 244 ff.
- Runciman, S., The Fall of Constantinople 1453 (Cambridge, 1969).
- Shaw, S., History of the Ottoman Empire and Modern Turkey (Cambridge, 1952). Two vols.
- Schlumberger, G., "Un Empereur de Byzance a Paris et a Londres", in Byzance et les Croisades (1927), pp. 87 - 147, 361 -2.
- Taeschner, F., The Ottoman Turks to 1453, CMH(2), 4/1 (1975) pp. 753 - 775.
- Tipton, "The English at Nicopolis, Spéculum, 37/4 (1962, pp. 528-540).
- Vasiliev, A., History of the Byzantine Empire (Madison, 1971), 2 vols.

- Vast, H., Le Siege et la Prise de Constantinople par les Turks (Paris 1980).
- Wittak, P., the Rise of the Ottoman Empire (London, 1958).



المنافسة البريطانية الفرنسية  
في سلطنة مسقط  
١٢٧٨ - ١٣١٦ هـ / ١٨٦٢ - ١٨٩٨ م  
دراسة في الوثائق البريطانية والفرنسية

إعداد

د. عبد الرحمن بن علي السري

مستاذ التاريخ والحديث المساعد بكلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية

فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم





## المحتويات

، - مقدمة .

- العلاقات البريطانية الفرنسية حول مسقط خلال الفترة ١٢٨٧-  
١٣٠٩هـ/١٨٦٢-١٨٩١م.

- تجدد النشاط الفرنسي في سلطنة مسقط ورد الفعل البريطاني .

## قائمة بالاختصارات المستعملة فى كتابة الوثائق

|                                                      |                                             |
|------------------------------------------------------|---------------------------------------------|
| I.O.R : India Office Records                         | سجلات وزارة الهند                           |
| P.G. : Persian Gulf                                  | الخليج الفارسى (هكذا ورد المسمى فى الوثائق) |
| G.I. : Government of India                           | حكومة الهند                                 |
| S.S.I.: Secretary of state for India                 | وزير خارجية الهند                           |
| P.R.: Polptpcal Rsident                              | المقيم السياسى                              |
| P.A.: Political Agent                                | الوكيل السياسى                              |
| S.G.I.: Secretary Government of India                | وزير حكومة الهند                            |
| F.D.: Foreign Department                             | الإدارة الخارجية                            |
| F.O.: Foreign Office                                 | وزارة الخارجية البريطانية                   |
| A.A.E.: Archives des<br>Affaires Affaires Etrangeres | أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية               |
| Serv Hst Marien                                      | وثائق البحرية الفرنسية                      |

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وبعد :

تعرض الخليج العربى فى العقد الأخير من القرن التاسع عشر الميلادى إلى نشاط أوربى مكثف ، وبخاصة من فرنسا وإلى حد ما روسيا وألمانيا ، وكانت بريطانيا تنظر بقلق إلى هذا النشاط ، وعلى وجه الخصوص عندما ركزت فرنسا نشاطها وإتجاهها فى مسقط<sup>(١)</sup> ، مستندة فى ذلك إلى ركيبتين رئيسيتين : إحداهما : المعاهدة التى عقدها مع السيد سعيد بن سلطان حاكم عمان وزنجبار عام ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م ، والأخرى على التصريح البريطانى الفرنسى المشترك عام ١٢٧٨هـ / ١٨٦٢م ، وذلك عندما عملت بريطانيا على تقسيم سلطنة عمان وزنجبار وأرادت أن تضمن من فرنسا موافقتها على ذلك التقسيم ، وذلك بمقتضى ذلك التصريح .

كما أن فرنسا وجدت فى هذا التصريح فرصة لإقلاق بريطانيا على اعتبار أن مركزها أصبح متساوياً مع مركز بريطانيا فى كل من مسقط وزنجبار ، وكانت سياسة بريطانيا تتركز على محاربة أى نشاط أوربى فى الخليج العربى وبخاصة سلطنة مسقط التى اعتبرت لها حجر الزاوية فى سياستها فى الخليج ، حيث كانت تتمتع بموقع إستراتيجى هام على الطريق الموصل بين عدن والهند وتشرف على مدخل الخليج .

ولهذا السبب أخذت فرنسا تعارض السياسات البريطانية فى المنطقة . وكثيراً ما لجأت إلى خلق العراقيل وإثارة العقبات ضد بريطانيا مستندة إلى ما لها من امتيازات سابقة خولتها لها معاهدة عام ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م، وإذا اعترضت بريطانيا على أية سياسة فرنسية فإن فرنسا فى هذه الحالة تدعو بريطانيا إلى العودة إلى التصريح المشترك بينهما والذي سبقت الإشارة إليه، وبالرغم من ذلك فإن بريطانيا استطاعت أن توثق صلتها بسلطنة مسقط، وأن تحقق لنفسها الكثير من الامتيازات التى بلغت الذروة فى معاهدة عام ١٢٠٩هـ / ١٨٩١م بين سلطان مسقط وبريطانيا، وليس من شك فى أن من أهم الأسباب التى دفعت بريطانيا لعقد هذه المعاهدة هو تجدد النشاط الفرنسى فى السلطنة ومحاولة فرنسا تعزيز وجودها فى المنطقة فاصطدمت مع بريطانيا. وبدأت فرنسا تعطى نفوذها زخماً جديداً مستغلة الاضطراب الذى تعرض له سلطان مسقط عام ١٣١٢هـ - ١٨٩٥م عندما تعرض لهجوم الثوار من الداخل، والتمرد الذى قام به إقليم ظفار وتوجت هذا الزخم برفع تمثيلها القنصلى فى مسقط من نيابة قنصلية إلى قنصلية عامة، وذلك عام ١٣٢٦هـ / ١٨٩٨م، والذي جعل بريطانيا تتخلى عن الصلابة فى معالجة مشكلاتها مع فرنسا، وبالرغم من غلبة النفوذ البريطانى إلا أن بريطانيا رأت ضرورة التفاهم السلمى مع فرنسا. ولقد حددت فترة الدراسة بحيث تبدأ من تقسيم الدولة العمانية والفصل بين إقليمى عمان وزنجبار عام ١٢٧٨هـ / ١٨٦٢م، وينتهى عام ١٣٢٦هـ / ١٨٩٨م عندما اتفق الطرفان على تسوية القضايا التى دار حولها النزاع بشكل تفاوضى.

وقد اعتمدت هذه الدراسة اعتماداً أساسياً على الوثائق الإنجليزية

غير المنشورة والوثائق الفرنسية غير المنشورة، وبخاصة وثائق وزارة الخارجية ووزارة البحرية الفرنسية، وكلاهما تعكسان وجهتي النظر البريطانية والفرنسية اللتين من خلالهما يمكن رصد مراحل التنافس بينهما في مسقط ونتائجه وموقف سلطان مسقط من هاتين السياستين. وتجدر الإشارة إلى أن بعض الدراسات التي تعرضت لهذا الموضوع درست من وجهة النظر البريطانية اعتماداً على المصادر البريطانية، ولذا فإنني هدفت من خلال هذه الدراسة عرض وجهة النظر الإنجليزية والفرنسية من خلال الوثائق الإنجليزية والفرنسية وتحليلها وأتمنى أن تكون إضافة جديدة في هذا المجال، والله الهادي إلى سواء السبيل.

الباحث

## العلاقات البريطانية الفرنسية حول مسقط خلال الفترة

١٢٧٨ - ١٣٠٩ هـ / ١٨٦٢ - ١٨٩١ م

يحكم العلاقات البريطانية الفرنسية في مسقط، من حيث محاولات الهيمنة ووسط النفوذ بحكمها، تصريح عام ١٢٧٨ هـ / ١٨٦٢ م<sup>(٢)</sup> الذي تعهدت فيه كل من الدولتين باحترام استقلال مسقط، وأصبح مركز فرنسا بالنسبة لهذا التصريح متكافئاً قانونياً مع مركز بريطانيا في سلطنة مسقط<sup>(٣)</sup>. وبالرغم من أهمية مسقط للبريطانيين في الهند والخليج العربي إلا أنها أكثر أهمية من وجهة نظر المصالح الفرنسية، وكان كلا الطرفين يخشى أن يأتى اليوم الذى يمكن أن تتصارع فيه الدولتان للمنافسة حول تلك المنطقة. أمّا من وجهة نظر سلاطين مسقط فكانوا يعتقدون بأن التصريح المشترك أعطاهم فرصة كافية للاستفادة من التوازن الدولى.

لقد ظلت العلاقات البريطانية الفرنسية بعد التقسيم تتأرجح فيما بين التأزم والوفاق، وظل البريطانيون يمسكون بزمام المبادرة في عمان أكثر من منافسيهم الفرنسيين، وسيطر المسؤولون البريطانيون على الأحوال الداخلية، وتسخير الحاكم العمانى كأداة تنفيذ لخدمة مصالحهم التجارية، إلى جانب قرار التقسيم الذى أشرفت عليه بريطانيا، والذى قضى على استقلال عمان من الناحية العملية. أمّا ما الناحية الاسمية فقد ظلت عمان في نظر القانون

الدولى دولة مستقلة، ولم يقف تعاظم النفوذ البريطانى فى عمان والخليج بوجه طموحات فرنسا فى المنطقة، وظل التنافس قائماً بين البلدين فى مناطق أخرى من الخليج العربى وبخاصة فى فارس والعراق<sup>(٤)</sup>.

والواقع أن انصراف الوكلاء السياسيين الفرنسيين فى مناطق الخليج إلى النشاط الدينى الكاثولىكى، وبخاصة فى الفترة التى سبقت عام ١٢٠٨هـ / ١٨٩٠م، صرفت اهتماماتهم وتركيزهم عن الميدان السياسى. وكان النشاط التنصيرى الفرنسى، والكاثولىكى منه بوجه خاص، أعرق وأوسع تنظيمياً فى الشرق من النشاط التنصيرى البريطانى، لدرجة أن المنصرين البريطانيين - إلى جانب القناصل والوكلاء السياسيين فى العراق والخليج - كانوا يثيرون مخاوف السلطات البريطانية من احتمال سيطرة الفرنسيين على الشرق، وأنه يتعين على الإنجليز أن ينشطوا فى عقد أواصر الصداقة مع مختلف المناطق والفئات فى الخليج قبل أن يسبقهم الفرنسيون فى هذا المضمار<sup>(٥)</sup>. هكذا سخرت كل من بريطانيا وفرنسا وجودهما السياسى ونشاطهما الدينى فى خدمة مصالحهما الاستعمارية فى الشرق.

وجدت فرنسا فرصة لتدعيم نفوذها فى مسقط إثر الاضطرابات الداخلية التى أودت بحياة السيد (ثوينى بن سعيد)<sup>(٦)</sup> سلطان مسقط على ١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م، على يد ابنه السيد (سالم) بالإضافة إلى التهديد الخارجى الذى جاء من قبل السعوديين<sup>(٧)</sup>.

وفى خضم هذه الأوضاع فى عمان بعث أحد ضباط البحر الفرنسى إلى قائده تقريراً عن أوضاع مسقط ومستقبل النشاط الفرنسى فيها جاء

فيه : «يعتمد الفرنسيون في علاقاتهم التجارية بمسقط على (على بن خلفان) الذي هو في نفس الوقت ممثل القنصلية الفرنسية في بغداد، وقد تمكن (عزان بن قيس)<sup>(٨)</sup> الذي يمسك بزمام الأمور في عمان من وضع حد لأعمال السلب والنهب، ويخوض صراعاً مع أعدائه الوهابيين الأقوياء الذين يتمتعون بمساندة بعض الزعماء العمانيين، كما يوجد شخص آخر يتطلع إلى الحكم وقد يستولى عليه وهو السيد (تركي)<sup>(٩)</sup> الذي طلب منه الإنجليز الإقامة بالهند، ويلوحون بتنصيبه على العرش إن لم يمثل الإمام (عزان) لسياستهم<sup>(١٠)</sup> . ويرغم الأوضاع الداخلية المتردية في عمان إلا أن الفرنسيين لا يملكون الإمكانيات السياسية ولا العسكرية لإيجاد موطئ قدم لهم في مسقط أو كسب طرف عن آخر.

ومهما يكن من أمر فقد حكم (عزان بن قيس) معظم مقاطعات عمان بما فيها مسقط خلال الفترة (١٢٨٥ - ١٢٨٧ هـ / ١٨٦٨ - ١٨٧١ م) وكان إماماً مدعوماً من قبل علماء الدين الإباضية، أمّا بريطانيا فقد شعرت أن بقاها في عمان مرتبط بشخصية الحاكم. وبما أن الإمام (عزان بن قيس) يكرس عودة الإمامة في عمان، فهذا معناه - من وجهة النظر البريطانية - القضاء على النفوذ البريطاني، حيث إن الأئمة يكرهون كل ما هو أجنبي؛ لأن يذكرهم بالعنوان البرتغالي، أمّا السيد (سالم) السلطان السابق، فقد أثرت بريطانيا عدم التعاون معه بسبب علاقاته الجيدة مع السعوديين، وهذا لا يخدم مصالحها، لذا فكرت أن تساعد السيد (تركي بن سعيد) للعودة إلى مسقط كي تستطيع أن تسيّر أمور مسقط وفق ما تشتهي<sup>(١١)</sup>.

وبالفعل فقد استطاع السيد (تركي بن سعيد) الاستيلاء على مسقط



وإسقاط حكومة الإمامة في ذى القعدة ١٢٨٧هـ / فبراير ١٨٧١م، واعترفت بريطانيا بالسيد تركي حاكماً على مسقط في جمادى الأولى ١٢٨٨هـ / أغسطس ١٨٧١م، وبهذا الاعتراف تلقى دفعة جديدة من المساندة البريطانية<sup>(١٢)</sup>. وتشير الوثائق الفرنسية إلى أن الاضطرابات في مسقط في تلك الفترة انعكست على وجود الرعايا الأوروبيين حيث لم يتبق فيها سوى عدد قليل من الإنجليز، كما انخفضت عمليات التبادل التجاري فيها، وبذلك لم تعد الحاجة قائمة إلى وجود ممثل فرنسي بالمدينة على الأقل في الوقت الراهن<sup>(١٣)</sup>.

وعلى الرغم من سوء الأوضاع في مسقط، إلا أن الفرنسيين عملوا على إقامة علاقات جيدة مع السيد تركي، كما قدموا له التهاني بتولية الحكم، وذلك عندما قام أحد قادة السفن الفرنسية في الخليج بزيارة للسلطان الذي استقبله ووعد ببناء علاقات جيدة مع فرنسا قائمة على المعاهدات السابقة، وكان ذلك في صفر ١٢٩١ هـ مارس ١٨٧٤م<sup>(١٤)</sup>. ولكن اضطراب الأحوال السياسية في السلطنة لم يمكن الفرنسيين من تعزيز علاقاتهم السياسية والتجارية، فقد ضعف سلطة السلطان على رعيته، واستغل بعض المتمردين في بعض الأقاليم، كما فقدت مسقط أهميتها كقاعدة تجارية وبخاصة بعد أن أصبحت السفن القادمة من الهند تتحاشى الرسو بها، وأخذت بالتحول إلى موانئ الخليج الأخرى، وتكاد التجارة الفرنسية أن تكون منعدمة بمسقط<sup>(١٥)</sup>.

ومن جهة أخرى فقد عملت بريطانيا على تدعيم نفوذها في مسقط ودعمها للسيد تركي، وذلك عن طريق تحسين الأوضاع المالية في السلطنة

مقابل توقيع السلطان على معاهدة لمنع تجارة الرقيق فى المقاطعات التابعة للسيد تركى، واستطاع المفوض البريطانى (Frere) إقناع السلطان فى صفر ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م الذى قبل التوقيع على المعاهدة التى أعطت للسلطات البريطانية فرصة التدخل لمعالجة الأحوال المالية السيئة التى يعانى منها السيد تركى، والتي ستساعده على إخضاع معارضيه، كما تمكنت بريطانيا من الحصول على امتيازات كبيرة بعد توقيع هذه المعاهدة ، فقد اشترطت استمرار السيد تركى فى القيام بإخلاص على تنفيذ هذه المعاهدة مقابل أن تدفع له بريطانيا المعونة السنوية<sup>(١٦)</sup>.

وهكذا توطدت العلاقات الودية بين السيد تركى وبريطانيا وارتفع شأن السيد تركى فى نظر الحكومة البريطانية، وتدفقت الأموال إلى خزنته، وتمكن من مناوأة معارضيه واسترجاع بعض الأقاليم التى فقدها، ومن جهة أخرى فقد ضعف موقفه أمام شعبه سواء من أهالى مسقط أو من القبائل الداخلية، وافتقر إلى التأييد الشعبى.

فى الوقت الذى أخذ فيه مركز بريطانيا يقوى فى مسقط، لم يكن لفرنسا أى نفوذ يذكر، فلم تستطع تعيين ممثل قنصلى لها، وأوكلت رعاية المصالح التجارية الفرنسية إلى ممثل شركة الهند البريطانية بالرغم من عدم وجود رعايا فرنسيين بمسقط، وحث قادة السفن الفرنسية فى الخليج والمحيط الهندى المسؤولين الفرنسيين بضرورة الإسراع فى تعيين ممثل فرنسى بمسقط حيث إن هناك الكثير مما يجب عمله أمام قوة نفوذ الإنجليز فى المنطقة، ولم تعد التجارة الفرنسية ذات فعالية هامة ما دام لا يوجد

بـليل فرنسى رسمى فى مسقط<sup>(١٧)</sup>.

وبالرغم من المساندة البريطانية إلا أن سلطة السيد تركى ما زالت تعاني من بعض المتاعب؛ لأنه لا يمكن إحكام القبضة على السلطة فى ظل قلة الموارد المالية، وفى عام ١٢٩٨هـ / ١٨٨٠م أصبح استمرار معونة زنجبار التى كان يحصل عليها سلطان مسقط أحد الموارد الرئيسة فى ميزانية حكومة مسقط، وبدونها فإن اقتصاد السلطنة كثيراً ما تعرض لضغوط مالية، وبخاصة بعد أن أصبحت بريطانيا هى التى تتحكم فى تلك المعونة من خلال الاتفاقيات والمعاهدات التى عقدتها مع سلاطين مسقط.

ونتيجة للضغوط السياسية التى مارستها بريطانيا على السيد تركى بدأ يولى الدول الأوربية الأخرى ذات العلاقة مع مسقط أهمية، فى محاولة لإيجاد توازن فى علاقاته معهم. وبدأ ممثلو هذه الدول فى إبلاغ حكوماتهم بهذا التغيير، وقد تضمنت الوثائق الفرنسية ما يشير إلى ذلك.

فقد جاء فى إحدى تلك الرسائل : «يتطلع سلطان مسقط إلى التعامل مع الدول الأخرى إلى جانب الإنجليز الذين يدعمون نفوذهم كل يوم فى السلطنة، وقد لوحظ بعض التجار الأمريكين بتشجيع من السلطان، وسيحضر الفرنسيون بالترحيب أيضاً إن هم قاموا بدعم تواجدهم التجارى فى المنطقة، وتحلوا بالصبر، واستفادوا من تجربة الإنجليز فى هذا المجال<sup>(١٨)</sup>.

استغلت بريطانيا الأوضاع السيئة فى مسقط، وساعدها فى ذلك تضائل وجود القوى الأخرى فى المنطقة وبخاصة فرنسا، وقد وصل النفوذ

البريطاني حذراً جعل الوكيل السياسي البريطاني هو الشخص الذي يسيّر السياسة في مسقط، وذلك بتأثيره على السلطان الذي كانت تدعمه الحكومة في الهند، وكان شيوخ وأعيان البلاد يعرفون هذه الحقيقة، وكانوا على اتصال دائم بالوكيل السياسي البريطاني لمناقشة كثير من الأمور، وبالرجوع إلى مذكرات الوكيل السياسي البريطاني نجد أن زيارات هؤلاء إليه متكررة ومتصلة، كما نجد أيضاً أن زياراته للسلطان تكاد تكون شبه يومية<sup>(١٩)</sup>.

لما توفي السيد تركي في شوال ١٢٠٥هـ / يونيو ١٨٨٨م، تولى حكم السلطنة ابنه فيصل<sup>(٢٠)</sup>، الذي بدأت بريطانيا من خلاله تعمل على أن يكون لها وضع مميز في السلطنة، الذي عبر عنه الوكيل السياسي البريطاني بمسقط في إحدى رسائله إلى المقيم السياسي في الخليج عندما قال: «بأن الحكومة البريطانية قد قامت بخدمات جليلة في الخليج، وتستحق نظير هذا أن يكون لها وضع مميز في مسقط، وحتى لا تصبح مثل القوى الدولية الأخرى، فقد صرفت بريطانيا أموالها، وأزهقت أرواح رجالها من أجل حفظ السلام البحري في المنطقة، وأشار أيضاً بأن السلطة البريطانية هي العليا بمسقط في الوقت الراهن وأن المساعدات المادية البريطانية لسلطان مسقط، واعتماد بعض الحكومات الأجنبية في تصريف شئونها في عمان على الوكيل السياسي البريطاني يتيح للبريطانيين حقاً مشروعاً لوضع مسقط تحت نفوذهم»<sup>(٢١)</sup>.

وقد توجت بريطانيا هذا الزخم السياسي بإبرام معاهدة الصداقة والتجارة والملاحة التي تم التوقيع عليها من قبل السيد فيصل وبريطانيا في

شعبان ١٢٠٨هـ / مارس ١٨٩١م، والتي كان من أهم بنودها تعهد السيد فيصل على نفسه وعلى ورثته بعدم التخلي أو التنازل عن أى من أراضى مسقط وملحقاتها إلى غير حكومة بريطانيا<sup>(٢٢)</sup>. إن هذه المعاهدة تعنى فى مضمونها خضوع السلطان للحكومة البريطانية، وتمتاز بكثرة المواد المنظمة للعلاقات التجارية، وإعفاء البضائع الإنجليزية من كثير من الرسوم الجمركية، وإشرافها على تجارة السلطنة. وتكثر فى هذه المعاهدة أيضاً المواد المقيدة، وسواء كانت حماية رسمية أم غير رسمية فقد تصرفت بريطانيا كما لو كانت الحماية موجودة فعلاً، وبهذا حصلت بريطانيا على مزيد من الامتيازات، مما جعل فرنسا تبحث عن امتيازات مماثلة فى مناطق أخرى إلى جانب مسقط.

إن حروب فرنسا فى القارة الأوربية لم تنقطع، فمن ذلك الحرب البروسية الألمانية التى نشبت فى عام ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م، والتي هزمت فيها ونتاج عنها خروج فرنسا ضعيفة منهكة، فحصرت جل جهودها الاستعمارية فى مستعمراتها الآخذة فى الاتساع فى شمال إفريقيا، على أن ذلك لم يكن يعنى تخليها بصفة نهائية عن آمانيها فى الشرق<sup>(٢٣)</sup>.

وكان هذا المصير الذى آلت إليه القوة العسكرية الفرنسية فى أوربا، أول دليل على أن فرنسا لم تعد فوق مستوى الهزيمة، فزال شبح الخوف من الفرنسيين، وضاعت من فرنسا فرص محاربة بريطانيا، لقد انعكست آثار

هذه الهزيمة على وجود فرنسا في منطقة الخليج، والتي تعد منطقة هامة للمصالح الفرنسية، ورغم استمرار التمثيل القنصلي الفرنسي في بغداد والبصرة، إلا أنه لم يكن ثمة دليل على وجود مصالح فرنسية في مناطق أخرى من الخليج قبل عام ١٢٠٨هـ / ١٨٩٠م.

## تجدد النشاط الفرنسي في سلطنة مسقط

### ورد الفعل البريطاني

أدى تحسن الأوضاع الداخلية في فرنسا إلى العودة لمزاولة نشاطها التجاري والسياسي في الخليج العربي، في محاولة جادة لتعويض الخسائر التي لحقت بها من جراء انصرافها عن مصالحها الخارجية وسط المشاكل الداخلية التي كانت تمر بها.

بدأت فرنسا تكثف نشاطها السياسي في منطقة الخليج بشكل عام وفي مسقط بشكل خاص إثر التقرير الذي بعثه السيد (أو تافي Ottavi)<sup>(٢٤)</sup> للحكومة الفرنسية في ١٢١٠هـ / نوفمبر ١٨٩٢م، والذي جاء فيه : «تعد مسقط واحداً من أهم موانئ الخليج الفارسي، وقد اعتبرها الإنجليز إحدى النقاط الرئيسية على طريق الهند وفارس، ولذا فقد دعموا نفوذهم فيها منذ أمد بعيد، وعقدوا مع سلاطين مسقط معاهدات ضمنت لهم هذا النفوذ، ويخشون من أي تواجد أجنبي فيها، ونظراً لهذه الأهمية الكبيرة لمسقط، فإنه يتعين على فرنسا تعيين ممثل قنصلي لها فيها يركز على الحقوق الفرنسية التي ضمنتها لها معاهدة عام ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م بين عمان وفرنسا، ويدون ذلك فإنه ليس من الممكن تنمية النفوذ الفرنسي في

وقد عبر السفير الفرنسي في بريطانيا في رسالة لوزير خارجيته عن امتعاضه من تعاظم النفوذ الإنجليزي في مسقط، وأيد تعيين وكيل قنصل فرنسي يكون قادراً على إرسال المعلومات الصحيحة، ولكن بدون التدخل في المشاكل الداخلية، ويركز اهتمامه بالنواحي السياسية، وما يجري هناك، وإن يتجنب الانحياز لجانب معين، حتى لا يجر على فرنسا مشاكل لا طائل لها. حيث إن الوجود الفرنسي المحدود في مسقط لا يتعدى النطاق التجاري، ولا يمكن للإنجليز الاعتراض على هذا التواجد ما دام لا يتعدى هذا النطاق، وذكر السفير الفرنسي بأنه قام بإبلاغ الإنجليزي عن طبيعة التواجد الفرنسي في تلك المنطقة» (٢٦).

ويبدو أن السفير الفرنسي في لندن (ادينجتون Waddington) قد أحس أكثر من غيره بازدياد النفوذ البريطاني في مسقط بعد معاهدة عام ١٢٠٨هـ / ١٨٩١م، وقدم احتجاجاً للخارجية البريطانية لخروجها - كما يقول - عن إطار التصريح البريطاني الفرنسي المشترك عام ١٢٧٨هـ / ١٨٦٢م.

لقد درست الحكومة الفرنسية اقتراح فتح وكالة قنصلية لها في مسقط من جميع الجوانب توصلت إلى قرار أصدرت بموجبه إدارة القنصليات بالخارجية الفرنسية مذكرة أكدت فيها على الهدف السياسي من فتح هذه الوكالة الذي أنيط بها دعم النفوذ الفرنسي في السلطنة» (٢٧).

لذا فتحت فرنسا لها نيابة قنصلية في مسقط أواخر عام ١٢١٢هـ / ١٨٩٤م، وبدأ النشاط الفرنسي ينتعش، ويعود ذلك إلى وصول المسؤولين

الفرنسي (أوتافي Ottavi) الذي شغل منصب وكيل قنصل في مسقط في تلك الفترة التي بلغ فيها النفوذ البريطاني في منطقة الخليج عامة وفي مسقط خاصة أوجه، وبما أن وضع فرنسا في المنطقة لا يسمح لها بمناوأة النفوذ البريطاني القوي، فقد عمل أوتافي من أجل الوصول إلى غايته بالتقرب من المسؤولين البريطانيين المقيمين في مسقط، عن طريق إقامة علاقات صداقة معهم، لابعاد الشكوك عنه، وقد ألح أوتافي في إحدى رسائله إلى وزارة الخارجية الفرنسية إلى أنه قد توصل إلى عقد علاقة حميمة مع السيد (ماكيردي) المندوب البريطاني، كما أن علاقته وطيدة مع السيد (بيلي Belly) المسؤول البريطاني ومساعديه. أمّا عن قنصل إنجلترا الميجر (سادليير Sadlier) فذكر أن معرفته باللغتين العربية والفرنسية، ومعرفته باللغة العربية قد أوجد بيننا قاسماً مشتركاً ساعد بقوة على إزالة الشعور بعدم الثقة، كما ذكر أنه حاول أن لا يتعكر صفو العلاقة بين القنصلية الفرنسية والبريطانية ولو مؤقتاً، حتي يتمكن من إقامة جسور من العلاقات مع أطراف أخرى<sup>(٢٨)</sup>. إلا أن هذا الصفاء والود لم يستمر، حيث شعر البريطانيون أن فرنسا ترصد وتتبع تحركاتهم في مسقط، فقامت باتخاذ بعض الإجراءات الكفيلة بمنع تسلل أي نفوذ أجنبي إلى مسقط، الذي بدأت تلوح بإعلانها محمية للتاج البريطاني، لولا أن الإعلان الفرنسي البريطاني المشترك عام ١٢٧٨هـ / ١٨٦٢م كان يمنعها من اتخاذ تلك الخطوة.

بدأت فرنسا باتخاذ بعض الخطوات نحو العمل على استرجاع مكانته السياسية في الخليج، وعرقلة المصالح البريطانية في المنطقة، فحاولت أن



تستخدم التنصير ونشر المنصرين الكاثوليك في المنطقة، والذي عبر عنه أوتافى بأنه سيكون لمصلحة الحضارة والمصالح الفرنسية في هذه الأنحاء، وإلى جانب سياسة التنصير، حاولت فرنسا نهج سياسة القروض المالية مع سلطان مسقط والتي شرحها السيد أوتافى في إحدى رسائله لوزارة الخارجية الفرنسية مؤكداً بتفاهم مصاعب السلطان المالية، وأنه أبدى رغبته بالحصول على قروض مالية من فرنسا، إلا أنه يرى نفسه (أي السلطان) ملزماً بالاتفاقية التي عقدها مع بريطانيا، حيث جاء في بعض بنودها أن لا يقبل سلطان مسقط أى قرض مالى من طرف أجنبي<sup>(٢٩)</sup>. والواقع أن كل هذه السياسات لم تسفر عن خطوة عملية تذكر، وبخاصة القروض المالية لسلطان مسقط، والذي ربما يعود إلى خوف السلطان من المسؤولين البريطانيين الذين كانوا متواجدين في المنطقة، بل هم الذين يمسون بزمام الأمور في مسقط نفسها.

وقد سنحت الفرصة لفرنسا لكي تعزز نفوذها في مسقط، عندما تعرض السيد (فيصل بن تركي) لهجوم الثوار<sup>(٣٠)</sup> على مسقط، والمعروف بهجوم عام ١٢١٢هـ / ١٨٩٥م، وذلك عندما تخلى الإنجليز عن مساعدته وتركوه وشأنه، مع أنه استنجد بهم أكثر من مرة، ويتعذر البريطانيون بأن هذا شأن داخلي يحتم عليهم التزام الحياد، أو كما عبر عنه الوكيل السياسي البريطاني، بأن إظهار القوة من جانب السلطات البريطانية أمر غير مرغوب فيه<sup>(٣١)</sup>.

والواقع أن بعض المصادر تتهم السيد فيصل بتعاونه مع الإنجليز ذلك

التعاون الذى فجر ثورة عام ١٢١٢هـ / ١٨٩٥م، ولكن الحقيقة غير ذلك فقد تخلى عنه الإنجليز فى أحلك الظروف رغم الاتفاقيات التى تربطهم به، ولكنه لم يتخاذل بل صمد واستطاع أن يدافع عن نفسه.

ولذا فقد أدرك السيد فيصل مدى خذلان السلطان البريطانية له أثناء حدوث الثورة والهجوم على معنقه، مما أدى إلى شبه انفصال بينه وبين ممثليها فى مسقط، وقد ألمح أكثر من مرة بأنه يعتبر السلطة البريطانية مقصرة فى واجبها نحوه، وقد اعتبر موقف الحياد التام الذى اتخذته الوكالة السياسى البريطانى من الثوار، دليلاً على تخلى الحكومة البريطانية عن التزامها تجاهه، لذلك فإنه أصبح أكثر استعداداً لقبول المحاولات الودية التى كان الفرنسيون يبذلونها<sup>(٢٢)</sup>.

وكرد فعل من السيد فيصل تجاه بريطانيا، قام بزيارة إلى إحدى السفن الفرنسية (ترودى Trodey) التى تزور مسقط لأول مرة، والتى يبدو أن الفرنسيين أرادوا من خلالها استعراض قوتهم العسكرية فى المنطقة وقد استقبل السلطان السيد (أوتافى) نائب القنصل الفرنسى، وأبدى السلطان إعجابه الشديد بالسفينة وتسليحها، كما أبدى رغبته الملحة فى رؤية فرنسا إلى جانبه، وأبدى السلطان أيضاً رغبته فى بقاء السفينة لوقت أطول فى مياه مسقط الإقليمية<sup>(٢٣)</sup>.

وعن حجم التواجد الفرنسى فى المنطقة على إثر زيارة السفينة (ترودى) يقول (أوتافى) نائب القنصل الفرنسى فى مسقط فى رسالة بعث بها إلى وزير خارجيته : «إن العرب الذين يُعجبون دائماً بمظاهر القوة،

وخاصة السفن الحربية، بدأوا يشعرون بوجود الفرنسيين، ويوصل (ترودى) فإن الثقة بدأت تتعزز بفرنسا، وقد صار الحديث فى المنطقة منذ مدة عن قوة فرنسا، وعن السفن والمدافع الفرنسية، ولقد قام العديد من أعيان مسقط بزيارتى، وكذلك بعض زعماء القبائل الذين أتوا لمساعدة السلطان، وطلبوا أن يكونوا تحت الحماية الفرنسية<sup>(٢٤)</sup>. وفى تقديرى أن السيد أوتافى نائب القنصل الفرنسى فى مسقط قد بالغ لوزير خارجيته فى وصف النفوذ الفرنسى فى المنطقة، فى تلك الفترة على الأقل؛ لأن سلطان مسقط لا يزال مكبلاً بمعاهدة عام ١٢١٠هـ / ١٨٩٢م مع بريطانيا الذى لا تعطيه حرية الحركة والمناورة السياسية، أو حتى إحداث توازن بين القوى المختلفة فى بلاده.

حرصت الحكومة الفرنسية على أن تقوم سفنها بزيارة لموانئ سلطنة مسقط، تأكيداً لوجودها من ناحية، وتهديداً غير مباشر للنفوذ البريطانى من جهة أخرى، ففى عام ١٢١٥هـ / ١٨٩٧م، قامت البارجة (لاسور باريس Lsur/ prise) بزيارة لميناء مسقط، وقام قائدها (كارون Kroun) بزيارة السلطان، الذى عبر عن ابتهاجه بوجود باخرة فرنسية فى بلاده<sup>(٢٥)</sup>.

قامت فرنسا بتكثيف نشاطها فى الخليج العربى، وبخاصة بعد دخولها فى إتفاقية سرية مع روسيا، كان هدفها معارضة النفوذ البريطانى فى فارس والخليج، ولقد قامت نيابة القنصلية الفرنسية فى مسقط بدور كبير فى هذا المجال<sup>(٢٦)</sup>. لقد انزعج البريطانيون من محاولات الروس والفرنسيين تقويض نفوذهم فى مسقط وتأسيس مناطق نفوذ لهم فى المنطقة على حساب السياسة والنفوذ البريطانى

أظهر البريطانيون قلقهم وتخوفهم من تزايد أطماع الدول الأوروبية في الخليج العربي، والتي أخذت أشكالاً مختلفة وسلكت طرقاً ملتوية في سبيل الوصول إلى أهدافها الاستعمارية، حتى بات أمر الخليج الهاجس الرئيسي لسياسة بريطانيا، وبخاصة التحالف الفرنسي الروسي. وتعرض لنا الوثائق الفرنسية هذا القلق الذي تطرقت له صحيفة (تايمز أوف إنديا Taymar of India) والذي جاء فيها : «إن موقفنا ضد روسيا قد أصبح أكثر تعقيداً الآن مع العنصر الجديد للتعاطف مع فرنسا، إننا نلتبس طريقنا في مثل هذا الصراع، ولكن الآن دخلت فرنسا في مسرح الأحداث، ونافست حقنا في أن نفعل ما نريد في مسقط، وقد قال السيد (دي لونكل De Lunceil) في باريس «إن الحكومة الفرنسية منذ عام مضى قد كانت - على ما يبدو - ترى نفسها بالتنسيق مع إنجلترا تضمن استقلال مسقط قد أغفلت الحوار حول الموضوع مع اللورد (كمبرلي Kimburly) وذلك بإرسال سفينة حربية فرنسية إلى مياه الخليج، وقد كان ذلك شيئاً جديداً بالنسبة لنا، ولكنه يتفق كثيراً مع ما كنا نعلمه عن (كمبرلي) والسيد (هانوتو Hanotau) على حد سواء، مع أنه ليس من الضعف تصديق إمكانية حدوث مثل هذا ، وأكثر ما هو متعلق بالموضوع الآن، هو أن السيد (هانوتو) قد عاد مرة أخرى لمجلس الوزراء الفرنسي، وإن الصحف الفرنسية التي تعكس آراءه تركز كثيراً على حق وواجب فرنسا في ضمان حياد الخليج العربي ومداخله، وهذا ليس إلا طريقة أخرى للقول بأنه كان اهتماماً بإبعاد روسيا من الخليج العربي. إننا الآن مواجهون بعدوين بدلاً من عدو واحد»<sup>(٣٧)</sup>.

<sup>١</sup> ويبدو أن الظروف الاقتصادية الحرجة التي كان يمر بها السيد (فيصل) سوف تجبره أن يولى ظهره لبريطانيا، ويبحث عن حليف آخر؛ لأن الدمار الذي خلفه الثوار في مسقط، ومطالبة بريطانيا السلطان بدفع تعويضات للتجار الهنود، دفعت به إلى البحث عن حل لازماته المالية، في وقت لم تكن حالته تسمح له بالمجاهرة بغضبه على بريطانيا، فقد كتمه في نفسه، وراح يتقرب من (أوتافى) نائب القنصل الفرنسي، ومما ساعد في تعزيز العلاقات بين السلطان ونائب القنصل الفرنسي، أن الشيخ (عبد العزيز الرواحي) الذي كان أمين سر السلطان، كان في الوقت نفسه مترجماً للقنصل الفرنسي، وعلى ذلك قام بدور هام - من خلال هذه الازدواجية في العمل - في توثيق أواصر الصداقة بين مسقط وفرنسا، وذلك بتشجيع السلطان في النوايا البريطانية، ففتح بذلك الباب أمام فرنسا لتعزيز موقعها في مسقط<sup>(٢٨)</sup>. وفي رسالة من (أوتافى) إلى وزير خارجيته نستطيع أن نقف على مستوى العلاقة بين فرنسا والسلطان، ومدى ثقة القنصل الفرنسي في النتائج التي يمكن أن تترتب على هذه العلاقة، والتي عرضها بقوله : «إننا رأيت من المفيد في الوقت الراهن أن نقف إلى جانب سلطان مسقط، والذي يبدو أنه منزعجاً من زيادة النفوذ الإنجليزي، فإننا نستطيع أن نسهل له اقتراض المبالغ التي يحتاج إليها لدفع تعويضات الهنود، وتقوية قاعدة حكمه، ولكن من وجهة نظري فإنه يتعين أن يكون دعمنا له مشروطاً بحيث يطلب منه أن يوقع على معاهدة مكتوبة بطريقة تبطل معاهدة ٢٠ مارس ١٨٩١<sup>(٢٩)</sup>، وتجعلنا على قدم المساواة مع الإنجليز في مسقط<sup>(٣٠)</sup>. والواقع أن السيد فيصل في بادئ الأمر رفض أن يطأطأ رأسه لبريطانيا، وفضل

أن يخلق توازناً بين الدول الأوربية ذات المصالح الاقتصادية فى بلاده، حتى لا تتفرد إحداها بالساحة، وتسيطر على زمام الأمور، صحيح أنه كان يجارى بريطانيا أكثر من غيرها بحكم نفوذها فى المنطقة، إلا أنه كان يكره فيها استبدادها وهيمتها، لذا كان كلما اشتدت عليه أدبر عنها، وولى وجهه نحو غريمها فرنسا، مما أعطى فرنسا مجاًلاً لتعزيز نفوذها فى مسقط ولو أنه لم يصل إلى مستوى النفوذ الذى تتمتع به بريطانيا.

لقد شعر المسؤولون البريطانيون بخطأ سياساتهم السابقة تجاه السلطان، ففى تقرير بعث به الوكيل السياسى البريطانى فى مسقط السيد (سادلر) إلى حكومة الهند، ذكر فيه أنه مهما كان سلوك السلطان الحالى، فإن ظروفه السياسية والاقتصادية لن تمكنه من السيطرة على الوضع، وأنه بأمس الحاجة إلى تأييدنا لحماية المصالح البريطانية فى مسقط، وحماية الرعايا البريطانيين الذين يمارسون التجارة مع الهند، وأن سياسة الحياد التى انتهجتها بريطانيا فى التمرد السابق، لن تساعد فى تأمين تلك الأهداف. ويستطرد الوكيل السياسى البريطانى بمسقط قائلاً: «إن الوقت مناسب لاتخاذ قرار فى هذا الاتجاه قبل أن تفرضه علينا الأحداث، هناك عدة عوامل تفرض علينا مستقبل وضعنا فى الخليج، مثل نظرة روسيا وفرنسا تجاه الخليج، وازدياد التأثير التركى فى الجزيرة العربية، ومستقبل فارس السياسى، إن أى محاولة لفرنسا لتعزيز نفوذها فى مسقط، أو التدخل فى سياسة السلطان سوف تصد، كما سيقام حاجز قوى أمام الأطماع التركية»<sup>(٤١)</sup>.

ارتفعت حدة التنافس البريطاني الفرنسي في مسقط، بعد تمرد ظفار<sup>(٤٢)</sup>، حيث تناقل المسؤولون البريطانيون أنباءً عن بوادر تقارب عماني فرنسي من أجل الوصول إلى حل مشكلة ظفار، والواقع أن السلطان فيصل أدار ظهره لبريطانيا عندما اشترطت عليه أن يتقيد بنصائح الحكومة البريطانية فيما يخص أية إجراءات مستقبلية في ظفار، ولكنه لم يوافق على هذا الشرط على اعتبار أنه شرط غامض، مضيفاً أنه سيسعى إلى إنهاء المشكلة بطريقته الخاصة<sup>(٤٣)</sup>.

وفي برقية بعث بها وكيل وزارة الهند في لندن إلى نظيره وكيل الخارجية البريطانية، أشار فيها إلى أن مسلك سلطان مسقط غير ودي مؤخراً فيما يتعلق بأمر ظفار، وذكر أن فرنسا تجرى مناورات عسكرية في مسقط والساحل العربي، ويؤكد ضرورة العمل على إبعاد أي نفوذ أجنبي في أمور مسقط والساحل العربي، وذلك عن طريق محمية بريطانية صرفة في مسقط، واستفسر من وكيل الخارجية عن ما إذا كانت اللحظة مناسبة للحصول على موافقة فرنسا مقابل إلغاء إعلان عام ١٢٧٨هـ / ١٨٦٢م البريطاني الفرنسي<sup>(٤٤)</sup>.

قام السيد فيصل بإرسال قوات برية إلى ظفار للقضاء على التمرد - كما ذكرنا - ولكنها فشلت في استرداد القلعة، ولذا فقد قام السلطان بتقويض الوكيل السياسي البريطاني بإنهاء المشكلة بشكل ودي، وتم إرسال سفينة بريطانية إلى مسقط لنقل المندوب البريطاني إلى ظفار، وأخذت الحكومة الفرنسية تتابع باهتمام عملية التدخل البريطاني تحت ستار

القضاء على التمرد، ولقد أبلغ «أوتافى» وزير خارجيته بالتحرك الإنجليزي، وأرسل معلومات تفيد أن الوكيل السياسى البريطانى فى مسقط والمقيم البريطانى فى الخليج، ذهباً استجابة لطلب السلطان فيصل مع سفينتين حربيتين إلى ظفار، وذلك بهدف قمع التمرد فيها<sup>(٤٥)</sup>.

لقد أدى التدخل البريطانى فى ظفار إلى فتح باب المفاوضات الفرنسية البريطانية، وبناء على طلب التوضيح الذى قدمه السفير الفرنسى فى لندن حول هذا الموضوع، أفاد وزير الخارجية البريطانية، بأن إرسال السفن الإنجليزية إلى ظفار تم بعد إلحاح من سلطان مسقط، وكانت الحكومة البريطانية قد ترددت فى بادئ الأمر فى إرسال أية مساعدات إلى هناك<sup>(٤٦)</sup>. ولكن خشية البريطانيين من أن يلجأ سلطان مسقط إلى طلب المساعدة من قوة أخرى، إضافة إلى نوافع أخرى تهم المصالح البريطانية فى المنطقة، رأت بريطانيا أنه من المصلحة دعم سلطان مسقط ومساندته للقضاء على تمرد ظفار.

هكذا استطاع السيد (فيصل) الصمود والبقاء فى الحكم رغم ما تعرض له من مشكلات، وبخاصة ثورة عام ١٢١٢هـ / ١٨٩٥م والهجوم على مسقط، وما خلفته من آثار سلبية على الاقتصاد العماني، وثورة ظفار التى جاءت بعدها، والواقع أن هذه الثورات عملت على تصعيد المنافسة البريطانية الفرنسية فى مسقط وما حولها، ورغم الجهود التى بذلتها فرنسا ونائب القنصل الفرنسى فى مسقط (أوتافى)، إلا أنه لم يستطع أن يزعزع من هيبة النفوذ البريطانى فى مسقط، كما أن تلك الثورات قد أزاحت الستار



عن أطماع بريطانيا فى المنطقة، التى عمل الإعلان الأنجلوفرنسى عام ١٢٧٨هـ / ١٨٦٢م على الحد منها بشكل كبير.

ورغم ضالة الدعم والتأييد الفرنسى للسلطان إبان الأزمات التى تعرض لها، إلا أن بريطانيا شعرت بتساهل سلطان مسقط وميله تجاه الفرنسيين، والواقع أن الشيخ (عبد العزيز الرواحى) - الذى سبق ذكره - قام بدور كبير فى توثيق أواصر الصداقة بين سلطان مسقط وفرنسا، وفتح الباب أمام الفرنسيين لتعزيز موقفهم فى مسقط لدرجة أدت إلى رفع صلاحيات نائب القنصل فى عام ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م إلى رتبة قنصل<sup>(٤٧)</sup>، وكان فى ذلك فرصة لإعادة اهتمامها بهذه المنطقة الحيوية، وقد تمكنت فرنسا بالفعل من تحقيق بعض المكاسب من السلطان، غير أن حكومة الهند البريطانية لم تقف متفرجة أمام تنامى النفوذ الفرنسى فى مسقط، بل تصدت له بقوة.

لم تتراجع فرنسا أمام الضغوط البريطانية، ولم تقبل برضوخ السلطان للتهديد البريطانى، بل أصرت على حقها فى الامتيازات التى حصلت عليها، مستندة إلى تصريح عام ١٢٧١هـ / ١٨٦٢م. ونظرا لأن بريطانيا فى تلك الفترة تعاني من مشاكل فى مناطق أخرى، فقد اضطرت إلى التخلّى عن الصلابة فى معالجة مشكلاتها مع فرنسا، وضرورة تسوية الأمور بينهما بشكل تفاوضى وودى من خلال تسوية المشكلات السياسية بينهما.

## الهوامش

(١) إن سلاطين مسقط خلال الفترة التي تغطيها هذه الدراسة ليس لهم نفوذ قوى في عمان الداخل، بل ارتكز نفوذهم في مسقط ومعظم المدن الساحلية، والواقع أن السلطة في مسقط كان نفوذها يتأرجح بين القوة والضعف في داخل عمان حتى قبل تاريخ هذه الدراسة، وذلك أثر الخلاف الذى نشب بين أبناء الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدى ١١٦٢ - ١١٩٨هـ / ١٧٤٩ - ١٧٨٣م مؤسس أسرة البوسعيد الحاكمة في عمان الآن، ثم ثورة حمد بن سعيد بن أحمد على أبيه الإمام عام ١٢٠٤هـ / ١٧٨٩م ليتفرد بالحكم، وينقل مقر السلطة من الرستاق إلى مسقط لأول مرة، كما بسط سلطة الدولة على معظم ما كان تحت سلطة أبيه الذى بقى بالرستاق، ومن هذا التاريخ بدأت ملامح ثنائية الحكم في عمان، فأصبح هناك السلطة الرسمية ذات الحكم الوراثى والتي مقرها مسقط وعادة ما تسيطر نفوذها على مدن الساحل والمعارضون من دعاة الإمامة الإباضية التى يطغى عليها الطابق البينى بالداخل، وتخلّى حمد بن سعيد عن لقب الإمام وتلقب بالسيد أو السلطان الذى أصبح لقباً لكل الذين خلفوه من حكام مسقط.

انظر : حميد بن محمد بن رزيق، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعديين، تحقيق عبد المنعم عامر ومحمد مرسى عبد الله ، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط ١٣٩٨هـ / ١٩٧٧م، ص ٤٠١ وما بعدها.

(٢) بعد انفصال زنجبار رسمياً عن عمان حيث أصبحت سلطنة مستقلة وذلك عام ١٢٧٧هـ / ١٨٦١م تحت إشراف بريطانيا التى تولت التحكيم فى النزاع الذى نشب بين أبناء السيد سعيد بن سلطان البوسعيدى بعد وفاته عام ١٢٧٣هـ /

١٨٥٦م، بعد هذا الانفصال اتفقت كل من بريطانيا وفرنسا في إعلان مشترك عام ١٢٧٨هـ / ١٨٦٢م تعهدتا فيه على احترام استقلال سلطاني مسقط وزنجبار. ولزید من التفصیل انظر :

(I.O.R) L/P & 5/18/B. 118, Memo, conciusion of the declartion wit France as to Muscat in 1862 and the Aquisition of Gwader by Muscat.

سلطان بن محمد القاسمي، تقسيم الإمبراطورية العمانية ١٨٥٦ - ١٨٦٢م، الطبعة الأولى، مؤسسة البيان، دبي ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

(٣) محمود علي الداود، الخليج العربي والعلاقات الدولية، ١٨٩٠ - ١٩١٧م، ج١، معهد الدراسات العربية، القاهرة ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م، ص ٨٧.

(٤) جون ب. كيلى، بريطانيا والخليج ١٧٩٥ - ١٨٧٠م، ترجمة محمد أمين عبد الله، ج٢، وزارة التراث القومي والثقافة بعمان، مسقط ١٩٦٥م، ص ٢٧٣.

(٥) عبد العزيز نوار، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم منحت باشا، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م، ص ٣٠٧.

(٦) هو السيد ثويني بن سعيد الابن الثالث للسيد سعيد بن سلطان، ولد في عام ١٢٣٥هـ / ١٨٢٠م، ونشأ في عمان ولم ير زنجبار على الإطلاق، عينه أبوه نائباً له في عمان، وذلك عندما قرر الإقامة الدائمة في زنجبار، وأصبح أول سلطان لعمان بعد انفصال زنجبار عن عمان عام ١٢٧١هـ / ١٨٦١م، واستمر حكمه إلى أن قتله

ابنه سالم بن ثوينى فى رمضان عام ١٢٨٣هـ/ فبراير ١٨٦٦م. لمزيد من التفصيل انظر : السيدة سالة بنت السيد سعيد، مذكرات أميرة عربية، ترجمة عبد المجيد حسيب القيسى، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م. عبد الله بن صالح الفارسى، البوسعيديون حكام زنجبار، ترجمة محمد أمين عبد الله، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

(٧) الدولة السعودية الثانية ١٢٥٦ - ١٣٠٩هـ/ ١٨٤٠ - ١٨٩١م، والتي نجحت فى مد نفوذها إلى بعض نواحي عمان بدرجة كبيرة، حيث استطاعت قواتها التوغل داخل الاراضى العمانية ابتداءً من عام ١٢٦١هـ/ ١٨٤٥م، حتى كادت تستولى على العاصمة مسقط ومدينة صحار لولا وقوف بريطانيا إلى جانب السيد ثوينى بن سعيد، واضطر والى صحار إلى دفع الزكاة لقائد القوات السعودية سعد بن مطلق المطيرى، وظل النفوذ السعودى فى عمان بين مد وجزر وبخاصة فى منطقة (البريمى) حتى نشب النزاع على الحكم بين أبناء الإمام فيصل بن تركى وسقوط الدولة السعودية الثانية عم ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م. لمزيد من التفصيل انظر :

عبد الفتاح حسن أبو عليّة ، الدولة السعودية الثانية ١٢٥٦ - ١٣٠٩هـ/ ١٨٤٠ - ١٨٩١م، مؤسسة الانوار للنشر والتوزيع، الرياض ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

(٨) هو عزان بن قيس بن عزان بن قيس بن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدى، كان والياً على بلدة الرستاق من قبل السيد ثوينى، وقع عليه اختيار دعاة الإمامة الإباضية الذين ثاروا على السيد سالم بنى ثوينى، واستولوا على مسقط وعقدوا له البيعة إماماً لعمان، واستطاع السيطرة على معظم أجزاء عمان خلال الفترة ١٢٨٥ - ١٢٨٧هـ/ ١٨٦٨ - ١٨٧١م، ولكنه أمضى هذه الفترة فى محاولة لكبح

جماح معارضيه في الداخل والخارج، حتى سقطت الإمامة، وقتل عزان بن قيس خلال صراعه مع تركي بن سعيد بن سلطان البوسعيي، وبموته انهارت الإمامة، وظلت منهارّة حتى عام ١٣٣١هـ / ١٩١٣م. لمزيد من التفصيل انظر :

نور الدين عبد الله بن حميد السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، حققه وعلق عليه أبو إسحاق إبراهيم طفيش الجزائري الميزابي، ج٢، مطبعة الشباب، الطبعة الثانية، القاهرة ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م.

(٩) هو السيد تركي بن سعيد بن سلطان البوسعيدي الابن الخامس للسيد سعيد بن سلطان، كان على خلاف مع أخيه السيد ثويني، غادر عمان إلى إقليم جوادر بالهند، وأصبح بذلك تحت تأثير الإنجليز، الذين وجدوا أنه الشخص المناسب لمقاومة الإمامة الإباضية، عندما دعموه عسكرياً واستولى على مسقط عام ١٢٨٧هـ / ١٨٧٩م، ومن ثم تصدى لقوات الإمامة حتى قتل الإمام عزان بن قيس وانهارت الإمامة، وقد تولى الحكم خلال الفترة ١٢٨٧-١٣٠٥هـ / ١٨٧٩-١٨٨٨م لمزيد من التفصيل انظر: السالمي، تحفة الأعيان، ج٢.

Serv. Hist. Marine , BB4, Extrait De Divers Rapports(١٠)  
Adresses par le Lieutenat de Vaisseau Alquier, Capitaine  
du bruat, au chef de la division des cotes orientales  
d'Afrique. Mascate, le 27 fevrier 1870, BB4. 888, f. 435.

(IOR) R/ 15/6/36, from G.B. to G.I, 17, february, 1869. (١١)

(IOR) R/ 15/6/36, News Report of 20 August, 1871; (١٢)

السالمي ، تحفة الأعيان، ص ٢٢٦.

Serv. Hist. Marine , BB4, 969, doc. n. 2028, lettre ~~du~~ (١٣) capitaine de Gregate loger, commandant le du couedic, au Ministre de le marine Bombay le 23 Mars 1873.

Serv. Hist. Marine , BB4, 96, doc., n. 1787, commandant (١٤) la ctorinde. Au Ministre de la merine lettre du capitaine de Vaisseau lafont. Bombay, le Mars 1874.

(١٥) عائشة بنت علي المسند، التنافس البريطاني الفرنسي حول عمان ، ١٢١٣- ١٣٢٢هـ / ١٧٩٨ - ١٩٠٤م. رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب للبنات بالرياض ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ص ٢٢٨.

(١٦) (IOR) R/ 15/6/36, lettre to S.S.I., no. 52, dated 16 April 1873; (IOR) R/ 15/6/36, from G.B. to G. to P.R., 9 June 1873.

روبرت جيران لاندان، عمان منذ ١٨٥٦م مسيراً ومصيراً، ترجمة محمد أمين عبد الله، وزارة التراث القومي والثقافة بعمان، مسقط ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٢٩٣.

المعونة السنوية: هي التي تمخضت عن التحكيم في الخلاف الذي نشب بين أبناء السيد سعيد بن سلطان بعد وفاته، ذلك التحكيم الذي نتج عنه قرار تقسيم الإمبراطورية العمانية، والذي ألزم سلطان زنجبار بدفع معونة سنوية لسلطان مسقط مقابل موافقته على قرار التقسيم، وقد استخدمت بريطانيا هذه المعونة وسيلة ضغط على سلاطين مسقط، وكان مقدارها ٤٠,٠٠٠ كراون تدفع سنوياً، غالباً ما يتأخر

دفعها في موعدها، إما بسبب الاضطرابات في عمان أو بسبب الضغوط السياسية البريطانية علي كل من مسقط و زنجبار. لمزيد من التفصيل انظر :

القاسمي، تقسيم الإمبراطورية العمانية، ص ٢٧١ وما بعدها.

Serv. Hist, Marine, BB4, 1125, Lettre du capitaine de la (١٧)  
Batie, Commandant le bissonne au capitaine de Vaisseau  
vallon, commandant station de la mer des indes Mascate,  
le 25 Janvier 1880.

Serv. Hist., Marine, BB4, interests Generaux de la (١٨)  
France dans la Mer des indes par le capitaine de Vais-  
seau Vallon, Ancien commandant de la station de la mar  
des Indes. Mirepix, le 2 Mars 1882.

(IOR) R/ 15/6/14, diary of the Muscat Political.Agency(١٩)  
1881 - 1889 ; (IOR) R/ 15/6/36, Muscat to P.R., 2  
August 1885.

(٢٠) ولد السيد فيصل عام ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م تقريباً، وهو ثاني أبناء السيد تركي  
الثلاثة، وكان والده يؤثره علي أخوته، تولى الحكم وعمره ٢٤ عاماً، يصفه  
المؤرخون الإنجليز بالكسل والجهل بينما يصفه المؤرخون العرب الحزم وحسن  
السياسة، ومرد هذا التناقض أن المؤرخين الإنجليز وصفوا شخصيته من خلال  
تعامله معهم، حيث إنه حاول التحلل من قبضة السياسة البريطانية عدة مرات، كما

حاول خلق أيضا نوع من التوازن بين القوى المختلفة في عمان، فهم بذلك يعبرون عن وجهة نظر السلطات البريطانية، فالسيد فيصل أبى في أول فترة حكمه أن تكون سلطته مجرد امتداد لحكم والده، وأما المؤرخون العرب فقد باركوا فيه تطلعه إلى أن يصبح سيد دولة موحدة، مستقلة استقلالاً حقيقياً، ومتحررة من أى نكود أجنبى، ولكن يبدو أنه لم يصمد على هذه السياسة، فالضغوط كانت أقوى مما يملكه من إمكانيات سياسية واقتصادية. انظر :

السالمى، تحفة الأعيان ، ج٢، ص ٢٣٦، خير الدين الزركلى، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج٥ ، دار العلم للملايين، بيروت ١٤٠٩هـ / ١٩٧٩م، ص ١٦٤، لوريير ، ج.ج. دليل الخليج، القسم التاريخى، ج٢، ترجمة مكتب الترجمة ديوان حاكم دولة قطر، الطبعة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م، ٨٠٧.

(IOR) R/15/6/50, P.A. Muscat to P.R., 17 November (٢١)  
1889.

(British Museum) 1s/ 58/20, 1-6. (٢٢)

المعاهدات والمقاولات الجارية فيما بين دولة بريطانيا وسلطين مسقط ١٢٦١ -  
١٣٣٢هـ / ١٨٣٥ - ١٩١٣م.

(٢٣) جورج كيرك، موجز تاريخ الشرق الأوسط، ترجمة عمر الإسكندراني، راجعه سليم حسن، مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م، ص ١٣١.

(٢٤) أوتافى سياسى فرنسى كان يعمل فى القنصلية الفرنسية فى زنجبار، كما عمل



في بعض موانئ الخليج فترة ليست قصيرة مما أكسبه دراية في اللغة العربية، ومهارة في التعامل مع العرب، وقد أظهر براعة دبلوماسية ونشاطاً كبيراً. وهكذا أصبح خصماً عنيداً للممكتين البريطانيين في سلطنة مسقط . انظر :

عبد العزيز عبد الغنى إبراهيم، سياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج العربي ١٢٧٥ - ١٣٣٣هـ / ١٨٥٨ - ١٩١٤م، مطبوعات دار الملك عبد العزيز، الرياض ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٢٧٦؛ لاندان، عمان منذ ١٨٥٦م مسيراً ومصيراً، ص ٢٩٢.

A.A.E., NS Mascate, vol. I, F 23, A. 26, Mascate : Nos(٢٥)  
Jroits et les convoitises Angleises, Raport Fait Par M.  
ottavi, vice-consul de France a Mascate. le 7 Nobemre  
1892.

A.A.E., vol. I. f 23 A26 lettre de M. addington, (٢٦)  
Ambassadeur de France Alondres A. m Ribot, Ministre  
des Londres. le 29 Nonember 1892.

A.A.E., NS Mascate, vol. 19, note de la direction des (٢٧)  
consulats et des Affaires commerciales AM. Hanotaux,  
directer des Affaires Politiques 1893.

(٢٨) المسند، مرجع سبق ذكره، ص ٢٢٨ - ٢٢٩.

A.A.E., NS Mascate, vol. 37, F 100-101, Depeche de M. (٢٩)  
Ottavi, vice - consul de France A M Mascate, Au  
Ministre des, A.A.E. Mascate , le 5 aout 1894. 8.

(٣٠) اندلعت الثورة في شعبان عام ١٢١٢هـ/ فبراير ١٨٩٥م إثر خلاف تشب بين السيد فيصل بن تركي سلطان مسقط، والشيخ صالح بن علي الحارثي، يندرج تحت الخلاف القديم الذي كان قائماً بين عمان الساحل وعمان الداخل، أو بين السلاطين ودعاة بعث الإمامة الإباضية، إضافة إلى استفحال التدخل الإنجليزي في شؤون السلطنة، وقد بلغت هذه العداوة بين الإقليمين أوجها حين قطع السيد فيصل الموارد التي كانت تصل إلى أقاليم الداخل، ويذكر أيضاً أن من أسباب هذه الثورة تحريض سلطان زنجبار على الثورة ضد السيد فيصل، واستطاع الثوار السيطرة على أجزاء كبيرة من مسقط لمدة ثلاثة أسابيع، تمكنوا خلالها من الحصول على كثير من مطالبهم من السلطان بعد الوساطة البريطانية، ولكن مسقط وتجارها تلقت ضربة كبيرة وخسارة مادية، لمزيد من التفصيل انظر : السالمي، تجفة الأعيان، ج٢، ص ٢٢٧؛ R/15/6/37., the (IOR) Rellion of 1895.

Ibid. (٣١)

(٣٢) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم ، سياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج العربي، ص ٢٧٦؛ أرنولد ويلسون، تاريخ الخليج، ترجمة محمد أمي عبد الله، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، ص ١٧٧.

A.A.E., NS Mascate, vol. I, F 162, A.164., lettre de vice (٣٣)  
- consul de France A Mascate au ministre des -A.A.E.,  
Mascate le 26 Mars 1895.

Ibid. (٣٤)

(٣٥) المسند، مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٥ - ٢٦٦.

(٣٦) (IOR) L/P & 5/20/C 245 precis of Muscat Affairs , p. 71.

(٣٧) المسند، مرجع سبق ذكره، ص ٢٧٥ - ٢٧٦.

(٣٨) (IOR) L/P & 5/20/c 245. precis of Muscat Affairs, p. 60;

جمال قاسم ، الخليج العربى ١٨٤٠ - ١٩١٤ هـ، مطبعة جامعة عين شمس،  
القاهرة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، ص ٣٦١؛ فؤاد سعيد العابد، سياسة بريطانيا فى  
الخليج ١٨٥٣ - ١٩١٤م، ج٢، منشورات ذات السلاسل، الكويت ، د.ت، ص ٦٨.

(٣٩) المعاهدة المذكورة هى التى عقدها السلطان فيصل مع بريطانيا، ومنذ أن عرفت  
فرنسا بهذه المعاهدة وهى تسعى لمحاولة إبطالها، أو مساواتها بها، نظراً لما  
تحويه من أمور تتعارض ولتصريح البريطانى الفرنسى لعام ١٢٧٨هـ/ ١٨٦٢م  
الخاص باستقلال كل من مسقط وزنجبار. لمزيد من التفصيل عن هذه المعاهدة  
انظر:

(IOR) R/15/36, Signature of H.H. feysal, 19 march 1891;

جمال قاسم، الخليج العربى ١٨٤٠ - ١٩١٤م، ص ٣٥٢ وما بعدها.

A.A.E., Lettre de vice - consul France A Mascate le 25(٤٠)  
Mars 1895.

(IOR) R/15/6/38, Political Agency. (٤١)

(٤٢) مشكلة ظفار أو تمرد ظفار هو الثورة التى قامت بها معظم قبائل ظفار بزعامة  
الكثيرين من سكان الجبال ضد سلطة السيد فيصل، وذلك فى عام ١٣١٣هـ/  
أواخر ١٨٩٥م، حيث قتل عدد من رجال السلطان وهرب الوالى، وحاول السلطان

فيصل إخماد هذه الثورة، حيث أرسل مائة جندي، ولكنهم ردوا على أعقابهم بالقرب من صلالة، وخشيت السلطات البريطانية أن تتطور هذه الأحداث بشكل قد يؤدي إلى تدخل العثمانيين، فأرسلت بتأييد من السلطان وكيلها السياسي في مسقط للتوسط بين الطرفين، وأستمرت المفاوضات بين الثوار والبريطانيين ومن ثم السيد فيصل حتى منتصف عام ١٣١٤هـ / ١٨٩٧م عندما سريت جميع الأمور المختلف عليها.

وظفار تقع على ساحل حضرموت في الطرف الجنوبي الغربي لعمان. انظر :  
لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج٢، ص ٩٠٠ وما بعدها.

Bailey, R.W., Records of Oman, 1867 - 1947, Farnham (٤٣)  
common, Buckunhamshire, England, 1988, p. 9.

(IOR) R/15/6/38, lettre from India office to froeign of- (٤٤)  
fice, 1 July 1896.

A.A.E., NS Mascate, vol. 1, f 103, lettre de ministre des. (٤٥)  
A.A.E., au Ambassadeur de France A Londres, Paris le 3  
Jul 1896.

A.A.E., NS Mascate , vol. 36, F.R.P.G., XV-110-111, (٤٦)  
lettre de vice consul France A Mascate au ministre des  
A.A.E., Mascater le 17 aout 1896.

(IOR) L/P & 5/20/c 245, op. cit., p. 17-18. (٤٧)

## فهرس المصادر والمراجع

أولا : الوثائق :

١ - وثائق غير منشورة من سجلات مكتب الهند :

### India Office Records (IOR) :

- (IOR) R/15/6/36, from G.B. to G. I, 17 February 1869.
- (IOR) R/15/6/36, newsreport of 20 august 1871.
- (IOR) R/15/6/36, lettre to S.S.I., no.52 dated 16 abril 1873.
- (IOR) R/15/6/36, G. I to P.R., 9 June 1873.
- (IOR) R/15/6/36, diary of the Muscat political agency 1881- 1889.
- (IOR) R/15/6/36, P.A., Muscat to P.R., 2 august 1885.
- (IOR) R/15/6/50, P. A., Muscat to P.R., 17 november 1889.
- (British Mueseum ) 1s/ 58/20, 1-6.
- المعاهدات والمقاوالات الجارية فيما بين دولة بريطانيا وسلاطين مسقط (١٢٦١ - ١٣٢٢هـ / ١٨٢٥ - ١٩١٢م).
- (IOR) R/15/6/37, the Rebellion of 1895.

- (IOR) R/15/6/38, political Agency Muscat.
- (IOR) R/15/6/38, lettre from India office to foreign office, 1 July 1896.

٢- المذكرات السياسية والملفات السرية وأوراق شخصية من وزارة الهند :

- (IOR) L/P & S/18/B 118, Memo, conclusion of the Declaration with France as to Muscat in 1862 and the Acquisition of Gwader by Muscat.
- (IOR) L/P & S/20 / c 245, precis of Muscat Affairs.
- (IOR) L/P & S/111/531, Lord Curson's papers.
- (IOR) L/P & S/10/B 110, Arms Traffic.
- (IOR) L/P & S/10/B 182, Arms Traffic Persian Gulf, february 1911.

٣- وثائق غير منشورة من وزارة الخارجية الفرنسية (Aff-Etr) :

- A.A.E., Annexe. 15, pp. 119-120, le 20 juin 1893.
- A.A.E., NS. vol. I.F., 23 A. 26 le 7 novembre 1892.
- A.A.E., vol. I. F. 23, A, 26, le 29 novembre 1892.
- A.A.E., vol. 19, 1893.

- A.A.E., NS, le 25 Mars 1895.

- A.A.E., NS, vol. I, A. 164, F. 162, le 26 mars 1895.

- A.A.E., NS. Le 17 aout 1896.

٤- وثائق البحرية الفرنسية (Serv Hist Mar) :

- BB. 4, 888, f. 435, le 27 fevrier 1870.

- BB.4, 969, doc. N. 2028, le 23 Mars 1873.

- BB.4, 969, doc. N, 1787, le 1 Mars 1874.

- BB.4, 1125, doc. N. 2410, le 25 Janvier, 1880.

- BB.4, 1156, doc. N, 2613, le 2 Mars 1882.

المصادر والمراجع العربية :

- أرنولد ويلسون ، تاريخ الخليج، ترجمة محمد أمين عبد الله، وزارة التراث والثقافة  
بعمان، مسقط ٩-١٤هـ / ١٩٨٨م.

- حميد بن محمد بن رزيقي، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، تحقيق عبد  
المنعم عامر ومحمد مرسى عبد الله، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط  
١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

٣- جون - ب. كيلي، بريطانيا والخليج ١٧٩٥ - ١٨٧٠م، الجزء الثاني ، ترجمة محمد  
أمين عبد الله، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.

٤- جمال قاسم، الخليج العربى ١٨٤٠ - ١٩١٤م، مطبعة جامعة عين شمس، القاهرة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦١م.

٥- جورج كيرك، موجز تاريخ الشرق الأوسط، ترجمة عمر الإسكندراني، راجعه سليم حسن، مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م.

٦- سائلة بنت السيد سعيد، مذكرات أميرة عربية، ترجمة عبد المجيد حسيب القيسى، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٧- سلطان بن محمد القاسمي، تقسيم الإمبراطورية العمانية ١٨٥٦ - ١٨٦٢م، الطبعة الأولى، مؤسسة البيان، دبي ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٨- روبرت جيران لاندان، عمان منذ ١٨٥٦م مسيراً ومصيراً، ترجمة محمد أمين عبد الله، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٩- عبد الله بن حميد السالمى، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، حققه وعلق عليه أبو إسحاق إبراهيم طفيش الجزائرى الميزابى، الجزء الثانى. مطبعة الشباب، الطبعة الثانية، القاهرة ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م.

١٠- عبد الله بن صالح الفارسى، البوسعيديون حكام زنجبار، ترجمة محمد أمين عبد الله، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

١١- عبد العزيز عبد الغنى إبراهيم، سياسة الأمن لحكومة الهند فى الخليج العربى ١٢٧٥ - ١٣٣٣هـ/ ١٨٥٨ - ١٩١٤م، مطبوعات.

١٢- عبد العزيز نوار، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.



١٣- عائشة بنت علي المسند، التنافس البريطاني الفرنسي حول عمان ، ١٢١٣-  
١٣٢٢هـ/ ١٧٩٨ - ١٩٠٤م. رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب للبنات  
 بالرياض ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

١٤- فؤاد سعيد العابد، سياسة بريطانيا في الخليج العربي ١٨٥٢ - ١٩١٤م، الجزء  
الثاني، منشورات ذات السلاسل، الكويت ، د.ت

١٥- لوريمر ، ج.ج. دليل الخليج، القسم التاريخي، الجزء الثاني والسادس ، ترجم  
وطبع على نفقة الشيخ الخليفة بن حمد آل ثاني حاكم دولة قطر، النوحة ١٣٨٧هـ/  
١٩٦٧م، ٨٠٧.

١٦- محمود علي الداود، الخليج العربي والعلاقات النولية، ١٨٩٠ - ١٩١٧م، ج١،  
معهد الدراسات العربية، القاهرة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

- Bailey, R.W., Records of Oman, 1867 : 1947, Farnham  
common, Buckunhamshire, England, 1988.

- Kumar, R., India and the persian Gulf region,  
(Bombay, 1965).



# نقوش عربية من منطقة

## حسمى بتبوك

### بقلم

د . سليمان بن عبد الرحمن الذيب

جامعة الملك سعود - كلية الآداب

أستاذ مشارك - قسم التاريخ

د . عبد الله آدم نصيف

جامعة الملك سعود - كلية الآداب

أستاذ مشارك - قسم الآثار والمتاحف



## نقوش عربية شمالية من منطقة حسمى بتبوك

### ملخص البحث :

يتضمن هذا البحث دراسة تحليلية لمجموعة من النقوش المعروفة بالثمودية والتي عثر عليها من ثلاثة مواقع في شمال غرب المملكة العربية السعودية. وقد تم في هذا المقال مناقشة الأعلام الواردة فيها .

تقع هضبة حسمى في الجزء الشمالي من منطقة تبوك الإدارية حيث تشمل على عدد من المواقع الأثرية ذات العمق والبعد الحضاري . وقد دلت الدراسات الميدانية الحديثة (١) على التاريخ الحضاري الموهل في القدم لهذه المنطقة التي لعبت دوراً متميزاً ، لموقعها الإستراتيجي ، حيث كانت البوابة الشمالية لشبه الجزيرة العربية ، مما جعلها محط أنظار الرحالة والباحثين الذين أثروا بمنشوراتهم وأبحاثهم معلوماتاً عن المنطقة (٢) وقبل الولوج إلي دراسة هذه المجموعة من النقوش المعروفة بالثمودية نرى من الضروري إعطاء نبذة موجزة عن الدراسات التي تمت عن النقوش المعروفة بالثمودية في هذا الجزء الشمالي من منطقة تبوك الإدارية ، فقد كانت البداية من قبل الرحالين الفرنسي هوبر Huber والألماني أويتنج Euting اللذين تمكنا من استنساخ ستة نصوص ، وزاد هوبر نصاً سابعاً هو النقش رقم (Hu496) (٣) . ثم قام الباحث موريتز Moritz بنشر دراسة لنقشين ثموديين من موقع قرية (٤)

(١) انظر بهذا الخصوص إلى نتائج المسح الأثري الذي قامت به الإدارة العامة للأثار والمتاحف ضمن التقرير المعد ، الذي ثبت وجود عدد من المواقع العائدة إلى العصر الحجري القديم في منطقة تبوك ، إلا أن المسح لم يثمر عن الكشف عن مواقع تعود إلى هذا العصر في منطقة حسمى التي وجد بها معثورات ومخلفات تدل على تولد استيطاني بسيط خلال العصر الحجري الحديث (انظر فجرامام ، مايكل ، جونسون ، تيودور ، الريحاني ، نسيم . ، " التقرير الميداني عن مسح المنطقة الشمالية الغربية (مع لمحة موجزة عن مسح المنطقة الشمالية) " لطلال ، ٥ (١٤٠١هـ / ١٩٨١م) ، ص ٦٠ .

(٢) بخصوص الرحالة الغربيين الذين قاموا بزيارة للمنطقة (انظر فجرامام وآخرون . ، لطلال ، ٥ (١٤٠١هـ / ١٩٨١م) ، ص ٥٤) . وبخصوص الدراسات الميدانية ذات العلاقة بدراسات المعثورات الفخارية (انظر الغزي ، عبد العزيز سعود . ، "تاريخ وتأسيس فخار فترة لواخر العصر البرونزي وأوائل العصر الحديدي " المدون : الإقليم الشمالي الغربي ، المملكة العربية السعودية " ، العصور ، مج ٨ ، الجزء الأول (١٩٩٣) ص ١٠٨ .

(٣) جاءت هذه النصوص من موقعين الأول : لعرق el-Areq وحوى ثلاثة نصوص هي : Hu 496 = Eut 684+685 = 347 = Hu 497 = 374 = الموقع الثاني Ha'at el-Qanic وقد جاء منه نصين ، هما : Hu 498 = 365 = Eut 686 ; Hu 499+500 = Eut 365:2+366:1

(٤) Moritz, R., "Ausflüge in der Arabia Petraea III ; in Melanges de la Faculte Oriental, Universite de St Joseph, Beirut, 3(1908), 4,6.



وتلا ذلك قيام إدارة الآثار والمتاحف السعودية عام ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م بمسح للمنطقة المعنية وتمكنت خلاله من رصد ما يصل إلى ٥٧٨ نصاً ثمودياً جاءت من عدد من المواقع ، نُشر منها خمسة وعشرون نصاً (١) . ثم تمكن سليمان عبد الرحمن الذيب من دراسة ستة عشر نقشاً جديداً من موقع تُبحو الواقع على بعد ٢٠٠ كيلو متر إلى الشمال الغربي من تبوك ، منها ستة نصوص ثمودية (٢) . وقام العديد من الباحثين بمراجعة دراسة بعض هذه النقوش مثل الكندي ونيت Winnett الذي أعاد دراسة مائة وستين نصاً ثمودياً ، منها أربعة عشر جاءت من هذه المنطقة (٣) ، والألماني ليمان Littmann الذي أعاد دراسة ما مجموعه مائة وثمان وخمسون نصاً ثمودياً ، منها أربعة عشر نقشاً عرفت في هذه المنطقة (٤) والبلجيكي فان دن براندين الذي رتب وأعاد دراسة جميع النصوص المنشورة حتى عام ١٩٥٠م والتي بلغت نحواً من ألفي نص قصير منها حوالي مائة وستون نصاً

(١) ليفنجستون ، اليمستر ، مجيد خان ، الزهراني ، عبد الرحمن ، السلوك ، محمد ، لشلمان ، سليمان ، "حصر وتسجيل النقوش الصخرية ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م" ، اطلال ، ٩ (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ، ص ص ١٣٥، ١٣٨-١٤١ ، وقد حاب هذا المقال العديد من الشواهد التي قللت من الجهد المبذول ، فلم تقدم البعثة خريطة تفصيلية موثقة لمواقع النقوش حتى لا تختلط الأمور بين ما تم نشره من قبل الرحالة الغربيين الذين زاروا المنطقة وعمل الإدارة ، بالإضافة إلى عدم اقتناع المنهجية العلمية في دراستهم للنقوش ، مثل عدم إرفاق رسومات للنقوش المدروسة من قبلهم ، وكذلك القراءات الخاطئة لعدد منها (انظر مثلاً ٢٠٠ - ص ١١١ لوحة ١٢٢ ص ١٣٨ المقروء ول ت هـ ت ، "ويوسطة تأملات" والصحيح أن القراءة هي "والة (بن) م هـ ت" .  
(٢) للذيب ، سليمان عبد الرحمن ، "نقوش عربية شمالية من تبحر شمال غرب المملكة العربية السعودية" ، دراسات ، مج ٢٤ ، عدد ٢ (١٩٩٧) ، نق ١، ٢، ١٢، ١٣، ١٥، ١٦.

(٣) Winnett, F. A. Study of the Lihyanite and Thamudic Inscriptions, Toronto: The University of Toronto Press (1937), JS749 = Winnett, p.39; JS638 = Winnett, p.40; JS 698, 670, 728 = Winnett, p.42; JS629, 630, 832, 661 = Winnett, p.43; JS.706, 726, 754 = Winnett, p.44; JS707 = Winnett, p.54.  
(٤) Littmann, Enno., Thamud und Safa: Studien zur Altmordabrischen Inschriftenkunde, Leipzig: Kraus Reprint LTD, (1940), JS 655 = Littmann, Safa, 82, 656 = 25; 658A = 149; 665 = 83, 670 = 142, 685 = 2, 707 = 31, 726 = 22, 728 = 141, 690 = 30, 698 = 140; 749 = 21; 758 = 23.



جاءت من شمال تبوك الإدارية (١)، ثم نشر ثلاثة نصوص أخرى لم تتضمن في الكتاب الشامل (٢). وبعد ذلك قام البلجيكي جام Jamme مرتين بإعادة نشر عدد من النصوص الموثوقة، ففي المرة الأولى نشر ما مجموعه واحد وعشرون نقشاً مموياً (٣) ونشر في المرة الثانية نقشاً مموياً واحداً (٤) ثم قام جام سنة ١٩٧٤ بإعادة دراسة ونشر ثلاثة نصوص مموية (٥).

Branden, Van den., Les Inscriptions Thamoudéennes, Louvain-Heverle: (1)  
 Université de Louvain, Bibliothèque du Muséon, vol: 25, (1950), pp. 438 – 474  
 العديد من هذه النصوص سبق نشرها من قبل بعض المختصين.

Branden, Van den, "Les Textes Thamoudeens de Huber et D'Euting", Le<sup>(v)</sup>  
Muséon 69 (1956). (Eut683=Hu496; Eut684=Hu497; Eut685=Hu497) p.133

Jamme, A., "The so - called demonstrative pronouns dn and dt," Thamudic (٢) Studies Washington D. C., (1967) المنشورة من قبل القلميين جوسين وماسانيك وهي (JS 627, 639), p. 20; (JS 644, 653, 573, 725), p. 21 وخمسة عشر نصاً من نصوص فلبس المنشورة من قبل فان دن براندن (وهي (Ph 297:6, 297:7), p. 23; (Ph 298:c, 317:c, 324:b, 324:d, 324:e, 324:f:2, 331:f:3, 33:a), p. 24; (Ph 333: d, 333:e, 345:a, 346: a, 347:h), p. 25. رقم JS 653 المنشور أيضاً من قبل فان دن براندن (انظر Branden, Thamoudeennes, P. 449 كالتالي: "ذ ن ك ل ح (انظر 21, 1967, Jamme) وهي قراءة غير مقبولة ، لأن الشكل الأول ، في الاسم الثاني يقرأ إما هاء وإما سيناً (انظر لوحة النص لدى (Jaussen, Savignac, PL. CL) ولذلك فهو يقرأ: ذ ن م ل ح ، "هذا سلم".

Jamme, A., "Minaean Inscriptions published as Lihyanite," *Miscellanees pncient (É)*  
arabe washington, (1968)p.118.

Jamame, A., "Julius Euting's copies of Thamudic, Minaean and Lihyanite Texts, (6)  
" *Miscellanees pancienr arabe*, v, Washington, D.C. (1974), (Hu 496,

p.81, 497, 498) وقد تلقى جام في النص الأول مع قراءة فان دن براندن (قظر، Branden, p. 438) ولكنه اختلف عنه في قراءة النص الثاني رقم Hu 497 حيث أن قراءة جام كانت: (ل: ا من هـ) (ب: ن) (ك: ت ل ع ب د م ا ت) ، وذلك اعتماداً (كما يدعى) على رسمه لويجي وهو بهذا النص، رغم أنها الرخصة الأقدم ، حيث قام للفرنسيان جوسين وسافنيك بقشر لوحة جديدة وأكثر وضوحاً لهذا النص (قظر Jaussen, Savignac, pl. xxxiv) ، مما مكن فان دن براندن من قراءته بطريقة أكثر قبولاً وهي: (ل: ا من ل هـ ذ ك ر ت ل ت ع ب د ب ن ش هـ ل) "بواسطة أوس الإله ، لتذكر اللات عبد شهل " ، لكننا نفضل قراءة الاسم الأخير هـ ل بدلاً من ش هـ ل ، لأن الحرف الأول وهو شكل خط عمودي يطابق حرف النون في النقوش القثوية المبكرة والمتوسطة. أما القراءة للمعطاة من قبل جام فلا تخرج عن كونها محاولة تأليف لنص غير موجود أصلاً.

وفى محاولة من الكندي وينت لطرح بعض الآراء من خلال بحثه المنشور سنة ١٩٨٥م قام بنشر مجموعة مائة وعشرة نقوش ثمودية منها ثلاثة نقوش وجدت في هذه المنطقة (١). وأخيراً جاءت الإنجليزية كنج وأعادت نشر ما مجموعة مائة وواحد من هذه النقوش المكتشفة في شمال منطقة تبوك الإدارية (٢).

وتعد هذه المجموعة التي يصل عددها إلى ثلاثة عشر نصاً قصيراً والتي عثر عليها في ثلاثة مواقع ، هي الرجوم وعيرين وموقع طور القواس

Winnett, F., "Studies in Thmudic, "Journal of the College of art, King Saud (١) University, vol: 12, Mo:1, (1985), (JS 627, no:73), p.27, (JS 701 = no: 46), p.20, p. 17 (Hu 498 = no: 33), p. 17. ينحو أن النقش رقم ٤٤ وهو المنشور تحت رقم ٥٩٦ عند جوسين وسافنيك، بعد نقشا صنوياً وليس ثمودياً لو نقشا مختلطاً كما ترى كنج (انظر P.629 King)، لاحظ الخطأ في نقل علامات النقش لدى وينت (انظر 4 PL: (Winnett, JCAKS, (1985) حيث أغفل حرف النون الذي ظهر ثلاث مرات في هذا النقش الواضح في رسمته الفرنسيين (انظر Jaussen, Savignac, PL. CXLIX) المقروء كالتالي: ل ي د ع ب ن ق ن ذ ا ل ن م ر و ت ش و ق ف ه ل ت م ل م و ق ب ل ل وليس ق ر ل ل " الليلة الباردة" كما قرئت من وينت وهو القراءة الصحيحة للنص كالتالي بواسطة يدع بن قن من قبيلة نمر واشتقاق فيها اللات السلامة والقبول".

King, G. Early North Arabian Thamudic E: A preliminary description based on (٢) a new corpus inscriptions from the the Hisma desert of southern Jordan and published material, unpublished ph. D thesis, submitted to School of Oriental and African Studies, (1990), (JS 607, 614, 615, 617, 618, 622, 623, 626, 629-631), p. 629; (JS 632, 654-656, 658, 658bis - 661, 664, 665), p. 630; (JS 666- 672, 675- 678, 680, 682), p. 631; (JS 658, 686, 688- 692, 694- 698), p. 632; (JS 699- 703; 705-723, 726), p.635; (Hu 497, 498), p. 626. مختلف عن قراءة لدارسين الآخرين النقش رقم JS 615 المقروء من قبلها كالتالي: ل ع ي ذ ب ن ... والقراءة الصحيحة هي: ل ع ي ر ب ح ب ن " بواسطة عير بن حبن " ، لأن حرف اللذال في النقوش الثمودية المتأخرة يجب أن يكون خطه الأفقي ممتداً مع انحناءه، بينما مثالنا هذا نجد أن الخط قد لامس حرف الباء بطريق الخطأ . وأيضاً النصان رقم JS 668, 678, PL. CLI حيث قرأ الأول من قبلها كالتالي ول ام ل ، والأفضل أن يقرأ : ول (ب) ام ل ، "وقل بن لمل" وكان برقدن قد قرأ الاسم الثاني ام ر (انظر Branden, Thamoudeennes, P. 453) والثاني قرأ من قبل كنج: ل م ش ج ع ت ، "بواسطة م ش ج ع ت" والصحيح أنه نقش ثمودي يعود إلى الفترة المتوسطة وليس المتأخرة ويقرأ: ل م ر ث ع ت "بواسطة ر ث ع ت" . وكذلك النص رقم JS 688 المقروء من قبلها كالتالي: ر م ع ا ت ، مخالفة بذلك القراءة لمعطاة من قبل برقدن (Branden, Thamoudeennes, P. 458) ، لكننا نميل إلى قراءة جوسين وسافنيك اعتماداً على لوحة النقش المرفقة (انظر PL. CLI) والمقروء من قبلها: ب م ع ت " بواسطة م ع ت " ، لمببين الأول أن الشكل الذي قرأه كنج كحرف للأكف ، ليس إلا وسماً ، لأنه يختلف تماماً في أسلوبه عن بقية الأحرف ، الثاني أن الحرف الأول هو شكل للباء التي تعني "بواسطة" وتسبق النقوش الثمودية المتوسطة أو المبكرة . أما النقش رقم JS 747 < 755 فهما نقشان يعودان إلى الفترة الثمودية المتوسطة ، لأن الأول المقروء من قبلها: ل م م ي "ل م م ي" يقرأ بواسطة م ي " والثاني يقرأ كالتالي: ب م ع ا ل ، " بواسطة م عد ل " ، فالأداتان ل م والباء لا تستخدمان إلا في النقوش الثمودية المبكرة أو المتوسطة .

إضافة جديدة لما تم نشره (١) فالموقع الرجوم عُثر فيه على أربعة (نق ١-٤) (٢) وهو يبعد حوالي مائة وثلاثين كيلومتر إلى الشمال الغربي من مدينة تبوك كما يبعد عن حالة عمار المركز الواقع على الحدود السعودية الأردنية بحوالي ثلاثين كيلومتر والموقع الثاني عيرين ، الواقع على بعد ثلاثين متر إلى جنوب مدينة تبوك ، وجد فيه أيضاً أربعة نصوص (نق ٥-٨) وهو عبارة عن جبلين متقابلين يمر بينهما وادٍ . أما الموقع الثالث ، فهو موقع طور القواس الذي يقع أيضاً إلى الغرب من مدينة تبوك على بعد مائة وستين كيلو متر وقد عُثر فيه على النصوص من ٩-١٣ . وقد أضافت هذه المجموعة معلومات عن الأقوام التي استخدمت هذا النوع من الخط المعروف حالياً بالثمودي ، فمن الناحية التاريخية يمكن القول أن هذه القبائل الثمودية التي سطرت هذه الكتابات قد تزايد استيطانها في هذه المنطقة وتحديداً في هضبة حسمى الواقعة حالياً ضمن حدود دولتي السعودية والأردنية بعد انتقالهم من شمال نجد (منطقة حائل)

(١) يعود الفضل إلى اكتشاف هذه المواقع إلى الأستاذ سليمان بن خضر الطوي وهو أحد أهالي المنطقة الذي قام بتقديم قراءة أولية لها ضمن إكماله لمقرر الرسالة القصيرة بقسم الآثار والمتاحف ، جامعة الملك سعود تحت إشراف الدكتور عبد الرحمن الطيب الأمصاري والباحثان يقيمان له جزيل للشكر لتقديم الصور الفوتوغرافية لهما لدراستها ونشرها.

(٢) وكان سعيد خان قد نشر صورة فوتوغرافية جيدة تضمنت النقشين رقمي ١ ، ٢ في مؤلفه المصنوع للرسوم الصخرية لما قبل التاريخ في شمال المملكة العربية السعودية ، الرياض : وزارة المعارف ، الإدارة العامة للآثار والمتاحف ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ، لوحة رقم ٩٩ ، (B) . وقد شتمل هذا المؤلف على العديد من الأخطاء العلمية والمنهجية أدت إلى جعله مؤلفاً لا يعتد به وسنكتفي هنا بلفت النظر إلى الأخطاء الجوهرية غير المفهومة في لوحتي أشكال الأحرف (انظر ص ص ٢٠٦ ، ٢٠٩) فبالإضافة إلى إغفال المؤلف لإضافة شكل حرف الظاء فإن اللوحتين رغم أنهما تشتملان على أشكال الأحرف الثمودية التي أسماها بالبدوية إلا أن الأشكال في اللوحتين تختلفان عن بعضهما البعض . والجدير بالذكر أن المؤلف قد أورد هذه اللوحات لأشكال الأحرف الثمودية البدوية في مؤلفه المترجم من قبل عبد الرحمن الزهرقي والمصنوع ، نشأة وتطور الكتابة في الجزيرة العربية ، الرياض : وزارة المعارف ، الإدارة العامة للآثار والمتاحف ، (١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) ، لوحة ١٩ ، ٢٢ ، وكان عبد العزيز بن سميود الغزوي قد أوضح العديد من الملاحظات المنهجية والعلمية على المؤلف الثاني في مقاله المعلنون " نشأة الكتابة في الجزيرة العربية لمجيد خان " ، عالم للكتب مج ١٥ ، العدد الأول ، رجب ، شعبان (١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ص ص ٨٤ - ٨٦ .

وذلك خلال الفترة ما بين القرن السادس وأوائل القرن الأول قبل الميلاد ،  
فهذه المجموعة مثل غالبية النصوص الأخرى العائدة لمنطقة حسمى تعود من  
خلال أشكال علاماتها إلى الفترة المعروفة بالشمودية المتأخرة فيما عدا  
النصين رقمي ٩ ، ١٠ العائدين إلى الفترة الشمودية المتوسطة ، مما يدل على  
الأهمية التي تمتعت بها المنطقة خلال الفترة من القرن الأول قبل الميلاد  
حتى الرابع الميلادي ، وهي الفترة التي شهدت المنطقة فيها الهيمنة  
والسيطرة النبطية وكذلك الاحتلال الروماني ، لكن الواضح أن سقوط المملكة  
النبطية أدى إلى القضاء على آخر كيان سياسي وجد بين أجزاء شمال شبه  
الجزيرة العربية (منطقة تبوك الإدارية) وقد حلت محل الأنباط كيانات ،  
صغيرة وضعيفة سيطرت على مساحات صغيرة ولا يستبعد أنها قامت على  
أساس المفهوم القبلي .

أما من الناحية الاجتماعية فقد قدمت لنا هذه النصوص العديد من المفاهيم  
وذلك من خلال دراسة أسماء الأعلام للواردة فيها ، ويلاحظ أن هذه  
النصوص تبدأ بالأداة اللام فيما عدا النقشين رقمي ٥ ، ٦ فقد صُغبت تحديد  
بداياتهما بسبب تأثرهما بعوامل التعرية ، وقد اشتملت هذه النصوص على  
خمس وعشرين اسم علم ، منها تسعة أسماء جاءت للمرة الأولى في هذه  
النوعية من النقوش وهي: ب ن ق ي ن (نق ١) ، ذ ف ر (نق ٢، ٣) ، ز ع  
ف (نق ٣) ، د ح ل (نق ٦) ، ع ه ن (نق ٧) ، ن ز ر (نق ٨) ، د ن (نق ٩)  
، د د ي (نق ١٢) ، ا ب ن م ر (نق ١٢) .

وبعد دراسة هذه الأسماء الخمسة والعشرين ، اتضح أنها تنقسم ، من حيث  
دلالاتها اللغوية ، إلى عدة أقسام ، فمعظمها جاء بصيغة اسم العلم البسيط ،  
ولكن بأوزان مختلفة ، مثل ح ر م (نق ١٣) ، ن ز ر (نق ٨) اللذين جاءا على

وزن فعال ، والأسماء ب س ل (نق٤) ، د ح ل (نق٦) ، ج ب ر أو ع ب ر (نق٧) ، غ ل ب (نق١٢) ، م ل ك (نق١٣) التي جاءت على وزن فاعل ، وجاء اسم علم واحد على وزن يفعل وهو ي س ل م (أنظر نق ١١) وآخر على وزن فعلان وهو ع م ز ن (نق١٢) ، أما البقية فهي على وزن فعل مثل ح ر ب (نق٤) ، ح ر ض (نق٥) ، ب ك ر ، (نق١٢) ... الخ .

كما جاء في هذه المجموعة أنواع أخرى من أسماء الأعلام المركبة نحو : ب ن ا ق ي ن (نق١) ، ت م ل ه (نق١٣) ، أما الأسماء المختصرة فلم يرد إلا مثال واحد وهو د د ي ، "حبيب + اسم الإله" (نق١٢) ، ومن حيث دلالاتها الاجتماعية فقد انقسمت إلى عدة أقسام فهناك اسمين اشتقا وأخذا من الصفات الجسمانية مثل د ح ل ، "عظيم البطن" (نق٦) د ن "الانحناء في الظهر" (نق٩) ، أما العلمين ب ك ر ، "المولود الأول" (نق١٢) و ا ل ه ت ، "الحيّة العظيمة" (نق٩) فقد جاء الأول على أثر مناسبة معينة والثاني مأخوذ من اسم حيوان وهو الحية ، أما بقية أسماء الأعلام فهي تحمل صيغة التمني والرجاء والدعاء للمولود بالصفة التي سُمى بها مثل ذ ف ر ، "الصلب ، الشديد" ، (نق٢) ، ب س ل ، "الشجاع" ، (نق٤) ، ل ه م ، "الرجل الراجح" (نق١١) إلخ

وقد ظهر في هذه المجموعة لأول مرة ، اسم قبيلتين جديدتين هما : ز ه م ن (نق١٢) ، ز ل م (نق١٣) وأيضاً اسم عائلة أو عشيرة وهي ح ر م ن (نق١٣) . وبالنسبة للفظات والمفردات فقد وصلت إلى إحدى عشر لفظة وأداة منها لفظة واحدة تظهر للمرة الأولى وهي غ ن ت ، "غنيت" (نق١١) ، التي توحي باحتمال القول : أن هذه الأقوام كانت تمارس الشعر الشعبي أو الغناء في المحبوب أو في غيره ، وأخيراً فإن الملاحظ على نقوش هذه المجموعة هو ندرة الرسومات (سواء الحيوانية أو الأنثوية)

المرافقة لها فيما عدا رسمتين : الأولى رسمة متناسقة لجمل ضخم لا يتضح منه سوى جزءه الأسفل وقد رُسم بجانب النقشين ١٠،٩ والثانية رسمة لكلب ، المرافقة لنقش رقم ١١ ، وكذلك الأشكال الحيوانية المرسومة بجانب النقشين ١٢ ، ١٣ الذي يمكن تمييز إحداها كشكل لبطة . وفيما يلي دراسة تحليلية لهذه النقوش .

### النقش رقم (١)

ل ب ن ا ق ي ن ب ن ح ن ن

بواسطة بن أقين بن حنان

التعليق :

هذا النص القصير المقروء من اليسار إلى اليمين يبدو أنه يعود ، من خلال دراسة أشكال علاماته وبالذات حرف النون ، إلى الفترة الثمودية المتأخرة . الاسم الأول يتكون من عنصرين الأول اسم البنوة بن والثاني ا ق ي ن ، الذي نميل إلى إعادته إلى ثَقَيْن الرجل واقتان : أي تَزَيْن (١) ولذا فهو ربما يعني "الأحسن، الأوسم" . وهذه النوعية من الأسماء المتكونة من عنصرين أولهما اسم البنوة ب ن ، معروفة في نقوش سامية أخرى مثل ب ن ش ب ب المعروف في النقوش الديدانية (٢) وكذا ب ن ا ح ر ب في النقوش المعروفة بالصفوية (٣)

(١) ابن منظور ، الإمام أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفرقي المصري ، لسان العرب ، بيروت : دار صادر (١٩٥٦) ، مج ١٣٢ ، ص ٣٥١ .

(٢) Branden, Van den., Les Inscriptions Dedanites, Beyrouth: Publications de L'Universite Libanaise, (1962), 4a.

(٣) Macdonald, M., "Safaitic Inscriptions in the Amman Museum and other Collection I," ADAJ 23 (1979), 36.

يلى ذلك اسم العلم الثاني المسبوق باسم البثوة ب ن ، ح ن ن ، الوارد في كل من النقوش المعروفة بالثمودية والصفوية (١) . ح ن ن ال اسم علم مشابه جاء في الكتابات الحضرية والتدمرية (٢) . وهو مشتق من الجذر المسمى ح ن ن (٣) .

النقش رقم (٢)

ل ذ ف ر

بواسطة ذ ف ر

Branden, Thamoudéennes, (Jsa 569), P. 309., Harding, G., with the collaboration of E. Littmann., Some Thamudic Inscriptions from the Hashimite Kingdom of the Jarden, Leiden: E. J. Brill, (1952), 100, 203 بالنسبة للنقوش الثمودية (انظر Littmann, E., Safaitic Inscriptions, Syria Publications of the Princeton University Expeditions to Syria in 1904-5 and 1909, Division IV, Sectionc, Leiden: E.J. Brill, (1943), P. 315, Winnett, F., Safaitic Inscriptions from Jordan, Toronto: University of Toronto Press, (1957), P. 156; Wennett, F., Harding, G., Inscriptions from Fifty Safaitic, Toronto: University of Toronto Press, (1978), P. 750; Macdonald, ADAJ, 23(1979), 23; Macdonald, M., Harding, G., "More Safaitic Texts from Jordan", ADAJ 21 (1976), 8. ، وقد جاء الاسم في النقوش السامية الأخرى مثل الأرامية ، الأوجاريتية والفينيقية للمزيد من المقارنات انظر ، ، النبيب ، سليمان عبد الرحمن ، دراسة تحليلية للنقوش نبطية قديمة من شمال غرب المملكة العربية السعودية ، الرياض: مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ٣٢ - (١٩٩٥) ، ص ٣٢

(٢) بالنسبة للحضرية (انظر، Abbadi, s., Die personennamen der Inschriften aus Hatra, Georg Olms Verlag, (1983), P. III وبالنسبة للتدمرية انظر Stark, J., Personal Names in Palmyrene Inscriptions, Oxford: Clarendon Press, (1971), P. 89.

Gordon, C., Ugaritic Textbook, Rome: Pontifical Institute, 35, (1965), P. 398; (٣) Tomback, R., A Comparative Semitic Lexicon of the Phoenician and Punic Languages, New York: Scholars Press for the Society of Biblical Literature, (1974), pp. 109-111 والنسبة للمزيد من المقارنات (انظر، al-Theeb, S., Aramaic and Nabataean Inscriptions from North - West Saudi Arabia, Riyadh: King Fahd National Library Publications (1993), p. 219 ، النبيب ، نقوش نبطية ، ص ٣٢ - ٣٣ .

## التعليق :

هذا نص قصير مكون من كلمة واحدة (١) ويُقرأ من اليسار إلى اليمين ، وقد صُنر بالأداة اللام . وقد كُتِبَ عن يسار النقش رقم : ١ . والقراءة المعطاة أعلاه لهذه الكلمة هي أكثر الاحتمالات قبولاً ، وقد جاء بهذه الصيغة في النقوش السبئية (٢) . ويبدو أن هذا الاسم قد جاء من الذفر وهو العَظِيم من الإبل أو الشاب الطويل التام الجَد كما أن نَفَرَ تعني الصلب الشديد (٣) . وهكذا فهو اسم علم بسيط يعني " الطويل التام ، العظيم ، الصلب " .

## النقش رقم (٣) :

ل ز ع ف

بواسطة ز ع ف

## التعليق :

هذا النص القصير المكتوب في أعلى الصخرة ، والمقروء من اليمين إلى اليسار ، كُتِبَ بأحرف كبيرة نسبياً وهو اسم علم بسيط يمكن مقارنته بالجزر ز ع ف وز ع ف يَزَعْفُه ز ع ف وأز ع ف : رماء ضربه (٤)

(١) وقد استبعدنا قراءته: ل ذ ب ر ن أو: ل ذ ر ب ن رغم احتمال صحة هاتين القراءتين ، فاللغة الأولى

جاءت كاسم علم بصيغة ذ ب ر ان في النقوش السبئية (انظر Harding, G., An Index and

Concordance of Pre-Islamic Arabian Names and Inscriptions, Toronto:

University of Toronto Press (1971), p.248) لما الثانية فقد جاءت كاسم علم بصيغة ذ ر ب في

النقوش الصفوية (انظر Harding, Index, p.251)

Repertoire d'Epigraphie Semitique, Paris: Academie des Inscriptions et Belles - (٢)

Lettres, 4144:5; Harding, Index, p.254

(٣) ابن منظور ، لسان ، مج ٤ ، ص ٢٠٧ ، وكان هزاع بن عبد الشمري ، قد فسّر اسم العلم الموثق بقراء بأنه

النبت الطيب ، والمرأة الزكية للرفقة (انظر جمهرة أسماء النساء وأعلامهن ، الرياض : دار أمية للنشر

والتوزيع (١٤١٠هـ) ، ص ٢٥٢) انظر أيضاً أبو المنذر هشام بن محمد المسائب الكلبي ، جمهرة النسب ،

تحقيق ناجي حسن ، بيروت : عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، (١٩٦١م) ص ١٢٥ .

(٤) ابن منظور ، لسان ، مج ٩ ، ص ١٢٤ ، الزبيدي ، محمد مرتضى ، تاج العروس من جواهر القاموس ،

بيروت : منشورات دار مكتبة الحياة (١٣٠٦هـ) ، مج ٦ ، ص ١٢٧ .



وهو معروف بهذه الصيغة في النقوش الصفوية (١) .

النقش رقم (٤):

ل ح ر ب ب ن ب س ل

بواسطة حرب بن باسل .

التعليق:

يعود هذا النص القصير ، المقروء من اليمين إلى اليسار ، من خلال أشكال علاماته إلى الفترة النمودية المتأخرة . الاسم الأول يقرأ ح ر ب ، وهو يماثل الاسم المعروف إلى يومنا الحاضر حرب (٢) . أما الثاني ب س ل ، فقد عرف في النقوش النمودية والصفوية والمعينية (٣) ، بينما جاء بصيغة ب س ل م في النقوش السبئية (٤) . وهو يماثل الاسم المعروف حالياً بصيغة باسل أى "الشجاع ، الشديد ، الأمد" (٥)

Winnett, Safaitic, p.166; Wennett, Harding, p. 579; Harding, Index, (١)  
p.298; Oxtoby, W., Some Inscriptions of Safaitic Bedouin, NewHaven: American  
Oriental Series vol: 50(1968),99.

(٢) وهو من الأسماء المنتشرة في معظم النقوش السامية ، لمزيد من المقارنات (انظر الذيب ، سليمان عبد الرحمن ، "نقوش صفوية جديدة من متحف دار الجوف للعلوم" ، الدرة ، العدد الرابع ، السنة الثامنة عشرة ، شعبان ، رمضان ١٤١٢ هـ) ، نقش: اص ص ١٣٢ ، ١٤٦ ، هولمز : ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، للذيب ، سليمان عبد الرحمن ، "نقوش عربية شمالية من منطقة حائل : المملكة العربية السعودية" ، مجلة كلية الآثار ، جامعة القاهرة (تحت للنشر).

Wennett, Safaitic, p.166; Wennett, Harding, p. 579; Harding, Index, (١)  
p.298; Oxtoby, W., Some Inscriptions of Safaitic Bedouin, NewHaven: American  
Oriental Series vol: 50(1968),99.  
(٣) Branden, Thamoudéennes, (Hu 214), pp. 123-4  
al - Said, Die Safaitic, 339,866; Oxtoby, Safaitic, 32  
Personennamen in den minaischen Inschriften, Wiesbaden: Harrassowitz  
Verlag, (1995), p.71.

Corpus Inscriptionum Semiticarum, Pars quarta - Inscriptions himyariticas et  
sabaëas continens, 570:3.

(٥) معجم أسماء العرب ، موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب ، بيروت : مكتبة لبنان ، مسقط :  
جامعة السلطان قابوس (١٩٩١ م) مج ١ ، ص ١٣٤ ، عدى ، نديم ، طلح مصطفي ، معجم الأسماء  
العربية ، دمشق : طلح للدراسات والترجمة والنشر (١٩٨٥ م) ، ص ٤٨ .

النقش رقم (٥):

.....ت ب ن ح ر ض

.....ت بن ح ر ض

التعليق:

كُتِبَ على الصخرة أربعة نقوش ثمودية قصيرة ، تقرأ حسب الصورة الفوتوغرافية من اليسار إلى اليمين ، ويمكن عدّها استناداً إلى أشكال حروفها وصيغة كتابتها كاستخدام اسم البنوة "بن" ، نقوشاً ثمودية متأخرة . وفيما عدا النص الأخير (نق ٧) فإن بدايات هذه النصوص قد تعرضت للتخريب المتعمد مما أدى إلى بترها (١) . وبالنسبة لهذا النقش فلا يقرأ من اسم العلم الأول سوى حرفه الأخير المقروء تاءاً ، المتبوع باسم البنوة "بن" . ثم يأتي اسم العلم المقروء بكل سهولة ح ر ض ، الذي يظهر للمرة الثانية في هذه النوعية من النصوص وكذا في النقوش الصفوية (٢) . وهو ربما يعني "الشجاع ، المستعد للقتال" من حَرَضَ ، التَّخْرِضُ على القتال والحث والإحماء عليه (٣) .

(١) للأسف الشديد ، النص العلوي لا يقرأ منه سوى علامات ثلاث يمكن أن تقرأ : ر ع ي مما يعني في الغالب أن الحرف السابق لها هو حرف العطف الواو ، و ر ع ي تعني "رعى".

(٢) النيب ، "نقوش عربية شمالية من منطقة حائل : المملكة العربية السعودية" ، مجلة الآثار ، جامعة القاهرة (تحت النشر) ، نق : ٤٦ . بالنسبة للصفوية (انظر Wennett, Harding, 2833a) . نود أن نلفت الإنتباه إلى أن الخطأ المطبعي الذي وقع فيه هاردينج (انظر Harding, Index, p.184) حيث أشار إلى أن رقم

النقش 2836a والصحيح هو 2833a . ولمزيد من المقارنات (انظر العبادي ، صبري ، "نقوش صفوية من متحف التراث الأردني في معهد الآثار والأنثروبولوجيا في جامعة اليرموك" ، دراسات المجلد ٢٤ ، العدد ٢

، ١٩٩٧م نق : ١) وقد جاء ح ر ض كاسم موضع النقوش السبئية (انظر al-Scheiba, S., Die

Oortsnamen in den Altsudarabischen Inschriften (mit dem Versuch ihrer Identifizierung und Lokalisierung) Marburg: Druck Gorich and Weiershauser, p.59.

(٣) ابن منظور ، لسان ، مج ٧ ، ص ١٢٣ . الجوهري ، اسماعيل بن حماد . ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، بيروت : دار العلم للملايين (١٣٩٩هـ / ١٩٥٦م) ص ٢٣٠ . ١٠٧٠ .

## النقش رقم (٦):

... ل ه و ت ب ن د ح ل

... ل ه و ت ب ن د ح ل

## التعليق:

مرة أخرى لا يتضح من الاسم الأول المتبوع بحرف العطف الواو سوى حرفيه الأخيرين ، وهما اللام والهاء مما يجعل من احتمال كون عنصره الأول إما ع ب د أ و ت ي م أ و ز د ... الخ ليقراً عبد الله ، نعيم الله ، زيد الله . وبالنسبة لاسم العلم الثاني البسيط فإن أفضل تفسير له ، رغم أن ستارك عند شرحه لاسم علم مشابه جاء بصيغة ع ت ه عذّه اسم إله استخدم كاسم علم (١) ، إنه على علاقة بالكلمة العربية عَتَا يَعْتَوَا عَتَاً وَعَتِيّاً : أى "استكبر وجاوز الحد" والعاتي كما يقول ابن منظور هو "الجبار" (٢) . ولذا فهو يعني ، "الجبار" . هذا وقد جاء هذا الاسم بصيغته هذه في ~~النقش~~ النقوش المعروفة بالشمودية والصفوية (٣) . يلي ذلك ذلك إسم والد ع ت ، المقروء د ح ل المعروف بهذه الصيغة في النقوش الصفوية (٤)

(١) Stark, p. 107 ونود أن نلفت الانتباه إلى احتمال عدم وجود علاقة فيما بين أسماء الأعلام المكونة من العنصر ع ت ، المتدولة في بعض اللهجات الآرامية مثل ع ت ع ق ب في الآرامية القديمة (انظر Marqten, M., Die Semitischen Personennamen in den alt- und reichtsarmaischen Inschriften aus Vorderasien, Hildesheim: Georg Olms Verlag (1988), p. 20) أو ات ع ق ب في الحضرية (قظر Abdadi, p. 57) فهذه لرية غير معروفة عند لعمال الشمودية والصفوية .

(٢) ابن منظور ، لسان ، مج ١٥ ، ص ٢٧ . صكه اسم علم مؤنث جاء في المصادر العربية (انظر الشمرى ، ص ٤٩١) الذي شرحه بمعنى المتكبرة ، المعنة العاصية . ع ت ي ه و اسم علم مشابه حروف في الكتابات العبرية انظر Fowler, J., Theophoric Personal Names in Ancient Hebrew, A Comparative Study, Sheffield: Sheffield Academic Press, (1988), P. 75. فولر بمعنى " العالي ، المرتفع بواسطة ي ه و " .

(٣) بالنسبة للشمودية (انظر Branden, Thamoudéennes, (Hull), P. 48, (Hu 333) P. 158, (HuIR30). P. 85; Harding, Index, P. 404. Winnett, (انظر Winnett, 787?) بالنسبة للصفوية (انظر Harding, 231, 1057, 1920) ويجب أن نلفت الانتباه إلى أن وينت وهاردنج قد اقترحا قراءة تقيّة للاسم ع ت في النقش رقم ٢٣١ ، هي ع ت ك (قظر Winnett, Harding, P. 80) .

(٤) winnett, Harding, 183 وكان هاردنج قد اقترح قراءة هذا الاسم ز ح ل (قظر Harding, Index, p. 235) وهو ما لا نرجحه استناداً إلى رسة النقش الملونة (قظر Winnett, Harding, p. 1.5) التي توحى بأن لقراءة الأولى (د ح ل) هي الأكثر قبولاً .

بينما جاء في النقوش الثمودية والآرامية القديمة بصيغة د ح ل ت . (١) وكان مراقطن قد اعاده إلى د ح ل ، "خشى ، خاف" ، الجذر الوارد في النقوش الأوجاريتية (٢) ، بينما فسر الشمرى اسم علم مؤنث ، مشابه دخله بأنه من الدحلة وهي البئر (٣) إلا أن التفسير الأكثر قبولاً ، هو بإعادته إلى الحل من الرجال وهو العظيم البطن ، ونحل بين الحل أى سمين قصير مُندلق البطن أو من الحل وهو الدهاء (٤).

### النقش رقم (٧)

ل ع ه ن ب ن ج ب ر

بواسطة عهن بن جابر

### التعليق

هذا النقش القصير المتكون من علمين هو النقش الوحيد في هذه الصخرة الذي لم يتعرض للتخريب ، الاسم الأول لم يظهر حسب معلوماتنا إلا في

Branden, Philpy II (238, e:2), P.2, (322, C:3), P.82, (353,v) P.112, (275, aa), (١)  
p.417, (277, 1:3), P.46, (307,c:3), p.74; Harding Thamudic, 112,330,473  
نقلت النظر إلى أنه من خلال الإطلال على رسة للنقش رقم ٣٢٠ (نظر Harding, Thamudic, PL.)  
xvi) فإنه يحتمل أن تكون قراءته كالتالي:

"بواسطة واسط بن هارب (و) بات يقيم" فقد عذ هارنج الكلمة الأخيرة ، المقروءة من قبله ل ق د م اسم علم (نظر نق ٢٦ في نفس المرجع). بالنسبة للآرامية القديمة (نظر Maraqten, p.152; Gordon, p.233; Maraqten, p.384).

(٢) وجاء بصيغة د ح ي ل : "خوف ، خشية" في الآرامية اليهودية (نظر Hofstijzer, J., Jongeling, K., Dictionary of the North-west Semitic Inscriptions Leiden: E.j. Brill, (1995), p.244).

(٣) للشمرى ، ص ٢٣٢ ، نظر أيضا ابن منظور ، لسان مع ١١ ص ٢٣٨ وهو احتمال غير مستبعد ، فلربما كان والدها قد تلقى خبر ولادتها لثناء صله في حضر بنر وعندئذ لم يتردد بتسميتها بهذا الاسم ، وهو الدحلة لو ححل ، إذا كان ذكرا (لمزيد من المعلومات عن أسماء الأعلام لدى العرب القدماء ، انظر ليتمان ، انو ، "محاضرات في اللغات السامية : أسماء الأعلام" ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الملك فهد (١٩٤٨م) ص ١ - ٦٥ ، الخزرجي ، عبود لحمد أسماؤنا : لسلرها ومعانيها ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر (١٩٨٨م) ، ص ٢٣ - ٤٤ ، النائف ، خالد ، "أسماء الأشخاص في اللغات السامية" مجلة جامعة الملك سعود ، مع ٥ (١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) ص ٣٠٣ - ٣١٩ .

(٤) ابن منظور ، لسان ، مع ١١ ، ص ٢٣٨ ، الزبيدي ، تاج العروس ، مع ٧ ، ص ٣١٩ ، بالنسبة للمعنى الأول (نظر الجوهري ، الصحاح ، مع ٤ ، ص ١٦٩٥) .

النقوش الصفوية يقرأ ع ه ن (١) ، ولا يستبعد أن يكون على علاقة بالكلمة العربية عَهَنَ : أي جَدَّ في العمل (٢) أو من العَهَن وهو الصوف (٣). أما اسم العلم الثاني فيقرأ إما ج ب ر المعروف حتى يومنا الحاضر جبر ، جابر ، أو ع ب ر نظراً للتشابه في شكل حرفي العين والجيم في الكتابات النمودية (٤) .

النقش رقم (٨):

ل ع م ر ب ن ن ز ر

بواسطة عُمَر بن نزار

التعليق:

كتب على هذه الصخرة أكثر من نقش إلا أن أسلوب كتابته أدى إلى تداخل أجزاء من علاماتها مع بعضها البعض (٥) على كل حال ، هذا النقش العائد استناداً إلى أشكال علاماته ، إلى الفترة النمودية المتأخرة ، يتكون أيضاً ، من علمين ، الأول ع م ر ، المعروف

(١) *Comps Inscriptionum Semiticarum, Pars Quinta Inscriptiones Continens, 1923; Harding, Index, p.447.*

(٢) الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، بيروت : مؤسسة الرسالة (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) ص ١٥٧٢ .

(٣) ابن منظور، لسان، مج ١٢، ص ٢٩٧ ، الفيروز آبادي، المحيط ص ١٥٧٢ ، الزبيدي متاج العروبة مج ٩ ، ص ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

(٤) بالنسبة لاسم العلم ج ب ر فقد جاء مرة واحدة في النقوش المعروفة بالشمودية ، (انظر النقيب ، " نقوش عربية شمالية من منطقة حائل : المملكة العربية السعودية " ، مجلة كلية الآثار ، جامعة القاهرة ( تحت نشر ) نق ٥٢ . كما جاء بصيغة ج ب ر م في النقوش السبئية انظر ( Harding Index, p.151 ) . لما الشافعي قد عُرف بهذه الصيغة في النقوش الصفوية (انظر Harding, Index, p. 402) .

(٥) يصعب كثيراً معرفة كون هذه العلامات تعود لنص واحد أو أكثر ، إلا أن امكانية عدهما نصاً واحداً غير مستبعدة . وفي هذه الحالة يكون أسلوب كتابته بطريقة متعرجة ونقترح قراءته كالتالي : ط س xx و ت و ق ل م ن ت ب ن xx ، وقد عُرف لاسم العلم الثاني في نقوش صفوية أخرى (انظر Harding Index, (p.567

بشكل لافت للنظر في معظم نقوش المسند القديمة (١) ، وكذلك في نقوش سامية أخرى . وهو يماثل اسم العلم المعروف حتى يومنا الحاضر عَمَر أو عمرو . يلي ذلك الاسم البسيط ن ز ر ، وهو حسب معلوماتنا يظهر للمرة الأولى ليس فقط في النقوش الثمودية بل أيضاً في النقوش السامية الأخرى (٢) . والاسم يعادل الاسم المتداول بيننا حالياً نزار (٣) الذي يرى ابن دريد أن اشتقاقه من الزر وهو قولهم أعطاه عطاء نزرأ وانزرت له العطاء أي أقللته (٤) .

النقش رقم (٩):

ل د ن خ ط ط

(هذه) الرسمة بواسطة د ن

(١) مثلاً في الثمودية ( انظر Winnett, F., " An Arabian Miscellany " , Annali del, Istituto Orientale di Napoli 32 (1971), 10; Harding, Thamudic, p. 54; Littmann, Safaitic, p. 36; Winnett, Sttfaicitic, p. 183; Oxtoby, Safaitic, p. 153 al - Ansary, A., A Critical and Comparative Study of Lihyanite Personal Names, Unpublished Ph. D thesis University of Leeds, (1966), p. 96; Caskeel, W., Lihyan und Lihyanish Arbeitsgemeinschaft für Forschung des Landes Nordrhein - Westfalen, Geisteswissenschaften, Heft, 4, Köln, (1954), p. 144) وفي الصنوبية (انظر

(٢) فقد عُرف في التسمية بصيغة عمرو ( انظر Stark, p. 58) وكذلك النبطية ( انظر Cantineau, J., Le Nabateen, Paris: Librairie Ernest Leroux, (1930), p. 133) وللمزيد من المراجع

والمصادر ، انظر الزبيبي ، نقوش نبطية ، ص ٥٨ ، هامش رقم : ١١ ( al-Theeb, Aramaic, p. 235 ) . (٣) الكلبى ، جمهرة النسب ، ص ص ١٨ - ١٩ ، القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ( ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م ) ، ص ١٦٤ ، الأتلمسى ، أبو محمد بن أحمد بن سعيد بن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ( ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ) ، ص ص ٩ - ١٠ ، مج ٢ ، ص ١٧٥٤ .

(٤) ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري ، الاشتقاق ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة : مكتبة الخانجي بمصر ( ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م ) ، ص ٣٠ . وقد أخذ بهذا الرأي عدي وطلال ، ص ٢٣٩ . وللمزيد ( انظر ابن منظور ، لسان ، مج ٥ ، ص ص ٢٠٣ - ٢٠٤ . وننذكر انتساب لهم لو شبه نفسه بهم لو ادخل نفسه فيهم وماجئت إلا نزاراً : أي بطينا ( انظر الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ص ٦١٩ ) .

## التعليق:

كُتِبَ هذا النقش القصير على شكل خط عمودي خلف رَسْمَةٍ مُتَقَنَةٍ لَجَمَلٍ أَتَقَنَ رَاسِمُهُ إِضْصَاحَ الْعَدِيدِ مِنْ تَفَاصِيلِهِ ، وَيَقْرَأُ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلِ ، وَهُوَ يَعُودُ إِلَى الْفَتْرَةِ الثَّمُودِيَةِ الْمَتَوَسِّطَةِ اسْتِنَاداً إِلَى عِلَامَاتِهِ مِثْلَ النَّونِ وَالْخَاءِ ، وَلَعَلَّ اسْتِخْدَامَهُ لِهَآءِ التَّعْرِيفِ ، أَمَّا صَاحِبُ النَّصِّ فَلَمْ يُعْرِفْ حَسَبَ مَعْلُومَاتِنَا ، بِصِيغَتِهِ هَذِهِ إِلَّا فِي النَّقُوشِ الصَّفُوفِيَّةِ وَالتَّوْرَةِ الْعِبْرِيَّةِ (١) .

وَيُمْكِنُ مَقَارَنَتُهُ أَيْضاً بِالْأَعْلَامِ د ن ي الْمَعْرُوفِ فِي التَّدْمِرِيَّةِ وَ د ي ن ي فِي الشَّرِيَانِيَّةِ (٢) . وَالدَّارِسُونَ لِهَذَا الْاسْمِ أَعَابُوا اشْتِقَاقَهُ إِلَى الْجَذْرِ السَّامِيِّ د ي ن : أَيْ «عَدْلٌ، حَكْمٌ» (٣) فِيمَا عَدَا الشَّمْرِيِّ الَّذِي فَسَّرَ اسْمَ عِلْمٍ مُشَابِهَ دَنَّةٍ : بِوَاحِدَةِ الدَّنْدَةِ وَهِيَ الْكَلَامُ الْخَفِيُّ الَّذِي لَا تَسْمَعُهُ وَلَا تَفْهِمُهُ (٤) وَرَغْمَ أَنْ التَّفْسِيرَ الْآخِرَ غَيْرَ مُسْتَبْعَدٍ إِلَّا أَنَّا لَا يَجِبُ أَنْ نَغْفَلَ احْتِمَالَ كَوْنِ هَذَا الْاسْمِ ، أَطْلَقَ عَلَى شَخْصٍ ذِي عِيُوبٍ خَلْقِيَّةٍ فِيهِ ، لِأَنَّ الدَّنَّ يُعْنِي انْحِنَاءٌ فِي الظَّهْرِ ، كَمَا أَنَّ الْأَدْنَ هُوَ الْمَائِلُ قُدْماً وَفِي يَدِيهِ قَصْرٌ (٥) . يَلِي ذَلِكَ الْاسْمُ الْمَقْرَدُ

(١) الصَّفُوفِيَّةُ ( انظر S. Driver, Brown, S., (قظر Harding, Index, p. 244 ) ، لِتَوْرَةِ الْعِبْرِيَّةِ (قظر Briggs, Hebrew and English. Lexicon of the Old Testament, Oxford : Clarendon Press, (1906) p. 192

(٢) التَّدْمِرِيَّةُ (قظر Stark, p. 83 ) وَالشَّرِيَانِيَّةُ (قظر al - Jadir, A Comparative Study of the Syriac Script, Language and Proper Names of the Old Syriac Inscriptions, Unpublished Ph. D Thesis, Wales University, (1983), p. 369 وربما يُمكن مَقَارَنَتُهُ بِالْاسْمِ الْوَارِدِ فِي الْكُتُبَاتِ

لِلْعِبْرِيَّةِ بِصِيغَةِ د ن ي (قظر Flower, pp. 213, 305 ) (٣) الْمَعْرُوفِ فِي التَّوْرَةِ الْعِبْرِيَّةِ (قظر Brown, p. 192 ) وَفِي الشَّرِيَانِيَّةِ بِصِيغَةِ (قظر Costaz, L., Dictionnaire Syriac - Français - Syriac - Français (٤) الشَّمْرِيِّ ، ص ٢٤٣ ، قَطْرُ لُؤْسَا بْنِ مَنظُورٍ ، لِسَانٌ ، مَج ١٣ ، ص ١٦٠ ، وَالْجَدِيرُ بِالذِّكْرِ أَنَّ الْمَقْرَدَ ن جَاءَتْ لُؤْسَا فِي النَّقُوشِ الْأَوْجَارِيَّةِ بِمَعْنَى «مُحَدَّثٌ صَوْتًا لَا تَسْمَعُهُ» الْأَدْنَ (قظر Gordon, p. 386 ) (٥) لُؤْسَا بْنِ مَنظُورٍ ، لِسَانٌ ، مَج ١٣ ، ص ١٥٩ - ١٦٠ .

المذكور خط ط ط أى "النقش ، الكتابة" المعروف في نقوش ثمودية أخرى (١) ،  
أو أنها هنا تعني "الرسم" نظراً لوجود رسمه متقنة لجمل .

النقش رقم (١٠):

ود د ا ل ه ت

تحيات ال ه ت

التعليق:

كُتِبَ هذا النقش القصير أيضاً على شكل خط عمودي ويقرأ من أعلى إلى أسفل . وهو يتكون من كلمتين : الأولى ، الاسم المفرد و د د ، "تحيات" ، المعروفة بكثرة في هذه النوعية من النصوص (٢) ، والثانية ، اسم العلم المقروء ال ه ت وتدل علاماته مثل الألف على أنه يعود إلى الفترة الثمودية المتوسطة ، وهو ربما يكون على علاقة باللفظة العربية الإلهة : "الحية العظيمة" (٣) . ولذا يكون معناه "الحية" . على كل حال الاسم عرف

(١) Winnett, AION 31 (1971), 30 (١٩٩٧) نق ١٦ على كل حال لفظة خط ط : "كتابة ، نقش" جاءت أيضاً في النبطية (انظر عدد ٢ (١٩٩٧) نق ١٦ على كل حال لفظة خط ط : "كتابة ، نقش" جاءت أيضاً في النبطية (انظر

Jamme, A., " New Safaitic and (انظر) بالنسبة لصفوية (Hoftijzer, Jongeling, p.363 Hasaeen Inscriptions from Northern Arabia ", Sumer 25 (1969), (Jas 36)., هذا المقال العديد من الأخطاء المطبعية التي أدت إلى تشويبه ، ونلفت الانتباه إلى أن للنقش رقم 30 Jas يقرأ كالتالي لم ق ث ب ن ه د ب ن خ ل ف ن و و ج م ع ل م ر و وليس ل م ق ث ب ن ه د ب ن ه د ب ن ه د ب ن و و ج م ع ل م ر .

(٢) للذبيب ، سليمان عبد الرحمن. ، " نقوش عربية شمالية من جبل أم سلمان بمنطقة حائل : المملكة العربية السعودية " مجلة جامعة الملك سعود / الأدب ، مج ١١ ، العدد الأول (١٩٩٩/١٤١٩م) نق ٥٠ ، ١٠ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٣ . للذبيب ، مجلة الآثار ، جامعة القاهرة (تحت النشر) نق ١٥ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٦٦ . ونلفت الانتباه إلى أننا لا نميل إلى قراءة وينت لنقش رقم 62C (انظر Winnett, Aion31 (١٩٧١) الذي قرأه كالتالي : و د د ع ر و ت " حبة عروت " والمصحح : " تحيات ع ر و ت " . وكذلك قراءة جام للنقش رقم 88 Eut: و د د ن ف ر ث . " ن ف ر ث كان في حُب " (Jamme, Miscellanees d'ancien

arabe, (1974), p. 28. " تحيات ن ف ر ف " . ابن منظور ، لسان مج ١٢ ، ص ٤٧١ .



بصيفته هذه في عدد من نقوش المسند القديمة (١) وجاء أيضاً بصيغة ال هـ في النقوش التمرية والنبطية (٢) .

النقش رقم (١١):

و د د ي س ل م ف غ ن ت ف ح ب ب ل هـ م  
تحيات يسلم ، غنيتُ (أنشدتُ) في حُبِّ لهم  
التعليق:

يكشف كاتب النص المقروء ي س ل م ، عن ظاهرة اجتماعية كانت سائدة ومعروفة لدى أصحاب هذا القلم ألا وهي الغناء أو الإنشاد ، الذي غالباً ما يقال في الحبيب والحبيبة . اسم العلم هو على وزن يفعل من س ل م ، وقد جاء في التمودية والصفوية والسبئية (٣) ، يليه فعل ماض على وزن فَعَلَ المتصل بتاء المتكلم غ ن ت ، والمسبوق بالأداة الفاء التي غالباً ما تسبق المفردات في هذه النوعية من النصوص (٤) ، وهذا الفعل يماثل اللفظة العربية "غنى بمعنى أنشد" والتي تظهر حسب معلوماتنا للمرة الأولى في هذه النوعية من النصوص ، إلا أنه جاء بالإضافة إلى العربية في السريانية بصيغة **ܥܢܝܬܐ** : أع "غنى" (٥)

- (١) مثلاً التمودية (انظر: Branden, Van den., Les Textes Thamoudéens de Philby : Inscriptions du Sud, vol : 1, Louvain : Université de Louvain Bibliothèque du Museon, Vol 39, (1956) , (166: wl) , p.83, (177:f), p.117; Branden, Philby II, (30: h), p.72. والصفوية (انظر: Littmann, Safaitic, p.298; Winnett, safaitic, 505, 712, 799, 813, (Harding, Index, P.71) 879; Winnett, Harding, p.554. التمرية (انظر Stark, p.12) ، للذان فسراه بأنه اسم علم مختصر .  
(٢) التمودية والسبئية (انظر Harding, Index, p.761) والصفوية (انظر Littmann, Safaitic, p.320; Winnett, safaitic; 136, 358, 943; Winnett, Harding, p.624; oxtoby, Safaitic, 141; Macdonald, Harding, ADJ21 (1976), 6.  
(٣) لمزيد من المناقشات (انظر للنيب ، العصور ، مج ٦ ، الجزء الأول (١٩٩١م) ، ص ٣٨ .  
(٤) كما أن تعنى "مغن ، مرثل" (انظر Costaz, p.257) أما في الآثيوبية فإن الجذر معروف بصيغة halaya أى غنى (انظر Leslau, W., Comparative Dictionary of Ge'ez Classical Ethiopic, with an index of the Semitic root, Wiesbaden: Otto Harrassowitz, (1987) p. 231.

يلي ذلك الفعل الماضي ح ب ب أي "حب" على وزن فعل ، المسبوق بحرف الجر الفاء التي تعني "في" (١) ، وهو جذر معروف في النقوش السامية (٢) والكلمة الأخيرة هي اسم العلم البسيط الذي يعني "الراجح ، الجواد" بعد مقارنته باللهم ، وهو في الرجال يعني الرغيب الراي الكافي العظيم ، وقيل هو الجواد (٣) وهذا الاسم المعادل المعروف في المصادر العربية لهيم جاء في بعض نقوش المصنود القديمة (٤) .

النقش رقم (١٢):

ل م ل م ب ن ع م ر ن ب ن د د ي ذ ا ل ز ه م ن و ذ ك ر ت ل  
ت ا ب ن م ر و ب ك ر  
بواسطة سالم بن عمران بن د د ي من قبيلة ز ه م ن ، وذكرت (تذكير)  
اللات أب نمر وبكر  
التعليق:

كُتب هذا النقش الذي يُعد الأطول ضمن هذه المجموعة بأسلوب الخط الدائري ، وتميزت حروفه الدالة على كونه نقشاً ثمودياً عائداً للفترة المتأخرة ، وتكمن أهميته في ظهور اسم القبيلة ز ه م ن للمرة الأولى في هذه النوعية من النصوص ، وقد ركز صاحبه سالم في نصه هذا بطلب الذكرى

(١) الروسان ، محمود محمد ، القبائل الثمودية والصفوية : دراسة مقارنة ، عمادة شئون المكتبات جامعة الملك سعود (١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ص ٧٣ .

(٢) . Brown, p. 248; Hofujzer, Jongeling, pp.343 – 4 .

(٣) ابن منظور ، لسان ، مج ١٢ ، ص ٥٥٤ . ويرى ابن دريد أن الاسم لهيم من قولهم " اللهم من الاتهام وهو البلع ، يقال التهمة إذا ابتغى ، وبذلك سمى الجيش العظيم لهما لاته يلتهم كل ما قدر عليه (انظر الاشتقاق ، ص ٢٤٤) وهو ما أخذ به ليمان عند تفسير اسم العلم ل ه م

(انظر . Littmann, Safaitic, p. 322)

(٤) مثلاً في الثمودية (انظر p.97 (167: ak6) Branden, Philly I)

والصفوية (انظر . Littmann, Safaitic, 916; Winnett, Safaitic, 673) والمهنية (انظر Harding Index, p. 521)

من الزبة المعروفة اللات لصديقته أو قريبه أب نمر وبكر . الاسم الأول البسيط المعروف بشكل واضح في النقوش الثمودية وغيرها (١) يقرأ سالم يعني السالم من الأمراض أو العيوب . يلي ذلك ذلك اسم والده ، ع م ر ن ، الوارد بهذه الصيغة في كل من النقوش الثمودية والصفوية (٢) وهو يماثل الاسم العربي عَمْرَانُ عَلِيٍّ وَزْنُ فَعْلَانٍ من عَمْرَ أو عُمَر (٣) . المتبوع باسم د د ي الذي يصعب عدّه (رغم أن الدد في العربية تعني اللهو واللعب) (٤) غير اسم علم مختصر وإعادته إلى الجذر السامي د د أي "حَب" (٥) . وقد عُرف الاسم بهذه الصيغة في النقوش الآرامية القديمة والواجارية، (٦)

Winnett, F., Reed, W., Ancient Records From North Arabia, University of (١) Toronto Press (1970), 17, 20, 30, 8

(٣) وكان وينت قد قرأ النقش رقم ٣٠ كالتالي ل م ن ب ن ع ب د ، إلا أن القراءة الأكثر قبولا هي : ل م ن ب ن ج ل هـ (استنادا إلى رسمه للنقش المرفقة ، انظر . 208 p. 4, Winnett, Reed, PL. 4) واسم العلم الثاني ج ل هـ عرف في النقوش الصفوية (انظر Harding, Index, p. 165) وللمزيد انظر الذبيب ، سليمان عبد الرحمن ، "دراسة تحليلية جديدة لنقوش نبطية من موقع القلعة بالجوف : المملكة العربية السعودية" ، مجلة جامعة الملك سعود / الآداب ، العدد الأول (١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ص ١٦٩ . وللمزيد من المقارنات مع النقوش السامية الأخرى انظر المعقل ، إبراهيم ، الذبيب ، سليمان عبد الرحمن ، الآثار والكتابات النبطية في منطقة الجوف ، الرياض : مطابع الخالد ، (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) ، ص ١٥٦ - ١٥٧ .

(٢) بالنسبة الصفوية (انظر Winnett, Harding, Littmann, Safaitic, 270, 1253; Winnett, Harding, Safaitic, 78.

Harding, (انظر Oxtoby, Safaitic, 78. 63, 1293, 2833a, 3024; Winnett, Thamudic, 166.

المعروف من قبله ع م ن ب ن و (ال) "عمران بن وائل" انظر أيضا Winnett, (Reed, 17, 20, 30, 83.

(٣) للمزيد من المقارنات ، انظر الذبيب ، سليمان عبد الرحمن ، دراسة تحليلية للنقوش الآرامية القديمة في نيماء : المملكة العربية السعودية ، الرياض : مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية (١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ص ٧١ - ٧٢ .

(٤) ابن منظور ، لسان ، مج ١٤ ، ص ٢٥٢ . ونستبعد احتمالية مقارنته بالكلمة العربية الخداء ؛ وهو لندحو البعير (انظر ابن منظور ، لسان ، مج ١ ، ص ٦٩) باعتبار الهمزة هنا تحولت إلى ياء .

(٥) انظر مثلا Gordon, p. 348; Huffmaon, H., Amorite Personal Names in the Mari Text: A Structural Lexical Study, Baltimore: The Johns Hopkins Press, (1965) p. 181.

(٦) الآرامية القديمة (Marqten, p. 151) والأوجارية (انظر Gnadahl, F., Die Personennamen der Ugarit, Rome: Papstliches Bibelinstitut, (1967) p. 122; Gordon, p. 384. Texte aus Ugarit,

بينما جاء بصيغة د د في نقوش المسند الشمالية (١) وبصيغة د د ي هـ و في الكتابات العبرية (٢). ثم يأتي اسم القبيلة ز هـ م ن ، المسبوق بالأداة ذ ال ، وهذا الاسم المعروف في الموروث العربي بصيغة ز هـ م ن كاسم موضع يقول عنه الحموي : أنه فعلان من الزهمة وهي الريح المنتفخة وللزهومة من اللحم (٣). يلي ذلك الفعل الماضي ذ ك ر ت ، "ذكرت" (٤) في حالة التانيث ومسبوق بحرف العطف الواو ومتبوع باسم الربة اللات . وبعد ذلك يأتي العلمان ا ب ن م ر ب ك ر ، الأول اسم علم مركب من ا ب و ن م ر ، وهو الحيوان المعروف . العنصر الثاني جاء كاسم علم نقوش المسند (٥). أما الثاني فهو يماثل الاسم المعروف إلى يومنا الحاضر بكر (٦)

(١) مثلاً الصفوية (انظر . Littmann, Safaitic, p. 307; Winnett, Harding, p.573; والنمودية ( انظر Harding, Thamudic, 510,511 ) ، قراءة النص رقم ٥١٠ من قبل هارننج يكتنفها الغموض ، فاستلذا إلى رخصة النقش المرفق (انظر Harding, Thamudic, pl.xxv) يتضح أن القراءة المناسبة هي كالتالي ل د ب م م م و ر ع ي "بواسطة داد بن م م و ر ع ي" ، رغم صعوبة تأكيد أن قراءة الحرفين ، الأول والثالث في الكلمة الأخيرة (و) و (ع) إلا بافتراض أن خطأ قد وقع ، إما من قبل كاتبه لو نقله هارننج الذي قرأ ل د ب م م م ر ت ع هـ

" by dad with the man who asked him to tend the flocks " (انظر Winnett, Reed, 34a ، المقروء من قبل وينت من ق م د د و ز ن ب د ن ، "هذا بدن المريض بالحب" and this is Badan, he is Lovesick ، إلا أنه من الأفضل ، اعتماداً على اللوحة المرفقة لهذا النص ( انظر نفس المرجع لوحة ٤ ، ص ٢٠٨ ) اعتباره نصين قصيرين ، يقرأ الأول من ق م (ب) د د ، "سقم بدن داد" ويقرأ الثاني ز ن ب د ن ، "وهذا بدن"

(٢) Flower, p. 117 د د ال اسم علم مشابه ، عُرف في النقوش السبئية والتبتانية والحضرية ( انظر Harding Index, p. 236 ، وإذا صح ذلك فيمكن مقارنته أيضاً بالاسم د د ي ا ، المعروف في نقوش ماري ( انظر Huffmon, p. 182

(٣) الحموي الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله ، معجم البلدان ، بيروت : دار صادر ( ١٢٧٤ هـ / ١٩٥٥ م ) ن م ج ٣ ، ص ١٦٢ . كما جاء كاسم علم في للنقوش الصفوية ( انظر Oxtoby, Safaitic, 133,325,329

(٤) للمزيد انظر الخبيب ، دراسات ، م ج ٢٤ ، عدد ٢ (١٩٩٧) نق ١٦ .

(٥) فيما عدا التبتانية والحضرية ( انظر Harding, Index, p. 599 ) وجاء بصيغة ن م ر و ، في النقوش الأرامية ( انظر Maraqten, p. 186 ) والنبطية ( انظر Cantineau, p.120

(٦) معجم أسماء العرب ، ص ٢٠٠ ، التشندي ، نهاية الأرب ، ص ٣٩٥ .

وهو اسم علم بسيط أعاده الدارسون إلى كلمة بَكَر وهي أول ولد ولدته الناقة (١) لكن لا يجب استبعاد احتمالية اشتقاقه من المفردة بك ر أى "المولود الأول" الوارد في النقوش الأوجاريتية (٢) وعليه فهو يعني إما "البكر" أو "المولود الأول". وقد جاء في النقوش الثمودية والصفوية (٣).

النقش رقم (١٣):

ل ت م ل ه و ح ر م ب ن م ل ك ذ ا ل ز ل م و ح ر م ن ك ل ه م  
بواسطة تيم الله وحرام بن مالك من قبيلة ز ل م و ح ر م ن كلهم .

التعليق:

كُتِبَ هذا النص بجانب النقش رقم : ١٢ ، ويؤرخ استناداً إلى علاماته إلى الفترة الثمودية المتأخرة وهو مكتوب من قبل الأخوين تيم الله وحرام المنتسبين إلى قبيلة ز ل م ، التي تظهر - حسب معلوماتنا - للمرة الأولى في هذه النوعية من النقوش ، وقد أوردها الحموي كاسم موضع بصيغة ز ل م (٤) وهو ليس بمستغرب ، فكثيراً من المواضع في بلاد العرب أخذت مسمياتها من أسماء ساكنيها وعلى

(١) Brown, p. 114, Noth, m., Die israelitischen Personennamen im Rahmen der geminsemitischen Namengebung, Stuttgart, (1928), p. 230; Cantineau, p. 71;

(Gray, p. 88; Stark, p. 76; Negev, p. 16; al-Said, p. 71

وكان ابن دريد قد ذكر ( وهذا مستبعد ) أن العرب تسمت بهذا الاسم لأن ولال بن قاسط وامراته ثمخض وهو يريد أن يرى شينا يسمى به ، فإذا بكر قد عرض له فرجع فولنت له غلاماً فسماه بكراً ( انظر الاشتقاق ، ص ٦٤ . بالنسبة للقبضة ( انظر ابن منظور ، لسان ، مج ٤ ، ص ص ٧٨ - ٧٩ ، و أيضاً في التوفية للعربية انظر Brown, p. 114. )

(٢) Gordon, p. 572 ، المعروفة أيضاً بالنية السريانية بصيغة "كان الأول" ( انظر Costaz, p. 30 وفي العبرانية ( انظر ابن منظور ، لسان ، مج ٤ ، ص ٧٨ - ٧٩ )

(٣) ( انظر Brown, p. 114 ) وفي العبرانية ( انظر ابن منظور ، لسان ، مج ٤ ، ص ٧٨ - ٧٩ )

(٤) ( انظر Harding, Index, p. 114 ) والصفوية ( انظر Littmann, Safaitic, p. 560 ) (٤) الحموي ، معجم البلدان ، مج ٢ ، ص ١٤٦ .

أية حال ، فيما عدا الكلمة الأخيرة في النص ، فإن القراءة المعطاة أعلاه مقبولة وهي تقرأ ك ل ه م المتكونة من اللفظة كُلّ وضمير الجمع المتصل هم العائد إلى عائلة أو عشيرة آل ح ر م ن وهذه الصيغة ك ل ه م عُرفت في نقوش شمالية أخرى (١) . وإذا عدنا إلى بداية النص فإن الاسم الأول المسبوق بالأداة اللام ، هو اسم علم مركب يعني "خادم ، عبد الإله" ، جاء بهذه الصيغة في العديد من نصوص المسند الشمالية (٢) . يلي ذلك اسم العلم البسيط ح ر م ، المسبوق بحرف العطف الواو . وهو اسم مشتق من الجذر السامي ح ر م ، "مَنَعَ ، حَرَمَ" (٣) ، وقد عُرف في نقوش ثمودية وسامية أخرى (٤) .

- (١) حيث جاءت بصيغة ك ل ل (نظر King, p. 685) وللمزيد من المقارنات (نظر النيب ، دراسات ، مج ٢٤ ، عدد ٢ (١٩٩٧م) نق ١٦ ، هامش : ٦٦ .
- (٢) مثلاً للحائية (نظر al-Ansary, p. 114) وفي الثمودية (نظر Harding, Index, p. 138) وفي الصنوية (نظر Hazim, R., Die Safaitischen Theophoren Namen im Rahmender Gemeinsemitischen Namengebung, Murburg: Druck: Gorich, Weiershauser, (1986), p. 18) وبالنسبة للنقوش السامية الأخرى (نظر النيب ، نقوش نبطية ، نق ٧٤ : ١ ، هامش ٣ و ٤ ، ص ١٠٥ ، سليمان عبد الرحمن "نقوش نبطية جديدة من قارة المزاد سكاكا الجوف : المملكة العربية السعودية" ، العصور ، مج ٧ ، الجزء الثاني (١٩٩٢م) نق : ١٦ .
- (٣) Flower, pp. 168, 179 وكان الشمري قد اعتبر اسم العلم المولث حرلم ، جاء من تقيض الحلال (نظر الشمري ، ص ١٧٨ ، والاسم حرلم جاء في الموروث العربي (نظر القلنشندي ، نهاية الأرب ، ص ٧٢) . وجاء الاسم أيضاً بصيغة المنكر (نظر الكبيسي ، جمهرة للنسب ، ص ص ١٥٥ - ١٦٦ ، الأندلسي ، جمهرة لقصاب العرب ص ٢١٥) .
- (٤) بالنسبة للنقوش الثمودية (نظر النيب ، مجلة جامعة الملك سعود الادب ، مج ١١ ، العدد الأول (١٤١٩هـ / ١٩٩٩م) ، نق ٢١ . وقد عُرف في النقوش الأجرائية (نظر Grodahl, p. 136) والأمورية (نظر Huffmon, p. 204) والمعينية (al- Said, p. 86) والصنوية (نظر Littmann, Safaitic, 828, 836) والحديبية (نظر حسين أبو الحسن ، قراءة جديدة لكتابات لحائية من جبل عكمة بمنطقة العلا ، الرياض : منشورات مكتبة الملك فهد الوطنية (١٤١٨هـ / ١٩٩٧م) ، نق ٤٧ : ٦ ، ٦٢ : ١ بينما جاء بصيغة ح ر م وفي النقوش النبطية (نظر Cantineau, p. 100; Negev, p. 31).

وبليه اسم العلم البسيط م ل ك ، المعروف أيضاً في العديد من نقوش المسند القديمة (١) والنقوش السامية الأخرى (٢) أما ح ر م ن ، فيصعب عدّه غير اسم علم لعائلة أو عشيرة وقد جاءت هذه اللفظة كاسم علم لشخص في النقوش الثمودية (٣) والآرامية الإمبراطورية (٤) والعبرية (٥) .

- (١) مثلاً في الحواريّة (قظر al-Ansary, p. 101) والصنوية (قظر Winnett, Safaitic, p. 198; Oxtoby, Safaitic, p. 160) والثمودية (قظر Harding, Thamudic, 47, 215, 237, 453; Branden, Philby II, (269bis), p. 30. والمعينة (٢) (al-Said, p. 162) وجاء بصيغة م ل ك في القبطية والسبئية والحضرية (قظر Harding, Index, p. 565) .
- (٣) مثل النقوش الأمورية (قظر Huffmon, p. 230) والعبرية (قظر Gray, G., Studies in Hebrew Proper Names, London: Adam and Charles Black, (1896), pp. 116, 122) وجاء بصيغة م ل ك ي وفي النقوش الحضرية (قظر Abbadi, p. 122) ولمزيد من المقارنات (قظر المعقل ، الذيب ، ص ٢٠٩) .
- (٤) Harding, Thamudic, 83, 113, 219, 259 A, 318, 498 (٣) Cowley, A., Aramaic Papyri of the Fifth Century B.C, Oxford: Clarendon Press, (٤) (1933), 22:4.
- (٥) Gray p. 131 الذي اعتبره إما على علاقة باسم المكان ح ر م ن المعروف في فتولة العبرية بصيغة **חֲרָמִים** "الجل المتنس" (قظر Brown, p. 356) لأن له صبغة دينية لارتباطه بالإله . ح ر م ون اسم على منبه عُرف في النقوش القبطية (قظر الذيب ، العصور ، مج ٧ ، الجزء الثاني ١٩٩٢م) لق ٥ .

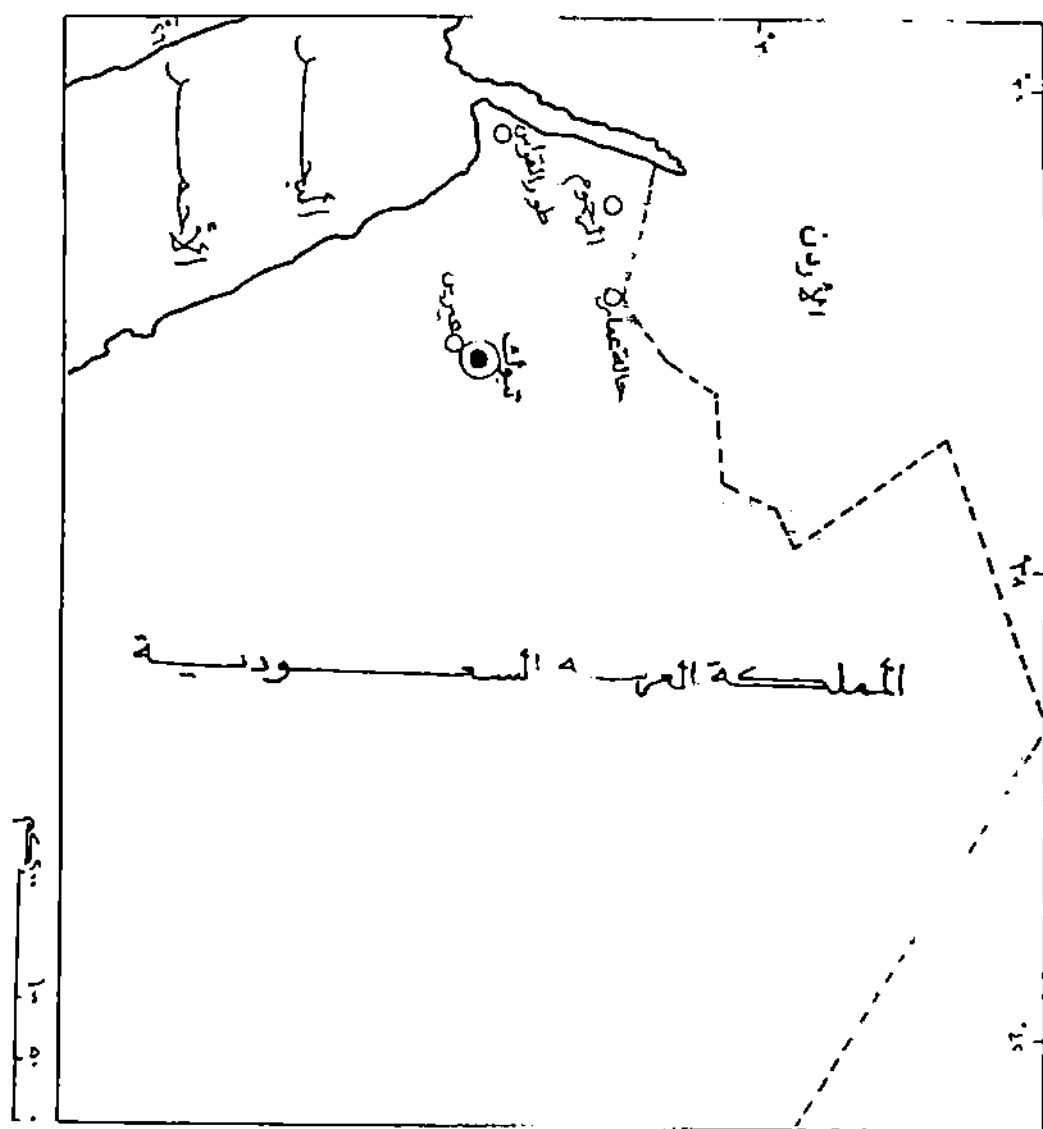
## أسماء

### الأعلام والألقاظ الواردة في هذه المجموعة

|                          |                       |
|--------------------------|-----------------------|
| ١٢                       | ابن م ر               |
| ١٠                       | ال هـ ت               |
| ٤                        | ب س ل                 |
| ١٣، ١٢، ٨، ٧، ٦، ٥، ٤، ١ | ب ن : "بن"            |
| ١٢                       | ب ك ر                 |
| ١                        | ب ن ا ق ي ن           |
| ١٣                       | ت م ل هـ              |
| ٧                        | ج ب ر أ و ع ب ر       |
| ١١                       | ح ب ب : "حَبْ"        |
| ٤                        | ح ر ب                 |
| ٥                        | ح ر ض                 |
| ١٣                       | ح ر م                 |
| ١٣                       | ح ر م ن : "اسم عائلة" |
| ١                        | ح ن ن                 |
| ٩                        | خ ط ط : "رسمه ، خط"   |
| ٦                        | د ح ل                 |
| ١٢                       | د د ي                 |
| ٩                        | د ن                   |
| ١٣، ١٢                   | ذال : "من قبيلة"      |



|                             |                         |
|-----------------------------|-------------------------|
| ٢                           | ذ ف ر                   |
| ١٢                          | ذ ك ر ت : " ذكرت "      |
| ٣                           | ز ع ف                   |
| ١٣                          | ز ل م : " اسم قبيلة "   |
| ١٢                          | ز ه م ن : " اسم قبيلة " |
| ١٢                          | س ل م                   |
| ٦                           | ع ت                     |
| ٨                           | ع م ر                   |
| ١٢                          | ع م ر ن                 |
| ٧                           | ع ه ن                   |
| ١١                          | غ ن ت : " انشدت، غنيت " |
| ١١                          | ف : " اداة "            |
| ١١                          | ك ل ه م " كلهم "        |
| ١٣، ١٢، ٩، ٨، ٧، ٤، ٣، ٢، ١ | ل " ل "                 |
| ١٢                          | ل ت : " ربه "           |
| ١١                          | ل ه م                   |
| ١٣                          | م ل ك                   |
| ٨                           | ن ز ر                   |
| ١١                          | ي س ل م                 |
| ١٣، ١٢، ٦                   | و : " حرف عطف "         |
| ١١، ١٠                      | و د د : " حَيَات "      |



السرور رندی ۱۰۴۱۱

نق: ۱۰

رندی ۱۰۴۱۱

۱۰۴۱۱

نق: ۴

نق: ۲

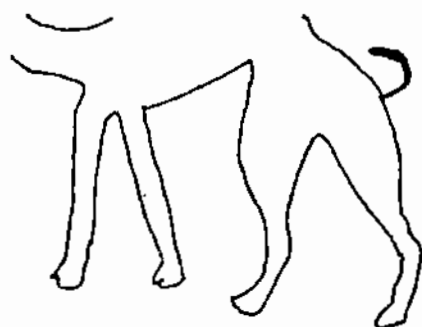


ماش

نق: ۸



نق: ۷



۱۰۴۱۱

نق: ۹

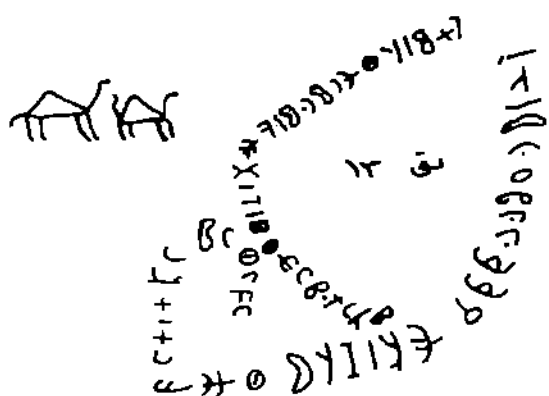
۱۰۴۱۱

نق: ۱



نق: ۱۱

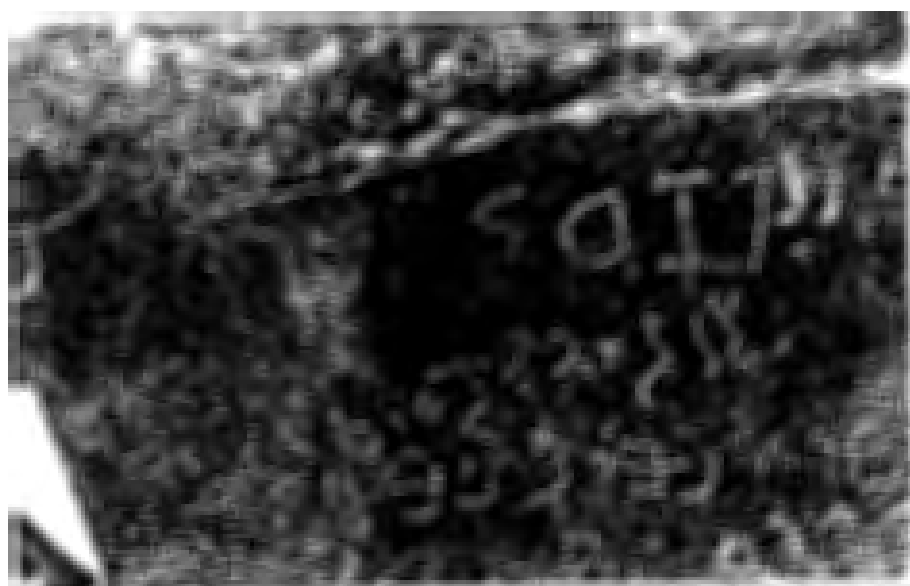
۱۰۴۱۱



نق: ۱۰



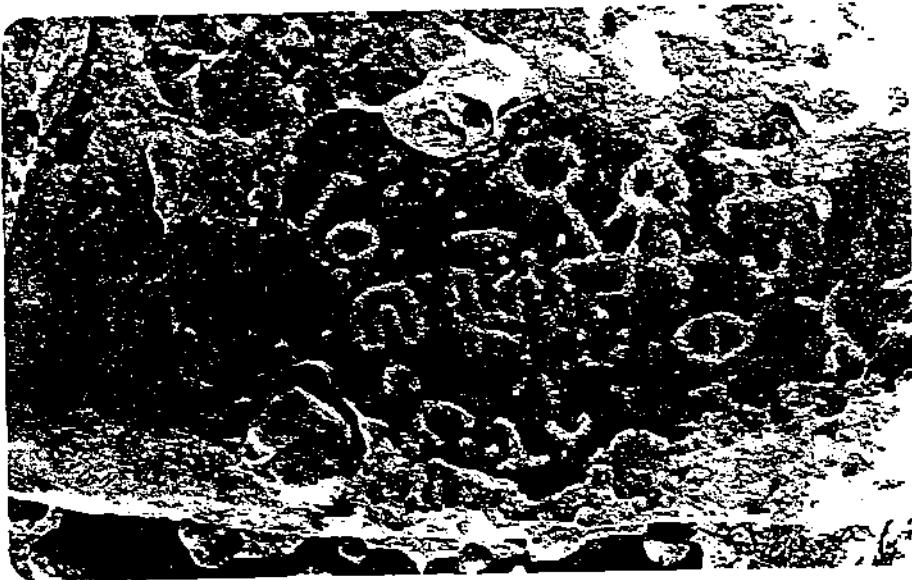
نقش ۱۰۰



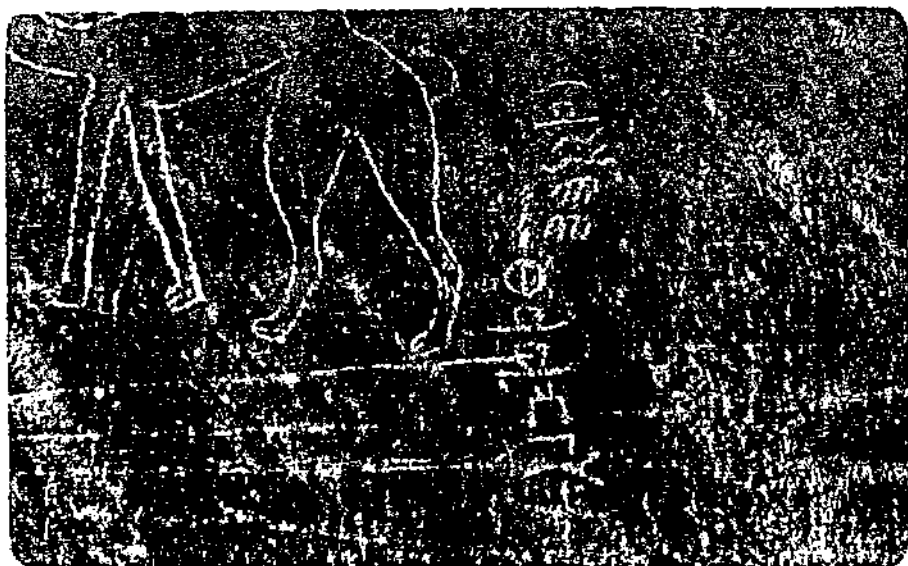
نقش ۱۰۲



نقش ۵ ۶ ۷



نقش ۸ ۹



نقش ۹ و ۱۰



نقش ۱۱



نقش ۱۲۰۱۲



تعامل الفراء مع (كلام العرب)

في

معاني القرآن

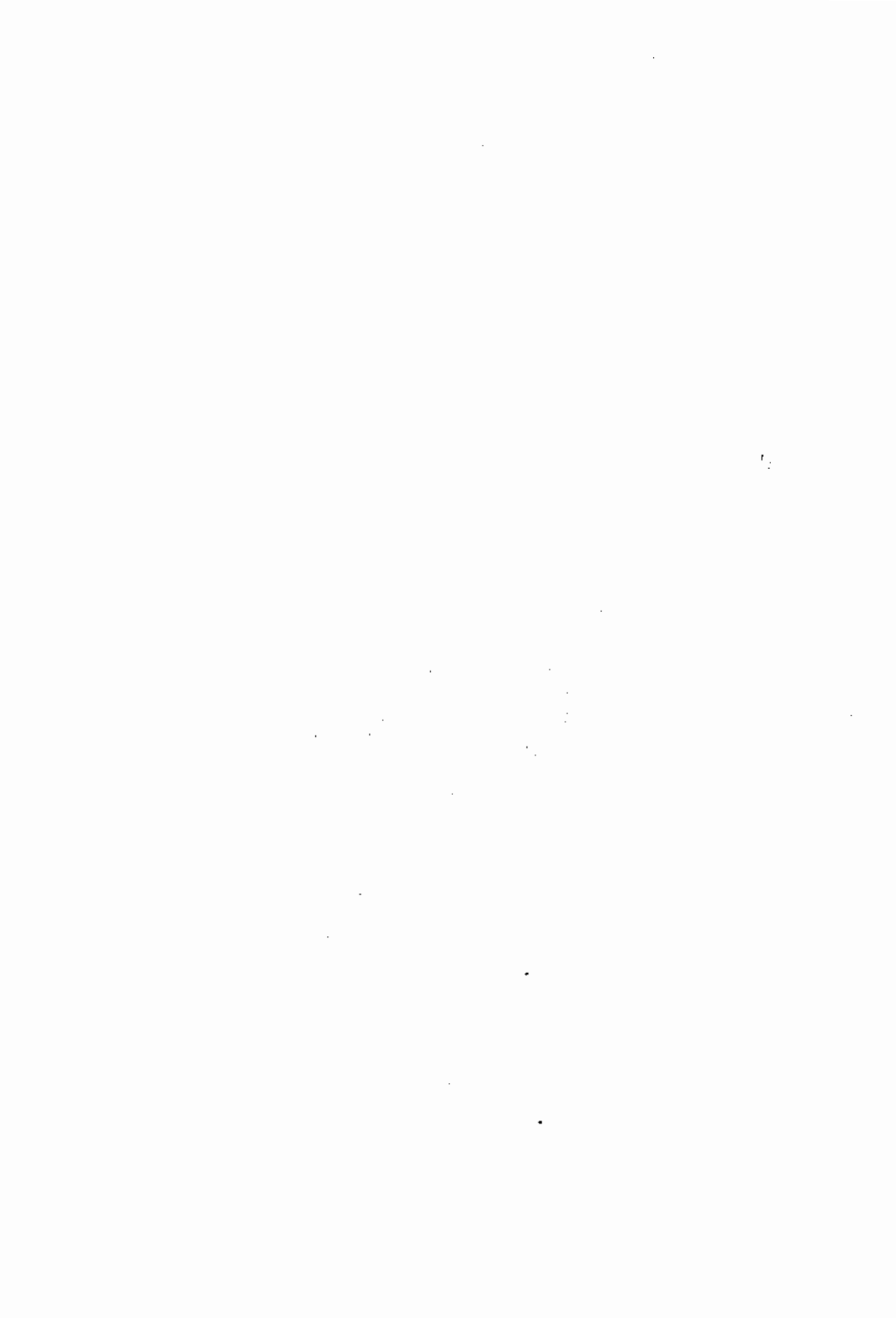
دراسة نحوية

والدكتورة

فائضة راشد الرواجحي

قسم اللغة العربية كلية الآداب

جامعة الكويت



يعدّ كتاب (معاني القرآن) للفراء (ت ٢٠٧هـ) من الكتب التي لم يُعْمَلْ قبلها ولا بعدها مثله، فقد ضم مسائل نحوية، وشرحا للتركيب النحوي لبعض الآيات القرآنية والقراءات، وبيان وجوه الإعراب من خلال كلام العرب وأقوالهم المأثورة، وقد اتخذ من النص القرآني نموذجا للعربية يقيم عليه تحليله النحوي. وهدفه من هذا البحث هو الكشف عن بعض المسائل النحوية التي عالجها الفراء في ضوء كلام العرب. أما ورد في كتاب الفراء من شرح وتفسير لآيات القرآن فلن يكون له مجال في هذه الدراسة؛ حيث إن تركيزي واهتمامي ينصب ويدور حول عرض الفراء وشرحه للتركيب النحوي في ضوء كلام العرب؛ وذلك من خلال سماعه مباشرة، أو ما سمعه ونقله عن شيخه الكسائي، ولذلك كان التركيز والنص على رأى الفراء من خلال ذلك الكلام. فالفراء يعدّ أبرع الكوفيين لما وصل إليه من علم من شيخه الكسائي، فقد روى وأخذ عنه الكثير، ولم يمنعه ذلك من أن يقف منه أحيانا موقفاً الناقد والمخالف لرأيه، أو أن يسلك مسلكا آخر خالف فيه الكسائي فيما ذهب إليه. وهو لا يفعل ذلك متعمداً أو حياءً في مخالفة أستاذه، وإنما لما توصل إليه من علم في أصول النحو الكوفي وقواعده، وما خطه لنفسه من مذهب خاص به، كما لراه يستخدم القياس لتعارضه مع السماع.

كما حمل الفراء العربية على الأنفاظ والمعاني فبرع في هذا العلم، يقول في ذلك (١): كل مسألة وافق إعرابها فهو الصحيح. وإنما لحق سيبويه الغلط؛ لأنه عمل كلام العرب على المعاني وخلى عن الأنفاظ، ولم يوجد في كلام العرب، وعلى أشعار الفحول إلا بالمعنى فيه مطبّق للإعراب، والإعراب مطبّق للمعنى.

امتثل كتاب الفراء بكثير من الآراء النحوية موضحاً تلك الآراء بما سمعه ونقله عن فصحاء العرب ممن وثق بهم كابى مروان، وأبى الجراح، وغيرهما، إلى جانب رواياته عن شيخه الكسائي وسماعه. مستهدداً على ذلك بكثير من القراءات وشواهد الشعر.

إلى جانب ما تقدم ذكره عن كتاب معاني القرآن للفراء وقيّمته العلمية، تبينت لي أيضاً أمور هي:

١ - طبقات النحويين واللغويين ص ١٢١.

الفراء أملى الكتاب دون أن تكون معه نسخة يقرأ منها .  
هذا الكتاب يعد المستند أو الوثيقة الأساسية التى يمكن خلالها التعرف على بعض  
أء مدرسة الكوفة النحوية .  
بدأ الفراء فى إملء هذا الكتاب فى المسجد فى آخر سنى حياته بعد أن وصل إلى  
لقمة فى التفكير اللغوى .

أقد ضمت هذه الدراسة الأمور الآتية :

- المقصود بكلام العرب عند الفراء وقد ذكرت نماذج له .  
- مصادر الفراء التى أخذ عنها كلام العرب فقد اعتمد الفراء على مصادر هى القرآن  
الكريم ، والقراءات المختلفة ، ولغات بعض القبائل .. إلى جانب شواهد كثيرة من  
الشعر ، والتى لم أقف على بعض منها فى كتب النحو والمجاميع الشعرية . ولعلها  
وصلت إلى الفراء عن طريق المشافهة ، والاتصال بالأعراب الفصحاء الموثوق بهم .  
ولذلك نراه يحتج بما سمع ووصل إليه ويبنى على ذلك آراء كثيرة . كما اعتمد  
الفراء على لهجات القبائل من تميم ، وأسد ، وقضاعة ، وسليم وغيرهما ، إلا أن هذا  
لا يعنى قبوله وترخيصه لكل اللهجات واللغات التى سمعها ورفضها البصريون ، وإنما  
قبل بلغات من وثق بهم ، ورأى أن لغتهم تمثل الفصحى من اللغات ، ووجد عندهم  
مادة وفيرة من الشعر واللغة مما لا يصح إغفاله ، وهذا ما أثار غضب البصريين عليه .  
وكما توسع الكسائى فى الرواية عنهم ، اتبع الفراء طريق أستاذه فى ذلك ، ولذلك  
نراه يكثر من النقل عنهم بقوله : وسمعت العرب ، ومما قالته العرب ، ومن العرب من  
يقول ، وأنشدنى بعض بنى أسد ، وعند سليم ...

٢ - طريقة الفراء فى التعامل مع كلام العرب وشمل :

أ - تعليق الفراء على هذا الكلام .

ب - النقد له .

ج - موقفه من مرويات الكسالى وآرائه النحوية .

٤ - بعض القضايا النحوية التى عالجها الفراء فى ضوء كلام العرب . كالحذف ، والاضمار ،  
والتضمنين ، والإظهار والتنوين ، والتام والناقص ، واللازم والمتعدى .

٥ - نتائج البحث . خلاصة لأهم الخصائص التي تطبع التركيب النحوى للجملنة العربية  
فى ضوء كلام العرب . كما رآها القراء .

والله الموفق ،،،

أولاً : المقصود بـ "كلام العرب" عند الفراء : الجمل والأمثال والأقوال التي استعان بها في شرح التركيب التحوي لبعض الآيات القرآنية والقراءات ، وتخييج الشواهد ، وبيان وجوه الإعراب ، وكان الفراء في عرضه وشرحه للآيات القرآنية وبيان وجوه القراءات يستعين بتلك الجمل والأمثال والأقوال إلى جانب الشواهد الشعرية . وقد اعتمد الفراء على عدة مصادر استقى منها كلام العرب ، من هذه المصادر :

١ - مرويات أستاذه الكمالى .

٢ - الأعراب الذين نزلوا إلى الحواضر .

٣ - لهجات القبائل .

٤ - سماع الفراء الخاص به .

والتماذج على ذلك كثيرة أورد منها (١) :

- قوله : العرب تضيف أفعالها إلى أنفسها ، وإلى ما أوقعت عليه فيقولون : ( قد ندمت على ضربى إياك . وندمت على ضربك ) فهذا من ذلك .

- وقال : العرب تقول : زيد فليقم ، وزيداً فليقم<sup>(١)</sup> . فمن رفعه قال : أرفعه بالفعل الذى بعده إذا لم يظهر الذى قبله . وقد يرفع أيضاً بأن يضم له مثل الذى بعده ، كأنك قلت : لينظر زيد فليقم ومن نصبه لكأنه قال : انظروا زيداً فليقم .

- وفى تعليقه على قوله تعالى ( ودانية عليهم ظلالها ) (٢)

قال : يكون نصباً على ذلك : جزاؤهم جنة متكئين فيها ، ودانية ظلالها . وإن شئت جعلت الدانية تابعة للمتكئين على سبيل القطع الذى قد يكون رفعاً على الاستئناف ... وقد تكون الدانية منصوبة على مثل قول العرب : ( عند فلان جارية جميلة . وشابة بعد طرية ) ، يعترضون بالمدح اعتراضاً ، فلا ينوون به النسق على ما قبله ، وكأنهم يضمرون مع هذه الواو فعلا يكون به النسب فى إحدى القراءتين .

١ - معاني الفراء ٢ : ٧١ ، ٤٢٤ .

٢ - الإسكان آية ١٤ . وأجمع : معاني الفراء ٣ : ٢١٦ .

-وقد يأتي بكلام العرب مشفوعا بشاهد من الشعر . فقد ذكر أن العرب تقول : ( إن لا مال اليوم فلا مال أبدا ) . يجتلون ( لا ) على وجه التبرئة ، ويرفعون على ذلك المعنى ، ومن نصب بالثنون فعلى اضممار فعل ، ومما أنشده بعض العرب (٢) :  
فإن لا مال أعطيه فإنسى      صديق من غدو أو رواج

- ومن النماذج التي أوردها الفراء من لهجات العرب قوله (٣) : كل لام إذا استؤنفت ولم يكن قبلها واو ولا فاء ، ولا ثم كسرت . فإذا كان معها شيء من هذه الحروف سكنت . وقد تكسر مع الواو على الأصل . وإنما تخفيفها مع الواو كتخفيفهم ( وهُوَ ) قال ذلك ، و ( هُئِي ) قالت ذلك . وبنو سليم يفتحون اللام إذا استؤنفت فيقولون : ليقيم زيد ، ويجعلون اللام منصوبة في كل جهة ، كما نصبت تميم لام كي إذا قالوا ( جئت لآخذ حقى ) . ومن ذلك أيضا قوله (٤) : لغة قوم أن يقولوا : أتيها عشايا ، ويقولون في ثنية الحمراء حمرايان . واكتفى بذلك دون تعليق .

ومن المصادر التي اعتمد عليها أيضا سماعه الخاص به ، من ذلك قولهم (كان مرة وهو ينفع الناس أحسابهم) . قال الفراء (٥) : إذا طلبت الواو الاسم أدخلوا لها ( هو ) لأنه اسم . سمعت بعض العرب يقول كان مرة وهو ينفع الناس أحسابهم ، وأنشدني بعض العرب (٦) :

فأبلغ أبا يحيى إذا ما لقيته      على العيس في آباطها عرق يمس  
بأن السلمي الذي بضربة      أميرا الحمى قد باع حقى بنى عيس  
بثوب ودينار وشاة ودرهم      فهل هو مرفوع بما ها هنا رأس

٢- معاني الفراء ٣: ١٩٥ .

٤- معاني الفراء ١: ٢٨٥ .

٥- معاني الفراء ١: ٣٥٢ .

٦- معاني القرآن ١: ٢/٥١ : ٢١٢ .

٧- لم أشر على البيت الأول والثاني في المراجع التي رجحت اليها . وقد ورد البيت الثالث بلا لبس في شرح التصريح ٢: ٧٢ ، والهمع ٢: ٦٧ .

في البيت إلفاء ؛ لأن روى البيت الأول والثالث مرفوع ، والثاني مجرور .

فجعل مع (هل) العماد وهي لا ترفع ولا تنصب ، لأن هل تطلب الأسماء أكثر من طلبها فاعلا . قال : وكذلك ( ما ) و ( أما ) تقول : ما هو بذاهب أحد ، وأما هو فذاهب زيد . لقبح أما ذاهب فزيد .

وعن العرب أنشد القاسم من معن (٤) :  
حَلَفْتُ لَهُ إِنْ تَدْلِجُ اللَّيْلَ لَا يُزِلُّ أَمَامَكَ بَيْتَ مَنْ يَبُوتِي سَائِرَ

قال (٥) والمعنى حلفت له لا يزال أمامك بيت ، فلما جاء بعد المجزوم صير جوابا للجزم ، أى إذا جاء بعد حرف ينوى به الجزم صير جزما جوابا للمجزوم وهو فى معنى رفع . ومثله فى العربية : ( آتيك كى إن تحدثنى بحديث أسمعه منك ) فلما جاء بعد المجزوم جزم .

ثانيا : طريقة الفراء فى التعامل مع كلام العرب :

يعد " كلام العرب " من مصادر الاستشهاد التى اعتمد عليها الفراء فى كتابه ، وهو يقف منه موقف الناقد الذى يحسن الاختيار ، والمدقق الذى يحاول الإفادة منه فى قضايا النحو والتصريف التى يشرحها ؛ لذلك رفض الكثير من مرويات أستاذه الكسائى ؛ بالإضافة إلى عدم أخذه بالكثير من آرائه النحوية . وفى هذه الجزئية من البحث سوف أذكر بعض النصوص أو النماذج التى تبين موقف الفراء من " كلام العرب " ، وطريقة تعامله مع المسائل النحوية فى ضوء هذا الكلام ؛ حيث يقف منه فى بعض الأحيان موقف الموافق ، وموقف الناقد له فى بعض الأحيان الأخرى ، وكذا الأمر بالنسبة لموقفه من مرويات الكسائى وآرائه النحوية . والنماذج التى بين أيدينا ستكشف لنا كل ذلك ، وقد قسمتها إلى ثلاثة جوانب هى :

أ - تعليق الفراء على كلام العرب .

٤- شرح أبيات المغنى ٤: ٣٦٩ .

٥- معانى الفراء ١: ٦٩ .



ب- النقد له .

ج- موقفه من مرويات الكسالى وآرائه النحوية .

وإليك البيان :

أ - التعليق على هذا الكلام : تمثل موقف القراء فى تعامله مع كلام العرب فى التعليق على هذا الكلام ، وذلك عند شرحه للآيات القرآنية حيث نراه يوافق العرب فيها ذهبوا إليه وذكروه ، بالنص على ذلك ، وتدعيم ذلك أيضا بشواهد من الشعر ، والآيات القرآنية . وأحيانا نراه يذكر هذا الكلام وينص على موافقته بقوله وهذا صواب ، ونراه أحيانا أخرى يسكت وهذا يعنى الموافقة أيضا .

وتمثل ذلك فى نماذج منها ما يأتى :

- من كلام العرب ( لو تركت والأسد لأكلك ، ولو خلّيت ورأيت لضللت ) .

ومن كلامهم أيضا ( لست لأبى إن لم أقتلك أو تذهب نفسى ، والله لأضربنك أو تسبقنى فى الأرض ) .

ذكر القراء<sup>(١)</sup> هذا المثل شاهدا على أن من أمثلة بعض الأسماء التى نصبتها العرب وهى معطوفة هذا المثل . ويرى أن ذلك يعود إلى أنه لما لم يحسن فى الثانى أن تقول : لو تركت وترك رأيت لضللت ، تهيّبوا أن يعطفوا حرفا لا يستقيم فيه ما حدث فى الذى قبله والعرب تجيز الرفع كقول القائل : لو ترك عبد الله والأسد لأكله . لكن هل يجوز فى الأفاعيل التى نصبت بالواو على الصرف أن تكون مردودة على ما قبلها وفيها معنى الصرف ؟ يرى القراء أن ذلك يجوز ؛ لأن العرب تقول : لست لأبى إن لم أقتلك أو تذهب نفسى ويقولون : والله لأضربنك أو تسبقنى فى الأرض . وهذا مردود على أول الكلام ، ومعناه الصرف ، لأنه لا يجوز على الثانى إعادة الجزم بلم ، ولا إعادة اليمين على والله لتسبقنى ، فتجد ذلك إذا امتحنت الكلام ، والصرف فى غير ( لا ) كثير وقد نصب ( تسبقنى ) ويجوز الجزم . كان الجزم فى جوازه : لست لأبى إن لم يكن أحد هذين ، والنصب على أن آخره منقطع عن أوله . ويعقب على ذلك فى

<sup>١٠</sup> - معالى القراء ١ : ٢/٧١ .

موضع آخر<sup>(١١)</sup> في قولهم : ( لو تُرَكَت والأسد لأُكَلِك ) أنه لما جاءت الواو ترد اسما على اسم قبله ، وقبح أن ترد الفعل الذي رفع الأول على الثاني نصب ، ألا ترى أنك لا تقول : لو تركت وترك الأسد لأُكَلِك . فمن ها هنا أتاه النصب ، وجاز الرفع ، لأن الواو حرف نسق معروف فجاز فيه الوجهان للعتين . والمراد بقوله نصبت بالواو على الصرف أن تأتي بالواو معطوفة على كلام أوله حادثة لا تستقيم إعادتها على ما عطف عليها فإذا كان كذلك فهو الصرف عند الفراء<sup>(١٢)</sup> .

- من أقوالهم ( ذَهَبَتْ ففعلت وفعلت )

علق الفراء<sup>(١٣)</sup> على هذا بقوله : أن العرب تستفهم بالتوبيخ ، ولا تستفهم فيقولون : ذهبت ففعلت وفعلت ، ويقولون : أذهبت ففعلت ففعلت وفعلت . وقد وافقهم على ذلك بقوله : وكل صواب . فعلم أن الهمزة تأتي للتوبيخ مجردا من التقرير تارة ومصاحبا له تارة أخرى .

- وفي قول العرب ( مثل من عبد الله ) ، و ( زيد كمثلك )

تجد الفراء يعلق عليه ، ويعلل لذلك ، كما يورد شواهد من القرآن والشعر لدعم ما ذهب إليه . قال الفراء : العرب تنصب ( مثل ) إذا رفع بها الاسم فيقولون : ( مثل من عبد الله ) ؟ ويقولون : ( عبد الله مثلك ) ، وأنت مثله . وعلل النصب فيها أن الكاف قد تكون داخلة عليها ، فتنصب إذا أُلقيت الكاف . فإن قال قائل : أفيجوز أن تقول : زيد الأسد شدة ، فتنصب إذا أُلقيت الكاف ؟ قلت : لا ؛ وذلك أن ( مثل ) تؤدى عن الكاف ، والأسد لا يؤدى عنها ، ألا ترى قول الشاعر<sup>(١٤)</sup> :

وَزَعْتُ بَكَاهِرَاوَةَ أَعُوجِيٍّ      إِذَا وَنَتْ الرِّكَابَ جَرَى وَثَابَا

<sup>١١</sup> - نفسه ٢ : ٧١ وراجع : شرح المفصل ٢ : ٢١ .

<sup>١٢</sup> - الصرف : مصطلح كرون يقصد به بمن الفعل بعد الواو أو الفاء أو " ثم " أو " أو " منصوبا مع امتناع عطفه على ما قبله غالبا .

<sup>١٣</sup> - معالي الفراء ٣ : ١٥٤ ٨٥

<sup>١٤</sup> - لابن شاذية السلمي راجع : المقرب ٢١٦ ، وصف المعالي ٢٢٣ ، ٢٢٢ ، اللسان ١ : ٥١٨ ( لوب ) .

أن الكاف قد أجزأت من مثل ، وأن العرب تجمع بينهما ، فيقولون : (زيد كمثلك) وقال الله عز وجل (ليس كمثله شئ وهو السميع البصير<sup>(١٥)</sup>) ، واجتماعهما دليل على أن معنهما واحد .

- وجاء من كلام العرب (مررت برجل جميل وشابا بعد ، ومررت برجل عاقل وشرحا طوالا) .

عند هذا الكلام نجد الفراء<sup>(١٦)</sup> يعلق على وجهي النصب ، والخفض بما ورد في قوله تعالى ( وأتى المال على حبه ذوى القربى ... والصابرين )<sup>(١٧)</sup> حيث قال : نصب الصابرين على إيقاع الفعل عليهم ، والوجه أن يكون نصبا على نية المدح؛ لأنه من صفة شئ واحد ، والعرب تقول فى التكرات كما يقولونه فى المعرفة ، فيقولون : وذكر القولين . ثم أورد ما أنشده فى قول الشاعر<sup>(١٨)</sup> :

وياوى إلى نسوة بائسات      وشعثا مراضع مثل السعالى

و (شعث) فيجعلونها خفضا بإتباعها أول الكلام ، ونصبا على نية ذم فى هذا الموضع .

ويرى سيبويه أنك لو قلت : مررت بزيد أخيك وصاحبك ، كان حسنا ، ولو قلت : مررت بزيد أخيك فصاحبك ، والصاحب زيد ، لم يجز ، فالواو عنده أحسن . وجاءت رواية البيت عنده ( وشعث ) بالواو والخفض . ويقول : ولو قلت : (فشعث) فقبیح .

ومن كلام العرب الذى علق عليه الفراء قولهم (أضمنه حتى الأربعاء أو الخميس) ، (قد ضرب القوم حتى كبيرهم) والكلام هنا عن (حتى) حيث أن

<sup>١٥</sup> - النورى آية ١١ .

<sup>١٦</sup> - معالى الفراء ١ : ١٠٨ .

<sup>١٧</sup> - البقرة آية ١٧٧ .

<sup>١٨</sup> - لأمية بن أبى عائد الهذلي . وفى رواية :

له نسوة عاقلات الصدو      رجوع مراضع مثل السعالى

راجع : الكتاب ١ : ٣٩٩ / ٢ : ٦٦ ، المقرب ٢٤٦ ، شرح ابن عيسى ٢ : ١٨ .

ويروى نسوة عاقل : جمع عاقل وهن اللواتى لاهلى عليهن .

لها ثلاثة معانٍ في الأسماء كما أن لها ثلاثة معانٍ في الفعل<sup>(١)</sup> . وحديثنا هنا عن معانيها في الأسماء . فقد ذكر الفراء أن الوجه الأول لها أن ترى بعد (حتى) اسماً وليس قبلها شئ يشاكله يصلح عطف ما بعد حتى عليه ، أو أن ترى بعدها اسماً وليس قبلها شئ فالتحرف بعد (حتى) مخفوض في الوجهين ؛ من ذلك قول الله تبارك وتعالى (تمتعوا حتى حين)<sup>(٢)</sup> ، و (سلام هي حتى مطلع الفجر)<sup>(٣)</sup> لا يكونان إلا خفضا ، لأنه ليس قبلهما اسم يعطف عليه ما بعد حتى ، فذهب بحتى إلى معنى (إلى) والعرب تقول : (أضمنه حتى الأربعاء أو الخميس) خفض لا غير ، وأضمن القوم حتى الأربعاء) .

والمعنى : أن أضمن القوم في الأربعاء ؛ لأن الأربعاء يوم من الأيام ، وليس بمشاكل للقوم فيعطف عليهم .

والوجه الثاني : أن يكون ما قبل حتى من الأسماء عدداً يكثر ثم يأتي بعد ذلك الاسم الواحد أو القليل من الأسماء ، فإذا كان كذلك فانظر إلى ما بعد حتى ، فإن كانت الأسماء التي بعدها قد وقع عليها من الخفض والرفع والنصب ما قد وقع على ما قبل حتى ففيها وجهان : الخفض والإتباع لما قبل حتى ، من ذلك : (قد ضرب القوم حتى كبيرهم ، وحتى كبيرهم ، وهو مفعول به في الوجهين قد أصابه الضرب . وذلك أن إلى قد تحسن فيما قد أصابه الفعل ، وفيما لم يصبه ؛ من ذلك أن تقول : أعتق عبيدك حتى أكرمهم عليك . تريد : وأعتق أكرمهم عليك ، فهذا مما يحسن فيه إلى ، وقد أصابه الفعل . وتقول فيما لا يحسن فيه أن يصيب الفعل ما بعد حتى : الأيام تصام كلها حتى يوم الفطر وأيام التشريق . معناه يمسك عن هذه الأيام فلا تصام . وقد حسنت فيها إلى .

والوجه الثالث : أن يكون ما بعد (حتى) لم يصبه شئ مما أصاب ما قبل حتى ؛ فذلك خفض لا يجوز غيره ؛ كقولك : هو يصوم النهار حتى الليل ، لا يكون الليل

<sup>١</sup> - معاني الفراء ١ : ١٣٦ ، ١٣٢ ، ١٣٨ سبرد في الكلام عن مولفه من التلوي .

<sup>٢</sup> - الداريات آية ٤٣ .

<sup>٣</sup> - القدر آية ٥ .

إلا خفضا، وأكلت السمكة حتى رأسها، إذا لم يؤكل الرأس لم يكن إلا خفضا  
وأما قول الشاعر<sup>(٢٢)</sup>:

فيا عجبا حتى كليب تسبني      كأن أباهما نهشل أو مجاشع

فإن الرفع فيه جيد وإن لم يكن قبله اسم؛ لأن الأسماء التي تصلح بعد حتى  
منقردة إنما تأتي من المواقيت؛ كقولك: أقم حتى الليل. ولا تقول: أضرب  
حتى زيد؛ لأنه ليس بوقت، فلذلك لم يحسن أفراد زيد وأشباهه، فرفع بقوله،  
فكانه قال: يا عجبا أتسبني اللثام حتى يسبني كليبى. فكانه غطفه على نية  
أسماء قبله. والذين خفضوا توهّموا في كليب ما توهّموا في المواقيت، وجعلوا  
الفعل كأنه مستأنف بعد كليب، كأنه قال: قد انتهى بى الأمر إلى كليب،  
فسمكت، ثم قال: تسبني<sup>(٢٣)</sup>. ويرى سيبويه أن (حتى) هنا بمنزلة إذا، وهى  
ههنا كحرف من حروف الابتداء.

- وفى جواز الرفع والنصب على نية تكرير الفعل ذكر الفراء<sup>(٢٤)</sup> من قول العرب:  
(أخذت صدقاتهم لكل أربعين شاة شاة؛ ولو نصبت الشاة الآخرة كان صوابا).

- ومما أجازته الفراء وهو عند العرب على قلة قوله<sup>(٢٥)</sup>: قلما تقول العرب: زيدا  
عليك، وزيدا دونك. وهو جائز كأنه منصوب بشئ مضمّر قبله، قال الشاعر<sup>(٢٦)</sup>:  
يا أيها الماتح دلوي دونكا      إني رأيت الناس يحمدونكا

<sup>٢٢</sup> - للفرزدق من قصيده هجا بها جريرا، وكليب، رهط جرير، ونهشل ومجاشع ابنا دارم بن مالك ابن حنظلة، ومجاشع  
قبيلة الفرزدق راجع: شرح ديوانه ١٣٨، الكتاب ٣: ١٨.

شرح المفصل ٨: ١٨، وشرح أبيات المعنى ٣: ١١٤، ١٢٢ فى رواية الديوان: فيا عجبي.

<sup>٢٣</sup> - معالى الفراء ١: ٣٦٠، وراجع: الكتاب ٣: ١٨.

<sup>٢٤</sup> - نقه ١: ١٥٣.

<sup>٢٥</sup> - معالى الفراء ١: ٣٦٠. وراجع المقرب ١٥١.

<sup>٢٦</sup> - لجارية من الأنصار، وقيل: لراجز جاهلى من بنى أسيد. راجع: المقرب ١٥١، شرح المفصل ١: ١١٧، أو نوح  
المصالح ٣: ١٢٠.

الدلو رفع ، كقولك : زيد فاضريوه . والعرب تقول : الليل فبادروا والليل فبادروا .  
وتنصب الدلو بمضمر ، كأنك قلت : دونك دلوى دونك .

وفى الكلام على ( غير ) اتى فى معنى ( إلا ) يورد الفراء من كلام العرب قولهم  
(<sup>٣٧</sup>) : ( ما جاءنى غيرك ، وما أتانى أحد غيرك ) . ويقول : بعض بنى أسد وقضاعة  
إذا كانت ( غير ) فى معنى ( إلا ) نصبوها ، تم الكلام قبلها أو لم يتم . فيقولون : ما  
جاءنى غيرك وما أتانى أحد غيرك . وأنشدنى المفضل (<sup>٣٨</sup>) :

لم يمنع الشرب منها غير أن هتفت حمامة من سحوق ذات أوقال  
فهذا نصب وله الفعل والكلام ناقص ، وقال الآخر (<sup>٣٩</sup>) :  
لا عيب فيها غير شهلة عينها كذاك عتاق الطير شهلا عيونها  
فهذا نصب والكلام تم قبله .

- ومما غلط به الفراء من أقوال وكلام العرب قولهم : ( لبأت بالحج ، وحلأت  
السويق . وراثت زوجى بأبيات ) قال الفراء (<sup>٤٠</sup>) : ربما غلطت العرب فى الحرف  
إذا ضارعة آخر من الهمز فيهمزون غير المهموز . سمعت امرأة من طيى تقول :  
راثت زوجى بأبيات . ويقولون : لبأت بالحج ، وحلأت السويق . فيغلطون ! لأن  
حلأت قد يقال فى دفع العطاش من الإبل ، ولبأت ، ذهب إلى اللبأ (<sup>٤١</sup>) الذى  
يؤكل ، وراثت زوجى ذهبت إلى رثينة اللبن ، وذلك إذا حلبت الحليب على  
الرائب .

<sup>٣٧</sup> - معانى الفراء ١ : ٢٨٢ / ٢ / ٣٦٦ .

<sup>٣٨</sup> - نبيه سيويه الى الكتاني . كما نسب لأبى قيس من الأسلت ، ولأبى قيس بن رفاعه . راجع : الكتاب ٢ : ٣٢٩ ، الأصول  
٢٩٨ ، شرح المفصل ٣ : ٨٠ ، ٨١ / ٨ / ١٣٥ ، شرح التصريح ١ : ١٥ .

<sup>٣٩</sup> - أنشده صحران العبدى . الحيوان ٥ : ٢٧٥ . والرواية فيه

ولا عيب فيها غير شكلة عينها كذاك عتاق الطير شكل عيونها

<sup>٤٠</sup> - معانى الفراء ١ : ٤٥٩ / ٢ / ٢١٦ .

<sup>٤١</sup> - هو أول اللبن عند الولادة . أى حلبت السويق ، ولبيت بالحج ورثيت الميت . السويق طعام يتخذ من الحنطة والشير .

وقد يقيس الفراء على ما جاء من كلام العرب . من ذلك قولهم : ( إنما البرد شهران ) . قال الفراء (٢) : إذا جعلت الميعاد في تكررة من الأيام والليالي والشهور والسنين رفعت فقلت : ميعادك يوم أو يومان ، وليلة وليلتان . والعرب تقول : ( إنما البرد شهران ، وإنما الصيف شهران ) . ولو جاء نصبا كان صوابا . وإنما اختاروا الرفع ؛ لأنك أبهمت الشهرين فصارا جميعا كأنهما وقت للصيف . وإنما اختاروا النصب في المعرفة ؛ لأنها حينئذ معلوم مسند إلى الذي بعده ، فحسنت الصفة ، كما أنك تقول : اجتمع الجيشان فالمسلمون جانب ، والكفار جانب . فإذا أضفت نصبت فقلت : المسلمون جانب صاحبهم ، والكفار جانب صاحبهم ، فإذا لم تضيف الجانب صيرتهم كالجانب ، لا أنهم فيه ، فقس على ذلك .

- من كلام العرب ( عجبت من قيامكم أجمعون ) . ( عجبت من قيامكم أجمعين ) و ( عجبت من تساقطها بعضها فوق بعض ) . ( سمعت قرع أنيابه بعضها بعضا ) . نلاحظ مما سبق أن كلمة ( أجمعون ) جاءت مرة بالرفع ومرة بالخفض ، وكذلك كلمة ( بعضها ) . ويرى الفراء (٣) أننا نقول في الكلام : عجبت من موافقتك كثرة شرب الماء ، وعجبت من اشتراكك عبدا لا تحتاج إليه . فإذا وقع مثلها في الكلام فأخره بالمعنى لا باللفظ . والعرب تقول : عجبت من قيامكم أجمعون وأجمعين ، وقيامكم كلكم وكلكم . فمن خفض أتبعه اللفظ ؛ لأنه خفض في الظاهر ، ومن رفع ذهب إلى التأويل . والعرب تقول : عجبت من تساقطها بعضها فوق بعض ، وبعضها ، على مثل ذلك . هذا إذا كنوا . فإذا قالوا : سمعت قرع أنيابه بعضها بعضا خفضوا ( بعض ) وهو الوجه في الكلام ، لأن الذي قبله اسم ظاهر ، فأتبعوه إياه ، ولو رفعت ( بعضها ) كان على التأويل .

٢٢ - معالي الفراء ٢ : ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

٢٣ - معالي الفراء ٢ : ٣٢٤ .

ومما جاء أيضا من كلام العرب وفيه أكثر من وجه للإعراب قولهم : ( رأيت زيدا مع امرأة محسن إليها ) . قال الفراء (٣٤) : تقول العرب : رأيت زيدا مع امرأة محسن إليها ، ومحسنا إليها . فمن قال ( محسنا ) جعله من صفة زيد ، ومن خفضه فكانه قال : رأيت زيدا مع التي يحسن إليها . فإذا صارت الصلة للكرة أتبعها . وإن كان فعلا لغيرها . وقد قال الأعشى (٣٥) :

فقلت له هذه هاتِها فجاء بأدماء مُتَّادِها

فجعل المتباد تابعا لإعراب الأدماء ؛ لأنه بمنزلة قولك : بأدماء يتَّادها فخفضه ، لأنه صلة لها . وقد يشد بأدماء متَّادها تخفض الأدماء لإضافتها إلى المتباد ومعناه : بملء يدي من اقتادها ، ومثله في العربية أن تقول : إذا دعوت زيدا فقد استنثت بزید مستغيثه . فمعنى زيد مدح أى أنه كافي مستغيثه . ولا يجوز أن تخفض على مثل قولك : مررت على رجل حسن وجهه ؛ لأن هذا لا يصلح إلا أن تقول : حسن الوجه . وخطأ أن تقول : مررت على امرأة حسنة وجهها . وحسنة الوجهه صواب .

- ومما توسعت به العرب قولهم ( نهارك صالم ) و ( ليلك نائم ) قال الفراء (٣٦) : يجوز أن تضيف الفعل إلى الليل والنهار ، ويكول كالتفاعلين ؛ لأن العرب تقول : ( نهارك صالم ) و ( ليلك نائم ) ، ثم تضيف الفعل إلى الليل والنهار وهو في المعنى للآدميين ، كما تقول : نام ليلك ، وعزم الأمر ، إنما عزمه القوم . فهذا مما يعرف معناه فتسع به العرب .

- ومما جاء على غير لغة العرب ، وهو لغة في بنى أسد قولهم : ( وهذا اسماعين قد جاء ) قال الفراء (٣٧) : العجمي من الأسماء قد يفعل به هذا . فالعرب تقول : ميكال وميكائيل وميكائين بالنون . وهى في بنى أسد . يقولون : هذا اسماعين

٣٤ - معاني الفراء ٢ : ٣٤٢ .

٣٥ - ديوانه ٥٨ . وفي رواية الديوان : فقلنا له : هذه هاتِها بأدماء في جبل مُتَّادِها

٣٦ - معاني الفراء ٢ : ٣٦٣ .

٣٧ - معاني الفراء ٢ : ٣٩١ .



قد جاء بالثون ، وسائر العرب باللام . وأنشدني بعض بني نمير لضب صاده بعضهم<sup>(٢٨)</sup>

يقول أهل السوق لما جئنا هذا ورب البيت أسرائنا

فهذا وجه لقوله تعالى ( سلام على إلياسين )<sup>(٢٩)</sup> وإن شئت ذهبت إلياسين إلى أن تجعله جمعا . فتجعل أصحابه داخلين في اسمه ، كما تقول للقوم رئيسهم المهلب : قد جاءكم المهالبة والمهلبون ، فيكون بمنزلة قوله : الأشعرين والسعدين وشبهه .  
قال الشاعر<sup>(٣٠)</sup> :

أنا ابن سعد سيد السعدينا

وهو في الاثنين أكثر ، أن يضم أحدهما إلى صاحبه إذا كان أشهر منه اسماً ؛ كقول الشاعر<sup>(٣١)</sup> :

جزائي أنزهدهما جزاء سوء وكنت المرأة يُجزي بالكرامة  
واسم أحدهما زهدهم .

- وفي قول العرب ( هذا حسن الوجه قائما وذاهبا )  
قال الفراء<sup>(٣٢)</sup> : ربما شبهت العرب لفظه بالمعرفة لما أضيف إلى الألف واللام ، فينصبون نعته إذا كان تكرة ، فيقولون : هذا حسن الوجه قائما وذاهبا ، ولو وضعت مكان الذاهب والقالم تكرة ليها مدح أو ذم أثرت الإتياع فقلت : هذا حسن الوجه موسر ؛ لأن اليسار مدح . ومثله ، قول الشاعر<sup>(٣٣)</sup> :

وَمَنْ يَشُوهُ يَوْمَ فَبَانْ وَرَاءَهُ  
يَبَاعَةُ صَيَادِ الرِّجَالِ غُشُومِ

<sup>٢٨</sup> - نبه الأستاذ عبد السلام هارون للمسيب بن زيد مائة ، وليل الأعرابي صا ضيا فاني به أهله .

<sup>٢٩</sup> - الصاقلات آية ١٣٠ .

<sup>٣٠</sup> - لونية في ديوانه ١٨٩ ، وراجع : الكتاب ٢ : ١٥٣ / ٣ : ٣٩٦ ، المصطب ٢ : ٢٢٠ .

<sup>٣١</sup> - لقيس بن زهير راجع : مجاز القرآن ٢ : ١٧٣ ، اللسان ٢ : ١٨٧٧ ( زهد ) ، معاني الفراء ٣ : ٣٣ . وذكر أبو عبيد الزهدهما زهدهم وكردم العبيدان أخوان .

<sup>٣٢</sup> - معاني الفراء ٢ : ٤٠٩ .

<sup>٣٣</sup> - نقه ٢ : ٤٠٩ .

قال الفراء : ( ومن يشوه ) أى يأخذ شواه وأطاييه ، فخفض النشوم ؛ لأنه مدح ، ولو نصب لأن لفظه تكررة ولفظ الذى هو نعت له معرفة كان صوابا ، كما قالوا : هذا مثلك قائما ، ومثلك جميلا .

- ومما ذكره الفراء (٤٦) من كلام العرب قولهم ( يا زيد أقبل ) ( أزيد أقبل ) فالعرب كما قال الفراء تدعو بألف ، كما تدعويبا . فيقولون : يا زيد أقبل ، وأزيد أقبل . ومنه قول الشاعر (٤٧) :

أَضْمَرَ بن ضَمْرَة ماذا ذكرت      من صِرْمَة أخذت بالمرار  
وهو كثير فى الشعر .

ب- نقد الفراء لكلام العرب : وكما وقف الفراء وتعامل مع كلامهم بالموافقة لما ذهبوا إليه ، والقياس عليه مما جاء فى الشعر أو القرآن ، نجده هنا يقف موقف الناقد لذلك الكلام ، وينحى منحى آخر ، ويختار وجهها يغاير ما سمع ونقل عنهم . وإليك نماذج من ذلك .

- فمن كلام العرب ( منا يقول ذلك ، ومنا لا يقوله ) نجد الفراء هنا يوافقهم فى هذا القول إلا أنه ينتقد ما ورد من الشعر ما شابه ذلك حيث يقول (٤٨) : من كلام العرب أن يضمروا ( من ) فى مبتدأ الكلام فيقولون : ( منا يقول ذلك ، ومنا لا يقوله ) ، وذلك أن ( من ) بعض لما هى منه ، فلذلك أدت عن المعنى المتروك ، قال الله تعالى : ( وما منا إلا له مقام معلوم ) (٤٩) وقال ذو الرمة (٥٠) :

فظلوا ومنهم دَمْعُهُ سابق له      وآخر يثنى دَمْعُهُ العين بالهمل

٤٦ - معاني الفراء ٢ : ٤١٦ .

٤٧ - لسب لسيرة بن عمرو القنصى فى لؤادر أبى زيد ص ٤٣٦ ، وبلا لسة فى معلى القرآن للفراء ٢ : ٤١٦ .

٤٨ - معاني الفراء ١ : ٢٢١ .

٤٩ - الصلوات آية ١٦ .

٥٠ - ديوانه ٤٨٨ ، جمع الهوامع ٣ : ٣٧١ وفى رواية الديوان

فظلوا ومنهم دَمْعُهُ غلب له      وآخر يثنى عبرة العين بالهمل

يريد : منهم من دمه سابق . ولا يجوز اضمار ( من ) فى شئ من الصفات إلا على المعنى الذى نبأتك به ، وقد قالها الشاعر فى ( فى ) ولست أشتهيها ، قال (٤٩) :

لو قلت ما فى قومها لم تأثم      يفضلها فى حسب وميسم

وإنما جاز ذلك فى ( فى ) لأنك تجد معنى ( من ) أنه بعض ما أضيفت إليه ، ألا ترى أنك تقول : فىنا ضالون وفىنا دون ذلك ، فكأنك قلت : منا ، ولا يجوز أن تقول : فى الدار يقول ذلك ، وأنت تريد فى الدار من يقول ذلك ، إنما يجوز إذا أضفت ( فى ) إلى جنس المتروك .

- فى قولهم ( وقد عُمِّي على الخبر ) و ( دخل الخاتم فى يدي والخف فى رجلي )

يقول الفراء (٥٠) : سمعت العرب تقول : قد عُمِّي على الخبر ، وعُمِّي على ، بمعنى واحد . وهذا مما حوِّلت العرب الفعل إليه وليس له ، وهو فى الأصل لغيره ، ألا ترى أن الرجل الذى يعمى عن الخبر أو يُعَمَّى عنه ولكنه فى جواره مثل قول العرب : دخل الخاتم فى يدي ، والخف فى رجلي ، وأنت تعلم أن الرجل الذى تدخل فى الخف ، والإصبع فى الخاتم . فاستخفوا بذلك إذا كان المعنى معروفا لا يكون لذا فى حال ، ولذا فى حال . إنما هو لواحد . فاستجازوا ذلك لهذا .

- وأيضاً من كلام العرب الذى خالفهم فيه الفراء قولهم : ( بالله لما قمت عنا ) و ( بالله إلا قمت عنا )

فقد ذكر (٥١) أن من جعل (لما) بمنزلة إلا فإنه وجه لا تعرفه وقد قالت العرب : بالله لما قمت عنا ، وإلا قمت عنا . فأما فى الاستثناء فلم يقولوه فى شعر ولا غيره ، ألا ترى أن ذلك لو جاز لسمعت فى الكلام : ذهب الناس لما زيدا .

٤٩- لأبى الأسود الحمالي . راجع : شرح المفصل ٥٩ : ٦١ ، ولبه فى جمع الهوامع ٣ : ١٢٨ لحكم بن معية .

٥٠- معلى الفراء ١٢ : ٢ .

٥١- معالى الفراء ٢ : ٢٩ .

- وفي شرحه لقوله تعالى ( هذا يوم لا ينطقون )<sup>(٢)</sup> قال الفراء<sup>(٣)</sup> : اجتمعت القراء على رفع ( اليوم ) ، ولو نصب لكان جائزا على جهتين : إحداهما أن العرب إذا أضافت اليوم والليلة إلى فعل أو يفعل ، أو كلمة مجملة لا خفض فيها نصبوا اليوم في موضع الخفض والرفع ، فهذا وجه . والآخر : أن تجعل هذا في معنى فعل مجمل من ( لا ينطقون ) فكأنك قلت : هذا الشأن في يوم لا ينطقون . والوجه الأول أجود ، والرفع أكثر في كلام العرب ، وذلك في هذا النوع بين . تقول في الكلام : أتيتك يوم يقدم أبوك ، ويوم يقدم ، والمعنى ساعة يقدم وليس باليوم كله ، ولو كان يوما كله في المعنى لما جاء في الكلام اضافته إلى فعل ولا إلى يفعل ، ولا إلى كلام مجمل ، مثل قولك : أتيتك حين الحجاج أمير . وإنما استجازت العرب : أتيتك يوم مات فلان ، وأتيتك يوم يقدم فلان ؛ لأنهم يريدون : أتيتك إذ قدم ، وإذا يقدم ، فإذا وإذا لا تطلبان الأسماء ، وإنما تطلبان الفعل . فلما كان اليوم والليلة وجميع المواقيت في معناهما أضيفا إلى فعل ويفعل وإلى الاسم المخبر عنه .

- ومن كلام العرب والذي كان فيه للفراء رأى<sup>(٤)</sup> قولهم : ( أظقت به نهارا ) فقد ذكر الفراء أن الطائف لا يكون إلا ليلا ، ولا يكون نهارا ، وقد تكلم به العرب ، فيقولون : ( أظقت به نهارا ) وليس موضعه بالنهار ، ولكنه بمنزلة قولك : لو ترك القطا ليلا لنام ؛ لأن القطا لا يصرى ليلا .

#### ج- موقفه من مرويات الكسائي وآرائه النحوية :

وردت في معاني الفراء آراء كثيرة للكسائي ، ولا غربة في ذلك فالرجل شيخ الفراء الذي أخذ عنه ، وتكلم على يديه ، إلا أن هذا لا يمنع من أن يقف

<sup>(٢)</sup> - العربيات آية ٢٥ .

<sup>(٣)</sup> - معاني الفراء ٢ : ٢٢٥ ، ٢٣٦ .

<sup>(٤)</sup> - نفسه ٢ : ١٧٥ .

التلميذ من أستاذه موقفا مغايرا أو مخالفا له فى بعض المسائل ، والنماذج التى سوف أسوقها هنا ستوضح هذا الموقف .

ففى قول العرب (عندى أبوك) و(لى ألفتان) و(بى أخواك كفىلان) . نجد الفراء يفتد ما ذهب إليه الكسالى بهذه الأقوال ، رغم أن الكسالى فى قوله يستند لما ورد فى القرآن الكريم .

يقول الفراء (٣٦) : كل ياء كانت من المتكلم فيها لفتان : الإرسال (٣٦) ، والسكون ، والفتح ، فإذا لقيتها ألف ولام ، اختارت العرب اللغة التى حركت فيها الياء ، وكرهوا الأخرى ، لأن اللام ساكنة فتتوسط الياء عندها لسكونها . وزعم الكسالى أن العرب تستحب نصب الياء عند كل ألف مهموزة سوى الألف واللام ، مثل قوله : (إن أجرى إلا على الله) (٣٧) و((إنى أخاف الله) (٣٨) ولم أر ذلك عند العرب ، رأيتهم يرسلون الياء فيقولون : عندى أبوك ، ولا يقولون عندى أبوك بتحريك الياء إلا أن يتركوا الهمز فيجعلون الفتحة فى الياء فى هذا ومثله . وأما قولهم : (لى ألفتان) ، و(بى أخواك كفىلان) . فإنهم ينصبون فى هذين لقلتهما ، فيقولون : بى أخواك ، ولى ألفتان ، لقلتهما والقياس فيهما وفيما قبلهما واحد (٣٩) .

وفى مناقشته لرأى الكسالى من خلال قوله تعالى ( وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه ) (٤٠) . نجده فى شرحه لهذا التركيب النحوى فى الآية يستعين بما ذكره الكسالى من شواهد شعرية إلى جانب ما سمعه هو أيضا . وذلك من خلال قول العرب :

( هو أحسن الرجلين وأجمله ) و ( هى أحسن النساء وأجمله ) و ( عندى

٣٦ - معانى الفراء ١ : ٢٩ ، ٣٠ .

٣٧ - الإرسال : يروى به المد وعدم التحريك كما فى ياء المتكلم إذ فيها لفتان الإرسال والفتح فتقول : عندى أبوك ، يرسل الياء أى ينطقها حرف مد .

٣٨ - بولس آية ٢٢ .

٣٩ - الاقوال آية ٤٨ ، والحشر ١٦ . فتح الياء قراءة للفتح .

٤٠ - أى قلة (لى) و(بى) قلة كما فى لسان ، فلو سكنت الياء خفيت فتبدو الكلمتان كأنهما حرف واحد .

٤١ - النحل آية ٦٦ .

عشرون صالحون )

قال الفراء (١) : وأما قوله تعالى ( بطونه ) ولم يقل ( بطونها ) والأنعام هي مؤنثة ؛ لأنه ذهب به إلى النعم والنعم ذكر . وإنما جاز أن تذهب به إلى واحدتها ؛ لأن الواحد يأتي في المعنى على معنى الجمع ، كما قال الشاعر (٢) :

إذا رأيت أنجما من الأسد      جبهته أو الخرات والكتد  
بال سهيل في الفضيخ فسد      وطاب ألبان اللقاح لبـرد

ألا ترى أن اللبـن جمع يكفي من الألبان . وقد كان الكسائي يذهب بتذكير الأنعام إلى مثل قول الشاعر (٣) :

ولا تذهبن عيناك في كل شرمح      طوال فإن الأكصرين أمازره  
ولم يقل : أمازرهـم ، فذكر وهو يريد أمازر ، ولو كان كذلك لجاز أن تقول : هو أحسكم وأجمله ، ولكنه ذهب إلى أن هذا الجنس يظهر مع تكررة غير مؤقتة يضر فيها مثل معنى التكررة ؛ فلذلك قالت العرب : هو أحسن الرجلين وأجمله ؛ لأن ضمير الواحد يصلح في معنى الكلام أن تقول هو أحسن رجل في الاثنين ، وكذلك قولك : هي أحسن النساء وأجمله . من قال وأجمله قال : أجمل شيء في النساء ، ومن قال : وأجملهن أخرجه على اللفظ واحتج بقول الشاعر (٤) :

مثل الفراخ نتقت حواصله

ولم يقل حواصلها . وإنما ذكر ؛ لأن الفراخ جمع لم يبن على واحدته ، فجاز أن يذهب بالجمع إلى الواحد .

قال الفراء : أنشدني المفضل (٥) :

ألا إن جيرانى العشية رائج      دعتهم دواع من هوى ومناج

١- معاني الفراء ١ : ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ .

٢- نفسه ١ : ١٣٠ .

٣- نفسه ١ : ١٣١ .

٤- راجع : رسالة الفراء ص ٤٢٤

لتقت : سمئت ، يقال نقت الشخص ، بمن حتى امتلأ حتما ولعما .

٥- لحيان بن جبلة المحاربي في نوادر أبي زيد ٤٤٤ ، ويلا لبة في الهمع ٣ : ٣٣١ .

فقال : رائح ولم يقل رائحون ؛ لأن الجيران قد خرج مخرج الواحد من الجمع إذا لم يبين جمعه على واحده . فلو قلت : الصالحون فإن ذلك لم يجز ؛ لأن الجمع منه قد بنى على صورة واحدة . وكذلك الصالحات ، نقول ، ذاك غير جائز ؛ لأن صورة الواحدة فى الجمع قد ذهب عنه توهم الواحدة . ألا ترى أن العرب تقول : عندي عشرون صالحون ، فيرفعون ويقولون : عندي عشرون جيادا فينصبون الجياد ؛ لأنها لم تكن على واحدها ، فذهب بها إلى الواحد ، ولم يفعل ذلك بالصالحين . قال عنترة <sup>(١)</sup> :

فيها اثنتان وأربعون حُلوبةً      سوداً كخافية الغراب الأسحم

فقال : سودا ولم يقل : سود وهى من نعت الاثنتين والأربعين ؛ للعلّة التى أخبرتك بها .

ومن قولهم ( مُدَّ يا هذا ) جاء ذلك فى شرحه لقوله تعالى ( وإن تصبروا وتتقوا ۖ يضرّكم كيدهم شيئا ) <sup>(٢)</sup> .

قال الفراء <sup>(٣)</sup> : إن شئت جعلت جزما ، وإن كانت مرفوعة ، تكون كقولهم للرجل : مُدَّ يا هذا ، ولو نصبها أو خفضتها كان صوابا ؛ لأن من العرب من يقول : مُدَّ يا هذا ، والنصب فى العربية أهيوها - أى أحسنها - وإن شئت جعلته راجعا وجعلت ( لا ) على مذهب ليس فرفعت وأنت مضمّر للفاء ، كما قال الشاعر <sup>(٤)</sup> :

فإن كان لا يرضيك حتى تردنى      إلى قطرى لا إخالك راضيا

وقد قرأ بعض القراء <sup>(٥)</sup> ( لا يضرّكم ) تجعله من الضير ، وزعم الكسائى أنه سمع بعض أهل العالية يقول : لا ينفعنى ذلك وما يضرّونى ، فلو قرئت ( لا يضرّكم ) على هذه اللغة كان صوابا .

<sup>١</sup> - شرح ديوانه ١٥٥ ، شرح المفصل ٢ : ٥٥ / ٢٤ ، وشرح شعور الذهب ٣٣٧ .

<sup>٢</sup> - آل عمران آية ١٢٠ .

<sup>٣</sup> - معانى الفراء ١ : ٢٣٢ .

<sup>٤</sup> - لسواربن المضرب السدى . راجع : المحشب ٢ : ١٩٢ ، شرح المفصل ١ : ٨٠ .

<sup>٥</sup> - قرأ بذلك أبو عمرو ، وابن كثير ونافع .

من قرأ ( لا يضرّكم ) جعله من ضار يضر . انظر الحجة للقراء السبعة ٣ : ٧٥ ، والسبعة فى القراءات ٢١٥ .

- ومما خالف فيه الفراء الكسائي ما جاء في قول العرب : ( قلت أبيتا ) ( جاد أبيتا ) . فقد ذكر الفراء (٣١) : أن بعض العرب قال : قلت أبيتا ، وجاد أبيتا ، فوحد فعل البيوت . وكان الكسائي يقول أضمر . جاد بهن أبيتا ، وليس ها هنا مضمّر إنما هو الفعل وما فيه .

فالكسائي هنا يرى في أن الفاعل ضمير محذوف هو ( بهن ) ، بينما ذهب الفراء إلى أن الفاعل ضمير مستتر في الفعل .

ومن أقوال العرب ( عليك ، وعندك ، دونك ، إليك ) ( وراءك ورألك ) ( بيتكما البعير فخذاه ) ( كما أنت زيدا ، ومكانك زيدا ) ( كما أنتنى ) و ( مكانكنى ) . هذا ما ورد من أقوال العرب كما ذكر الفراء (٣٢) ، فالعرب تأمر من الصفات ( أى الظروف وحروف الجر ) بعليك ، وإليك ... يقولون : إليك إليك ، يريدون تأخر ، كما تقول : وراءك وراءك . فهذه الحروف كثيرة . وزعم الكسائي أنه سمع : ( بيتكما البعير فخذاه ) فأجاز ذلك في كل الصفات التي قد تفرد ، ولم يُجزَّه في اللام ، ولا في الباء ولا في الكاف . وسمع بعض العرب يقول : كما أنت زيدا ، ومكانك . زيدا وسمعت بعض بني سليم يقول في كلامه : كما أنتنى ، ومكانكنى . يريد : انتظرنى في مكانك . ولا تقدمن ما نصبته هذه الحروف قبلها ، لأنها أسماء ، والاسم لا ينصب شيئا قبله ، تقول : ضربا زيدا ، ولا تقول زيدا ضربا . فإن قلته نصبت زيدا بفعل مضمّر قبله : قال الشاعر (٣٣) :

يا أيها المائح دلوى دوتكا

إن شئت نصبت ( الدلو ) بمضّر قبله ، وإن شئت جعلتها رفعا . تريد : هذه دلوى فدوتكا .

٣١ - معالي الفراء ١ : ٣١٨ .

٣٢ - نفسه ١ : ٣٣٣ .

٣٣ - سبق ذكر هذا الشاهد .



وفى قول العرب ( الشاء والأبل قد أقبل ) ( النخل والسدر قد ارتوى ) قال الفراء (٣٤) : العرب إذا جمعت الجمع من غير الناس مثل : السدر والنخل جعلوا فعلهما واحدا ، فيقولون : الشاء والنعم قد أقبل ، والنخل والسدر قد ارتوى ، فهذه أكثر كلامهم ، وتثنيته جائزة .

وسمع الكسائي العرب تقول : ( مرت بنا غنمان سودان ، وسود ) . ويرى الفراء أن ( سود ) أجود من سودان ؛ لأنه نعت تأتي على الاثنين ، فإذا كان أحد الاثنين مؤنثا مثل : الشاء والإبل قالوا : الشاء والإبل مقبلة ؛ لأن الشاء ذكر ، والإبل أنثى ، ولو قلت : مقبلان لجاز ، ولو قلت : مقبلتان تذهب إلى تأنيث الشاء مع تأنيث الإبل كان صوابا ، إلا أن التوحيد أكثر وأجود . فإذا قلت : هؤلاء قومك وإليهم قد أقبلوا ، ذهبت بالفعل إلى الناس خاصة ؛ لأن الفعل لهم ، وهم الذين يقبلون بالإبل ، ولو أردت إقبال هؤلاء وهؤلاء لجاز - قد أقبلوا ؛ لأن الناس إذا خالطهم شئ من البهائم ، صار فعلهم كفعل الناس .

- ومن المسائل النحوية التي يظهر فيها موقف الفراء من أستاذه الكسائي من خلال كلام العرب أيضا ما ورد في حديث الفراء عن ( حتى ) ومعانيها في فعل نجده يذكر لنا سماع الكسائي لأقوال العرب ، وإنشادهم ، ثم يذكر رأيه في ذلك . فمن المعاني التي ذكرها ما يلي :

قال الفراء (٣٥) : لـ ( حتى ) ثلاثة معان في فعل فإذا رأيت قبلها فعلا ماضيا وبعدها ( يفعل ) في معنى مضى وليس ما قبل ( حتى ) يفعل يطول فارفع يفعل بعدها ، كقولك : جئت حتى أكون معك قريبا . وكان أكثر النحويين ينصبون الفعل بعد ( حتى ) وإن كان ماضيا إذا كان لغير الأول ، فيقولون : سرت حتى يدخلها زيد ، فزعم الكسائي أنه سمع العرب تقول : ( سرنا حتى تطلع لنا الشمس

٣٤ - معاني الفراء ١١٢: ٢ وراجع ٣٦٢: ٢ .

٣٥ - معاني الفراء ١: ١٣٤ - ١٣٦ .

بإزالة<sup>(٣)</sup>، فرفع والفعل للشمس، وسمع: (إننا لجلوس فما نشعر حتى يسقط  
حجر بيننا)<sup>(٣)</sup>، رفعاً.  
وأنشد أيضاً<sup>(٣)</sup>:

وَتُكْرِمُ يَوْمَ الرُّوعِ أَلْوَانَ خَيْلِنَا      مِنْ الطَّعْنِ حَتَّى تَحْسِبَ الْجَوْنَ أَشْقَرَا  
فَنَصَبُهَا هُنَا؛ لِأَنَّ الْإِتْكَارَ يَتَطَاوَلُ. وَهُوَ الْوَجْهَ الثَّانِي مِنْ بَابٍ حَتَّى. وَذَلِكَ أَنْ  
يَكُونَ مَا قَبْلَ حَتَّى وَمَا بَعْدَهَا مَاضِيَيْنِ، وَهُمَا مِمَّا يَتَطَاوَلُ، فَيَكُونُ يَفْعَلُ فِيهِ وَهُوَ  
مَاضٍ فِي الْمَعْنَى أَحْسَنَ مِنْ فَعَلَ، فَنَصَبُ وَهُوَ مَاضٍ لِحَسَنِ يَفْعَلُ فِيهِ. قَالَ  
الْكَسَاوِيُّ: سَمِعْتُ الْعَرَبَ يَقُولُ: (إِنْ الْبَعِيرَ لِيَهْرَمَ حَتَّى يَجْعَلَ إِذَا شَرِبَ الْمَاءَ  
مَجْهُ). وَهُوَ أَمْرٌ قَدْ مَضَى، وَ(يَجْعَلُ) فِيهِ أَحْسَنُ مِنْ (جَعَلَ). وَإِنَّمَا حَسَنْتُ  
لِأَنَّهَا صِفَةٌ تَكُونُ فِي الْوَاحِدِ عَلَى مَعْنَى الْجَمْعِ، مَعْنَاهُ: إِنْ هَذَا لِيَكُونَ كَثِيرًا فِي  
الْإِبِلِ. وَمِثْلُهُ: إِنْ الرَّجُلَ لِيَتَعَظَّمَ حَتَّى يَمُرَ فَلَا يَسْلَمَ عَلَى النَّاسِ. فَتَنْصَبُ (يَمُرُ)  
لِحَسَنِ يَفْعَلُ فِيهِ وَهُوَ مَاضٍ، وَأَنْشَدَنِي أَبُو ثُرَوَانَ<sup>(٣)</sup>:  
أَحَبُّ لِحَبِهَا السُّودَانَ حَتَّى      أَحَبُّ لِحَبِهَا سُودَ الْكِلَابِ

وَلَوْ رَفَعَ لِمَضِيهِ فِي الْمَعْنَى لَكَانَ صَوَابًا. وَقَدْ أَنْشَدَ فِيهِ بَعْضُ بَنِي أَسَدٍ رَفَعًا. فَإِذَا  
أَدْخَلْتَ فِيهِ (لَا) اعْتَدَلْ فِيهِ الرُّفْعَ وَالنَّصْبَ، كَقَوْلِكَ: إِنْ الرَّجُلَ لِيَصَادَقَكَ حَتَّى  
لَا يَكْتُمَكَ سِرًّا، تَرْفَعُ لِدُخُولِ (لَا) إِذَا كَانَ الْمَعْنَى مَاضِيًا. وَالنَّصْبُ مَعَ دُخُولِ  
لَا جَائِزٌ.

فَإِذَا كَانَتْ (لَا) لَا تَصْلُحُ مَكَانَهَا (لَيْسَ) فِي (حَتَّى) مِثْلَ قَوْلِكَ: لَا أَبْرَحُ حَتَّى لَا  
أَحْكُمَ أَمْرًا. لَا يَجُوزُ هُنَا الرُّفْعُ. أَمَّا إِذَا صَلَحَتْ (لَيْسَ) مَكَانَ (لَا) فَيَجُوزُ  
الرُّفْعُ كَمَا فِي قَوْلِكَ: إِنَّهُ لِيُوَافِقَكَ حَتَّى لَيْسَ يَكْتُمَكَ شَيْئًا.

٣ - موضع في طريق مكة.

٣ - معاني القراء ١: ١٣٦.

٣ - للناطقة الجدي في ديوانه ١٨٥. وراجع: الأصول ٢٠٩، الأزهية ٢٢٤.

٣ - معاني القرآن ١: ١٣٦.

وعند تعرض الفراء لتعدى الفعل باللام وبدون اللام قال (٨٠) : قال الكسائي سمعت بعض العرب يقول : تقدت لها مائة ، يريدون تقدتها مائة ، لامرأة تزوجهـا وأنشد (٨١) :

استغفر الله ذنبا لست مُحصيه      ربَّ العباد إليه الوجهُ والعمل  
والكلام باللام ؛ كما قال تعالى ( واستغفرى لذنبيك ) (٨٢) و ( فاستغفرُوا لذنوبهم ) (٨٣) :  
وأنشد أيضا (٨٤) :

أستغفر الله من جدتي ومن لبي      وزري وكل امرئٍ لابد مُتَزَرٍ  
يريد لو زري - ووزري حين ألقيت اللام في موضع نصب .

- وفي قول العرب ( لا ما إن رأيت مثلك )  
قال الفراء (٨٥) : ربما جمعوا بين ما ولا وإن التي على معنى الجحد ، أنشدني الكسائي في بعض البيوت ( لا ما إن رأيت مثلك ) فجمع بين ثلاثة أحرف ، وربما جعلت العرب اللام مكان ( أن ) فيما أشبه ( أردت وأمرت ) مما يطلب المستقبل ، أنشدني الأنفي من بني أنف الناقة من بني سعد (٨٦) :

ألم تسأل الأنفى يوم يسوقنسى      ويزعم أنى مبطل القول كاذبه  
أحاول إعناتى بما قال أم رجا      ليضحك منى أو ليضحك صاحبه  
والتكلام : رجا أن يضحك منى . ولا يجوز ظننت لتقوم . وذلك أن ( أن ) التي تدخل مع الظن تكون مع الماضى من الفعل : فتقول : أظن ( أن قد ) قام زيد ، ومع المستقبل ، فتقول : أظن أن سيقوم زيد ، ومع الأسماء ، أظن أنك قائم .

٨٠ - معالى الفراء ١ : ٢٢٣ .

٨١ - بلا لسة في الكتاب ١ : ٣٧ ، والمكتضب ٢ : ٣٢٠ ، وشرح المفصل ٧ : ٦٢ .

٨٢ - يوسف آية ٢٩ .

٨٣ - آل عمران آية ١٢٥ .

٨٤ - شرح كلور الذهب ٣٧٠ .

وفي رواية : استغفر الله من عمدي ومن خطي      ذنبي ، وكل امرئٍ لا شك مؤلّز

٨٥ - معالى الفراء ١ : ٣٦٢ .

٨٦ - نزهة ١ : ٣٦٢ .

فلم تجعل اللام في موضعها ، ولا كي في موضعها إذ لم تتطلب المستقبل وحده ،  
وكلما رأيت ( أن ) تصلح مع المستقبل والماضي فلا تدخلن عليها كي ولا اللام .

ومن ذلك أيضا قولهم ( مررت بالذي هو خير منك ، وشر منك ) هذا ما ذكره  
الفراء<sup>(٨٧)</sup> من كلام العرب . ثم قال : ولا يقولون : مررت بالذي قائم ؛ لأن خيرا  
منك كالمعرفة ، إذ لم تدخل فيه الألف واللام . وكذلك يقولون : مررت بالذي  
أخيت ، وبالذي مثلك ، إذا جعلوا صلة الذي معرفة أو تكرة لا تدخلها الألف  
واللام جعلوها تابعة للذي ، ومن إنشاد الكسائي له<sup>(٨٨)</sup> :  
إن الزبيرى الذى مثل الحكم مشى بأسلاك فى أهل العلم

- ومن كلام العرب ( أنا قلت ذاك ) ( رأيت يزيدا وقواريرا )  
قال الفراء<sup>(٨٩)</sup> : من العرب من يقول : أنا قلت ذاك . بتمام الألف ، كما قالوا :  
رأيت يزيدا وقواريرا . فثبتت فيهما الألف فى القولين إذا وقفت . ويجوز الوقوف  
بغير ألف فى غير القرآن فى أنا . ومن العرب من يقول إذا وقف : أنه ، وهى فى  
لغة جيدة . ومن العرب فى عليا تميم ، وسقلى قيس .  
وأنشدنى أبو ثروان<sup>(٩٠)</sup> :

وترميننى بالطرف أى أنت مذنب وتقليننى لكن إياك لا أقلى  
يريد : لكن أنا إياك لا أقلى . فترك الهمز فصار كالحرف الواحد . وزعم الكسالى  
أنه سمع العرب تقول : لكن والله ، يريدون : لكن أنا والله . وقال الكسالى :  
سمعت بعض العرب يقول : إن قائم . يريد إن أنا قائم ، فترك الهمز وأدغم فهى  
نظير لكن .

<sup>٨٧</sup> - معالى الفراء ١ : ٣٦٥ .

<sup>٨٨</sup> - نقه ١ : ٣٦٥ .

الحلم واحده حكمة ، وهى الصغرة من الفردان ، أو دودة تقع فى الجلد فتأكله .

<sup>٨٩</sup> - معالى الفراء ٢ : ١٤٤ .

<sup>٩٠</sup> - راجع : شرح المفصل ٤ : ١٤٠ ، وإعراب ثلاثين سورة ص ٥ .

- وكما تعودنا من الفراء عند شرحه للتركيب النحوي بأن يسوق - إضافة لما ورد عن العرب - بعضاً من أبياتهم ، ناسباً بعضها إلى قبيلة بعينها . من ذلك قول العرب : ( يا رجلاً كريماً أقبل ) و ( ياراكبا على البعير أقبل ) و ( يامهتّم بامرنا لا تهتّم ) .

قال الفراء (١) : العرب إذا دعيت تكرة موصولة بشئ أثرت النصب يقولون : يا رجلاً كريماً أقبل ، ويا راكباً على البعير أقبل . فإذا أفردوا رفعوا أكثر مما ينصبون . أنشدني بعضهم (٢) :

يا سيداً ما أنت من سيد      موطأ الأعقاب رحب الذراع  
قوال معروف وفعال      نخار أمات الرباع الرضاع .  
أنشدني بعض بني سليم ( موطأ ) بالرفع ، وأنشدني الكسائي بالخفض . وأنشدني آخر :

ألا يا قتيلاً ما قتيلُ بني حلس      إذا ابتل أطراف الرماح من الدُغس  
ولو رفعت التكرة الموصولة بالصفة كان صواباً . قد قالت العرب : ( يا دار غيرها البلى تغييراً ) (٣)  
يريد : يأتيتها الدار غيرها . وسمعت أبا الجراح يقول لرجل : أيا مجنون مجنون إتباع . وسمعت من العرب : يا مهتّم بامرنا لا تهتّم . يريدون يأتها المهتّم .

- ومما ذكره الفراء من حديث الكسائي له ، وذكر فيه كلام العرب قوله (٤) :  
حدثني الكسائي عن قطر بن خليفة عن مجاهد أنه قرأ ( فاصبحوا لا تری إلا مساکنهم ) (٥) . وقرأ الحسن : ( فاصبحوا لا تُری ... ) وفيه قبح في العربية ؛ لأن العرب إذا جعلت فعل المؤنث قبل إلا ذكره ، فقالوا : ( لم يقم إلا جاريتك ) ، ( وما قام إلا جاريتك ) ، ولا يكادون يقولون : ما قامت إلا جاريتك ، وذلك أن

١ - معاني الفراء ٢ : ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

٢ - السخا بن بكر البردعي . المصنوع ٣ : ١٧ ، شرح المنهل ١٠ : ٤ ، شرح شعور الذهب ٢٥٨ .

٣ - ومثل ذلك قول الأخوص : يادار حُسْرَهَا الْبَلَى حُسْرًا حُسْرَهَا : غيرها ، راجع : الكتاب ٢ : ٢٠١ .

٤ - معاني الفراء ٣ : ٥٥ .

٥ - الأختلاف آية ٢٥ .

المتروك أحد ، فاحد إذا كانت لمؤنث أو مذكر ففعلهما مذكر . ألا ترى أنك تقول: إن قام أحد منهن فاضربه ، ولا تقل : إن قامت ، إلا مستكرها ، وهو على ذلك جائز . قال : أنشدني المفضل <sup>(١)</sup> :

وفارنا لم تُرْ ناراً مثلهَا      قد علمت ذلك معد أكرما

فانث فعل (مثل) ؛ لأنه للتار ، وأجود الكلام أن تقول : ما رُئي إلا مثلهَا .

– قال الفراء (٨): العرب تقول: (فعل ذلك في غلوميته، وفي غلومته، وفي غلاميته)، وسمع الكسالى العرب تقول: فعل ذلك في وليديته، تريد: وهو وليد أئى: مولود، فما جاءك من مصدر لاسم موضوع، فلك فيه: الفعولة، والفعولية، وأن تجعله منسوباً على صورة الإسم، من ذلك أن تقول: عبد بين العبودية، والعبودية والعبدية، فقص على ذلك.

ثالثا : بعض القضايا النحوية التي عالجها الفراء في ضوء كلام العرب :

من القضايا النحوية التي تعرض لها الفراء من خلال كلام العرب الحذف ، والإبدال ، والتنوين (أو الإجراء) ، التضمن ، الإظهار ، الإضممار ، التام و الناقص ، اللازم والمتمدى والفراء في عرضه لتلك القضايا نجده يستند إلى جانب ما ورد من كلام العرب على ما ورد أيضا من نصوص قرآنية ، وشواهد شعرية ، ويتضح ذلك من خلال النماذج التي اشتملت على تلك القضايا .

وقد اخترت بعضاً من تلك القضايا لعرضها في هذه الدراسة منها ما يأتي :

الحذف : قال الفراء <sup>(١)</sup> : العرب تكفي بما ظهر في أول الكلام مما ينبئ أن يظهر بعد شئت . فيقولون : ( خذ ما شئت ، وكن فيما شئت ) . ومعناه فيما شئت أن تكون فيه . فيحذف الفعل بعدها ، قال تبارك وتعالى : ( في أي صورة ما شاء

٣- مائتي القرآن ٢: ٥٥.

١٧- مسائل الفوائد: ١٣٧.

٦- معاليه القضاء: ٢٠٣-٢٠٥.

ركبك) <sup>(١٠٠)</sup> والمعنى - والله أعلم - : فى أى صورة شاء أن يركبك ركبك . وكذلك الجزاء كله : إن شئت فقم ، وإن شئت فلا تقم ؛ المعنى : إن شئت أن تقوم فقم ، وإن شئت ألا تقوم فلا تقم .

- ومن قضايا الجذف أيضا التى تعرض لها الفراء فى ضوء كلام العرب فى قولهم ( ما رأيت عقيليا إلا حسنت له ) ( من أين حسيت هذا الخير ؟ ) .

قال الفراء <sup>(١٠٠)</sup> : سمعت بعض العرب يقول : ما رأيت عقيليا إلا حسنت له ، وحسنت لغة . والعرب تقول : من أين حسيت هذا الخير ؟ يريدون . من أين تخبرته ؟ وربما قالوا : حسيت بالخبر ، وأحسيت به ، يدلون من السنين ياء كقول أبى زيد <sup>(١٠١)</sup> :

حسيتُ به فهن إليه شوس

وقد تقول العرب : ما أحست بهم أحدا ، فيجذفون السين الأولى ، وكذلك فى وددت ، وحسيت وهممت ، أنشدنى بعضهم <sup>(١٠٢)</sup> :

هل ينفعنك اليوم إن هممت بهم      كثرة ما تأتى وتعتاد الرقيم

- من أقوال العرب ( وأقرن فى بيوتكن )

ومنه قوله تعالى ( وقرن فى بيوتكن ) <sup>(١٠٢)</sup> . قال الفراء <sup>(١٠٤)</sup> : من الوقار ، تقول للرجل قد قر فى منزله يقر وقورا . وقرأ عاصم وأهل المدينة ( وقرن ) بالفتح . ولا

<sup>١٠٠</sup> - الانتظار آية ٨ .

<sup>١٠١</sup> - معالى الفراء ١ : ٢١٢ .

<sup>١٠٢</sup> - لأبى زيد الطائى راجع : المقتضب ١ : ٢٤٥ ، مجاز القرآن ٢ : ٢٨ وصنعه : خلا أن التناق من المطايا . الشوس : واحدة أشوس وشوساء . من الشوس وهو النظر بمؤخر العين تكبرا أو تنقضا .

<sup>١٠٣</sup> - معالى الفراء ١ : ٢١٢ .

روى الفراء ( هممت ) بكون الميم ولاء الصغاطية . وأصله ( هممت ) وفى رواية ( هممت ) بتشديد الميم مفتوحة ولاء التأنيث الساكنة ، وكان الرجل إذا أراد سيرا عقد شصتين ، فإذا عاد وألقى الصصتين سقطت من تلق بمرأته ، ولا اعتد أنها شاخت فى غير . والرقيم جمع ريمة ، وهو حيط يشد على الأصبع والخاتم للتذكر أو علامة على شيء .

<sup>١٠٤</sup> - الأحزاب آية ٣٣ .

يكون ذلك من الوقار، ولكننا نرى أنهم أرادوا : وأقرّونَ في بيوتكن فحذّروا  
 الرء الأولى ، فحولت فتحتها في القاف ، ومن العرب من يقول : وأقرّونَ في  
 بيوتكن . فلو قال قائل : وقرن بكسر القاف يريد : وأقرّين ، بكسر الرء فيحوّل  
 كسرة الرء إذا سقطت إلى القاف كان وجهاً . ولم نجد ذلك في الوجهين جميعاً  
 مستعملاً في كلام العرب إلا في فعلت وفعلتم وفعلن ، فأما في الأمر والتهي  
 المستقبل فلا إلا إنّنا جوزنا ذلك ؛ لأن اللام في النسوة ساكنة في فعلن ويفعلن  
 فجاز ذلك . وقد قال أعرابي من بني ثُمير : يَنحطّن من الجبل - يريد :  
 ينحططن . فهذا يقوى ذلك .



- التنوين (أو الإجراء) (١٠٥)

قال الفراء (١٠٦) : ومما قالت العرب في جمع أشياء أشياء ، كما قيل : حمراوات . ولو كانت على التوهم لكان أملاك الوجهين بها أن تجرى ؛ لأن الحرف إذا كثربه الكلام خف ، كما كثرت التسمية بيزيد فأجروه وفيه ياء زائدة يمتنع من الإجراء ، ونرى أن أشياء جمعت على الفلاء كما جمع ثخين وأبناء فحذف من وسط أشياء همزة ، كما ينبغي لها أن تكون (أشياء) فحذفت الهمزة لكثرتها . وقد قالت العرب :  
( هذا من أبناء سعد ، وأعيدك بأسماوات الله )

وواحدها أسماء وأبناء . تجرى ، فلو منعت أشياء الجرى لجمعهم إياها أشياء ولم أجر أسماء ولا أبناء ؛ لأنها جمعتا أسماوات وأبناوات .

وفى قراءة ( وأما ثمود فهديتاهم ) (١٠٧) . قال الفراء (١٠٨) : قرأ برفع ( ثمود ) عاصم ، وأهل المدينة ، والأعمش ، إلا أن الأعمش يجرى ثمود في كل القرآن إلا قوله : ( وآتينا ثمود الناقة ) (١٠٩) فإنه كان لا ينون ، ومن أجزاها جعلها اسما لرجل أو لحبل ومن لم يجرها جعلها اسما للأمة التي هي منها ، وسمعت بعض العرب يقول : ( تترك بنى أسد وهم فصحاء ) فلم يجرى أسد ، وما أردت به القبيلة من الأسماء التي تجرى فلا تجرها ، وأجزاؤها أجود في العربية مثل قولك : جاءك تميم بأسرها . وليس بأسرها . فهذا مما يجرى ، ولا يجرى مثل التفسير في ثمود وأسد .

<sup>١٠٥</sup> - مصطلح كوفي يرادف الصرف والتنوين عند البصريين والجمهور ، فـ *تَجْرَى* يرادف *المصرف* وغير *التَجْرَى* يرادف

المنوع من الصرف .

<sup>١٠٦</sup> - معالي الفراء ١ : ٣٢١ .

<sup>١٠٧</sup> - السجدة آية ١٢ .

<sup>١٠٨</sup> - معالي الفراء ٣ : ١٤ .

<sup>١٠٩</sup> - الإسراء آية ٥٩ .

- ومن قضايا التنوين أو الإجراء التي وردت في كلام العرب عند الفراء قولهم: (سمعت طاق طاق) (سمعت تغ تغ) (لا تقولن له أفا ولا تفا) (جعل يتأفف من ريح وجدها) أورد الفراء (١١٠) هذه الأقوال عند شرحه لقوله تعالى: (فلا تقل لهما أف) (١١١). فقد قرأ عاصم، والأعمش (أف) خفضا بغير نون. وقرأ العوام (أف) فالذين خفضوا ونونوا ذهبوا إلى أنها صوت لا يعرف معناه إلا بالنطق به فخفضوه كما تخفض الأصوات. من ذلك قول العرب: سمعت طاق طاق لصوت الضرب، ويقولون: سمعت تغ تغ لصوت الضحك. والذين لم ينونوا وخفضوا قالوا: أف على ثلاثة أحرف، وأكثر الأصوات إنما يكون على حرفين مثل: صة وتغ ومه، فلذلك الذي يخفض وينون فيه، لأنه متحرك الأول. ولنا بمضطرين إلى حركة الثاني من الأدوات وأشباهاها فيخفض فخفض بالنون. وشبهت (أف) بقولك: مدَّ وردَّ إذا كانت على ثلاثة أحرف، ويدل على ذلك أن بعض العرب قد رفعها فيقول: أف لك. ومثله قول الراجز (١١٢):

سألها الوصل فقالت ميص وحركت لي رأسها بالنقض  
ويقال: ما علمك أهلك إلا ميص وميص، وبعضهم: إلا ميصا يوقع عليها الفعل. وقد قال بعض العرب: لا تقولن له أفا ولا تفا. يجعل كالاسم فيصبيه الخفض والرفع والتصب، والنصب بلا نون يجوز كما قالوا: ردَّ. والعرب تقول: (جعل يتأفف من ريح وجدها). معناه يقول: أف أف.

- من القضايا النحوية ما يسمى بـ (التضمين) وهو أن تضمّن حرفا معنى حرف آخر بشرط أن يصلح هذا الحرف مكان الحرف الذي أبدلته منه ويؤدي معناه. ويورد ذلك كثيرا مع حروف المعاني، والشواهد على ذلك كثيرة لا مجال لذكرها هنا.

١١٠ - معاني الفراء ٢: ١٢١.

١١١ - الإسراء آية ٢٣.

١١٢ - البيت بلا لجة راجع: المنصل ٢٢، شرح المنصل ٤: ٢٥، ٢٨، الجمع ٢: ١٠٢.

وقد تعرض الفراء للتضمين من خلال قول العرب (إن الذود إلى الذود إبل). حيث يقول (١٣): يجوز أن تجعل (إلى) موضع (مع) إذا ضمنت الشئ إلى الشئ مما لم يكن معه ، كقول العرب ... أى إذا ضمنت الذود إلى الذود صارت إبلا ، فإذا كان الشئ مع الشئ لم تصلح مكان (مع) (إلى) ، ألا ترى أنك تقول: قدم فلان ومعه مال كثير ، ولا تقول فى هذا الموضع ، قدم فلان وإليه مال كثير ، وكذلك تقول : قدم فلان إلى أهله ، ولا تقول مع أهله .

ومن ذلك أيضا قولهم (جئت على حال حسنة ، وبحال حسنة) فقد ذكر الفراء (١٤): أن العرب تجعل الباء فى موضع على أيضا ، فيقولون : رميت على القوس وبالقوس ، وجئت على حال حسنة وبحال حسنة .

- ومن القضايا التحوية التى تعرض لها الفراء (الإظهار) فقد ذكر (١٥) أنه يجوز دخول (إلا) إذا كان فى الفعل معنى الجحد ، بمعنى إذا ظهر الجحد فى الفعل أو فى ضميره يجوز دخول (إلا) ومن ذلك قول العرب : (أعوذ بالله إلا منك ومن مثلك) ؛ لأن الاستعاذة كقولك : اللهم لا تفعل ذا بى .

وفى الإضمار جاء من كلام العرب (عسيت أذهب ، وأريد أن أقوم معك) قال الفراء (١٦) : إذا قال قائل : أليس من كلام العرب عسيت أذهب ، وأريد أن أقوم معك ، و (أن) فيهما مضمرة ، فكيف لا يجوز أن تقول : أظن أقوم ، وأظن قمت . قلت : لو فعل ذلك فى ظننت إذا كان الفعل للمذكور أجزته وإن كان اسما ، مثل قولهم : عسى الغوير أبؤسا . والخلفه لأن (١٧) ، فإذا قلت ذلك قلته فى أظن فقلت : أظن أقوم ، وأظن قمت ، لأن الفعل لك ، ولا يجوز أظن يقوم زيد ، ولا عسيت يقوم زيد ، ولا أردت يقوم زيد ، وجاز والفعل له ، لأنك إذا حولت يفعل إلى فاعل اتصلت به وهى منصوبة بصاحبها ، فيقول : أريد قائما ، والقيام لك ،

١٣ - معالى الفراء ١ : ٢١٨ .

١٤ - معالى الفراء ١ : ٢٨٦ .

١٥ - لغة ١ : ٤٣٣ ، ٤٣٤ .

١٦ - معالى الفراء ١ : ٤١٥ .

١٧ - يريد أن الأصل أن يتر الكبريان ، فكانت الخلفة فى الكبر والطبيعة له لأن .

ولا تقول . أزيد قائما زيد . ومن قال هذا القول قال مثله فى ظننت . وقد  
أنشدنى بعضهم لدى الرمة (١١٤) :  
أظن ابن طرلوث عتيبة ذاهبا      بعاديتى تكذابه وجمائله

- وعن الفعل التام والناقص تعرض الفراء لما ورد من قول العرب ( أحسنت إلى  
نفسك ، وقتلت نفسك ) حيث قال (١١٥) : العرب إذا أوقعت فعل شئ على نفسه  
قد كنى فيه عن الاسم قالوا فى الأفعال التامة غير ما يقولون فى الناقصة . فيقال  
للرجل : قتلت نفسك ، وأحسنت إلى نفسك ، ولا يقولون : قتلتك ولا أحسنت  
إليك . فإذا كان الفعل ناقصا - مثل حسبت وظننت - قالوا : أظننى خارجا ،  
وأحسبني خارجا ، ومتى تراك خارجا . ولم يقولوا : متى ترى نفسك ، ولا متى  
تظن نفسك ؛ وذلك أنهم أرادوا أن يفرقوا بين الفعل الذى قد يلغى ، وبين  
الفعل الذى لا يجوز إلغاؤه ، ألا ترى أنك تقول : أنا - أظن - خارج ، فتبطل  
(أظن) ويعمل فى الاسم فعله . وربما جاء فى الشعر : ضربتك أو شبهه من التام .  
من ذلك قول الشاعر (١١٦) :

خُذَا حدرا يا جارتى فإننى      رأيتُ جِرانَ العودِ قد كان يُصلحُ  
لقد كان لي فى ضربتين عدمتى      وما كنت ألقى من رزينة أبـرح  
والعرب يقولون : عدمتى ، ووجدتني ، وفقدتني . وليس بوجه الكلام .

- ومن قضايا الفعل اللازم والمتعدى قول العرب :  
( كم رجل كريم قد رأيت ) ، ( كم جيشا جرارا قد هزمت )

١١٤ - ديوانه ٤٢٨ .

رواية الديوان : لعل ابن طرلوث عتيبة ذاهب      بعاديتى تكذابه وجمائله

١١٥ - معاني الفراء ١ : ٣٣٤ .

١١٦ - هو عامر بن الحارث التميمي ، وقد لقب جران العود بهذا الشعر .

العود : البعير الحسن ، وجرانه مقدم عنقه .

قال القراء (١٢١) : هذان وجهان ، ينصبان ويخفضان ، والفعل في المعنى واقع ، فإن كان الفعل ليس بواقع ، وكان للأسم جاز النصب والخفض ، وجاز أن تعمل الفعل فترفع به التكرة فتقول : كم رجل كريم قد أتاني ، ترفعه بفعله ، وتعمل فيه الفعل إن كان واقعا عليه . فتقول : كم جيشا جرارا قد هزمت ، نصبته بهزمت . وأنشدوا قول الشاعر (١٢٢) :

كم عمّة لك يا جرير وخالّة فدعاء قد حلبت على عشاري

رفعا ونصبا وخفضا ، فمن نصب قال : كان أصل كم الاستفهام ، وما بعدها من التكرة مفسر كتفسير العدد ، فتركناها في الخبر على جهتها وما كانت عليه في الاستفهام فنصبنا ما بعد (كم) من التكرات ، كما تقول : عندي كذا وكذا درهما . ومن خفض قال : طالت صحبة (من) للتكرة في (كم) فلما حذفناها أعملنا إرادتها ، فخفضنا ، كم قالت العرب إذا قيل لأحدهم : كيف أصبحت ؟ قال : خير عافاك الله ، فخفض ، يريد بخير . وأما من رفع فاعمل الفعل الآخر ونوى تقديم الفعل كأنه قال : كم قد أتاني رجل كريم . وقال امرؤ القيس (١٢٣) : تبوص ...

وكم دونها من مهمّة ومفازة وكم أرض جذب دونها ولصوص

فرفع على نية تقديم الفعل . وإنما جعلت الفعل مقدما في التية ، لأن التكرات لا تسبق أفعالها ، ألا ترى أنك تقول : ما عندي شيء ، ولا تقول : ما شيء عندي .

نلاحظ هنا مخالفة القراء لسيبويه والبصريين ، فقد ذهب سيبويه والبصريون إلى أن تمييز (كم) الخبرية مجرور دائما ، وإن جاء منصوبا فشاذا ، وتمييز (كم)

١٢١ - معاني القراء ١ : ١٦٨ .

١٢٢ - للفرزدق من قصيده يهجو بها جريرا راجع : شرح ديوانه ٨٠

الكتاب ١ : ٢٥٣ ، المنتخب ٢ : ٥٨ ، شرح المصطلح ٤ : ١٣٣

الندع : اعوجاج وعيب في القدم ، العثار جمع العثراء . وهي التالة التي أتى عليها عشرة أشهر من العمل .

١٢٣ - شرح ديوانه ١٢٦ ،

من قصيده له مطلعها : أمن ذكر ملعى إذ تأتت تبوص

وكم دونها من مهمّة ومفازة

تبوص : البوص السيق والقوت .

الاستفهامية منصوب دائما إلا إذا جرت . أما الفراء فقد أجاز النصب والجور في  
تمييزهما بمن مضمرة . ومثل لذلك بقول جرير ( البيت ) .

\* \* \* \* \*

\* \* \* \*

## نتائج البحث

وبعد هذا التجهر في كتاب يعد من كتب النحو التي لا غنى للباحث عنها ؛ لما احتواه وضمه من تراكيب نحوية ومائل من خلال ما ورد من كلام العرب وأقوالهم الماثورة . لابد من استخلاص بعض النتائج من بعض المسائل النحوية التي تعرض لها القراء . والتي وجدت فيها إضافة ، أو اختلافا جاء به القراء ، أو تميز به أو خالف فيه أستاذ الكسائي ، إلى جانب ما ساقه من أوجه إعراب لمسائل نحوية استناداً لما سمعه من لغات بعض الأعراب .

أما أهم الخصائص التي توصلت إليها والتي تطبع التركيب النحوي للجملة العربية في ضوء كلام العرب فأوجزها كالتالي :

١ - في تعليق القراء على نصب ( ودانية ) عند شرحه لقوله تعالى ( ودانية عليهم ظلالها ) علل القراء سبب النصب ومثل له بقول العرب ( عند فلان جارية جميلة ، وشابة بعد طرية ) يعترضون بالمدح اعتراضاً ، فلا ينوون به النسق على ما قبله ، فكانهم يضمنون مع هذه الواو فعلا يكون به النصب في إحدى القراءتين .

٢ - خالف الخليل وسيبويه في تحليله لبعض الكلمات ، حتى لو خالف بذلك القراءات ، كما غير في بعض المصطلحات النحوية التي وضعها الخليل وسيبويه ، وأضاف مصطلحات جديدة ، من ذلك مصطلح ( الصرف ) الذي وضعه في باب الفعل المضارع المنصوب بعد الواو ، إذ يصرف الفعل المضارع عما قبله فلا تكون الواو فيه عاطفة بل تكون واو صرف له عما قبله . حيث يقول : الصرف أن تأتي بالواو مقطوفة على كلام في أوله حادثة لا تستقيم إعادتها على ما عطف عليها ، ومثل له بقول العرب ( لو تركت والأسد لأكلت ) ( ولو حُلّيت ورايك لضللت ) .

٣ - وفي حديثه عن معاني ( حتى ) في الأسماء نراه قد أطنب في ذلك وأورد من كلام العرب وأشعارهم ما يوضح إعراب الاسم بعد ( حتى ) حيث ذكر لذلك ثلاثة أوجه : الوجه الأول : إذا جاء بعد ( حتى ) اسم وليس قبله شيء يشاكله يصلح عطف ما بعد حتى عليه ، أو يأتي بعدها اسم وليس قبلها شيء فالحرف بعد ( حتى )

مخفوض في الوجهين نحو قوله تعالى: (تمتعوا حتى حين) (وسلام هي حتى مطلع الفجر) لا يكونان إلا خفضا، لأنه ليس قبلهما اسم يعطف عليه ما بعد حتى، فذهب بحتى الى معنى (إلى) والعرب تقول (أضمنه حتى الأربعاء أو الخميس) خفضا لا غير.

الوجه الثاني: الخفض، ويجوز كذلك إنباع ما بعد (حتى) لما قبلها، وذلك إذا كان ما قبل حتى من الأسماء عدداً يكثر، وبعدها اسم واحد أو قليل من الأسماء. من ذلك (قد ضرب القوم حتى كبيرهم، وحتى كبيرهم. فهو مفعول به في الوجهين قد أصابه الضرب.

الوجه الثالث: الخفض لا غير وذلك أن يكون ما بعد (حتى) لم يصبه شيء مما أصاب ما قبل (حتى) كقولك: أكلت السمكة حتى رأسها. إذا لم يؤكل الرأس لم يكن إلا خفضا. كما علق على قول - الفرزدق ...

فيا عجباً حتى كليبُ تسبني

فهو يرى أن الرفع فيه جيد، وإن لم يكن قبله اسم، لأن الأسماء التي تصلح بعد حتى منفردة إنما تأتي من المواقيت كقولك: أقم حتى الليل، ولا تقول أضرب حتى زيد. لأنه ليس بوقت، والذين خفضوا توهموا في كليب ما توهموا في المواقيت وجعلوا الفعل كأنه مستأنف بعد كليب. كأنه قال: قد أنتهى بي الأمر إلى كليب، فسكت، ثم قال، تسبني. بينما ذهب سيبويه إلى أن حتى هنا بمنزلة إذا، وهي كحرف من حروف الإبتداء.

٤- وفي الكلام على (غير) التي في معنى (إلا) ذكر أن (غير) تكون منصوبة ثم الكلام قبلها أو لم يتم، وذلك عند بنى أسد وقضاعة فيقولون: (ما جاءني غيرك) (وما أتاني أحد غيرك). ولم يكتف بذلك بل أنشد أبياتا تدعم ذلك.

٥- ومما غلط به القراء كلام العرب قولهم (لبأت بالحج، وحلات السوق، وقول امرأة من طي رثأت زوجي بأبيات. وعلة ذلك عنده أن هذه الأفعال غير مهموزة أصلا.

٦- وقد يوافق ما ورد من كلام العرب، كما في قولهم (إنما البرد شهران) بالرفع ثم يختار وجه آخر يرى أنه أصوب وأفضل حيث قال: ولو جاء نصبا كان صوابا. كما يعلل سبب اختيارهم الرفع.



٧ - وكان يذكر ما جاء على غير لغة العرب ، كما في قول بني أسد ( هذا اسماعين قد جاء ) ، وقول بني نمير .. هذا ورب البيت اسرائيتا

٨ - وقد يوافق ما ورد من كلام العرب ، ثم يفلط ما شابه هذا الكلام من الشعر كما في قول ذى الرمة :

فظلوا ومنهم دمه سابق لـه وأخريشني دمة العين بالهمـل  
فعند الفراء لا يجوز اضمار من في شيء من الصفات ولذلك قال : ولقد قالها الشاعر ولست أشتيها .

٩ - ومما حوت العرب الفعل إليه وليس له قولهم ( قد عمى على الخير ) ( دخل الخاتم في يدى والخف في رجلى ) حيث يرى الفراء أن الأصل ليس للفعل وإنما لغيره وبين علة ذلك .

١٠ - لم يوافق الفراء الفراء في رفعهم ( اليوم ) في قوله تعالى : ( هذا يوم لا ينطقون ) ويرى أن النصب جائز على جهتين ...

١١ - من التركيب النحوى الذى فسره الفراء ووقف عنده وكان له موضع للتفسير والتعليل كلامه عن ( حتى ) ومعانيها فى الأفعال - فقد ذكر أن ( حتى ) إذا جاء قبلها فعل ماضٍ وبعدها ( يفعل ) ، وليس ما قبلها ( يفعل ) فيرفع المضارع بعدها ، بينما أكثر النحويين ينصبون الفعل بعد ( حتى ) وإن كان ماضياً إذا كان تغير الأول فيقولون : سرت حتى يدخلها زيد . كما احتج الفراء بما سمعه من الكسالى في قولهم ( سرتنا حتى تطلع لنا الشمس بزبالة ) رفعا . ومما وقف عنده أيضا أن يكون ما قبل ( حتى ) وما بعدها ماضيين ، وأنشد لذلك قول أبى ثروان :

أحب لحبها السودان حتى أحب لحبها سود الكلاب  
بنصب ( أحب ) . ثم قال : ولورفع لمضيه فى المعنى لكان صوابا . وقد أنشدنيه بعض بني أسد رفعا .

١٢ - ومما أضافه الفراء فى شرحه للتركيب النحوى فى ضوء كلام العرب : أنهم إذا دعوا نكرة موصولة بشئ آثروا النصب فيقولون : يا رجلا كريما أقبل ، ويا راكبا على البعير أقبل . فقد أضاف لذلك ما ورد من أشعارهم وفيه خلاف بين إنشاد بني سليم ، وإنشاد الكسالى وذلك فى قول الشاعر :

يا سيداً ما أنت من سيد موطا الأعقاب رَحْب الدَّرَاع

فقد أنشد بعض بنى سليم ( موطاً ) بالرفع ، وأنشده الكسالى بالخفض .

١٣- من القضايا التى عرضتها ووضحت فيها موقف الفراء من الكسالى اتضح لنا أن تلمذته على الكسالى لم تمنعه من مخالفته فى بعض المسائل النحوية ، وقد يعود سبب ذلك إلى أن الكسالى كان ينهج منهج المحدثين والقراء ، أما الفراء فقد تأثر بمنهج المتكلمين ، ولذلك لراه يعلل للمسائل النحوية وينحو منحى الفلاسفة .

١٤- وفى حديثه عن ( التضمن ) تبين لنا أن الفراء يجيز إنابة بعض الحروف عن بعض قياساً ، وهو بهذا يخالف ما ذهب إليه البصريون ، حيث منعوا إنابة بعض الحروف الجارة عن بعضها قياساً . وهذا يعد إضافة جديدة لم يعرفها البصريون .

١٥- ومن قضايا التتوين أو ما يسمى بالإجراء عند الفراء . تعرضه لقراءة عاصم فى قوله تعالى ( وأما ثمودُ فهديناهم ) حيث قرأها بالرفع عاصم ، وأهل المدينة ، والأعمش . كما أن الأعمش يجزى ثمود فى كل القرآن إلا قوله ( وآتينا ثمود الناقة ) فإنه كان لا ينون . فمن أجراها جعلها اسماً للرجل ، ومن لم يجرها جعلها اسماً للأمة التى منها . ثم ذكر الفراء ما جاء من قول العرب ( تترك بنى أسد وهم فصحاء ) فلم يُجَرَّ أسد ، وما أردت به القبيلة من الأسماء التى تجرى فلا تجرها . وأجراؤها عند الفراء أجود فى العربية مثل قولك : جاءتك تميم بأسرها ، وليس بأسرها . فهذا مما يجزى ، ولا يجزى مثل التفسير فى ثمود وأسد .

١٦- يشير الكتاب إلى أن القدماء من العلماء العرب لم يتحرجوا فى مخالفة آراء أساتذتهم ، والدليل على ذلك كثرة الآراء النحوية التى تسب إلى الكسالى ، ولكن الفراء لم يأخذ بها مع التعليل لذلك فى ضوء كلام العرب ، وهذا يدل على أن الخلاف فى حد ذاته لم يكن مقصوداً ، وإنما المقصود هو التوجيه السليم والصحيح لكلام العرب فى ضوء آى الذكر الحكيم .

١٧- فتح الفراء مجالاً جديداً للبحث ، وهو تحليل النص القرآنى المقدس للتعرف على قضايا النحو والتصريف ، وجاء بعده جيل من كبار علماء اللغة والنحو ودرسوا الشعر وبعض القوائد دراسة لغوية ممتازة ، ومن أمثلة ذلك ( شرح القوائد السبع ) وشرح بابت سعاد لابن هشام .

- ١٨- فى كتاب ( معانى القرآن ) الكثير من النصوص النحوية التى وظف فيها القراء بعض أصول النحو الأربعة : السماع ، القياس ، الإجماع ، استصحاب الحال ، خلال التطبيق فى النصوص ، دون الاعتماد على الكلام النظرى .
- ١٩- هناك الكثير من النصوص النحوية التى خصصها القراء لشرح بعض المصطلحات النحوية الخاصة بمدرسة الكوفة ، وهى مصطلحات خالف بها ما عند سيبويه والبصريين ، وقد بذل جهدا كبيرا من أجل بيان معنى المصطلح ودلالته .

\* \* \* \* \*

## المراجع

- ١ - الأزهية في علم الحروف . على بن محمد الرمانى . تحقيق : عبد المعين الملوحى . مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٩٣ .
- ٢ - الأصول في النحو . لأبى بكر محمد بن السراج . تحقيق : د. عبد الحمين الفتلى . مؤسسة الرسالة . الطبعة الأولى ١٩٨٥ م . بيروت .
- ٣ - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك . لأبن هشام الأنصارى . تحقيق مصطفى السقا وآخرين . دار إحياء التراث العربى . الطبعة السادسة ١٩٨٠ . بيروت .
- ٤ - إعراب ثلاثين سورة من القرآن . لابن خالوية . مكتبة المعتبرى القاهرة .
- ٥ - الحجة للقراء السبعة . لأبى على الفارسى . تحقيق بدر الدين قهوجى وآخر . دار المأمون للتراث . دمشق .
- ٦ - الحيوان . للجاحظ . تحقيق وشرح : د. يحيى الشامى . منشورات دار مكتبة الهلال . الطبعة الثالثة ١٩٩٠ . بيروت .
- ٧ - دروس فى المذاهب النحوية . الدكتور : عبده الراجحى . دار النهضة العربية . ١٩٨٠ . بيروت .
- ٨ - ديوان الأعشى . المؤسسة العربية للطباعة والنشر . بيروت .
- ٩ - ديوان رؤبة بن العجاج . صححه ورتبه وليم بن الورد البروسى . منشورات دار الآفاق الجديدة . بيروت . الطبعة الثانية ١٩٨٠ م .
- ١٠ - ديوان شعر ذى الرمة . صححه كارليل هنرى مكارتنى . عالم الكتب .
- ١١ - رسالة الفخران لأبى العلاء المعري . تحقيق : د. عائشة عبد الرحمن . دار المعارف . الطبعة الثامنة .
- ١٢ - وصف المبانى . للماتقى . تحقيق : د. أحمد الخراط . دار القلم . الطبعة الثانية . ١٩٨٥ . دمشق .
- ١٣ - السبعة فى القراءات . لابن مجاهد . تحقيق : د. شوقى ضيف . دار المعارف . الطبعة الثانية . القاهرة .

- ١٤- شرح أبيات المعنى لعماد القادر البغدادي تحقيق عبد العزيز رباح وآخر دار المأمون للتراث الطبعة الأولى ١٩٧٣ . دمشق
- ١٥- شرح التصريح على التوضيح خالد الأزهرى . دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي . القاهرة
- ١٦- شرح ديوان امرئ القيس . دار الفكر للجمع . بيروت ١٩٨٠
- ١٧- شرح ديوان عنترة . دار الفكر للجمع . بيروت ١٩٦٨
- ١٨- شرح ديوان الفرزدق للمستشرق جيمس . د. سايمز منشورات مكتبة الثقافة العربية . بغداد .
- ١٩- شرح شذور الذهب ابن هشام الأنصاري . تحقيق . محمد محيى الدين عبد الحميد . المكتبة العصرية . ١٩٨٨ بيروت .
- ٢٠- شرح ابن عقيل تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد الطبعة الأولى .
- ٢١- شرح المفصل لابن يعيش مكتبة المتنبى . القاهرة
- ٢٢- طبقات النحويين واللغويين محمد بن الحسن الزبيدي تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف . الطبعة الثانية . مصر
- ٢٣- الكتاب . لسيوييه تحقيق . الأستاذ عبد السلام هارون . الهيئة العامة للكتاب . الطبعة الثانية ١٩٧٧ .
- ٢٤- لسان العرب لابن منظور . دار المعارف .
- ٢٥- مجاز القرآن . لأبى عبدة . علق عليه : محمد فؤاد سزكين . الطبعة الثانية . مؤسسة الرسالة . بيروت ١٩٨١ .
- ٢٦- المحتسب لابن جنى . تحقيق على النجدى ناصف وآخرين .. المجلس الأعلى للثنون الإسلامية . القاهرة ١٣٨٦ هـ .
- ٢٧- معاني القرآن . يحيى بن زياد الفراء . تحقيق : أحمد يوسف نجاتي ، والأستاذ محمد على النجار . الهيئة المصرية العامة للكتاب . الطبعة الثانية ١٩٨٠ .
- ٢٨- معجم شواهد العربية . الأستاذ عبد السلام هارون . مكتبة الخانجي . القاهرة ١٩٧٢ م .

- ٢٩- المقتضب . محمد بن يزيد المبرد . تحقيق : محمد عبد الخالق عزيمة . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . الطبعة الثانية ١٩٢٩م . القاهرة . .
- ٣٠- المقرب . لابن عصفور . تحقيق : أحمد عبد الستار الجبوري وآخر . مطبعة الباني . بغداد .
- ٣١- النابغة الجعدي حياته وشعره . الدكتور : خليل إبراهيم أبو ذياب . دار القلم . دمشق ، المنارة . بيروت . الطبعة الأولى ١٩٨٢م .
- ٣٢- النوادر في اللغة . لأبي زيد الأنصاري . تحقيق : الدكتور محمد عبد القادر أحمد . دار الشروق . الطبعة الأولى ١٩٨١م . بيروت ، القاهرة .
- ٣٣- همع الهوامع : جلال الدين السيوطي ، تحقيق : أحمد شمس الدين . دار الكتب العلمية . الطبعة الأولى ١٩٩٨م . بيروت .

# (( تَثْرِي ))

بِرَاسَةِ لُغَوِيَّة

إعداد

الدكتور / عبد الله بن حمد الدايل  
الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية  
بكلية المعلمين بالرياض  
المملكة العربية السعودية





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة

أثار في نفسي ما قرأته حول لفظ "تَتَرَى" المذكور في القرآن الكريم في قوله تعالى : "ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتَرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ لِيَبْعُدُوا الْقَوْمَ لَا يُؤْمِنُونَ"<sup>(١)</sup> أثار في نفسي حاجة لللفظ المذكور إلى دراسة لغوية منظمة لتناول اللفظ بالدراسة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والدلالية .

لنّ ما ذكر حول اللفظ المذكور لديمًا وحديثًا يبيّن ضرورة المزج بين هذه المستويات اللغوية للوقوف على خصائصه اللغوية بيّنة لنّ هذا المزج ينبغي أن يؤخّر في الدراسة إلى المرحلة التالية للتناول الذي لفصل فيه مؤلفًا يبين هذه المستويات حتى لو بقي كلاً منها حقّه من الدراسة .

لنّ هذا اللفظ المذكور في القرآن الكريم مرّة واحدة والمرسوم في المصحف العثماني بالآلاف "تَتَرًا" بحاجة إلى دراسة لغوية تهدف إلى بيان ما يلي :

١ - بيان الأحرف التي يتكوّن منها اللفظ : الأصليّ منها والزائد ، وما وقع فيه من إبدال .

---

(١) سورة (٢٣) المؤمنون ، آية ٤٤ .

٢ - وضع اللفظ في موضعه الصحيح من حيث التصنيف اللغوي  
( اسم - فعل - حرف - اسم: فعل ... الخ ) وما يتصل بشأن  
التصنيف .

٣ - طريقة النطق الصحيح لآخر اللفظ ( التتوين - عدم التتوين ) .

٤ - إعراب اللفظ في موضعه من الآية للكرامة .

٥ - دلالة اللفظ في المعجم ، وفي القرآن الكريم .

والموصول إلى هذه الأهداف ، وإلى رأي قاطع أو راجح  
، على الأقل - في كل منها أرى إجراء الدراسة وفق معطيات الدرس  
اللغوي الحديث ومذهبه السائد على الترتيب التالي :

١ - المبحث الأول : الدرس الصوتي وأعرض فيه لما في اللفظ من  
إدخال ، ولما يتصل به في القراءات من جوانب صوتية .

٢ - المبحث الثاني : الدرس الصرفي ويتناول أصول المادة والزوائد  
فيها ، وأثر الخلاف في هذه الأصول في تتوين اللفظ أو عدم تتوينه  
تبعاً للقول بصرفه أو منعه من الصرف .

٣ - المبحث الثالث : الدرس النحوي ويشمل إعراب لفظ " تَنَزَّيْ " في  
القرآن الكريم ، وما يتصل باللفظ من قضايا تتصل بالدرس النحوي<sup>٤</sup>  
ويبدو تناولها ملحقاً هنا كقضية التصنيف Classification .

٤ - المبحث الرابع : الدرس المعجمي والدلالي ويتناول بيان معنى  
اللفظ في اللغة بعامة وفي القرآن الكريم بخاصة<sup>٥</sup> وأرى المزج  
بينهما لملائمته لطبيعة البحث .

٥ - الخاتمة ، وفيها يُبرزُ البحث أهمّ النتائج التي تتضمن تحقيقاً لما ذكرته من أهداف بعد أن تتضح من المباحث السابقة العناصر المؤكدة أو المرجحة لما توصل إليه البحث من نتائج ، وبمقدار المودة إلى المزج بين معطيات الدراسة في المستويات السابقة وتغلاها لما توصلنا إليه البحث من نتائج بأمل الباحث أن تكون محققة لما توخاه من أهداف ، والله الموفق لما فيه الصواب والسداد في القول والعمل .

عبد الله بن حمد الدايل

الرياض

المحرّم ١٤٢٠هـ / مايو ١٩٩٩م

## المبحث الأول : الترميم الصوتي

يشير لفظ "تَنَزَّرُ" الذي أتت عليه ثلاث مسائل هي : الإبدال ، والإمالة ، والتثوين ، أما الإبدال والإمالة فأتتا ولهما في هذا المبحث ، وأما التثوين فدخله في المبحث الصرفي لأنه مبني على تحديد الألف الأخيرة : أهى للتأنيث أم لا ؟ .

والإبدال ولقد في إبدال الواو تاءً ، وهو ما نبه عليه أئمة اللغة فذكر الخليل أن "تَنَزَّرُ" : "معناه (وتَنَزَّرُ) جعل بدل الواو تاءً" (١) ونظَّرَ للفراء لهذا الإبدال الصوتي بقوله : "لَنْ تَنَزَّرَ وَإِذَا يَمْلَزَكَا التَّارَاتِ وَالتَّجَاهُ" (٢) ، أي أن الإبدال في "تَنَزَّرُ" شبيه بإبدال الواو تاءً في (تَنَزَّرَتْ ، وَتَجَاهُ) .

ويبدو أن معظم اللغويين إلى لم يكن جميعهم يُقرُّون ما ذهب إليه الخليل والفراء وينبّهون عليه وإنكر منهم - على سبيل المثال لا الحصر - الزَّجَّاج (٣) ، والفارسي (٤) ، وابن جني (٥) ، والمصري (٦) .

(١) الخليل بن أحمد ، معجم العين ، تحقيق مهدي المخزومي ، وإبراهيم السمرتي ، بيروت ، مشوركت مؤسسة الأعلمي للطباعة ، ط ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، ملحة "وتر" .

(٢) ليونكريا الفراء ، معاني القرآن ، بيروت ، علم الكتب ، ط ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ج ٢ ، ص ٢٣٦ .

(٣) أبو إسحاق الزجاج ، ما ينصرف وما لا ينصرف ، تحقيق هادي محمود قراعة ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، مطابع الأهرام لتجارية ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م ، ص ١٧ ، ص ٢٩ .

(٤) أبو علي الفارسي ، التكملة ، تحقيق كلظم بحر المرجان ، لعراق ، مطابع مديرية دار الكتب ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، ص ٣١٣ .

(٥) أبو الفتح عثمان بن جني ، سر صناعة الأعراب ، تحقيق حسن هندلوي ، دمشق ، دار القلم ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ج ١ ، ص ١٤٦ .

(٦) أبو سعيد السمرقي ، شرح كتاب سيويه (ميكرو فيلم) بقسم المخطوطات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، رقم ١٠٢٩٦ / ألف ، مصور عن دار لكت المصرية برقم (١٣٧) نحو ، ٤ / ق ٨٧ .

والجوهري<sup>(١)</sup>، ومكي بن أبي طالب<sup>(٢)</sup>، وابن سيده<sup>(٣)</sup>، والزمخشري<sup>(٤)</sup>، وابن عصفور<sup>(٥)</sup>، وأبو حيان<sup>(٦)</sup>.

ويبدل الـلـوـلـو تاء في أوائل الكلمات ظاهرة معروفة عرض لها كثير من اللغويين/بيد أنها ليست قياسية أفليست مثل تبدل الـلـوـلـو للـوـالـة فاء في وزن (فَعْلَل) التي يبدو فيها القيس مطّرداً لا يتوَلَف كما في نحو لَوَزَنَ وَلَمَعَدَ وَلَجَجَ وَلَمَّحَ لأنها في الأصل قبل الإبدال: لَوَزَنَ - لَوَمَعَدَ - لَوَجَجَ - لَوَمَّحَ. وقد ساعد على هذا الإبدال قانون المعاملة الصوتية Assimilation.

ولقد نبّه سيدييه إلى حتمية هذا الإبدال ولطّرداه في باب (فَعْلَل). أما الإبدال هنا أي تبدل الـلـوـلـو الأولى في الكلمة تاءً وليس قيسياً وقد نبّه اللغويون على ذلك إمامهم ابن جني الذي نبّه على أنه لا يجوز أن تقول قيسياً على بَيْعَةٍ في بَيْعَةٍ: بَرَزَ في وَزِيرٍ ... ولا في: وَلَهَيَ: تَلَهَيَ قيسياً على (تَلَوَى)<sup>(٧)</sup>.

وقد ذكر ابن السكيت أمثلة لإبدال الـلـوـلـو الأولى تاءً ومن ذلك التَّكَلَنَ أصله وَكَلَنَ فأبدلت الـلـوـلـو تاءً، والتَّكَلَنَ أصله وَكَلَنَ ...

(١) إسماعيل الجوهري، الصّاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٣، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ج ٢ ص ٨٤٣.

(٢) مكي بن أبي طالب القيسي، مشكل إعراب القرآن، تحقيق ياسين محمد السويسي، دمشق، دار المصنفين للتراث، ط ٢ (دث)، ج ٢ ص ١١٠.

(٣) أبو الحسن علي بن سيده، المختص، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، مج ٥، ج ١٦، ص ٨٨.

(٤) أبو القاسم الزمخشري، الكشاف، الرياض، مكتبة المعارف، بيروت، دار المعرفة، (دث)، ج ٢ ص ٤٨.

(٥) ابن عصفور الأصبلي، الممتع في التصريف، تحقيق فخر الدين قبلو، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط ٤، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ج ١ ص ٣٨٥.

(٦) أبو حيان الأندلسي، قهر اللغة من قهر المحو بهامش البحر المحيط، بيروت، دار الفكر، ط ٢، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٣م، ج ٦ ص ٤٠٦.

(٧) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج ١ ص ١٤٧.

وكذلك التَّخَمَّةُ أصلها وَخَمَّةٌ ... وَتَتَرَى أصلها وَتَرَى لأنها من  
المواترة ، وَتَقْرَى أصلها وَقَرَى ... وَتَجَاه أصله من التَّوَجَّه ، وتجاه  
أصلها والله ، والمال التَّيْلِد والتَّلَاد أصله من الولو أي وَلِدَ عندهم (١)  
ولم يذكر ابن السَّكِّيت كما لم يذكر أحد من النحويين أو اللغويين  
قِيَاسِيَّةَ هذا الإبدال فهو مقصور على السماع .  
وَيَعْلَل ابن جني هذا الإبدال تعليلاً صوتياً مقبولاً حيث يذكر أن  
مَسَوَّغ هذا الإبدال يتمثل في لَنْ " للتاء قريضةً التَّخَرَج من الولو لأنها من  
أصول الثلثاء والولو من الشفة فأبدلوا تاء (٢)  
ويزيد ابن عصفور على تعليل ابن جني لَنْ التاء " حرف جَلَدٌ لا  
يتغيَّرُ لِمَا قَبْلَهُ (٣) .

القراءات واللهجات (اللغات) في " تَتَرَى " :  
قُرِئت " تَتَرَى " بتووين وبلا تووين (٤) ، أي بالتووين وصلًا وبإبدال  
لَفًا و قَفًا ، كما قُرِئت بالالف بلا تووين وصلًا ووقفًا .

- 
- (١) ابن السَّكِّيت ، كتاب الإبدال ، تحقيق حسين محمد شرف ، مراجعة علي النجدي لصف ، القاهرة ،  
هيئة العامة لشئون المطبع الأميرية ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ، ص ١٣٩ .  
(٢) ابن جني ، مرصعة الإعراب ، ج ١ ص ١٤٨ .  
(٣) ابن عصفور ، الممتع في التصريف ، ج ١ ص ٣٨٧ .  
(٤) لوجعفر التحلي ، إعراب القرآن ، تحقيق زهير غزوي زاهد ، مصر ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة  
للعربية ، ط ٢ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ج ٣ ص ١١٤ ، فخر الدين الرزقي ، تفسير فخر الرزقي ، بيروت ،  
دار الفكر ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، ج ٢٣ ص ١٠١ ، القرطبي ، الجلس لأحكام القرآن ، بيروت ،  
دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ج ١٢ ص ٨٤ ، ابن مالك ، شرح صفة الحفظ وعدة  
للإختص ، تحقيق عثمان عبد الرحمن الدوري ، بغداد ، مطبعة المعلي ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، ص ٨٢٩ ،  
لوحين الأندلسي ، البحر المحيطة ، بيروت ، دار الفكر ، ط ٢ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ج ٦ ص ٤٠٧ ،  
ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، مراجعة محمد علي الضباع ، بيروت ، دار الكتب العلمية  
(دكت) ج ٢ ص ٣٢٨ ، الأروسي ، روح المعلي ، بيروت ، إدارة الطباعة المنيرية ، دار إحياء التراث  
العربي ، ط ٤ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م . ج ١٨ ص ٣٤ .

ونسب للحاصل قراءة "تَتَرَى" منوثة إلى أبي عمرو وأبي جعفر والأعرج ، أما قراءتها بلا تنوين فقد نسبها إلى الكوفيين ونافع والحسن وابن محيصن<sup>(١)</sup>.

ونسب أبو حيان قراءة التنوين إلى ابن كثير وأبي عمرو وقتادة وشيبة وابن محيصن والشافعي ، وعزا القراءة بغير تنوين إلى باقي السبعة<sup>(٢)</sup> ، وتابعه الألويسي<sup>(٣)</sup> ، ويبدو مما ذكر أن ابن محيصن قد رويت عنه القراءتان بالتنوين وبغير التنوين .

وعزا ابن الجزري قراءتها منوثة إلى نافع والكسائي وأبي بكر عن عاصم ، وهشام ، وابن عامر ، أما قراءتها بغير تنوين فنسبها إلى الباقيين<sup>(٤)</sup> ، وليس هناك خلاف بين ما ذكره علماء القراءات في نسبة القراءتين إحيث ينحصر الخلاف في ذكر بعض القراء أو إغفال بعضهم ، لو ذكر بعض الرواة عن ثمة للقراء .

ونخلص مما ورد في الأقوال السابقة أنها قرئت منوثة وبغير منوثة وهو أمر يبدو موثقاً من الأقوال السابقة ، ولأن هاتين القراءتين من القراءات السبعية .

وقد لكر الطبري القراءتين المذكورتين مبيّناً لثبتهما بولفقتان لهجتين (لغتين) مشهورتين في كلام العرب فيجوز للقارئ القراءة بأيتهما ، بيد أنه أبدى ميله إلى اختيار القراءة بغير تنوين لموافقتهما لأصح اللهجتين (اللغتين) وأشهرهما<sup>(٥)</sup> وأشار كثير من العلماء إلى هاتين اللهجتين (اللغتين) في التنوين وتركه لشهرتهما كما يبدو ،

(١) أبو جعفر النحاس ، إعراب القرآن ، ج ٣ ص ١١٤ .

(٢) أبو حيان ، البحر المحيط ، ج ٦ ص ٤٠٧ .

(٣) الألويسي ، روح المعاني ، ج ١٨ ص ٣٤ .

(٤) ابن الجزري ، تشرلي القراءات لمصر ، ج ٢ ص ٣٢٨ .

(٥) أبو جعفر الطبري ، تفسير الطبري (جمع البيان عن أصول أي القرآن) بديوت ، ذو فكر ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، مج ١٠ ، ج ١٨ ، ص ٢٤ .

وأكثرتهم يستتجون من ذلك أنَّ مجيئها منوثة يعنى صرفها على اعتبار  
لأنَّ ألفها للإلحاق وليست للتأنيث ، أما منعها من التكوين فيعنى منعها من  
الصرف ويعنى أنَّ الألف للتأنيث<sup>(١)</sup>.

وجدير بالذكر هنا - إكمالاً لما ذكر عن القراءتين - أنَّ أذكر  
ورود لهجتين (لغتين) في اللفظ لم يقرأ بهما في القرآن الكريم لها اللهجة  
(اللغة) الأولى وتمثّل الصورة الثالثة لطلق (تَقْرَأُ) فهي (تَقْرَأُ) بكسر  
الراء غير منوثة ، وهي لهجة (لغة) وليست بقراءة (وقد نبّه الزجّاج  
مدها على ذلك بقوله: "وَلَمْ يَقْرَأْ بِهِ فَلَا تَقْرَأَنَّ بِهِ"<sup>(٢)</sup>).  
أما اللهجة (اللغة) الثانية وتمثّل الصورة الرابعة لطلق "تَقْرَأُ"  
فهي "تَقْرَأُ" بكسر فاتها أي بكسر التاء الأولى (وقد نبّه عليها أبو  
جعفر النحاس)<sup>(٣)</sup>.

#### جواز إمالة الألف :

بين القراء جواز الإمالة في ألف "تَقْرَأُ" عند الوقف عليها إذا لم  
تكن منوثة ، أما في قراءة التكوين فلا يجوز إمالة الألف يقول : "وَيَكُونُ  
الوقوف عليها حينئذٍ بالياء وإثارة إلى الكسر ، وإن جمعتها ألف إعراب لم

(١) سيويه ، الكتب ، القاهرة ، المطبعة الكبرى الأميرية ، (بولاق) ط ١ ، ١٣١٦ هـ / ١٨٩٨ م ، ج ٢ ص  
٩٨ ، والمبرد ، المقنن ، تحقيق محمد عبد الخلق عزيمة ، بيروت ، علم الكتب (دت) ، ج ٢  
ص ٣٨٥ ، ٣٢٨ ، وأبو علي الفارسي ، الكلمة ، ص ٣١١ ، ٣١٢ ، وابن جني ، سر صناعة الإعراب ،  
ج ١ ص ١٤٦ ، ج ٢ ص ٦٩١ ، والجوهري ، الصحاح ، ج ٢ ص ٨٤٣ ، وابن سيده ، المختص ، مج ٤ ،  
ج ١٥ ص ٩٦ ، وابن يعيش ، شرح المنل ، بيروت ، علم الكتب ، القاهرة ، مكتبة الشئى (دت) ج ١٠  
ص ٣٨ ، وابن مالك شرح صفة الحفظ ، ص ٨٢٩ .

(٢) أبو إسحاق الزجّاج ، معلى القرن وإعرابه ، تحقيق عبد الجليل عبد شليبي ، بيروت ، علم الكتب ،  
ط ١ ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، ج ٤ ص ١٣ .

(٣) أبو جعفر النحاس ، إعراب القرن ، ج ٣ ص ١١٤ .



نُتِرَ ، لأنَّكَ لَا تُشِيرُ إِلَى أَلْفَاتِ الإِعْرَابِ بِالْكَسْرِ وَلَا تَقُولُ : رَأَيْتَ زَيْدِي  
وَلَا عَمْرِي<sup>(١)</sup>.

وعبارة الفقهاء " بالياء وإشارة إلى الكسر " تعني الإمالة التي  
تكون جائزة مع ألف التأنيث<sup>(٢)</sup> وقد وافقه في ذلك ابن جرير الطبري<sup>(٣)</sup>.  
ومع ورودها مكتوبة في المصحف في الرسم العثماني بالألف  
وجد العلماء يلتزمون الياء في كتابتها، ولا يكتبونها بالألف؛ لما رُؤيه من  
منع الكلمة من الصرف، وترك توينها على اعتبار أنها ألف التأنيث  
المقصورة التي تكتب دائما بالياء؛ لوقوعها بعد ثلاثة أصول فأكثر .

---

(١) لقراء ، معلى قرن ، ج ٢ ص ٢٣٦ .

(٢) ابن جرير الطبري ، تفسير الطبري ( جلع لبيان عن طويل أي قرن ) ١٠ / ١٨ ص ٢٣ .

## المبحث الثاني : الدرس الصرفي

ليريد بتناول "تَتَرَى" في الدرس الصرفي الحديث عن حروفها :  
الأصلي منها والزايد ، وبين وزنها الصرفي من الحديث عن ألفها  
الأخيرة التي تَتَرَتْ في صرفها أي تنوّلها حيناً/ومنع صرفها أي منعها  
من التوّن حيناً آخر .

أما البناء الأولي فهي أصليّة ، ولرى لدى اللغويين والنحاة ما يشبه  
الإجماع على أنّها مبذلة من الولو كما توضّح لي من المبحث الصوتي  
المسبق ، وإنّ أصل الكلمة هي "وَتَرَّ" وإنّ هذا النوع من الإبدال غير  
قياسي ونظيره ما حدث في التَرَفّ والتَّجاء والتَّكَلَن والتَّقوى والتَّهمة .

ويتضح ما يشبه الإجماع عند اللغويين والنحاة صدد تأصيل الكلمة  
حين ينكرون أنّ "تَتَرَى" من المَوَاتَرَةِ<sup>(١)</sup> . وكذلك حين يذكر بعضهم أنّ  
أصلها "وَتَرَّى" من الوَثَر وهو الفرد<sup>(٢)</sup> ، لو أنّها "من واترت  
واشتاقه من الوَثَر والوَثَر"<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر في ذلك على سبيل المثال لا الحصر : الخليل بن أحمد : العين ج ٨ ص ١٢٣ ، لطيري : جامع  
البيان في تأويل أي لقرن ، مج ١٠ ، ج ١٨ ، ص ٢٣ ، الزجّاج : ما ينصرف وما لا ينصرف ص ٢٩ ، ١٧ ،  
قارسي : الكلمة ص ٣١٣ ، ابن جني ، سر صناعة الإعراب ج ١ ص ١٤٦ ، لسيرلي : شرح كتاب  
سيبويه ، ٨٧ ، ق ٤٠ ، بكّي بن أبي طالب : مشكل إعراب لقرن ج ٢ ص ١١٠ ، المكبري : البيان في  
إعراب لقرن ، تحقيق على محمد الجبوري ، مصر ، نشر عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٦ م  
ج ٢ ص ٩٥٥ ، ابن يعيش : شرح المفصل ج ١٠ ص ٣٨ ، ابن صفور : لمتع في التصريف ج ١  
ص ٣٨٥ .

(٢) الجوهري : الصحاح ج ٢ ص ٨٤٣ .

(٣) فحلّس ، إعراب لقرن ، ١١٥/٣ ، وأبو السعود ، تفسير أبي السعود ، بيروت ، دار إحياء التراث  
لعربي (بنت) ، ج ٦ ، ١٣٥ .

وفي كتب اللغة والتفسير يتردد تاصيل "تَتَرَى" وردها إلى  
 التَّوَرِّ أو "المَوَازَرَة" (١) وليس بين القولين خلاف إذ المفهوم منها أنَّ  
 الأصول ثلاثية وهي الـولو والتاء والراء .

#### الوزن الصرفي :

غالب العلماء على أنَّ وزنها الصرفي "قَمَلَى" (٢) وهو ما يعنى  
 أنَّ الألف الأخيرة زائدة ولَّها للتانيث ، وبالتالي فهي معلومة من  
 الصرف ولا تنوين في آخرها ؛ وهو رأي غالبية النحويين واللغويين .  
 ويورد الراحب الأصفهاني قولاً ينسب إلى ثعلب يرى فيه أنَّ  
 وزن "تَتَرَى" "تَقَعَل" (٣) وينكر معه رداً عليه يتمثل في أنه ليس في  
 الصفات "تَقَعَل" ولَّ أنَّ القول بذلك غلط لأنَّه يؤدِّي الحكم بزيادة التاء ،  
 وبالتالي فلنَّ ما بقي من الكلمة ليس من  
 المَوَازَرَة (٤) ، والصواب أنَّ التاء مبدلة من الـولو ولَّها أصلية ولَّ أنَّ الكلمة  
 من المَوَازَرَة .

والذين يرون أنَّ ألف "تَتَرَى" للإلحاق وليست للتانيث يعدُّون  
 وزنها "قَمَلَل" إلحاقاً بجَعْفَر .

(١) ابن سيده : لمخصَّص ، مج ٥ ، ج ١٦ ص ٨٨ ، مج ٤ ، ج ١٥ ، ص ١٨٤ ، لغز قرظي : تفسير  
 (مفتاح لغيب) ج ٢٣ ص ١٠١ ، السمين الطبي : الدر المنون ، تحقيق أحمد محمد الخطاط ، دمشق ، دار  
 القلم ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م ، ج ٨ ص ٣٤٥ ، القرطبي : الجلع لأحكام القرآن ج ١٧ ص ٨٤ .

(٢) نظر في ذلك على سبيل المثال لا الحصر : القرطبي : الكلمة ص ٣١٣ ، ابن جني : سر صناعة  
 الإعراب ج ١ ص ١٤٦ ، ابن سيده : لمخصَّص ، مج ٥ سار ١٦ ص ٨٨ ، الراحب الأصفهاني :  
 المفردات ، تحقيق محمد سيّد كيلاني ، بيروت ، دار المعرفة (دت) ص ٧٣ ، الزمخشري ، كشَّاف ج ٣  
 ص ٤٨ ، الرزقي : تفسير (مفتاح لغيب) ج ٢٣ ص ١٠١ ، ابن يعيش : شرح المفصَّل ج ١٠ ص ٣٨ ،  
 ابن صفور : المتع في التصريف ج ١ ص ٣٨٥ ، أبو حنَّان : التهر لملَّ ج ٦ ص ٤٠٦ .

(٣) الراحب الأصفهاني ، المفردات ص ٧٣ .

(٤) السابق ص ٧٣ .

والقول بأن وزنها "فَعَلَل" وإنَّ الألف للإلحاق قول ولرد قال به بعض النحويين واللغويين الذين رأوا في ورود اللفظة متولة ما يؤيد قولهم .

يَبْدُ لَنْ اعتبار الألف الأخيرة هي ألف التأنيث المقصورة ، وإنَّ للكلمة مملوعة من الصرف ولا تنوين فيها هو الأرجح والغالب عند النحاة والقراء (١).

ولا خلاف بين النحويين في لَنْ ألف التأنيث المقصورة شأنها شأن ألف التأنيث الممدودة من العلل التي تمنع الأسماء من الصرف بمفردها .

والنحويين تعليقات شتَّى في منع الصرف بألف التأنيث الممدودة ونكتفي بالإحالة إليها دعماً للإطالة (٢).

وجدير بالذكر لَنْ لِيَتَن حقيقة الإلحاق الذي تحتمله الألف الأخيرة في "تَقَرَّى" وقد عرقه ابن جني بأنه "زيادة" في الكلمة تَبْلُغُ بها زِنَةَ الملحق به لِضَرْبٍ مِنَ التَّوَسُّعِ في اللَّقَّةِ ، فذوات الثلاثة تَبْلُغُ بها الأربعة والخمسة ، وذوات الأربعة تَبْلُغُ بها الخمسة ولا يَبْقَى بعد ذلك عَرْضٌ مطلوبٌ، لَنْ ذوات الخمسة شايئة الأصول ... قال أبو عثمان أو الألف تلحق ببنات الثلاثة آخراً فتلحقها بالأربعة من الأسماء (٣).

(١) الفراء : معاني القرآن ج ٢ ص ٢٣٦ ، المبرد : المقتضب ج ٣ ص ٣٨٥ ، أبو حيان : البحر المحيط ج ٦ ص ٣٩٣ .

(٢) سيبويه : الكتاب (بولاقي) ج ٢ ص ٩ ، المبرد : المقتضب ج ٣ ص ٣٢٠ ، الزجاج : ما ينصرف وما لا ينصرف ص ٢٧ ، أبو سعيد السيرافي : شرح كتاب سيبويه ، ٨٧ ق ٨٧ .

(٣) ابن جني : المنصف ، تحقيق إبراهيم مصطفى ، وعبد الله أمين ، مصر ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط ١ ، ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م ، ج ١ ص ٣٤ ، ٣٥ .

ولقد عدَّ سيبويه الألف الأخيرة في "تَتَرَى" عند التثنية ألف  
إلحاق وليست للتأنيث<sup>(١)</sup>، وهذا حذوه ابن جني<sup>(٢)</sup> وقد ذكر القراء أن مَنْ  
نَوَّنَ جعل ألفها الأخيرة كالف الإعراب<sup>(٣)</sup>؛

وليست ألف الإلحاق قياسية ولا مطَّردة في اللغة وإنما هي قليلة  
تكاد تنحصر في كلمات معدودة ، ويبدو أنَّ الإلحاق بهذه الألف سماعيٌّ  
خاصٌّ بالعرب الذين يُحْتَجُّ بعربيَّتهم<sup>(٤)</sup>.

وإذا كانت الألف الأخيرة محتملة لأن تكون ألف الإلحاق وهو  
رأي قليل من الدارسين لو أنَّ تكون للتأنيث وهو الرأي الغالب لو رأي  
الأكثرين فإنَّ تفسير اللفظ على اعتبار الألف للإلحاق هو تَتَرَى، وعلى  
اعتبارها للتأنيث هو تَتَرَي<sup>(٥)</sup>.

---

(١) سيبويه : الكتاب (بلاق ) ج ٢ ص ٣٢٠ ووزلها للصرفي في هذه الحال "فَعَلَى" .

(٢) ابن جني ، سرّ صناعة الإعراب ج ٢ ص ٦٩١ .

(٣) القراء ، معاني القرآن ج ٢ ص ٢٣٦ .

(٤) عباس حسن : النحو الوافي، دار المعارف ، ط ٨ ، مصر (د.ن) ج ٤ ص ٢٥٤ .

(٥) ابن يعيش : شرح المفصل ج ٥ ص ١٢٨ ، ١٢٩ ، ابن مالك ، شرح صفة الحفظ ، ص ٨٢٩ .

### المبحث الثالث : الدرس النحوي

#### التصنيف : Classification

يَعَدُّ التصنيف من القضايا أو المسائل النحوية الهامة ، وقد بدأ ابن مالك ألفيته الشهيرة بالتصنيف حين ذكر أن الكلمة تنقسم إلى اسم وفعل وحرف

كَلَامُنَا لَفْظٌ مُبَعَّدٌ كَأَسْتَقِمُ . وَاسْمٌ وَفِعْلٌ ثُمَّ حَرْفٌ الْكَلِم

ثم ذكر بعد ذلك العلامات الشكلية والمعلوية التي تميز كل صنف منها عن قسميه .

وفي كتب اللغة والنحو تَعَرَّضَ لفظ " تَنَزَّيْ " لقدر من الخلاف في تصنيفه ، فمن المعريين من بعدها مصدرأ كَدَعَوْي<sup>(١)</sup> ، ومن المفسرين من بعدها اسم جمع مثل " شَتَّى " إذ لا يقال : جاعلي فلان تَنَزَّيْ كما لا يقال جاعلي فلان مَوَاتَرَة<sup>(٢)</sup> ، وإلى هذا القول ذهب القرطبي<sup>(٣)</sup> :

والرايان محتملان يَبْدَأُ الْقَوْلَ بِالصَّدْرِيَّةِ لِكَثْرَةِ شَهْرَةِ وَتَدْلُوهُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ مَعْرِيَّيْنِ وَمُفْصِّرَيْنِ .

(١) السمين الطيبي : الدرر المصون ، ج ٨ ص ٣٤٥ .

(٢) الطبري : جامع البيان عن تأويل أي القرآن مج ١٠ ، ج ١٨ ص ٢٣

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٢ ص ٨٤ .

## الإعراب :

يُعَدُّ الإعراب للتحليل النحويّ للجملة، أو الجمل العربية، أو بعبارة أخرى هو تحليل النصّ للنفوس تحليلًا نحويًا ، ويجب في الإعراب الصحيح أن يُراعِيَ اعتبارين .

أولهما : المعنى الذي يتمّ تحصيله عن طريق عناصر كثيرة لفظية ومقامية ، فاللفظية تتصل بالجوانب الصوتية والصرفية والتركيبية والمعجمية والدلالية ، والمقامية تتصل بعناصر المقام المتنوعة من معرفة بالمتكلم، والسماع أي المخاطب، وشهود الخطاب، وزمن النص، وجميع الملاحظات المتصلة به وهو ما تقتضيه نظرية السياق الحديثة ويسمى هذا الشقّ المقامي بالشقّ غير النحويّ .

والاعتبار الآخر يتمثل في الأصول والقواعد النحوية التي وضعها القدماء ، فينبغي للتحليل الصحيح أن يُراعِيَ الاعتبارين ذلك أن جانبًا غير قليل من مشكلات الإعراب أو فساده ينشأ عن المفارقة أو عدم الملاءمة بين الاعتبارين ، أو يكون ناتجًا عن عدم مراعاتهما أو مراعاة أحدهما في الإعراب<sup>(١)</sup>.

ولقد تناول العربون القدماء الآية الكريمة وعُثُوا ببيان موقع "تَنَزَّي" فالتخاس يذكر أنها تحتمل إعرابين هما<sup>(٢)</sup>:

١ - أن تكون في موضع نصب على المصدرية ، وهو المعروف عند المتأخرين من النحاة بالمفعول المطلق .

٢ - أن تكون في موضع النصب على الحال ، وذلك بتأويل المنذر بالمشتق أي مُتَوَاتِرِينَ .

(١) طاهر سليمان حمودة : لُحْسُ الإعراب ومشكلاته ، الإسكندرية ، الدار الجامعية ، (دت) من ٤، ٣ .

(٢) النجاشي ، إعراب القرآن ج ٣ ص ١١٤ .

وأشار إلى هذين الوجهين في إعرابها مكِّي بن أبي طالب<sup>(١)</sup>،  
وللفخر الرازي<sup>(٢)</sup>، ولقرطبي<sup>(٣)</sup>، وذكر أبو البقاء العكبري ثلاثة أوجه  
إعرابية هي : للنصب على الحال ، وبصدر في موضع الحال ، وصفة  
لمصدر محذوف أي إرسالاً متواتراً ورجَّح أنه مصدر في موضع  
الحال<sup>(٤)</sup> ، ونهج نهجه السمين الحلبي<sup>(٥)</sup> ، والنزم أبو حيان وجهاً  
إعرابياً واحداً وهو للنصب على الحال أي "مُتَوَاتِرِينَ وَاحِدًا بَعْدَ  
وَاحِدٍ"<sup>(٦)</sup>.

ولستطاع الألويسي أن يجمع من أقوال السابقين خمسة أوجه في  
إعراب "تَكَرَّرَ" هي<sup>(٧)</sup>:

- ١ - أنها مصدر في موضع الحال .
  - ٢ - أنها حال من المفعول ، والمراد : ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا مُتَوَاتِرِينَ .
  - ٣ - أنها حال من الفاعل والمراد أرسلنا مُتَوَاتِرِينَ .
  - ٤ - أنها صفة لمصدر مقتر أي إرسالاً مُتَوَاتِرًا .
  - ٥ - أنها مفعول مطلق لأرسلنا لأنه بمعنى وَتَرَكْنَا .
- والواقع أن لكل وجه من الأوجه الخمسة من أسانيد الصناعة  
النحوية ما يدعمه ويقويه ، ومن حيث ملامتها للمعنى فهي جميعاً  
تؤدي إلى معانٍ متلازمة غير متناقضة يَبْدُ أن الوجهين الأول والثاني  
يبدو التأويل فيهما لو التقدير أقل من الوجوه الأخرى وقد ذكر النحويون

(١) مكِّي بن أبي طالب ، مشكل إعراب القرآن، ج ٢ ص ١٠٩، ١١٠ .

(٢) الفخر الرازي ، تفسير الفخر الرازي (مفاتيح الغيب) ج ٢٣ ص ١٠١ .

(٣) لقرطبي ، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٢ ص ١٠٩، ١١٠ .

(٤) العكبري ، التبيان في إعراب القرآن ، ج ٢ ص ٩٥٥ .

(٥) السمين الحلبي ، الدر المصون ، ج ٨ ص ٣٤٤، ٣٤٥ .

(٦) أبو حيان ، البحر المحیط ، ج ٦ ص ٤٠٧ .

(٧) الألويسي ، روح المعاني ، ج ١٨ ص ٣٤ .



لأن المصدر المنكّر يقع حالا بكثرة ولشار إلى ذلك صاحب الألفية في قوله :

وَمَصْدَرٌ مَّنْكَرٌ حَالًا يَقَعُ بِكَثْرَةِ كِبَفْتَةٍ زَيْدٌ طَلَعَ

والذي أوتقنيه هنا في إعرابها هو الوجه الذي يمزج بين الوجدان الأول والثاني ويجمع بينهما حيث لا تناقض ولا اختلاف ، وهو أن " تَنْزَى " صيغة مصدر تعرب حالا صاحبها المفعول به وهو الرسل .

لما الأوجه الثلاثة الأخرى ففي كل منها تقدير محذوف أو تأويل جلد بمشتق أو تأويل معنى فعل بمعنى فعل آخر وهو ما يبعدها نسبيا في ميزان أحكام الصناعة النحوية .

وللإنصاف فإن الأوجه الإعرابية الخمسة المذكورة تتفق مع المعنى المفهوم من السياق بعناصره المتعددة المتنوعة .

## المبحث الرابع : المعجم والدلالة

يبدو أنَّ الدلالة المعجمية للفظ "تَتَرَى" هي التابع مطلقاً ، يَبْدُو  
لنَّ الدلالة السياقية في الآية الكريمة تعني التابع بين الرسل على أن  
تكون هناك مهلة أو فترة بين كل رسولين ، وهو ما يُفهم من السياق  
العام لإرسال الرسل وبين كل رسولين فترة .

وقد عبّر عن هذا المعنى صاحب اللسان معتمداً على الدلالة  
السياقية حيث قال : " من تتابع الأشياء وبينها فجوات وفترات لأنَّ بين  
كلِّ رسولين فترة <sup>(١)</sup> .

وقد ورد استعمال هذه المادة بمعنى تتابع الأشياء وبينها فجوات لم  
فترات في قول أبي هريرة : " لا بأس بقضاء رمضان ترى أي متقطعاً ،  
وفي حديثه : لا بأس لنَّ يواتر قضاء رمضان أي يفترقه فيصوم يوماً  
ويفطر يوماً ولا يلزمه التابع فيه فيقضيه وترا وتراً <sup>(٢)</sup> .

وقد ورد في معجم العين ما يدل على معنى التابع المطلق  
حيث ذكر لنَّ معنى " تَتَرَى " أي رسولاً بعد رسول ، والمؤكَّرةُ :  
التتابع ... وقيل هي المداومة <sup>(٣)</sup> وأكَّده هذا المعنى الطبري في  
قوله : " رسلنا تَتَرَى " : يعلى يتبع بعضها بعضاً ، وبعضها في إثر  
بعض <sup>(٤)</sup> .

(١) ابن منظور : لسان العرب ، إحداد يوسف خياط ، بيروت ، دار لسان العرب (دب) مادة " وتر " .

(٢) السابق ، مادة " وتر " .

(٣) الخليل بن أحمد ، العين ، مادة " وتر " .

(٤) ابن جرير الطبري ، جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، مج ١٠ ، ج ١٨ ، ص ٢٣ .

ويبدو عند كثير من العلماء إيراد معنى التتابع للفظ "تتري" أو الموقرة دون أن يشيروا إلى المهلة أو الانقطاع أو الفجوات البيئية ، وأكتفى هنا بالإحالة إلى المصادر دفعا للإطالة<sup>(١)</sup>.

ومن اللغويين من يحاول فهم المهلة البيئية أو الفجوة البيئية من الدلالة المعجمية لمادة "وَتَر" فالموقرة "المتابعة" وأصل كل هذا من الوتر وهو الفرد ، وهو أن جعلت كل واحد بعد صاحبه فردا فردا<sup>(٢)</sup>.

والباحث في المعاجم وكتب اللغة والنحو يجد الفهمين لمعنى الموقرة وهما التتابع بلا مهلة أو مطلق التتابع ، والتتابع بمهلة أو فجوة بيئية فقد أورد النحاس ما نصه : "قال الأصمعي : وتترت كتبني عليه أي أتبعته بعضها بعضا إلا أن بين كل واحد منها وبين الآخر مهلة ، وقال غيره من أهل اللغة : الموقرة للتتابع بلا مهلة"<sup>(٣)</sup>.

وهكذا نجد اللغويين والنحويين منقسمين إلى فريقين/يذهب أحدهما إلى القول بالتتابع المجرد بلا مهلة ويذهب الآخر إلى القول بالتتابع المتضمن لمهلة أو فجوة بيئية .

والأرجح - في تصوري - أن للدلالة المعجمية البعيدة عن السياق تعيد فيها الموقرة معنى التتابع المطلق ، أما دلالة اللفظ محتفاً بقرائن السياق اللفظية والمقامية فإنها تضيف إلى الدلالة المعجمية ( الأولى ) وجود المهلة أو الفجوات البيئية ، والذين أضلوا دلالة الموقرة مسألة المهلة أو الفجوات البيئية إما أخذوها من السياقات اللفظية وغير اللفظية أي أن هذه الزيادة ليست من الدلالة الأولى أو المعجمية للفظ .

(١) ابن سيده : المخصص ، مج ٤ ، ج ١٥ ، ص ١٨٤ ، الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن ، ص ٥١١ ، الزمخشري : الكشاف ، ج ٣ ص ٤٨ ، الرازي : التفسير (مفاتيح الغيب) ج ٢٣ ص ١٠١ ، أبو حيان : البحر المحيط ، ج ٦ ص ٣٩٣ - ٤٠٧ .

(٢) الزجاج ، معاني القرآن وإعرابه ، ج ٤ ص ١٤ .

(٣) للنحاس : إعراب القرآن ، ج ٣ ص ١١٤ .

ولا استبعد أن تكون المواترة قد دخلها قدر من التغير الدلالي  
 جعلها تنصرف إلى معنى التتابع بمهلة حتى صاروا يستعملونها بهذا  
 المعنى في الصوم المتفرق في مقابل المواصلة وهو الصوم المتصل<sup>(١)</sup>.  
 أما في سياق الآية الكريمة فالسياق حاكم فيها بل أن المواترة لو  
 "تتري" تعني التتابع مع وجود مهلة أو فترة زمنية بين كل رسولين .

(١) انظر : الجوهرى : المصباح ، ج ٢ من ٨٤٣ .

## الخاتمة

بعد دراستي للفظ "تَنَزَّرَ" وتحليله في المستويات اللغوية المعروفة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والدلالية يهمني في هذه الخاتمة أن أبرز أهم ما توصل إليه البحث من نتائج عسى أن تتضمن تحقيقاً للأهداف التي حددتها في المقدمة وأهم النتائج هي :

١ - يتكوّن لفظ "تَنَزَّرَ" من ثلاثة أصول هي الرلو والتاء والراء أي أن المادة الأصلية هي "وَنَزَرَ" ، وقد حدث للرلو الأولى إبدال غير قياسي على نحو الرلود في تَنَزَّرَ ونُهَمَّة وتجاه وتَرَاث ، وعليه فإن البحث في المعاجم عنها يكون في مادة "وَنَزَرَ" .

٢ - الألف الأخيرة المكتوبة في الرسم العثماني ألفاً ، والمشهور كتبتها ياء وفق المصطلح الخطي ، تُعَدُّ في تصوّر الأكثرين ألف التانيث المقصورة التي تمنع الاسم من الصرف بمفردها ، ويؤيد ذلك قراءتها بغير تنوين ، كما تُعَدُّ في تصوّر بعض الدارسين ألف الإلحاق ويؤيد ذلك قراءتها عند بعض القراء بتنوين .

٣ - تتفق القراءتان اللودتان في "تَنَزَّرَ" مع لهجتين مشهورتين ، وهناك صورتان لهجيتان أخريان لم يقرأ بهما وهما (تَنَزَّرَ) بكسر الراء غير منونة ، و(تَنَزَّرَ) بكسر التاء الأولى .

٤ - الوزن الصرفي لها هو (فَعَلَل) على اعتبار الألف الأخيرة ألف التانيث المقصورة للزائدة ، و(فَعَلَل) على اعتبار الألف الأخيرة للإلحاق .

٥ - تصغير اللفظ على اعتبار الألف للتانيث (تَنَزَّرَ) وعلى اعتبارها للإلحاق (تَنَزَّرَ) .

٦ - "تَنَزَّي" من حيث التصنيف "اسم" والرأي القوي أنها مصدر ،

وهناك من يعدّها اسم جمع .

٧ - يرجّح البحث إعرابها حالاً صاحبه المفعول به وهو الرسل وهي

صفة مصدر كما ذكرت .

٨ - يَرِدُ في اللغة استعمال المَوَاطَرَةِ وما يُشْتَقُّ منها بمعنى التابع

مطلقاً ، وبمعنى التابع مع وجود المُهَلَّةِ أو الفجوة ويرجّح البحث

أن تكون الدلالة المعجميّة أو الأولى هي التابع مطلقاً وأنّ دلالة

التابع مع وجود المُهَلَّةِ أو الفجوة هي دلالة اللفظ محتقاً بقرائن

السياق .

والحمد لله ربّ العالمين.

## المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- الألويسي : البغدادي أبو الفضل شهاب الدين ت (١٢٧٠هـ) :  
روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، بيروت إدارة  
الطباعة المنيرية ، دار إحياء التراث العربي ، ط٤ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م
- ابن الجزري : أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي ت (٨٣٣هـ) :  
النشر في القراءات العشر ، مراجعة على محمد الضباع ، بيروت ، دار  
الكتب العلمية (د.ت)
- ابن جني : أبو الفتح عثمان ت (٣٩٢هـ) :  
المصنف لكتاب التصريف ، تحقيق إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين ،  
مصر ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط١  
١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م .  
مركز صناعة الإعراب ، تحقيق حسن هندراوي ، دمشق ، دار القلم ، ط١  
١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م
- الجوهري : إسماعيل بن حماد ت (٣٩٨هـ) :  
الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ،  
بيروت ، دار العلم للملايين ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

- أبو حيان الأندلسي : أثير الدين محمد بن يوسف ت (٧٤٥هـ) :  
البحر المحيط ، بيروت ، دار الفكر ، ط ٢ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .  
النهر المآذ من البحر المحيط بهامش البحر المحيط ، بيروت ، دار الفكر ،  
ط ٢ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- الخليل بن أحمد : أبو عبد الرحمن الفراهيدي ت (١٧٥هـ) :  
معجم العين ، تحقيق مهدي المخزومي ، وإبراهيم السامرائي ، بيروت ،  
منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- الرززي : فخر الدين محمد بن ضياء الدين ت (٦٠٤هـ) :  
تفسير الفخر الرززي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، بيروت ،  
دار الفكر ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .
- الراغب الأصفهاني : أبو القاسم الحسين بن محمد ت (٥٠٢هـ) :  
المفردات في غريب القرآن ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، بيروت ، دار  
المعرفة ، (د.ت) .
- الزجاج : أبو إسحاق إبراهيم بن السري ت (٣١١هـ) :  
ما ينصرف وما لا ينصرف ، تحقيق هدي محمود قراة ، القاهرة ،  
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ،  
مطابع الأهرام التجارية ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م .  
معاني القرآن وإعرابه ، تحقيق عبد الجليل عبد شلي ، بيروت ، عالم  
الكتب ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- الزمخشري : جار الله أبو القاسم محمود بن عمر ت (٥٣٨هـ) :  
الكشاف ، الرياض ، مكتبة المعارف ، بيروت ، دار المعرفة ، (د.ت) .



- أبو السعود : محمد بن محمد العمادي ت (٩٥١هـ) :  
تفسير أبي السعود ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي (دع) .
- ابن السكيت : أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ت (٢٤٤هـ) :  
كتاب الإبدال ، تحقيق حسين محمد محمد شرف ، مراجعة علي النجدي  
ناصر ، القاهرة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ،  
١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- السمين الحلبي : أحمد بن يوسف ت (٧٥٦هـ) :  
الدرر المصونة في علوم الكتاب المكنون ، تحقيق أحمد محمد الخراط ،  
دمشق ، دار القلم ، ط١ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .
- مسيبويه : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت (١٨٠هـ) :  
الكتاب ، القاهرة ، المطبعة الكبرى الأميرية ، (بولاق) ط١ ،  
١٣١٦هـ / ١٨٩٨م .
- ابن سيده : أبو الحسن علي بن إسماعيل ت (٤٥٨هـ) :  
المختص ، بيروت ، دار الفكر ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- السيرافي : أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان ت (٣٦٨هـ) :  
شرح كتاب سيبويه ( ميكرو فيلم ) بقسم المخطوطات بجامعة الإمام  
محمد بن سعود الإسلامية ، برقم ١٠٢٩٦/ف ، مصور عن دار الكتب  
المصرية برقم (١٣٧) نحو .
- طاهر سليمان حمودة :  
لسن الإعراب ومشكلاته ، الإسكندرية ، الدار الجامعية (دع) .

- الطبري : أبو جعفر بن يزيد بن محمد بن جرير ت (٣١٠هـ) :  
تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) بيروت ، دار  
الفكر ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- عباس حسن :  
النحو الوافي ، مصر ، دار المعارف ، ط٨ (دلت) .
- ابن عصفور الإشبيلي : أبو الحسن علي بن مؤمن ت (٦٦٩هـ) :  
المتع في التصريف ، تحقيق فخر الدين قباوه ، بيروت ، منشورات دار  
الآفاق الجديدة ، ط٤ ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
- العكبري : محب الدين أبو البقاء عبد الله بن الحسين ت (٦١٦هـ) :  
التبيين في إعراب القرآن ، تحقيق علي محمد البجاوي ، مصر : عيسى  
البابي الحلبي وشركاه ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٦م .
- الفارسي : أبو طلي الحسن بن أحمد ت (٣٧٧هـ) :  
التكملة ، تحقيق كاظم بحر المرجان ، العراق ، مطابع مديرية  
دار الكتب ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- الفراء : أبو زكريا يحيى بن زياد ت (٢٠٧هـ) :  
معاني القرآن ، بيروت ، عالم الكتب ، ط٣ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ت (٦٧١هـ) :  
الجامع لأحكام القرآن ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١  
١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

- للقيسي : مكّي بن أبي طالب ت (٤٣٧هـ) :  
مشكل إعراب القرآن ، تحقيق ياسين محمد السوّس ، دمشق ، دار  
المأمون للتراث ، ط ٢ (د.ت) .
- ابن مالك : أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله ت (٦٧٢هـ) :  
شرح عمدة الحافظ وعدة اللاقط ، تحقيق عدنان عبد الرحمن السدوي ،  
بغداد ، مطبعة العاني ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .
- المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد ت (٢٨٦هـ) :  
المقتضب بتحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، بيروت ، عالم الكتب  
(د.ت) .
- ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ت (٧١١هـ) :  
لسان العرب ، إعداد يوسف خياط ، بيروت ، دار لسان العرب (د.ت) .
- النحاس : أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ت (٣٣٨هـ) :  
إعراب القرآن ، تحقيق زهير غازي زاهد ، مصر ، عالم الكتب ، مكتبة  
النهضة العربية ، ط ٢ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- ابن يعيش : موفّق الدين يعيش بن علي ت (٦٤٣هـ) :  
شرح المفصل ، بيروت ، عالم الكتب ، القاهرة ، مكتبة السنّي (د.ت) .



# GEOMORPHOLOGY OF WADI AL AQUL TERRACES IN THE NORTH EAST OF AL MADINAH AL MUNAWWARAH, Kingdom of Saudi Arabia

Dr. Hamdenoh Abdel - Kader El - Sayed (\*)

---

## **Abstract:**

*Wadi Al Aqul terraces were surveyed and investigated by the use of topographic, geologic maps and intensive fieldwork. Some bases such a genetic distinction, topographic relationship between terrace levels, and bedrock lithology has been used to classify the Wadi Al Aqul terraces.*

*The results obtained from mapped cross-section and the longitudinal profiles of both Wadi sides and Wadi bed indicated that the Wadi Al Aqul terraces could basically be divided into two types of terraces. The first type is a depositional terrace (two levels), and the second type is an erosional one. On the other hand, depositional terraces are classified into paired and unpaired ones.*

*An attempt was made to differentiate between the two populations of sorting occurred in depositional terraces. The differentiation depends upon grain size distribution curves and statistical parameteres. The old terrace formations are coarser, poorly sorted, slinghtly positive skewed and has higher kurtosis value than the recent one. The morphometric analysis of the terrace gravels indicates that the gravels of the recent terrace are rounded, as compared to the gravels of the old terrace.*

## **Introduction:**

Wadi al Aqul basin is situated in the northeastern part of al

---

(\*) Department of Geography, Faculty of Arts, Alexandria University, Egypt, and College of Education for Girls, Al Madinah Al Munawwarah, Kingdom of Saudi Arabia. P.OB. 3193.



Madinah al Munawwarah, Kingdom of Saudi Arabia. It lies just northern of Harrat Rahat, and it is located between latitudes  $24^{\circ}20'$  -  $24^{\circ}40'$  N and longitudes  $39^{\circ}39'$  -  $40^{\circ}05'$  E. (Fig. No. 1).

The basin perimeter measures about 137.50 km, while its width varies from about 8.75 km to 25 km, with an average of 17 km. A watershed separating it from Wadi al Qana in the north, and the Wadis of Harrat Hermah and Harrat Rahat in the south. And, it drains an area of about 581.25 sq.km.

The main valley of Wadi al Aql stretches from the western flanks of Harrat Hermah (at the northeast) and follows a southwestward course in a linear structure depression through the basement and volcanic rocks for nearly 47.50 km. Then, it connects with Wadi al Qana at the eastern side of Jabel Uhud before connecting with Al Madinah basin (Panorama. No. 3).

Wadi al Aql receives numerous tributary valleys, the most important of which, particularly in the lower section, are Wadi al Khanaq, Wadi al Bitan on the eastern side, and Wadi Tawrah on the western side.

#### ***Objectives of the study:***

The present study is intended to achieve the following objectives:

1. Surveying of the terrace belt of Wadi al Aql to determine terrace distribution and their levels.
2. Studing the geomorphologic characteristics of these terraces and their deposits in order to assess the rates, conditions and dynamics of the processes operating in the valley at the time of aggradation.
3. Examining the effects of the paleoclimatic conditions, and the recent geomorphic controlling factors.

### ***Materials and methods:***

Data of the present study were derived from the following main sources:

1. Data obtained from the interpretation of topographic and geologic maps of Al Madinah Quadrangle, at scales : 1 : 10,000 , 1 : 250,000.
2. Data obtained from the field measurement as the following steps:
  - Surveying of the terrace belt within three years from 1998 to 2000.
  - To study the terraces morphology and their levels, six cross sections were measured at a different distances.
  - To describe the materials of Wadi terraces, three samples were carefully collected, (one from the old terrace, and the other two from the recent terrace and the Wadi - bed); for laboratory analysis. Mechanical analysis was carried out by the conventional sieving method<sup>(\*)</sup>. Then, the cumulative percentages were plotted on probability paper and graphical method was used. The grain size statistical parameters were calculated by computer, using the formulae of Folk and Ward (1957).
  - To achieve the best results on the roundness ratio of terrace pebbles, 300 pebbles were collected : 150 pebbles from each terrace. In addition, two dimensions were measured for each pebble according to the standard methods.

### ***Geologic and climatic setting:***

The study of the basin geology is important for the type of rock

---

(\*) Mechanical analysis was carried out by Geological Department, Faculty of Science, Alexandria University in 10/8/1999.



underlying the basin determines the nature of material, which is available for erosion and transportation within the drainage basin (Gregory & Walling, 1973).

Precambrian metasedimentary, extensive Tertiary and Quaternary basalt flows and Quaternary surficial deposits underlie Wadi al Aqul basin (Fig. No. 2).

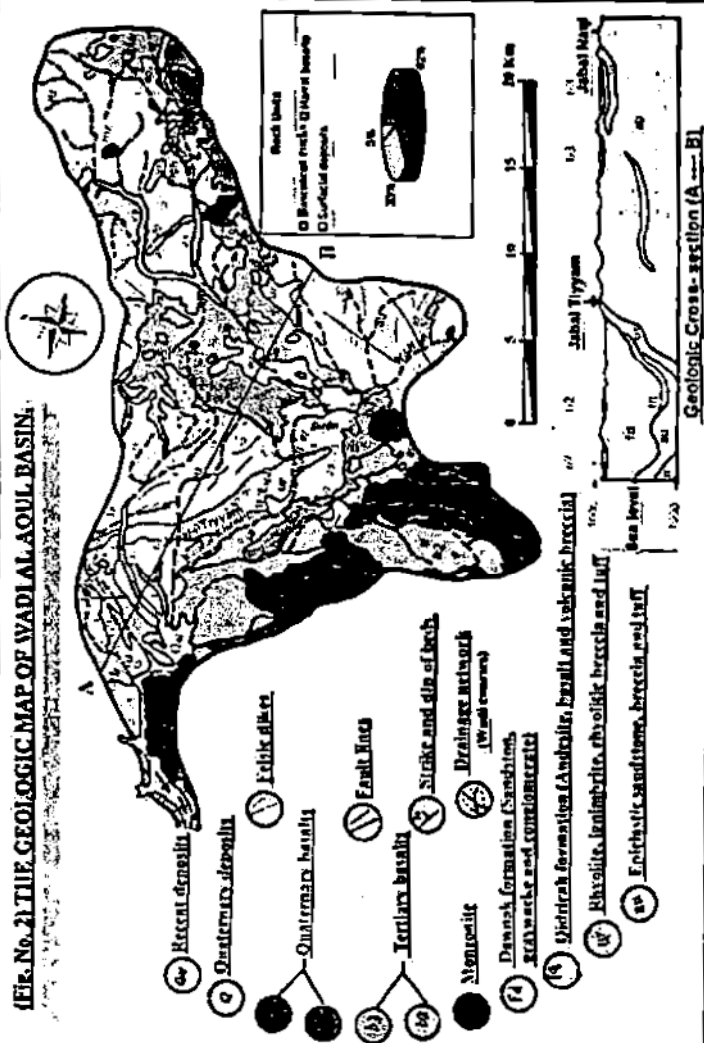
The Precambrian is represented by Upper Proterozoic rocks, which is subdivided into three formations:

1. Urayfi formation, which consists of several thousand meters of Epiclastic <sup>(1)</sup> rocks and is interbedded by volcanic breccia and tuff. These formations form the majority of the basin rocks. Rhyolite, ignimbrite, rhyolitic breccia and tuff are prominent in Jabal Tiyyam at the lower section of Wadi al Aqul (Fig. No. 2). The top of this formation is marked by slight angular unconformity with the Qidirah formation (Pellaton, 1981).
2. Qidirah formation, that is essentially composed of andesite, basalt and volcanic breccia with fragments as much as 30 cm in size. The main outcrop of the Qidirah formation is located in the southern upper section of Wadi Khanaq (A major tributary of Wadi Al Aqul).
3. Dawnak formation, is constituted of sandstone, graywackes and conglomerates and outcrop mainly in the lower section of the basin, east of al Madinah air port (Matar). This formation is restricted to the north of Harrat Rahat basalt. The Dawnak formation is represented by a thick accumulation of various detrital rocks (Panorama. No. 2).

---

(1) The term "Epiclastic" is used to describe immature, heterogeneous and poorly sorted sedimentary rock with subangular fragments and abrupt facies changes which is formed by reworking of volcanic material mostly Pyroclastic in origin.

(Fig. No. 2) THE GEOLOGIC MAP OF WADIALAOUL BASIN.



Tertiary and Quaternary basalt cover an area **about 33%** of the basin area (Fig. No. 2). It is possible to distinguish **two** groups of basalt. **Firstly, the oldest basalt** which is gray, and comprises rounded blocks scattered over flat surfaces where the **prismatic** nature of the lava can be distinguished in places, and have **flattened** edges. **Secondly, the youngest basalt** which is blocky display **flow** structures, and has thick edges. These characteristics, **are** progressively disappeared with time due to erosion. Both types of basalt are mainly composed of olivine and zeolite phenocrysts in a matrix of augite (Baubron, 1976).

The Pleistocene and Holocene formations are surficial deposits of varied fluvial, eolian and lacustrine origin, and are commonly closely intermixed. Three types of these deposits have been identified:

1. Wadi alluvium of gravel, sand and clay that particularly follows the main Wadi beds.
2. Sabkha or khabrah deposits of sand and clay, with or without saline deposits, in closed or semi closed depressions (Panorama. No. 2).
3. Terraces of poorly consolidated pebbles and gravel at the lower section of Wadi al Aql and alluvial fans dissected by recent erosion (Panorama. No. 9, as an example).

Most faults in the Wadi Al Aql basin appear to belong to the Najd fault system. They generally strike NE. 40° - 50° SW. The clearest syncline belonging to this major phase is that at the lower section of Wadi al Aql constituting the Furayh basin at the east of al Madinah airport. It has a north south axis, but is complicated by numerous secondary folds.

Abdel- Aziz Ali (1996) used the factor analysis techniques to study and classify the climate of the Kingdom of Saudi Arabia. He points out that the climate of al Madinah al Munawwarah is of the arid type, which is characterized by a warm and dry winter and very hot and dry summer. Mean annual precipitation reaches about 57.9 mm. The average maximum temperature ranges from 21.5°C to 42°C, and the average minimum temperature ranges from 13.2°C to 29.4°C, with annual average that ranges from 17.3°C to 35.3°C (Said, 1995, in Arabic).

***Distribution and evolution of Wadi Al Aqul terraces :***

The field investigation, illustrated maps (Fig. No. 4) and cross - sections (Fig. No. 5 & 6) indicate that, the Wadi Al Aqul terraces are well distributed at the lower section of the valley, with dissimilar shapes and types. They are extended for more than 5 km from the Wadi dam to the junction point of Wadi al Aqul and Wadi Al Qana (two kilometers at the south west of Al Madinah Airport), with varying width between 50 - 320 m.

The al Madinah basin represents base level (Local base level)<sup>(\*)</sup> of Wadi al Aqul, which is draining into this basin at 600 m above the present sea level. This means that, when the Pleistocene pluvial periods happened, the stream was active, and the terraces were produced by surges erosion, and hence reflected periods of rejuvenation, which have affected stream. In other words, when the

---

(\*) Davis (1902) classified three types of base levels of river erosion : Ultimate (sea level), local (where the level of the major stream channel limits reduction) and temporary (knickpoints). A local base level may persist for very long periods of time. Garner (1974) points out that local base levels can be identified by a depositional datum such as a bar at river junction or fans in arid regions (Morisawa, M., 1985, p. 70).

stream tried to approach an equilibrium state between its old bed and a new one developed; the valley floor had been lowered by vertical and lateral erosion at the same time. Remnants of the old floor were developed and lifted on opposing valley sides at different altitudes.

To conclude, the formation of Wadi Al Aqul terraces is basically attributed to the climatic conditions in Pleistocene and Recent era, and to the lowering of the local base level due to the consequently tectonic events.

Longitudinal profiles of both the old and present courses (Fig. No. 3) indicate that the magnitude of deepening is exceeded 28 m at some locations (Table. No. 1).

Height differences between the old and the recent Wadi - bed are attributed to vertical erosion, which has been predominated especially during the pluvial periods. A height difference of 8 m was measured just before the junction point of Wadi Al Aqul and Wadi al Qana, which marked the beginning of the study terraces. On the other hand, the height difference increased to 28 m immediately after the Wadi dam, for a distance of 5.4 km (Fig. No. 4).

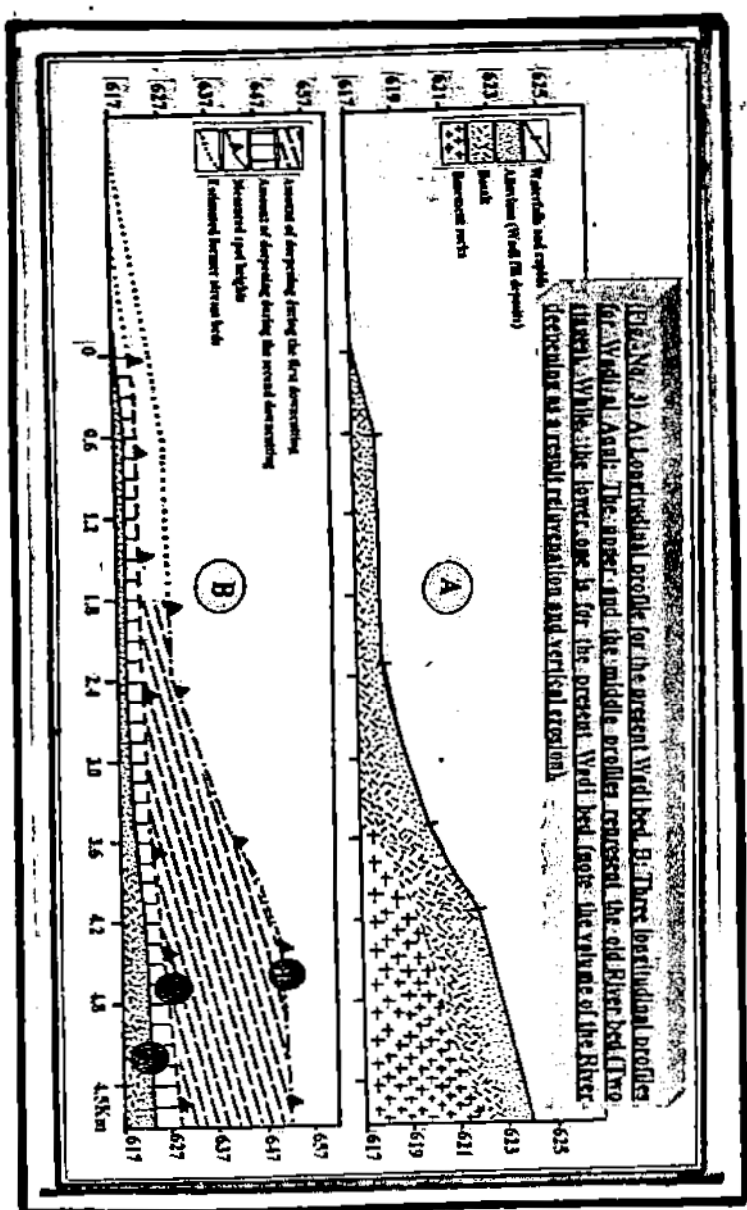
According to the survey of the terrace remnants, limits of the old river bed were traced and mapped (Fig. No. 4). The width of this bed varied between 160 - 350m, with an average of 256 m respecting the first width of the river - bed.

**(Table. No. 1) Vertical and horizontal dimensions of the old Valley floors and the present Wadi bed along the longitudinal profile of Wadi al Aqul (Only at the terrace belt).**

| A           | B<br>(km) | C (m) |       |       | C1 - C2<br>(m) | C2 - C3<br>(m) | C1 - C2<br>(m) |
|-------------|-----------|-------|-------|-------|----------------|----------------|----------------|
|             |           | C1    | C2    | C3    |                |                |                |
| 1           | 0.0       | 625   | 620   | 617   | 8              | 3              | 5              |
| 2           | 0.6       | 626   | 622   | 619   | 7              | 3              | 4              |
| 3           | 1.2       | 627   | 622   | 619   | 8              | 3              | 5              |
| 4           | 1.8       | 627   | 622   | 619   | 8              | 3              | 5              |
| 5           | 2.4       | 628   | 622   | 619   | 8              | 3              | 6              |
| 6           | 3.0       | 635   | 623   | 620   | 15             | 3              | 12             |
| 7           | 3.6       | 641   | 624   | 620   | 21             | 4              | 17             |
| 8           | 4.2       | 650   | 625   | 622   | 28             | 3              | 25             |
| 9           | 4.8       | 651   | 627   | 623   | 28             | 4              | 24             |
| 10          | 5.4       | 652   | 629   | 624   | 28             | 5              | 23             |
| The average |           | 636.  | 623.6 | 620.2 | 15.9           | 3.4            | 12.6           |

A : Station number, B : Horizontal distance, C : Levels of the old river - bed and the present Wadi bed (Above the present sea level), C1 : The first level of river-bed, C2 : The second level of river-bed, C3 : The present level of Wadi - bed.

The large bed width, which ranges between 100 - 240 m, with an average of 185 m, at the second or middle River bed, is due to the next incision and rejuvenation which has affected the stream. Clearly, the present Wadi bed formed about 16.4% of the first Wadi bed, and 37.7% of the second one (Fig. 3). This result reflects high magnitudes of downcutting and lateral planation accomplished by the old river under Pleistocenic pluvial / wet periods during the



first stages of erosion cycle. While, by the end of cycle, the magnitudes of erosion decreased as a response to climatic change, and achieved only 16.4% of such magnitude.

#### ***Types of Wadi al Aqul terraces :***

The classification of Wadi al Aqul terraces could be based on several criteria, including a genetic distinction topographic relationship between terrace levels, and bedrock lithology. For this purpose, six cross - sections were surveyed in the field and illustrated in figures (No. 5 & 6).

According to a genetic distinction, terraces of Wadi al Aqul were classified into depositional and erosional terraces :

#### ***1. Depositional terraces :***

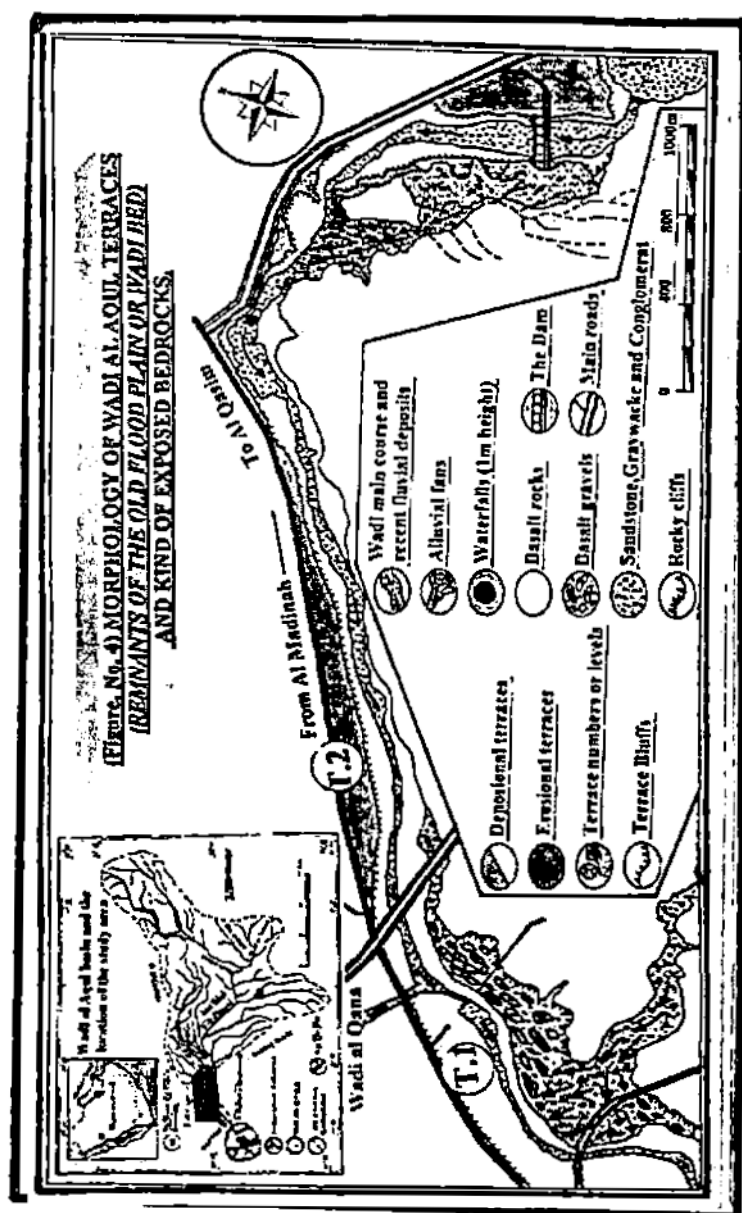
The development of depositional terraces always requires a period for valley filling and for subsequent entrenchment into or adjacent to the fill. Ritter, Kochel, and Miller (1995) mentioned that the tread of depositional terrace represents the highest level attained by the valley floor as it rose during aggradation. The initial entrenchment that forms the terrace scarp is primarily vertical, and so the tread was subsequent to the lateral erosion at a lower level.

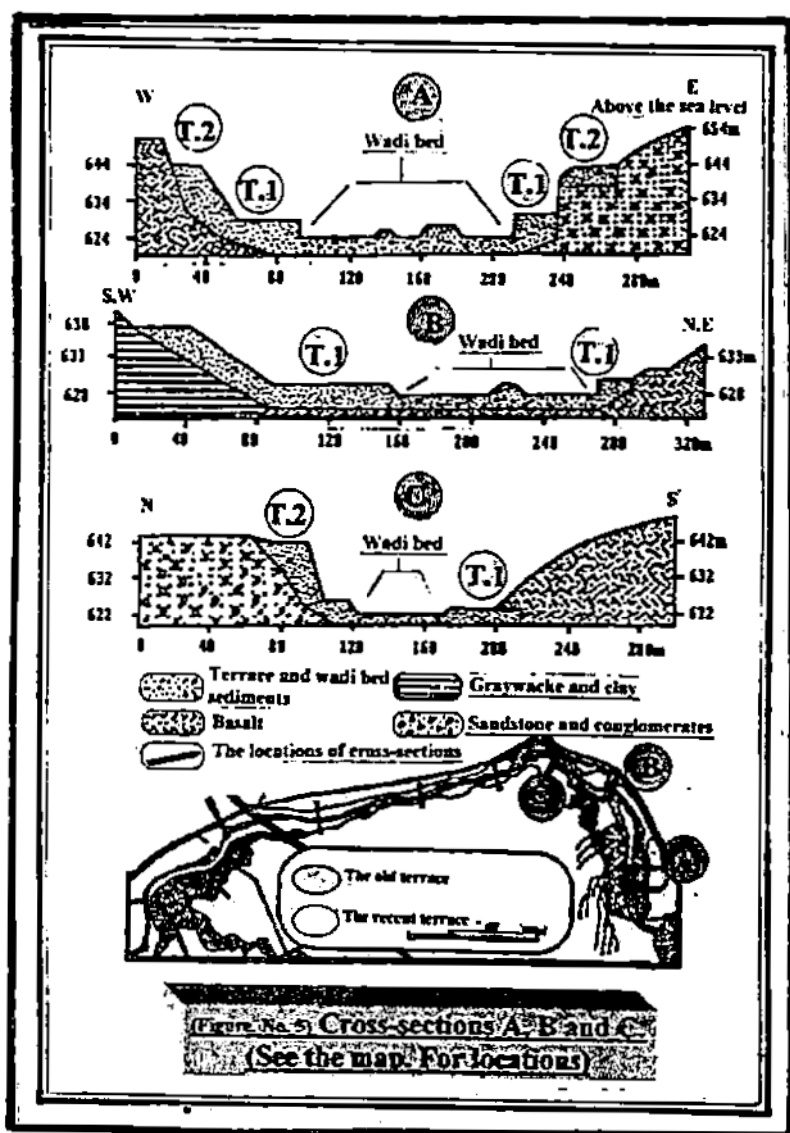
The field surveys and the study of the cross - sections (Figures. No. 5 & 6) indicate that, there were two levels of depositional terraces on both sides of Wadi al Aqul.

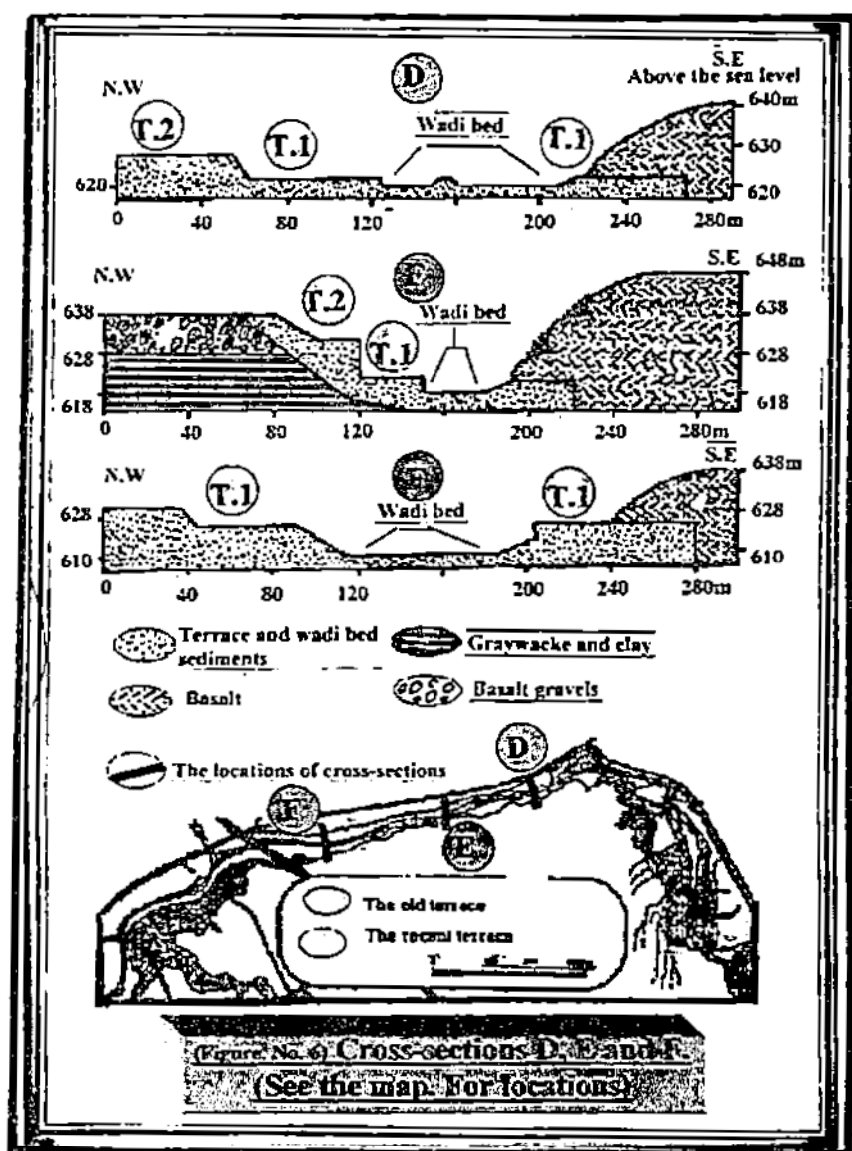
#### ***A - the old terrace (10 - 28 m) :***

This terrace occupied an area of 26% from the total area of terraces developed along the lower section of al Aqul valley (Fig. No. 4). It is dissected on the northern side of al Aqul valley, while it disappeared entirely underneath basalt flow except for some remnants that took place beyond Wadi dam, at the southern side









(Cross - sections, A & B). In the same way, this terrace seemed unpaired and asymmetric in all cross - sections.

The height of the old terrace varies between 10 - 28 m above the present Wadi bed (Panorama. No. 4), and its width ranges between 15 - 50 m, with an average of 28 m. Similarly, the thickness of this terrace differs from one place to another. While the apparent thickness was measured at 15, 12, and 18 m in cross - sections namely A, B and C (Fig. No. 5) it was measured at 7, 15 and 12 m in cross - sections D, E and F respectively (Fig. No. 6). Variations in terrace thickness may be attributed to the deposition and erosion effects.

#### ***B. The recent terrace (3 - 5 m):***

Geomorphologic map of the terraces under investigation (Fig. No. 4) indicates that the recent terrace extended on both the northern and the southern banks of the Al Aql valley. It occupies an area of 68% from the total terrace area, and it was developed just above the recent Wadi bed, with a height ranging between 3 - 5m. This terrace seems to be in paired and is symmetric in all cross - sections (Panorama. No. 3, 5 & 6).

Most of recent terrace mapped in the study cross - sections, namely C, D, E and F is disappeared underneath the recent basalt flows of Harrat Rahat at the southern side of Wadi Al Aql (Panorama. No. 4).

#### ***2. Fill - cut terraces :***

These terraces are erosional ones. Howard (1959) proposed the use of fill - strath for terraces underlain by alluvium, while, Mackin (1937) has characterized an erosional terrace as a one with a layer of alluvium of fairly uniform thickness deposited on an eroded

surface which is essentially flat and parallel to the overlying alluvium, all of which implies lateral planation. According to the former definitions, the field survey indicates that, there is only one erosional terrace in which bedrock (mainly Tertiary basalt of Harrat Rahat) is partially exposed and developed in some locations at the southern side of Wadi Al Aqul (Fig. No. 4, and cross - sections, A & B). It is capped by a uniformly thin layer of coarse angular gravel and alluvium (Panorama. No. 9).

Fill strath terrace in the study area extended more than 850 m, and its height ranges between 10 - 28 m above the present Wadi bed. The tread of this terrace has been formed primarily by lateral erosion, then the terrace material was deposited, lateral planation practiced by Al Aqul stream is of a very low rate and is decreased by volcanic rock resistance. Lateral erosion occurs where a river swings to one side, thus causing bank erosion (Small, 1989).

Fill strath terrace had undergone sever dissection and trenching by gully erosion in the study area. Ritter, Kochel and Miller (1995) point out that, these types of terraces are related to climatically controlled aggradation.

Finally and most important, the difference between depositional and erosional terraces is that the scarp of an erosional terrace is formed by lateral cutting, while that of a depositional terrace is essentially due to the down cutting. Cotton (1948) mentioned that fluvial terraces are cut, not built, by river (Thornbury, 1954).

According to topographic relationship between terrace level, two types of terraces were distinguished :

### **1. Paired terraces (*Matched or Poly - cyclic*) :**

Alluvial recent terrance was paired in all cross - sections (Figures. No. 5 & 6) whereas, the upper surface of this terrace at the same level on opposite sides of a valley, but differed in area (Panorama. No. 4).

Morisawa (1985, p. 124) points out, uplift and climatic change cause a new cycle of downcutting and then lateral planation to remove part of the old floodplain material, leaving a terrace set. Several such events may result in more incision and lateral cutting to produce a multistoried valley representing several erosion cycles. Paired terraces represent a significant evidence that a river has cut downward in an intermittent fashion (Bloom, 1982).

### **2. Unpaired terraces (*Unmatched or non - cyclic*):**

Alluvial old terrace on opposite sides of Wadi Al Aql and also erosional one are asymmetric unpaired and can be distinguished along a dissected belt of 3 km length (Fig. No. 4, and cross - sections, A & B).

Unpaired terraces indicate a slower continuous environment change, e. g. non - cyclic erosion. When cycles of aggradation and incision occur repeatedly a cut - and fill terrace is formed. Unpaired terraces like paired ones, may be represented by remnants of alluvium or of the former valley flat cut into rock.

## **Grain size analysis for the formations of terraces**

### **Under investigation**

Grain size analysis is used to differentiate between various environments and facies as well as to predict the paleoenvironmental conditions. It also may be used in the interpretation of the conditions prevailing during depositional processes (Middelton, 1976).

For Grain size analysis, three samples were collected. One from old terrace sediments and the other two samples from recent terrace and Wadi bed sediments. This system of sampling easily permits comparison and shows a sort of relationship between terraces and Wadi bed.

Generally, the terraces and Wadi bed formations are composed of gravel, sand and mud, whereas the gravel ( $> 2 \text{ mm}$  or  $< - 1\phi$ ) ratio ranged from 77.96% (At the old terrace) to 0.25% (At the Wadi bed), with an average of 44.18%. In comparison, the ratio of sand ( $2 - 1 / 16 \text{ mm}$  or  $- 1 : 4\phi$ ) ranges from 15.67% (At the recent terrace) to 9.74% (At the Wadi bed), with an average of 12.79%. While the ratio of mud fractions ( $< 1 / 16 \text{ mm}$  or  $> 4\phi$ ) ranges from 90.01% (At the Wadi bed) to 9.07% (At the old terrace), with an average of 43.03% (Table. No. 2 and Fig. No. 7).

On the whole, the general results of grain size analysis indicate that the old terrace formations are particularly rich in gravel and very coarse sand, while the recent terrace sediments are rich in gravel and mud fractions. The Wadi bed sediments are rich in fine sand and mud fractions. All sample sediments were subjected to dry sieving (Plates. No. 7 & 8). In some locations, channel materials range from coarse sand to very large cabbles and a few boulders with medium diameters of 9.5 m or greater.

**Statistical parameters of grain - size distribution :**

Results of grain size analysis were plotted on Phi - curves; then nine percentiles were recorded graphically from curves for each sample. Percentiles are  $\phi 5$ ,  $\phi 10$ ,  $\phi 16$ ,  $\phi 25$ ,  $\phi 50$ ,  $\phi 75$ ,  $\phi 84$ ,  $\phi 90$ , and  $\phi 95$  (Fig. NO. 10). Four statistical parameters were calculated from these percentiles using the formulae of Folk and Ward (1957), as follows :

1. The graphic mean size ( $Mz$ ) =  $\phi 16 + \phi 50 + \phi 84 / 3$
2. The inclusive graphic sorting (standard deviation  $\sigma 1$ ) =  $\phi 16 - \phi 84 / 4 + \phi 5 - \phi 95 / 6.6$
3. The inclusive graphic skewness ( $Sk1$ ) =  $[\phi 16 + \phi 84 - 2\phi 50 / 2 (\phi 16 - \phi 84)] + [\phi 5 + \phi 95 - 2\phi 50 / 2 (\phi 5 - \phi 95)]$
4. The graphic kurtosis ( $KG$ ) =  $\phi 5 - \phi 95 / 2.44 (\phi 25 - \phi 75)$

Also Griffiths's diagram (1967) was introduced to clarify the relationship between the mean diameter ( $Md$ ) and sorting ( $PD\phi$ ) to elucidate the characteristics and the medium of transportation of the sediments, i. e., traction, suspension, saltation, gravity, eolian, .... etc. These statistical parameters were calculated from the cumulative curves as follows :

1. Medium diameter ( $Md$ ) =  $Md \phi 50$
2. Sorting percentile deviation ( $PD\phi$ ) =  $\phi 90 - \phi 10 / 2$

Accordingly, the study of statistical parameter values indicates that :

1. The collected samples of two terraces and Wadi bed have mean grain size values range between - 4 25 $\phi$  (pebbles and gravels) at the old terraces and 3.25 $\phi$  (very fine sand) at the Wadi bed sediments, with an average of - 0.76 $\phi$  (coarse materials) (Table. No. 3 and Fig. No. 8). Therefore, this result indicates that the formations of the old terrace and that of the recent one are



particularly rich in coarse materials (pebbles, gravel and coarse sand) this probably suggests a similar or identical source, while the Wadi bed sediments are rich in very fine sands. Clearly, the mean size decreases gradually from the old terrace down through the recent one to the Wadi bed, where the very fine sand and silt fraction are concentrated. It is expected to find increasing proportions of finer materials in the down Wadi and towards the direction of transport.

2. The sorting values of the analyzed terraces and Wadi bed samples range between 0.66 $\phi$  (moderately well sorted) at the Wadi bed, and 4.11 $\phi$  (extremely poorly sorted) at the recent terrace, with an average of 2.60 $\phi$  (very poorly sorted). This result indicates that the fine sediments tend to better sorted than coarser ones. Likewise, Folk (1974) suggested that, the main factors controlling the sorting are : The size range of material supplied to the environment, and the type of depositional processes.
3. Inclusive graphic skewness ranges between - 0.54 $\phi$  (strongly coarse or negative skewed) at the Wadi bed sediments, and 0.92 $\phi$  (storngly fine or positive skewed) at the old terrace sample, with an average of 0.19 $\phi$  (slight skewed). The recent terrace sample recorded 0.21 $\phi$  (fine or positive skewed). This means that the terrace formations tend to be positively skewed indicating that the fine admixture exceeds the coarse one. (Duane, 1964 and Martins, 1965). The coarse materials (Pebbles and gravel) constitute 77.96% and 54.33% of the old terrace and recent one samples respectively (Fig. No. 8). These anomalies fit well with the fluvial sediments.
4. Kurtosis values of the analyzed terraces and Wadi bed samples range between 0.46 $\phi$  (very platykurtic) at the recent terrace and

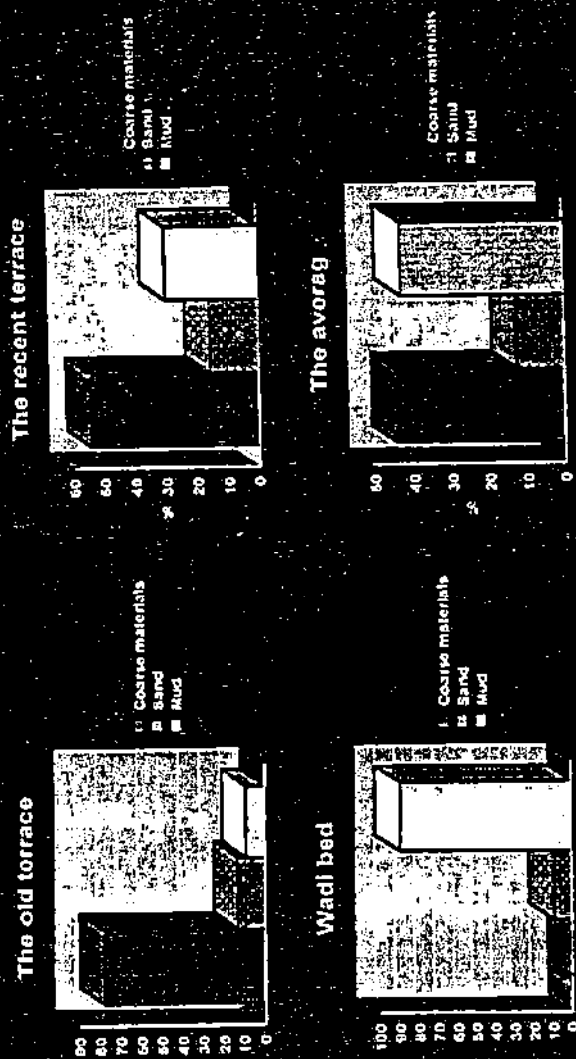
**(Table. No. 2) Results of grain size analysis for the studied terraces and Wadi bed samples.**

| Weight % of fraction |         |          |         |       |         |          |            |        |       |
|----------------------|---------|----------|---------|-------|---------|----------|------------|--------|-------|
| Fractions            | Pebbles | Granules | V. C. S | C. S  | M. S    | F. S     | V. F. S    | Silt   | Clay  |
| mm                   | > 4     | 4-2      | 2-1     | 1-1/2 | 1/2-1/4 | 1/8-1/16 | 1/16-1/256 | <1/265 |       |
| Phi (Ø)              | < -2Ø   | -2.-1    | -1.0    | 0.1   | 1.2     | 2.3      | 3.4        | 4.5    | > 5Ø  |
| The old terrace      | 73.77   | 4.19     | 3.76    | 2.84  | 2.79    | 2.15     | 1.43       | 6.35   | 2.72  |
| The recent terrace   | 40.51   | 13.82    | 6.87    | 1.97  | 1.96    | 2.53     | 2.34       | 17.43  | 12.57 |
| The Wadi bed         | -       | 0.25     | 0.31    | 0.67  | 1.97    | 2.34     | 4.45       | 40.50  | 49.51 |

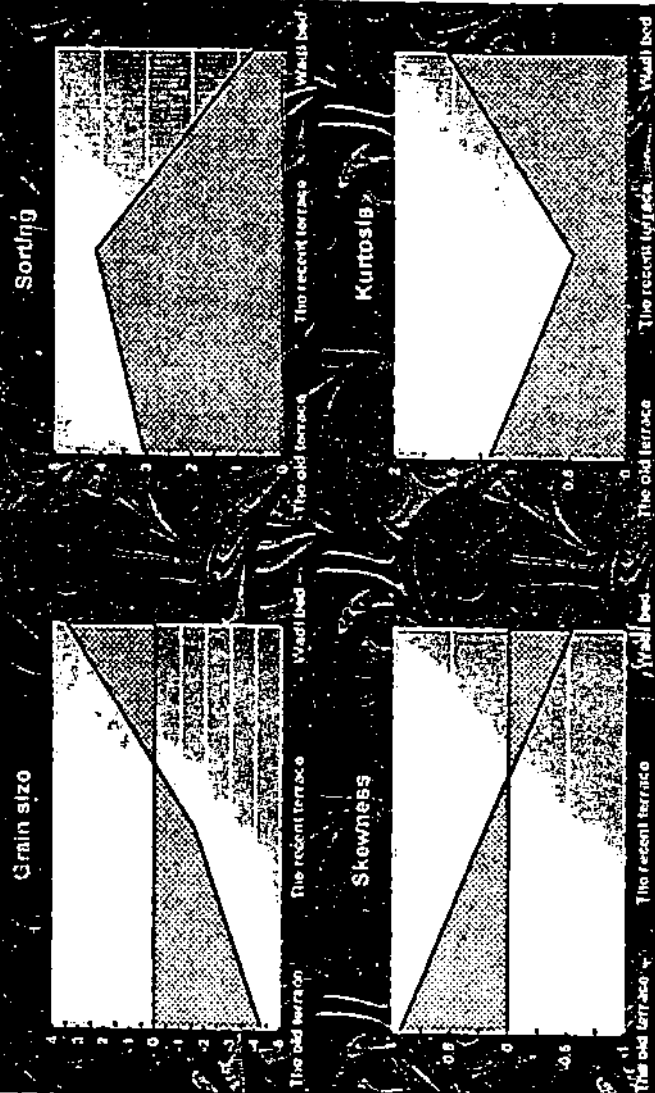
**(Table. No. 3) Phi units at different percentiles and calculated parameters according to Folk & Ward (1957), for the studied terraces and Wadi bed samples.**

| Phi values (Ø) | Percentiles |       |       |       |       |       |       |      |      | Statistical Parameters |      |       |      |      |
|----------------|-------------|-------|-------|-------|-------|-------|-------|------|------|------------------------|------|-------|------|------|
|                | P5          | P10   | P16   | P25   | P50   | P75   | P84   | P90  | P95  | Mz                     | σ1   | SK1   | KG   | PDØ  |
| Old terrace    | -6.50       | -6.40 | -6.35 | -6.29 | -6.10 | -2.60 | -0.30 | 2.40 | 3.55 | -4.25                  | 3.04 | 0.92  | 1.18 | 4.40 |
| Recent terrace | -6.40       | -6.30 | -6.20 | -6.10 | -2.25 | 3.30  | 3.80  | 4.10 | 4.25 | -1.55                  | 4.11 | 0.21  | 0.46 | 5.20 |
| Wadi bed       | 1.80        | 3.00  | 3.25  | 3.50  | 4.00  | 4.20  | 4.30  | 4.36 | 4.45 | 3.52                   | 0.66 | -0.54 | 1.55 | 0.68 |
| The average    |             |       |       |       |       |       |       |      |      | -0.76                  | 2.60 | 0.19  | 1.06 | 3.43 |

(Fig. No.7) Results of grain size analysis for the studied  
terraces and wadi bed samples



(Fig. No. 8) Statistical parameters according to FOLK and WARD  
(1957) for the studied terraces and wadi bed samples.

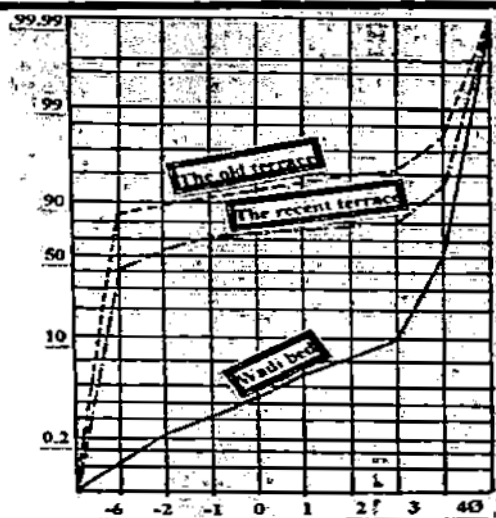


1.55 $\phi$  (very leptokurtic) at the Wadi bed, with an average of 1.60 $\phi$  (Mesokurtic). The old terrace and Wadi bed sediments have nearly the same kurtosis values, as show in table. No. 3 & Fig. No. 8. This lead to the conclusion that, kurtosis does not provide any environmental differences. The difference between kurtosis values of the old terrace and the recent one may only reflects a different degree of mean size and sorting.

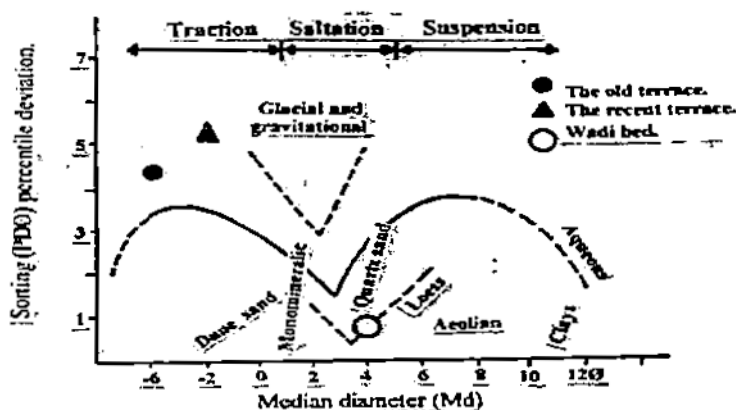
Finally and most important, that the old terrace formations are coarser, poorly sorted, strongly positive skewed, and have higher kurtosis value than the recent one. While the Wadi bed sediments are of very fine sand, moderately well sorted, strongly coarse skewed and have mesokurtic.

Applying the relationship between median diameter ( $Md\phi$ ) and the percentile deviation ( $PD\phi$ ), as outlined by Griffiths (1967), elucidates the characteristics and transportation media of the sediments. Data presented in table (3) and illustrated in figure (10), reveal that most terrace formations are transported by traction process, as  $Md\phi$  valued are - 6.10 $\phi$  and - 2.25 $\phi$ , while the  $PD\phi$  values were 4.40 $\phi$  and 5.20 $\phi$  for the old terrace and the recent one respectively. The most sediments of Wadi bed are transported by saltation and suspension processes as  $Md\phi = 4.00\phi$ , while the  $PD\phi$  value was 0.68 $\phi$ .

In conclusion, based on Fig. No. 10, the terrace and Wadi bed formations are mainly formed under fluvial environment which weathered and eroded from igneous and volcanic rocks. Where the water and weathering are the two mains factors responsible for their formation.



(Fig. No. 9) Cumulative curves of the terraces and wadi bed sediments.



(Fig. No. 10) Size Md(0) and size sorting PD(0) of the studied terraces and Wadi bed samples (Griffiths, 1967).

### *Morphometric analysis of the terrace gravels*

To achieve this study, 300 pebbles and gravels were collected from the two terraces, i. e., 150 pebbles and gravel from each one. As much as possible, basaltic gravels were analyzed. Miller (1966) pointed out that at least 300 pebbles with lengths of 2 - 20 cm should be used to achieve the best results in morphometric studies of pebbles. The work of Nossin (1959) in the Pisuergra drainage basin of the Canlabrian mountains of Spain has also noted that up to 100 pebbles at each site (confining measurement where possible to pebbles of the same lithology) can produce very informative results.

Gravel sites were carefully selected with cuttings or quarries on two terraces. Krumbein and Pettijohn (1938) believe that this removes up to 50% of sampling error; where the pebbles had been shattered by weathering processes after their deposition, they were not included in the count. For this matter, mixture gravels were excluded from the samples to achieve the best result and minimum error of sampling.

Two dimensions were measured for each gravel : The longest axis (L). And  $1/2$  diameter of smallest convexity (DS)<sup>(\*)</sup>.

The results are showed in Table. No. 4, and also are illustrated graphically in Figure. No. 11.

The gravel analysis has provided a very illuminating result, which is discussed, blew:

---

(\*) Roundness ratio is  $2 (DS) / L \times 1000$  (Gouda, 1970). And also roundness ratio =  $I / L$

Where I = the intermediate axis, and L = the longest axis (Glover, 1971 & 1975)

(Table. No. 4) Roundness ratios of terrace gravels

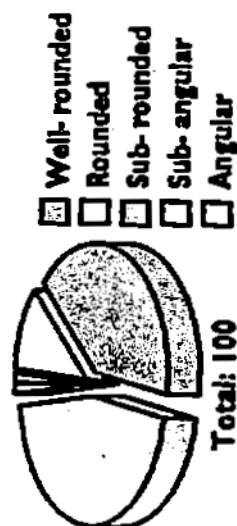
| Gravel shapes               | The old terrace |      | The recent terrace |      | average<br>% |
|-----------------------------|-----------------|------|--------------------|------|--------------|
|                             | Total           | %    | Total              | %    |              |
| Well - rounded (800 - 1000) | -               | -    | 2                  | 1.3  | 1.3          |
| Rounded (600 - 800)         | 7               | 4.7  | 16                 | 10.7 | 7.7          |
| Sub - rounded (400 - 600)   | 63              | 42   | 61                 | 40.7 | 41.4         |
| Sub - angular (200 - 400)   | 78              | 52   | 69                 | 46   | 49           |
| Angular (100 - 200)         | 2               | 1.3  | 2                  | 1.3  | 1.3          |
| The total                   | 150             | 100% | 150                | 100% |              |

1. Roundness ratio has revealed significant differences between two terrace gravels. Whereas the general results of roundness ratios of both terraces gravel are : Sub - angular (49%), sub-roundness (41.4%), rounded (7.7%), well - rounded (1.3%) and angular gravel (1.3%) consequently, indicating varied energy conditions of deposition.
2. Most recent terrace gravels measured show higher roundness than the old terrace gravels. Whereas, the ratio of well rounded gravels (> 800) and rounded gravels (600 - 800) attained of 12% at the recent terrace, this ratio was not exceeded of 4.7% at the old one gravels. This means that the recent terrace sediments were deposited in climatic conditions characterized by heavy rains and strongly runoff, as compared to the conditions in which the old terrace was formed.
3. The ratio of sub - rounded (400 - 600) and sub - angular gravels (200 - 400) reached 94% at the old terrace, while it reached 86.7% at the recent one. this means that, the weathering processes had been active and effected the rock disintegration,

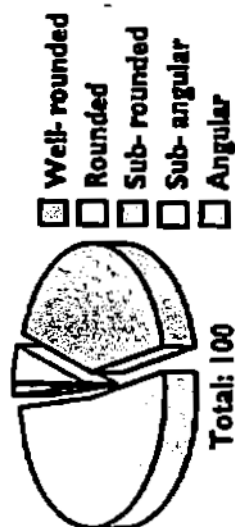


(Fig. No. 11) Roundness ratio of terrace gravels  
of Wadi al Aqul

The recent terrace.



The old terrace.



then the gravels have been rounded by hydrodynamic transportation.

4. There is a relationship between the roundness and the gravel size. However, the roundness values increase with the increase of the gravel size at the old terrace. In contrast the roundness values decrease with the increase of the gravels size at the recent one.
5. Some of gravels especially basaltic gravels are not deposited by the Al Aqul River (at the time of aggregation). These gravels have a ratio of roundness less than 200, as compared to with fluvial gravels overlying them, which reflects that the valley sides are the source of these gravels.
6. There are significant differences in the gravel roundness ratio of the terrace themselves. This may also be explained in terms of differences in energy conditions under which they were deposited.
7. Visual comparison for terrace gravels along the terrace belt indicates that the gravel roundness tends to increase towards the lower section of the Wadi. This confirms earlier findings by a number of fluvial geomorphologists that gravel roundness increases with distance of transport in streams.

#### ***Summary and conclusions :***

The present study reveals that, the Wadi Al Aqul alluvial terraces could be classified according to their age and level into two type : The lower terrace is recent in origin. It was developed just above the Wadi floor, and extends parallel to the Wadi coarse on both northern and southern banks of the Al Aqul valley. The other terrace is older, higher and occurs as isolated remnants at the northern side of Wadi Al Aqul valley, but it disappeared entirely

underneath basaltic flow of Harrat Rahat at the southern side of the valley.

Determining terrace origins is not easy. Although we postulate guidelines for recognizing terraces of different origins, whereas, the terrace origins and development associated with complex response. According to the discussion of terrace distribution, morphology and grain size analysis are applied to their sediments. The study emphasized that Wadi Al Aqul terraces are basically attributed to changes in the climatic conditions during the recent geological periods (Pleistocene and Recent), or they may be a reflection of environmental changes of local base - level (Al Madinah basin), or they may be a result of both reasons. Furthermore, terrace sizes, morphology and distribution controlled by another different factors as follows :

1. The gradient and complicated topography of Wadi coarse due to the occurrence of high and low and also meander configurations are controlled and affected.

2. Hardness and resistance of rocks are main factors affected in decreasing of terrace sizes.

3. The complex stream current regime created by the complicated channel topography also played a leading role in distribution of terrace materials.

4. The shape and density of the terrace materials are affected. Usually, the variety of sediment shapes causes variations of the setting velocities for particles with the same intermediate diameters.

Grain size analysis indicates that Wadi Al Aqul terraces are mainly composed of pebbles, gravels and finer alluvium, while the sand is rare. For this matter, Griffiths's diagram reveals that most terrace sediments are transported by traction process. Moreover, the

old terrace formations are coarser, poorly sorted, slightly positively skewed and have higher kurtosis value than the recent one as the statistical parameters indicated. The differences in terrace formations may be explained in terms of differences in energy conditions under which they were deposited.

### ***Acknowledgments***

I am deeply indebted to **Professor G. H. Gouda**, Prof. of Physical Geography, Department of Geography, Faculty of Arts, Alexandria University, for his continuous guidance, valuable advice during the preparation of this study and critically reviewing the manuscript. And also, I wish to express my gratitude to **Professor F. A. Abou - Raddy**, Prof. of Physical Geography, Department of Geography, Faculty of Arts, Alexandria University, and **Professor M. M. Khogali**, Prof. of Economic Geography, Khartoum University, and the Faculty of Education for Girls, Al Madinah Al Munawwarh, K. S. A., for reading the manuscript.

### ***References***

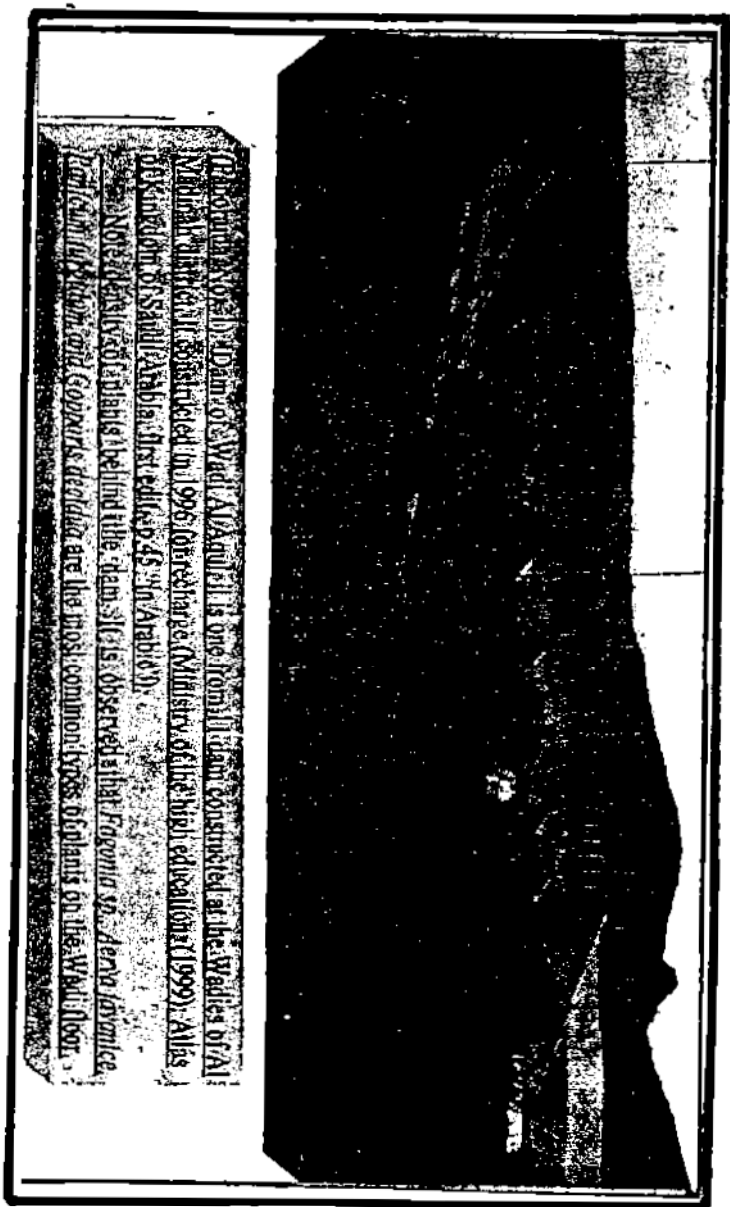
1. Ali, A. A. (1996) : **Climatic Classification of Saudi Arabia Using Factor Analysis Techniques**, Bull. Soc. Géogr. d'Egypt, Vol. 69, pp. 80 - 96.
2. Baubron, J. C. (1976) : **Geomorphological Studies (1976), Mission (Part, 11) : K / Ar Measurements on "Recent" Volcanic Rocks from the Arabian Plate** : French Bureau de Recherche Géologiques. Open - files Report, Orleans, pp. 1 - 22.
3. Bloom, A. L. (1968) : **Geomorphology, Systematic Analysis of Late Cenozoic Landforms**. New Jersey, p. 284.

4. Duane, D. B. (1964) : **Significance of Skewness in Recent Sediments, West Pamlico Sound, North Carolina.** Jour. Sed. Petrol. 34, (4), pp. 864 - 874.
5. Folk, R. L. (1974) : **Petrology of Sedimentary Rocks** Hemphill. Co., Austin. Texas, p. 170.
6. Folk, R. L. and Ward, W. C. (1957) : **Brazos River bar - a Study in the Significance of Grain Size Parameters,** Jour. Sed. Petrol. Vol. 27 (1), pp. 3 - 26.
7. Friedman, G. M. (1961) : **Distribution between Dune Beach and Sands from their Textural Characteristic.** Jour. Sed. Petrol. 31., pp. 514 - 520.
8. Gilbert, G. K. (1977) : **Report on the Geology of the Henry Mountains, US. Geol. Survey, Rock. MT. Region, Washington.**
9. Glover, B. K. (1971) : **A morphometric Analysis of Terrace Gravels in Santa Ynez Basin, Santa Barbara Country, California,** Sedi. Geol., 13, pp. 109 - 124.
10. Gouda, G. H. (1970) : **Methods of Petrography Research for Geomorphologic Study,** Bull. Soc. Géogr. d'Egypt. Vol. (3), pp. 1 - 41 (in Arabic).
11. Gregory, K. J. and Walling, D. E. (1973) : **Drainage Basin Form and Process - A Geomorphological Approach.** New York, p. 59.
12. Griffiths, J. C. (1967) : **Scientific Method in Analysis of Sediments.** Mc Graw - Hill. Book Comp. New York.

13. Howard, A. D. (1959) : **Numerical Systems of Terrace Nomenclature : A Critique.** Jour. Geol., 67 (2), pp. 43 - 239.
14. Howard, A. D. (1967) : **Drainage Analysis in Geologic Interpretation : A Summation the American Association of Petroleum Geologists, Bull, Vol. (5), No. 11, pp. 2246 - 2259.**
15. Krumbein, W. C. and Pettijohn, F. J. (1938) : **Manual of Sedimentary Petrography,** Appleton, Inc., N. Y.
16. Martins, L. R. (1965) : **Significance of Skewness and Kurtosis in Environmental Interpretation.** Jour. Sed. Petrol. 35. pp. 760 - 770.
17. Middleton, G. V. (1976) : **Hydraulic Interpretations of Sand Size Distribution.** Jour. Geol., 84, pp. 1405 - 1422.
18. Miller, V. C. (1966) : **A Quantitative Study of Drainage basin Characteristics in Clinch Mountains Area, Virginia and Tennessee.** New York, pp. 1 - 48.
19. Morisawa, M. (1985) : **Rivers : Form and Process.** New York, pp. 123 - 125.
20. Nossin, J. J. (1959) : **Geomorphological Aspects of the Pisuerga Drainage Area in Cantabrian Mountains.** Leidsche, Geol. Meded. 24., pp. 283 - 406.
21. Odeh, S. A. and Salameh, H. R. (1996) : **Geomorphology of Wala - Hidan Valley Terraces in Jordan.** Bull. Soc. Géogr. d'Egypt, Vol. 69, pp. 16 - 46.

22. Pellaton, C (1981) **Explanatory to the Geologic Map of the Al Madinah Quadrangla, Sheet, 24 D Kingdom of Saudi Arabia**, pp. 1 - 19.
23. Ritter, D F., Kochel, R. C. and Miller, J. R. (1995) : **Process Geomorphology**. Third edit. London. pp. 240 - 246.
24. Said, A M. (1990) : **Physical Geography of Kingdom of Saudi Arabia, Jeddah**, pp. 82 - 99 (in Arabic).
25. Small, R. J. (1989) : **Geomorphology and Hydrology**. Long. London. New York, p. 28.
26. Thornbury, W. D. (1969) : **Principles of Geomorphology**, Wiley, New York, p. 157.

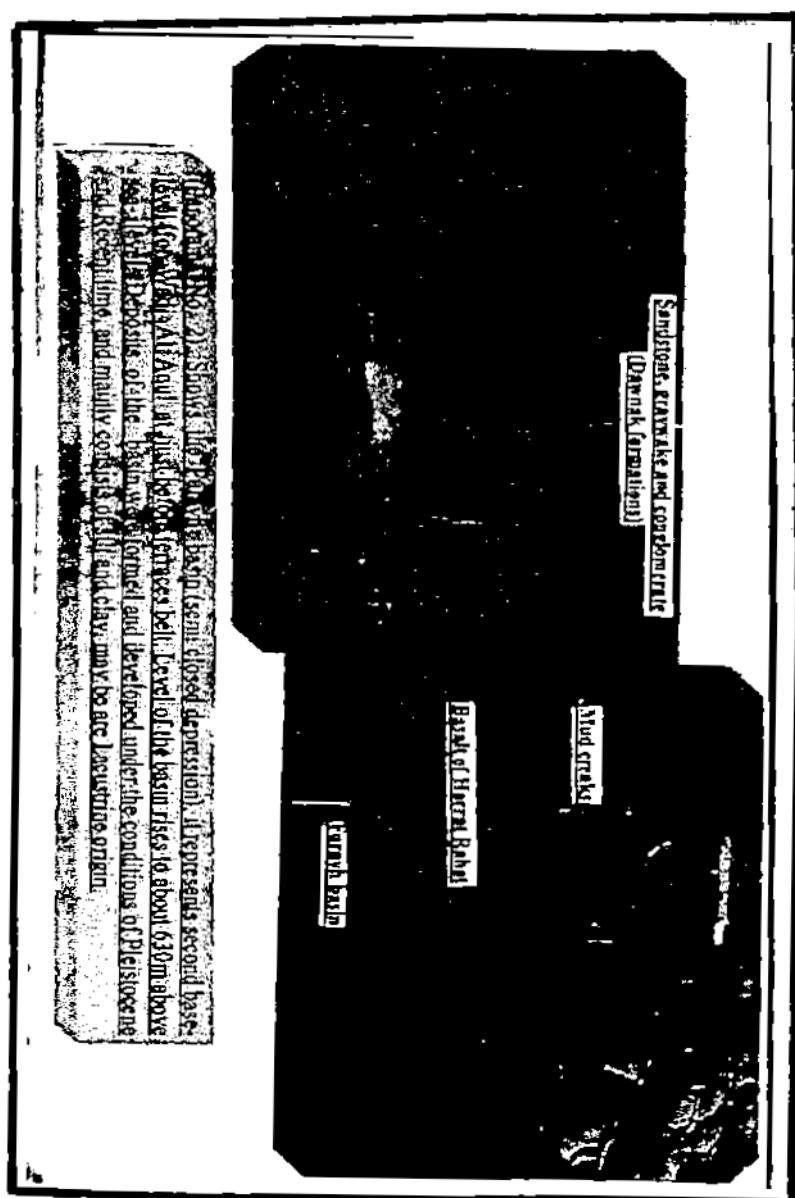
\* \* \*



The author notes that Wadi Al-Aqil is one from the dam constructed at the Wadies of Al-Madhab district, constructed in 1961 for recharge (Ministry of the high education 1999). Atlas of Jordan of Samir Asaba first edition p. 45. (in Arabic).

Note: Majority of plants behind the dam site is observed that *Fragaria sp.*, *Artemisia*, *Conium maculatum*, *Opuntia*, *Opuntia*, *Opuntia* are the most common types of plants on the Wadi floor.







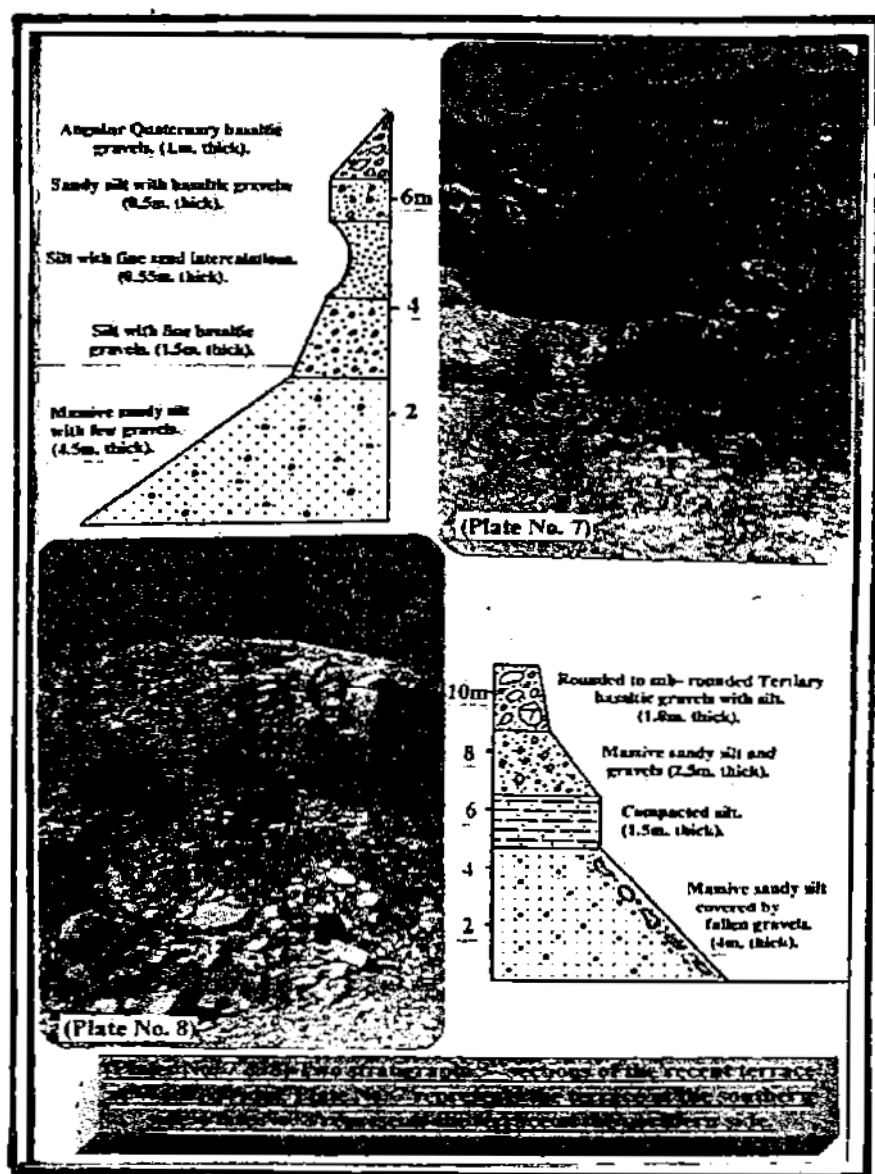
(Panorama No. 5)



(Panorama No. 6)



(Panorama No. 5 & 6) Show the true thickness of the recent terrace on the northern and the southern sides of Wadi Al Aqab. Notice the recent terrace has been at same level on both sides of the valley (barely trace).



Surface of Tertiary basalt

Erosional terrace

Depositional terrace

(Photomicrograph No. 9) - Aerial photograph shows two types of terraces in the southern side of Madal Al-Hamra. The erosional terrace (left) is a high, flat, eroded surface. The depositional terrace (right) is a lower, flatter surface, underlain by alluvium. The highest level of fill deposited in the valley.



**LECTURE**  
**D'EUGÈNE SAVITZKAYA**  
**PULSION ET PENSÉE DU CHAOS**

*par*

***Dina Gamal El Dine Amine***

*Professeur-Adjoint*

*à la Faculté des Lettres d'Alexandrie*





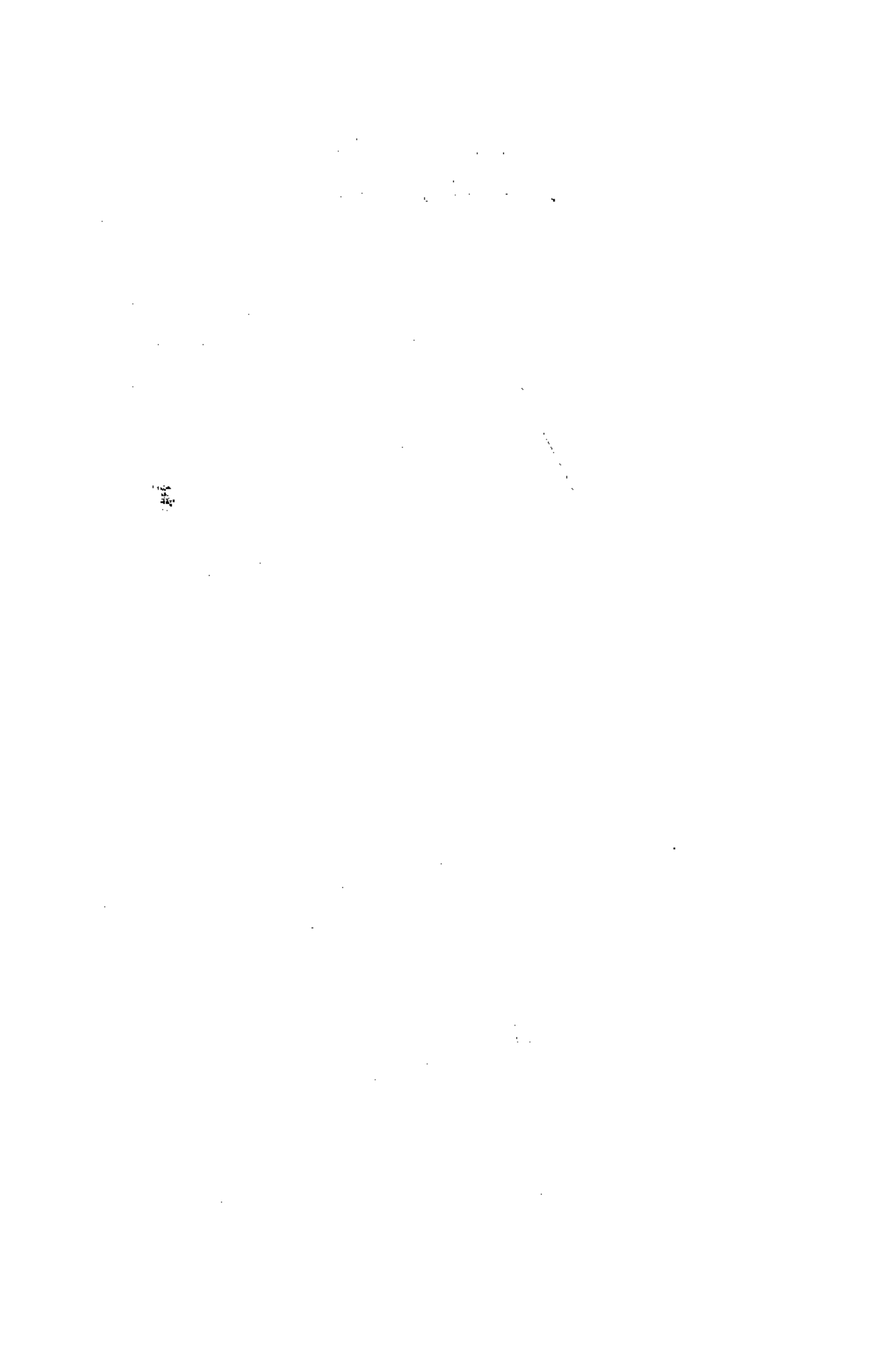
## قراءة لأوجين سافيتسكايا :

### الدافع والفكرة فى الفوضى

تنتمى كتابة سافيتسكايا لتيار ما بعد الحداثة الذى يميز بعض الكتابات الفرنكوفونية وتقوم دراستنا بالتركيز على حالة عدم الترابط على مستوى اللغة والمعنى كدافع وكخاص يعبر عن عالم الكاتب سافيتسكايا المتمسم بالعنف والشك والتحول. وذلك عن طريق قراءة نصوص مختلفة تعبر عن موقفه من التعبير ومن الذاتية فى الكتابة.

ونتناول تنمية الكاتب لأسلوب يقوم على التساؤل والتشكيك المصاحب للموصل فى نفس الوقت لرغبة أكيدة فى الاندماج مع عناصر الكون البدائية. فهناك حر طليق يربط بين رموز تتراءى للقارئ على أنها خيالية، ويجعل منها مكونات الرئيسية كالماء والطين والحجارة بالإضافة الى أشياء وأشخاص وحيوانات عديدة. وبالتقريب ما بين الرواية والشعر، نحاول الانتباه الى عناصر هذه الكتابة ومقوى على الرغم من صعوبة ذلك فى إطار من الخلط بين ما هو إنسانى وحيوانى ونباتى، ما هو طبيعى وغير طبيعى، وبين ما هو قابل للصنق وما هو خيال غير مترابط. ونجد أن النزعة الى الفوضى تطفى على النزعة الى الخيال رغم ثرائه غرائز العودة الى الطبيعة ببساطتها وقسوتها تغلب على ما تكونه الرواية من أمتضاربة وعلى ما يصوره الشعر من عناصر غير متجانسة.

وخير مثال على ذلك هو الزلزال أو الجنون الذى تشير إليهما كتابات سافيتسكايا وتعتبر من موضوعاته الرئيسية المصورة لشعوره بالحياة وصعوبة الاندماج مع تيار المعاصرة، بمعنى أنها تفجر وتولد طاقات من التمرد ومن الاضطراب الذى يعبر شعور الكاتب بالزمن - فالزمن هو الزمن الذى تصنعه كتابته وهو الموضوع الذى يحاول التفكير فيه ليطرد الخوف منه مستعيناً بغرائزه وإحساسه الداخلى باللغة إن هذان العاملان يبتان من خلال حركات العنف، حبا للتحويل اللانهائى الذى يحدود الموت الظاهرى والذى يحدث هدوءاً وانزائاً يشعر به القارئ، وتتصل من أجزاء أى لحظات مميزة من القصة أو كلمات من النص الشعرى



# LECTURE D'EUGÈNE SAVITZKAYA:

## PULSION ET PENSÉE DU CHAOS

---

*"Et au-dessus du dos se pose la  
tête, sur ce quoi parfois on crache"*

*E. Savitzkaya, Sang de Chien, p.28.*

L'œuvre d'Eugène Savitzkaya, auteur belge vivant à Liège, et né en 1955 en Wallonie, de père polonais et de mère russe, n'a pas encore fait couler beaucoup d'encre<sup>(1)</sup>. Il suffit pourtant de savoir que Jean-Pierre Richard lui consacre un article pour se convaincre de l'originalité de son écriture et de la force de son imaginaire<sup>(2)</sup>.

Le critique aborde l'œuvre de Savitzkaya, poèmes et romans, en particulier La Traversée de l'Afrique (1990) et Marin mon cœur (1992) sous le thème de "Chaos et Cie" pour célébrer une écriture de la rature et de l'altérité<sup>(3)</sup>. Nous aborderons ici le Chaos de Savitzkaya sous l'angle de la pulsion et de la pensée. Par pulsion nous entendons les thèmes et les formes de la fragmentation, du désordre, et par

- 
- (1) Cet article a fait l'objet d'une intervention dans le cadre du colloque international "Francophonies et Littératures francophones". Faculté des Lettres, Université d'Alexandrie. 28-30 mars 2000 – 3<sup>ème</sup> journée. 5<sup>ème</sup> séance, Jeudi 30 mars 2000.
  - (2) Jean-Pierre Richard, "Chaos et Cie" in Littérature, décembre 1993, pp 93-115 puis dans Terrains de Lecture.
  - (3) Cf notre article Altérité et langage dans l'Imaginaire de Terrains de Lecture de Jean-Pierre Richard. Bulletin de la Faculté des Lettres d'Alexandrie année 1998/1999

pensée, les signes d'écriture. Partant nos exemples de supports textuels mettront particulièrement en valeur la composition chaotique en décrivant la nature d'émergence du chaos, puis ils proposeront quelques exemples permettant l'interprétation d'un certain ordre sous-jacent, à travers des éléments hétéroclites<sup>(1)</sup>.

D'ailleurs, il convient de ranger Savitzkaya dans la lignée de Marcel Moreau (1933) que nous avons abordé dans un essai sur Cahiers Caniculaires<sup>(2)</sup>. Il est autant que celui-ci, un belge inclassable. Il partage son désir de s'affirmer sans intellectualisme - quoique d'une manière plus prononcée - et sans régionalisme, non plus. Leurs écritures viscérales est concernée par un désir d'impliquer le corps dans le champ de l'écrit, en tant que pulsion et en tant que valeur humaine contrant les tendances d'abstraction et de théorisation qui risquent d'éclipser la beauté d'un texte ou la pureté d'un regard sur le monde... Erotisme, pensée sauvage, récits plus près de la prose poétique que du roman sont leurs thèmes de prédilection favorisant la part du chant et du lyrisme qui est selon eux la "vraie" part transmissible dans une œuvre littéraire.

Voici ce que pense Savitzkaya de l'écriture de notre temps et en particulier à l'intérieur de sa communauté socio-économique, la citation date de 1999 d'un livre intitulé Fou-Civil:

---

(1) La longueur des citations a été donc inévitable.

(2) D Gamal El Dine Amine, "Cahiers Caniculaires et l'écriture de Marcel Moreau" Le Caire. Les Amis du Livre 1994

"L'acte d'écrire, dit-il, bien qu'il se fonde sur des pratiques ancestrales et des connaissances collectives, doit-être aujourd'hui plus que jamais un acte individuel et s'inscrire dans un processus de révolte, de rage et de vocifération, mais aussi d'observation minutieuse du monde et des rouages grippés de notre société dont les modernités diverses ne représentent plus qu'une façade clinquante derrière laquelle se cache la pire des féodalités. Nous sommes tous, nous les occidentaux les premiers, serfs vivants sous le joug d'une hypocrisie établie en pouvoir absolu, d'une non-réalité, d'une tiédeur sans pareille, du bon ton sans bon sens, de l'ennui, du vide, de l'oubli, du néant. Un seul peuple, une seule télévision, un seul marché: voilà le but avoué d'un certain libéralisme, pur produit de nations qui n'ont jamais pu remettre en cause leur hégémonie monstrueuse et qui ont toujours vidé leurs abcès vers des terres vierges ou des nations fragiles, libéralisme ne produisant que de l'argent, c'est-à-dire, rien, pour en produire encore plus et plus vite et représenté par des états sans pensée, sans aspiration profonde, par des firmes mégalomanes et une multitude (mais si petite multitude) d'actionnaires sans pensée individuelle, sans aspiration de consommation pour aiguïser leur esprit critique, tout juste bons à avaliser les structures performantes (mot sacré

*du morne libéralisme) du marché et autorisés à réélire leurs éligibles légaux afin que tout se passe pour le mieux dans le meilleur des mondes voilà où nous en sommes déjà, recensés, vaccinés, pucés et sans mémoire<sup>(1)</sup>*

A partir de ce long passage, uniquement formé de trois phrases, nous pouvons déjà remarquer la syntaxe débrayée de l'auteur, son rejet de la modernité et encore de la mondialisation. Mais avant de pénétrer ces deux aspects si importants de l'écriture du Chaos de Savitzkaya, passons en revue quelques titres de sa production pour introduire le thème en question.

Mentir (1977), La Disparition de Maman (1986), Les Morts sentent bon (1984), Cent cataclysmes (1985), Sang de Chien (1989), La Folie originelle (1991) et Marin mon cœur (1992): ces titres de récits et de recueils poétiques nous mettent au seuil d'une tendre violence, d'un mouvement originel de détournement de la parole et d'un désir nostalgique de métamorphose. Violence, mensonge et métamorphose sont les clés du Chaos de Savitzkaya visibles déjà dans ses premiers écrits poétiques Les Lieux de La Douleur (1972), Rue Obscure (1975), L'Empire et Mongolie Plaine Sale (1976). Ces écrits portent les traits pulsionnels du Chaos quasi inséparable d'une syntaxe démantelée, et inspirant un schéma de scission et de cassure. Le Je

---

(1) Eugène Savitzkaya, Fou Civil, Charenton-le-Pont, Flohic coll. "les passeurs", 1999, pp.126-127

énonciateur, producteur souverain de cataclysmes y est rarement mis en scène. Il est suppléé par un nous mettant à contribution un lecteur qui glisse, naturellement et violemment, dans un imaginaire corporel débridé. On se rend compte vite, qu'il s'agit de la mise en scène d'une écriture qui exige un dérèglement de tous les sens comme l'avait voulu Rimbaud:

*"Avec notre balançoire. Notre plume rare  
du ventre pénétrant dans chaque pièce  
demander l'heure, exiger le pur-sang, le  
détruit des chevilles et cheville et cheville  
et cheville, exiger sans prendre sur le  
doigt, saigner sans un peu rire et pleurer,  
sans le gémir le barbu"<sup>(1)</sup>.*

Dès ses premiers textes, Savitzkaya crée un univers imaginaire marqué par la menace et la mutilation, mais l'œuvre dont les corps sont à la fois victimes et agresseurs n'est pas seulement le théâtre d'une cruauté gratuite. L'action de violence de l'écrivain s'exerce sur la langue pour "détruire les chevilles", et générer un univers de pureté originelle:

*"Vent, feu, eau, air sec.  
La Voix s'ébroue et naît"<sup>(2)</sup>.*

Outre la confusion entre registre humain et animal, l'ébrouement étant le ronflement des chevaux, et l'éternuement de certains animaux, retenons le rapport du

---

(1) E. Savitzkaya: Un Attila, Vomiques, in Mongolie Plaine sale, L'Empire, Rue obscure, Bruxelles, © Ed. labor, 1993, p.13.

(2) E. Savitzkaya: Le Cœur de schiste, Liège, Atelier de l'Agneau, 1974, p.15

phénomène d'expulsion liquide et violente accompagnée de cris de déchirement qui annoncent la naissance de tout un chacun. Toute naissance est accompagnée de violence, et c'est pour expulser une définition de l'identité du sujet et du monde qu'il faudra recourir à une écriture de la violence. Le bestiaire de Savitzkaya dont Jean-Pierre Richard a relevé l'ampleur: oiseaux, insectes et mammifères nombreux, reflète une vie qui s'organise dans un espace rural où toute allusion à la vie moderne semble manquer et où la coexistence humaine et animale est soulignée parallèlement à une confusion dans la maîtrise d'un langage et dans la possession d'une identité. C'est ce que démontre un extrait d' "un jeune Belge" paru dans le numéro spécial de la revue de l'ULB intitulé, "La Belgique malgré tout".

*"Je naissais à Saint-Nicolas dans la banlieue liégeoise dix ans après la guerre. La maison, que nous quittâmes cinq ans après ma naissance, existe toujours dans un cul-de-sac, en face d'une prairie entourée d'une haie d'aubépine. Derrière la maison, il y avait une courette, un petit jardin; et un terrain vague au bout du jardinet et d'autres jardins plus loin avec des cabanes et de la volaille à martyriser".(...)*

*Nous visitâmes le lavoir, les étables, le poulailler; celui-ci était situé au-dessus d'une ancienne étable à cochons; les poules y accédaient par une petite échelle aboutissant à une minuscule*



*plate-forme sur laquelle donnait la lucarne qu'il était possible de fermer grâce à un volet à guillotine. Au début, mon père y enfermait chaque soir la volaille, puis les poules logèrent dans une étable. Mon père devenait éleveur. Il y eut des lapins, tantôt dans la cabane en tôle, tantôt dans le lavoir,, puis des oies dont mon petit frère devint le maître. (...)*

*J'allais à l'école, j'avais des amis, je ne parlais plus polonais. Et on écorchait mon nom.*

*Plus tard, nous déménagions encore. Plus tard, je quittais mes parents. Je retrouvais la ville telle que je l'avais crainte enfant, murs tapissés d'affiches, rues aux pentes vertigineuses, immeubles aux corridors odorants, villas dressées dans un fouillis de végétation au-dessus de la gare, basilique verte, lumineuse, comme une forteresse.(...)*

*Je n'ai jamais été à Gand, ni à Anvers, ni à Tournai, ni à Malines, ni à Nivelles, ni à Ninove. A Liège qui pue ou qui sent la glycine, je me suis bel et bien embourbé.<sup>(1)</sup>*

Si les premiers textes de Savitzkaya atteignent le seuil de l'illisibilité, il convient, tout de même de continuer la lecture de l'exemple choisi de Un Attila, Vomiques (1973) pour noter comment se construit l'ambiguïté ou l'étrangeté saisissante du texte:

---

(1) E. Savitzkaya: "Un jeune Belge", in Revue de l'Université Libre de Bruxelles, n° "La Belgique malgré tout". Bruxelles, 1980, pp.425-427

*"Exiger le double mur poursuit l'auteur et fenêtre de l'œil, le partage coupé, le coupé en deux Si j'avais les jambes fermées du lézard humain, la gousse malgré moi Le plus beau fléau garde les jambes ouvertes, les doigts écartés, les cheveux préhensibles comme des bêtes courtes cherchant du nez, trouvant du nez"<sup>(1)</sup>.*

Voici donc un sujet-fléau, bête, végétal qui s'adresse encore à un *tu* aussi bizarre que lui:

*"Tu emmènes Jeanne sous la craie, la maison et la pluie. Tu romps Jeanne. Tu dévêts Jeanne, sans rien ouvrir des beaux yeux, sans même délivrer les loups et sortir un enfant, le plus rouge et long. Le plus beau grain"<sup>(2)</sup>*

Les constructions symétriques et le champ sémantique de *ouvrir – délivrer – Sortir*, proposent l'équivalence entre *yeux, loups, enfants, grain*; toute une germination issue de Jeanne dévêtue, violée. Les caractéristiques que nous venons de voir d'échange de propriétés entre humain, animal et végétal ainsi que l'image de la jeune fille ou encore de la sœur violée sont des constantes de l'œuvre de Savitzkaya annonçant une sauvagerie de chair et de langage, une attaque des règles narratives et sociales. Le "Babel de chair sauvage" ainsi que

---

(1) E. Savitzkaya Un Attila, Vomiques, in Mongolie Plaine sale, L'Empire, Rue obscure, Bruxelles. © Ed Labor 1993, p.13

(2) Ibid.

appelle l'auteur dans le même texte identifie toutefois celui qui parle comme "plus sauvage qu'Attila" ayant de ces "ancêtres l'œil bleu blanc la cervelle étroite et le maladresse de la lutte" "D'eux *ajoute t-il* j'ai l'idolâtrie et l'amour du sacrilège oh! tous les vices. colère luxure - magnifique, la luxure - surtout mensonge et paresse"<sup>(1)</sup>.

Ainsi l'écriture motifs et événements, rejoint l'archaïsme des pulsions le tremblement de terre, étant tout particulièrement l'une des figures puissantes de son paysage car il permet de déplier un espace narratif ou textuel de doute rendant toute stabilité dérisoire prête à être démentie:

*"Qu'il soit dit qu'il soit écrit, qu'il soit démenti et cela dans la même seconde"<sup>(2)</sup>.*

Autre programme qu'annonce l'auteur de La Folie Originelle La narration dans Mentir, la Traversée d'Afrique ou Un jeune homme trop gros (1978) investit un espace d'incertitude où la violence côtoie la douceur, où les actes n'ont de valeur que par la pulsion qui les engage. Ces actes ou gestes si simples comme recoudre les boutons d'un manteau, ou éplucher un concombre dans une cuisine, écrire une lettre à sa maman en pleurant, ou livrer des marchandises qu'on ne connaît même pas la plupart du temps, s'installer dans une fourgonnette, ou plonger le bras dans l'eau d'une rivière Ces actes renvoient en quelque sorte d'une part par leur sobriété, d'autre part, par la

(1) Un Attila Vomiques op.cit. p 20

(2) É. Savitzkaya la Folie originelle Paris Minuit, 1992, p 31

violence ou l'étrangeté qui les accompagne à tout ce qui n'a pas été fait, entrepris, dit: les actes manqués, les sentiers non battus, les paroles jamais encore dites. L'espace d'incertitude ou de tremblement est tout à fait, comme le dit un protagoniste de La Folie Originelle, un espace de vie, de renouveau pour un survivant qui semble vouloir se délivrer de sa mémoire douloureuse. Celui-ci dit:

*"J'ai oublié mon nom. C'est un des plus vilains tours que m'ait joué ma mémoire et je ne vous citerai les autres que pour information. Pour les visages, ma mémoire reste fidèle, c'est bien la seule chose qu'elle consente à restituer. Quant aux noms, adresses, trajets parcourus et à parcourir dans cette ville,...), C'est une autre histoire. Dois-je attribuer cela à la puanteur qui s'est répandue ici depuis quelques jours et dont nul ne connaît l'origine, au vent qui ne cesse de souffler ou à mon manque flagrant d'esprit d'observation? J'oublie mais je me sens de mieux en mieux, mon odorat s'est prodigieusement développé. Dois-je attribuer cet affinement au climat, au vent qui ne cesse de souffler? Avant, je n'avais l'impression que cette ville puait à ce point. J'ai oublié les noms des fleurs,...). Cependant, je suis heureux. Des bagatelles me procurent un plaisir intense. Le moindre changement, la moindre variation m'enthousiasme. Et*

*cette ville est riche en variations de toutes sortes, surtout depuis quelque temps, surtout depuis que la terre bouge. Quand les énormes **pierres de taille** changent de place ne fût-ce que de quelques centimètres, quelque chose change vraiment et on ne peut plus regarder les murs et les immeubles de la même manière qu'avant.<sup>1)</sup>*

Associé au tremblement de terre, le mensonge qui semble animer la fiction de Savitzkaya et la décliner sur un fond de saccage et de brisure, a donc une fonction précise. Il engage l'écriture dans une sorte de naissance perpétuelle, de visions mixtes: humaines, animales, tendres, agressives, augmentaires mais amoureuses de chaque grain, brin et terre. Même si les fondations se désagrègent, elles sont bonnes à vérifier, comme le dit l'auteur, entamant le récit de arin mon cœur, adressé à son fils qui venait de naître:

*"Les enfants que nous avons toujours appelés avec des mots doux viennent au monde la nuit ou le jour et nous suivent sans que nous devions leur promettre quoi que ce soit. En vérité, il n'y a ni chant ni promesse aucune mais, au contraire, une sorte de **supercherie du silence**, supercherie dont nous aussi nous avons été et sommes dupes pour l'éternité. Alors, chantons et promettons avant qu'il ne soit trop tard pour parler, même si aux mots se mêlent bon nombre de **mensonges** et, par là, vérifions nos*

---

1) La Folie originelle, pp.33-34. C'est nous qui soulignons.

*fondations avant qu'elles ne se désagregent"*

Les gestes les plus simples qui sont des points de concentration assez forte dans ce contexte de tremblement et de vérification, fonctionnent comme des images imprégnées de douceur et tout de même marquées d'une pulsion de la rature, d'un risque d'effondrement. Avant ou après le séisme, nous sommes en présence de ce genre de réflexions anodines qui révèlent cependant un éveil des sensations.

*"Tu te serais soucié des tiques dans le pelage de tes bêtes ( ) de l'odeur de l'air différente d'une heure à l'autre de la forme de ta maison du volume de ta chambre de la solidité de tes planches de chaque clou du goût de l'eau des mots des voisins par dessus le mur mitoyen ou entre les feuilles de la haie"*

Dans La Traversée d'Afrique de menus détails disent la pauvreté et la médiocrité de vie de quelques adolescents de n'importe quel village. Vie uniquement supportable grâce au mensonge que nourrissent ces adolescents grâce à leur rêve irréel de fuite vers l'Afrique pays imaginaire que l'on croit au bord du fleuve et dont on voit déjà les fauves, étranges fauves à vrai dire qui sourient et boivent du miel. Et pourtant le récit nous attire car par la répétition et la variation

(1) E. Savitzkaya Manji mon cœur Paris Minuit 1992 p.9 C'est nous qui soulignons

(2) La Folie originelle ۛ ۛ1

à partir d'éléments sobres, et limités du récit : (personnages, actes et objets), on arrive à suivre, voire même, à partager cette fausse histoire des lions que les petits se racontent, leur rêve d'innocence et d'ignorance mais qui démontre à quel point cette vie journalière des petits villageois est difficile et même cruelle.

Ces Jeux de variations narratifs, fictifs sont provoqués par une imprécision, un flou presque constant à l'aide de l'emploi d'un "ou" dubitatif ou virtuel; ce "ou" ne donne pas le change, dirait-on; il démontre le peu d'importance des choses à voir, à décrire, il démontre que le vécu est irremplaçable.

Le récit se construit ainsi sur une élection de petits détails répétitifs et changeants qui sont la seule ponctuation de l'histoire, n'ayant presque rien de sûr, de stable ou de consistant au milieu: une manivelle qui luit, un lion qui sourit, un fleuve à rejoindre en écrasant les ordures... C'est autour de ces petits détails que le récit avance comme par couches de poussière ou couches de limon...

De même pour écrire un roman sur Elvis Presley, Savitzkaya n'a besoin que de très peu. Une image luit suffit: le fauve écartant les jambes, murmurant et chuchotant jusqu'à l'éclatement, vêtu de peau de requin et de souliers de daim, se baladant dans sa limousine, ou dormant dans un pré, adorant sa mère et une diva plus âgée que lui qu'il entend chanter à la radio, sans plus, entouré de peluches qu'il collectionne, et tenant l'oreille au train passant. Il ne

mange que des bonbons qui vont le rendre trop gros pour se supporter.

L'avancée de l'écriture de ces récits semble reproduire le mouvement de la balançoire que nous avons évoqué au début – allant et revenant – mais sans jamais parcourir le même espace: l'écriture qui dit et nie, raconte et efface, se ressent comme procédant par couches de dispersions: faisant le tas, elle dépèce, et étend - s'étend... elle s'étend en continuant à ouvrir sans atteindre un fond par elle-même, par ses seuls mécanismes de fiction... Car ce n'est pas la fiction qui compte, l'histoire qu'on raconte, l'ordre, l'enchaînement ou la succession, partant d'un point originel et arrivant à une fin plus ou moins probable, mais c'est le pouvoir d'intégrer toute fiction à un désordre vital et défensif, désordre que l'auteur nous explique clairement mais toujours avec des coupures sensibles même au niveau du discours:

*"L'écriture en spirale doit faire fonction de tourbillon perpétuel et attirer dans son aire, dans sa trombe tout ce qui demeure en suspens, poussière, images, sables, neiges, sang et cauchemar, ainsi que les feuilles du figuier, et comme le duvet des oies.*

*Vie et écriture considérées comme un jeu **sans fuir** où il s'agit de regarder vivre, de regarder jouer vraiment, au fond de l'abîme, au milieu du vertige, les protagonistes réunis, les animaux et les autres".*



L'auteur donne la priorité aux animaux afin de dénoncer plus loin les monstres. C'est uniquement par ce détour qu'il peut atteindre son for intérieur et susciter un reflet chez les autres:

*"Se rapprocher de ce qui nous souille, de ce qui a moisi en notre absence, notre silence; se plonger dans l'effroi, se parfumer de jus; se colorer de fumée, pour retrouver en soi et dans les autres l'innocence première, native. A partir de quoi l'écriture se fera transparente et légère. (...) L'écriture innocente livre innocemment ses impudeurs. L'écriture vivante rouille, pue et pourrit.*

*Mon enfance perdue est mon seul avenir, mon seul but véritable et cohérent. Les flores anciens ne dissimulent plus les monstres qui nous entourent. L'écriture nous permet de ne pas être immédiatement dévorés"<sup>1</sup>.*

Désordre vital donc dès que le Je sort de son silence, de la "supercherie du silence", et prend la parole. De même Sang de Chien commence par une invocation aux bêtes, à ceux qui sont incapables de sonder la trappe que l'ennemi leur prépare. Incipit où l'on voit le narrateur, dans un moment d'entrappement, de regard jeté sur soi, d'interrogation du sens de la marche vers une destination quelconque. Celui-ci prend effectivement la parole pour décrire dans le désordre, des actions non suivies que voici:

---

(1) E. Savitzkaya: "L'écriture en spirale" in Estuaire, n° 20, Haute-Ville (Québec), été 1981 p.103 C'est nous qui soulignons.

*"J'ai tué j'ai blessé j'ai chassé j'ai  
balayé j'ai mordu, tordu limé, et je n'ai  
plus soif"<sup>1</sup>*

Ce qui est important dans ce désordre, c'est le trajet entre peau et bouche, violence et soif, qui passe par les désirs d'une chair de boue et d'une boue de chair qui rassemble tous les êtres. L'écriture pourrait être différemment lue à la lueur de ce parcours de métamorphose, ce parcours d'amour entre la boue et la chair. Faudra-t-il s'étonner par exemple que la mère s'appelle Peau et qu'autour de sa chair, un mouvement de caresses et d'amour d'une panthère noire, la métamorphose, lui fait perdre tous ses traits humains, ne lui laissant à première vue que sa peau initiale légèrement plus grise? Faudra-t-il s'étonner qu'ayant reçu son nom Peau, des flèches, des billes, des pierres tombent sur elle, sur sa maison et sur son dos? Et que "pour se protéger elle se couvre d'une épaisse couche de boue prélevée dans le jardin puis s'enferme dans une armure d'osier, tout en continuant cependant à exposer son visage, afin que son enfant ne l'oublie jamais?"<sup>2</sup> Le mot BOUE n'est-il pas inscrit dans OUBLIE? Faudra-t-il s'étonner que les oiseaux et les lapins de La Traversée d'Afrique soient tour à tour agressés et agresseurs picorant les matériaux, crachant, saignant? Que La baleine dépecée parle et que le cochon farci appelle le

---

(1) E. Savitzkaya, Sang de Chien, Paris, Minuit, 1989, p.8.

(2) E. Savitzkaya, Capolican, Un secret de fabrication, récit, Saint-Nazaire, Arcane 17 1987 p.8

poème écrit à l'envers?<sup>(1)</sup>

Avant de voir de plus près quelques unes de ces données, continuons la lecture de l'incipit de Sang de Chien, pour remarquer la fonction de l'interrogation comme pulsion destructive d'une mémoire de la douleur. Peu après le curieux aveu de ce Je chaotique que nous venons de voir, nous sommes en présence d'une démarche interrogative déviatoire, détournant son objectif premier qui est de vouloir savoir quand est ce que l'écrivain a pu pleurer pour la dernière fois, et arrivant, ainsi, à transgresser affirmation et négation par un champ hétéroclite de sensations et de données que la vie cependant relie et fait exister, les uns à côté des autres, les larmes et la mer, la rage et le bonheur, la pierre et la noix:

*"Quand je regarde celui qui écrit, je me demande pourquoi sa tête est enfoncée dans la niche de son bureau. Quand ai-je pleuré pour la dernière fois, en plein air ou enfermé, dans quelle maison, dans quelle prairie, sur lequel toit, nu ou en chemise, fatigué par le soleil ou à peine éveillé, seul ou en compagnie, sur la montagne pointue ou sur la mer plate? Et l'avant-dernière fois? Juste un spasme, une contraction du menton et pas de larmes, à peine comme une brève transpiration. Et avant? Je devais être saoul, ça ne compte pas. Et avant? Enragé, devant la mer. Et*

---

(1) Les deux dernières références appartiennent dans l'ordre à Les morts sentent bon (1984) et à Cochon farci (1996). Sur le dernier, Cf. infra.

avant? Encore de rage, sang de chien ça ne compte pas. Et avant? En regardant mon jardin sous le soleil, les hautes tiges des asperges, les plumes, le feuillage épuisé, la glycine en bout de course. Et avant, avant? A peine un désir, mais les larmes ne se commandent pas. Et le dernier bonheur, où, avec qui, à l'aide de quels outils? Et l'avant-dernier? Nu, sur de la pierre blanche. Et la dernière caresse? Et avant? En buvant des larmes et la main de ma fiancée aux mille peaux sur mon ventre. Et les meilleures noix? (...). D'où venait le meilleur lait que j'ai bu? De la ferme de Louis. Je le buvais cru ou parfumé de lierre terrestre pendant sa cuisson, je le buvais seul ou en compagnie de grands amateurs de lait, sans jamais le sucrer ni de miel ni de candi. (...). De lui émanait une odeur de chambre fermée aux murs peints au latex; sa fumée réconfortante traversait le plafond et rejoignait le frêne<sup>(1)</sup>.

"D'où venait le meilleur lait que j'ai bu" non seulement passe-t-on comme un nourrisson des larmes au lait – mais c'est encore toujours par la bouche et la dégustation qu'un passé prend forme, qu'une certitude, qu'une heureuse sensation tentent de nous ramener vers le paysage d'enfance. Mais l'on passe encore plus subtilement de la "niche" dans laquelle l'auteur enfonce sa tête, au "frêne", matière première de la niche, réseau symbolique que le texte nous fait parcourir au fil des sensations au contact des éléments de la nature.

---

(1) Sang de chien, pp.9-10.

L'auteur excelle d'autre part dans le jeu interrogatif qui va apparemment dans tous les sens, mais qui est révélateur de l'artifice de toute pensée d'ordre et de toute interprétation autobiographique. On trouve, sur l'Internet, un seul texte de Savitzkaya, un texte de trois pages fait d'interrogations destinées à représenter le temps qui "passe" en interrogeant les passants<sup>(1)</sup>.

Passant à Bufo bufo bufo qui curieusement semble amalgamer BOUE et PEAU dans la résonance de son titre même, lisons un passage dont le thème est justement la recherche ou le questionnement du cadre d'exercice de la parole poétique. Le cadre fait voir un décor moderne sous l'effet d'une dissolution, mais son contenu archaïque semble avoir gardé une paix et une nonchalance primitives:

*"Pourquoi ne pas écrire des poèmes tranquillement, assis sur une berge effondrée, en pêchant sans espoir, en mangeant des baies d'églantier, en toussant ou sans bruit, entouré de rats presque discrets, de crapauds, face à la gare désaffectée, au pied de l'autoroute, en dormant, ravi ou colérique ou plein de frayeur? Pourquoi ne pas pêcher l'ombre? Pourquoi ne pas manger les fruits? Pourquoi ne pas demeurer silencieux? Et aussi pourquoi écrire des poèmes?"*

---

(1) En comparant cet exercice avec la définition du temps que l'auteur donne dans Marin mon cœur, on rejette tout aspect aléatoire de l'écriture: "Ici, le temps est comme l'air, on ne le voit pas passer. Et tout a un goût d'eau" p.35.

La prosodie est sensible sous la prose ne rimant –d'emblée–  
à aucun sens:

bruit / ravi / fruit  
effondrée / frayeur / fruit  
berge / bruit / ombre  
pas / rats / crapauds / pourquoi

Cela nous permet d'envisager des rapports sémantiques nous faisant dépasser l'état descriptif de la scène vers la structure d'un second sens: écrire des poèmes pour ne pas demeurer silencieux; écrire devrait se faire comme manger des fruits ou comme pêcher l'ombre, car la berge effondrée c'est la langue, et l'ombre d'une langue comme l'ombre des yeux, c'est ce qui met en relief, c'est ce qui protège, enveloppe, c'est La Peau: PO/ÈME (Peau/Aime)– Parcours d'amour, parcours de métamorphose avons-nous suggéré.

Un autre exemple de ce parcours: est fourni par la mère. Sujet d'un des plus constants réseaux de l'œuvre.

Nous sommes en présence, dans l'incipit de Capolican, d'une communication chaleureuse entre un enfant et sa mère curieusement retournée en une action de déterrement, de brassage des éléments originaires de l'univers. Vent, feu, eau, terre, le tout fait partie d'une composition ramassée, et coulante où le corps est parfaitement intégré au champ de l'affolement latent. À voir de près, ce n'est effectivement qu'un parcours extrêmement tendre qui nous fait glisser de phrase en phrase vers le déterrement des racines et des fondations: parcours pulsionnel, rythmique alternant des mots à charge

émotive, de sonorité envoûtante tels que enfant – petits – mère – embrasser – clairs – pleurer – fige – fine – gelée – doucement – fleurs et feuilles, et des mots à sonorité coupante, stridente, agressive relevant de la chaîne consonantique R / CR / GR / DR: ourse / crâne / parois / superficiels / rate / dur et lourd / s'avère acariâtre / guerre / déterre. Lisons à présent le passage:

*"Cet enfant agit comme les petits de l'ourse: il lèche sa mère au lieu de l'embrasser. Depuis qu'il fait ça, il ne pleure plus. Mais ses yeux sont moins clairs, car un enfant doit pleurer. Alors ses larmes s'assemblent en un petit lac entre les os de son crâne. Et cette eau très doucement salée clapote entre les parois, puis se fige en une gelée que l'on peut appeler mercure. Le mercure afflue dans les vaisseaux superficiels qu'il saccage. Il se concentre dans la rate. L'enfant devient dur et lourd comme certains matériaux qui ne flottent pas. Il s'avère acariâtre. Sa mère ne le satisfait plus et il tente de la réduire au silence. Entre la mère et l'enfant commence une guerre longue et douloureuse. Pendant qu'ils combattent, les fleurs et les feuilles tombent sur l'herbe qui est brûlée, le vent déterre les racines et les fondations".*

La boue qui résulte des déterrements, des racines et des fondations, n'a peut-être de chantre plus passionné que Savitzkaya:

*"J'aime la boue, boue qui pue, noire boue"<sup>(1)</sup>*

Ou encore.

*"Je suis un garçon tranquille, la nuit je laboure, de  
boue est mon cœur pétri-lavé de noire eau pure"<sup>(2)</sup>.*

La boue est de l'eau pure et "la terre, elle, coule sur des amas, des amoncellements et des montages de pierres"<sup>(3)</sup>. C'est une loi sourde mais naturelle de l'entassement, de la pulvéruence, de l'amour du détail fragile mais non éphémère: fragile parce qu'il tient à si peu de chose, mais non éphémère car cailloux, feuilles, clous semblent ne point avoir de fin, même après le pire des cataclysmes. Cultiver le fragmentaire rejoindrait ainsi un désir d'intensité, une recherche de sensation de plénitude.

En effet, l'écriture du chaos peut nous apparaître comme tissant des zones d'intersections au sein de la transformation ou de la contradiction entre mort et vie – elle semble fictionaliser cet espace: entrer dans le régime fictionnel, ce serait entrer dans un double espace naturel et verbal ayant sa logique imprévisible. Nous voyons, par exemple, dans Capolican l'oncle porteur d'un filet, de cisailles, d'un couperet, casqué et lourdement vêtu, puis dévoré par l'enfant. Quelques lignes plus loin, il nous est dit qu' "il a pourri depuis longtemps" pour devenir un "monticule" un tas, une masse de détritüs:

---

(1) E. Savitzkaya, Bufo, bufo, bufo, poèmes, Paris, Minuit, 1984.

(2) Ibid. Il est évident que la boue a une valeur sexuelle.

(3) Marin mon coeur, p.45.



*"L'oncle a pourri depuis longtemps. Son tas s'est affaissé. Dans cette masse de détritrus, pas un œil ne brille. Puis cela se solidifie et une croûte apparaît que le vent astique. Devenu monticule, l'oncle reluit un peu et semble capter le soleil couchant. Mais sa voix a disparu, cette voix qui grondait, appelant ordures les fruits les plus beaux et crasses, les feuilles et les pétales. Régulièrement on le couvre de glu et les corneilles qui se posent sur lui finissent en bon bouillon dans une grosse marmite, leurs os servant de clous"<sup>(1)</sup>.*

Dans cet espace, se rencontrent toujours l'humain, le végétal et l'animal et même le minéral: le clou qui semble animer une série qui le précède: cou / marabout / joue / coupole / courbe- pour prévaloir en fin de paragraphe avec une dose emmagasinée de sonorités redondantes entrant en jeu avec (-i-iy-) sonorités féminines. Clou a une histoire dans cette fiction. D'abord le clou vient des os des "poulets" ensuite, entre les mains du Forgeron, un des deux personnages-pères de Capolican (le second étant un scélérat) "est un clou qui brille, dont il se sert de levier ou de manivelle" pour desceller un maître-pilier<sup>(2)</sup>. Les connotations phalliques sont évidentes et une scène de l'enfant battu suit de tout près: la mère y porte "le plateau qui allait recevoir sa tête, sa mère qui ne pouvait plus rien pour le sauver"<sup>(3)</sup>. Cette tête que la mère ne

---

(1) Capolican, un secret de fabrication, récit, p.9

(2) Ibid., p.33.

(3) Ibid., p.62.

sauvera pas sans doute par faiblesse et non par méchanceté, est plus présente qu'on ne le pense dans les structures chaotiques de Capolican.

D'ailleurs Capolican non seulement a trois lettres de Clou mais il associe tête et Pélican, ce dernier pouvant être à la fois une image du poète (oiseau tout comme le coq chanteur conseiller de Capolican) et sa plume, puisque le mot renvoie par catéchèse à une plume de marque. De là on peut penser au dédoublement entre le poète oiseau/plume et sa tête que la lettre O de CapOlican (souvenir de pOète-Oiseau) semble réduire à un parcours circulaire.

De même entre bouche (tête) et boue (qui peut renvoyer à plume) l'on peut voir un trajet circulaire qui promet vie et création:

*"Tout passera par sa bouche, Marin s'en fait le serment. Il devra d'abord digérer le monde avec sa salive afin de le rendre visible et limpide. Il devra d'abord réduire en pâte le papier bruissant et sec, faire fondre les surfaces métalliques, émietter les feuilles, les fleurs et le pain, et attendrir le bois. Ne sera vivant que ce qui a été oint"<sup>(1)</sup>.*

Cette boue, il faudra marcher dessus ou dedans, manger, dévorer et cracher; toujours est-il que le mangeable, se mêle au détritux et qu'un "désir oral" et même "un rêve de voracité"

---

(1) Marin mon coeur, pp.26-27

s'accompagnent de "pulsion excrémentielle"<sup>(1)</sup>. Le trajet qui passe par la Bave ne manque pas de suggérer le fil d'encre dont se sert l'écrivain: la boue "sort d'une fontaine qui semble heureusement intarissable", elle "fait briller et nourrit ce qui commençait à ternir". Lisons un autre passage de Marin mon cœur qui nous rapproche de la fonction qu'elle remplit dans le chaos de l'auteur:

*"Elle lie le sable le plus fin en fondant ses grains, fertilise la terre en réunissant les fragments du terreau et en mélangeant les ferments. Il n'existe pas de meilleur mortier que celui à la composition duquel il aura donné un peu de son suc secret d'hirondelle. La bave fait briller et nourrit ce qui commençait à ternir. Son odeur sans pareille et ses nombreuses vertus attirent à la ronde fourmis manquant de sucre, papillons affaiblis, limaces blessées par le sel, abeilles d'une saison sans fleurs et chats avides. Elle désaltère mieux qu'aucune autre substance, car elle contient en justes quantités du sel, du soufre et du nectar. Elle enchaîne en un seul fil tous les objets, les englue et les rend visibles ou invisibles à sa guise"<sup>(2)</sup>.*

Le discours sur la bave n'est-il pas un discours sur l'écriture pulsionnelle? Examinant ces éléments du chaos, l'on peut tisser, un fil invisible qui d'emblée peut ne pas paraître

- 
- ) J-P. Richard note également que la salive "se lie à ces autres excréments, plus âcres qui peuvent être la morve, le sperme, l'urine ou le sang versé", p.98. Cf. J-P. Richard, Terrains de Lecture, Paris, Gallimard, nrf, 1996, p.112.
- ) Marin mon cœur, pp.19-20.

évident: "fourmis manquant de sucre", "papillons affaiblis", "limaces blessés par le sel", "abeilles d'une saison sans fleurs" et "chats avides": nos besoins de sucre – de lumière – de pourriture (chats); nos excès (limaces), nos manques (abeilles) font notre faiblesse humaine, qui fait couler cette bave naturelle désirant la boue.

Mais la boue – vibre encore de plus près dans le champ des pulsions de l'écriture par son homophone masculin: BOUT. Le bout du corps, du doigt qui tient la plume, le bout de l'œuvre – du chaos qui dialogue avec l'infini.

Marin finit sur un pot, et avant, il devient "le chat Noé, le méchant, l'ours, la vieille femme qui marche dans la rue, (...) le nain, l'ambulancier, le policier, la petite sœur qui ne peut ni marcher ni parler<sup>(1)</sup> puis finit par regagner son identité. Espace féérique qui insiste à jeter un nouveau regard sur l'existence de chaque individu et de chaque créature. MARIN devient d'ailleurs MAIN si on lui ôte la lettre R qu'il partage avec COEUR. Main qui pue souvent, qui sent la merde et qui a reçu le coup de tisonnier<sup>(2)</sup>, Main d'un "Je nu au printemps" comme le dit le Fou civil. Invertissons NU, nous obtiendrons UN, rappelons que "prin" vient de "primus" et traduisons printemps par le premier temps, nous serions le plus près du centre de cette écriture du Chaos et de la boue au pouvoir d'homogénéité, comme le constate Jean-Pierre Richard<sup>(3)</sup>.

---

(1) Marin mon coeur, p.92.

(2) Sang de Chien, p.46.

(3) "Un état homogène ensuite, lié, enveloppant: c'est la puissance

Dans le passage suivant de Marin mon Cœur on peut pénétrer cet aspect chaotique et rassembleur de la boue: chaotique au niveau de la composition, rassembleur au niveau des pulsions. Il présente en même temps un exemple d'une logique de texte qui nous invite à repousser la probabilité d'une étrangeté gratuite au profit d'une réflexion sur des points d'analogie entre lois naturelles que le récit traite et procédés de lecture ou d'écriture à l'envers. Ainsi pour déclencher une lecture rétrospective afin d'attirer l'attention sur une image capitale qui s'y développe, et qui rapproche l'homme de la pierre, l'auteur nous décrit le geste de reculer que fait Marin pour avancer comme un géant sur une marche, "il sut dit-il qu'en reculant en avance autant qu'en avançant"<sup>(1)</sup>. Appel de retour en arrière dans l'écriture, et sans doute rappel encore que tout avancement est un retour à la source, à l'origine première: mer, fleuve, pierre... Lisons ce passage de Marin qui ne reçoit son nom qu'après avoir goûté la boue, et notons le mouvement circulaire reliant intrinsèquement les différents éléments du paysage. Mouvement d'une pulsion, d'un appel à la vie, pour s'alimenter à toutes les sources du monde et pour ne pas oublier d'en nourrir tout le corps:

---

omniprésente de la boue" écrit Jean-Pierre Richard dans Terrains de Lecture, p.97 et plus loin: "La boue, c'est l'ombre devenue matière, sa puanteur manifeste sa puissance; sa ductilité permet tous les passages", p.99. Le grand critique évoque "l'alchimie" ou la "mutation libidinale du poudreux au boueux".

(1) Marin Mon Cœur, p.46.

"D'abord est la mer dans laquelle le sel est présent comme il est présent dans tes yeux, la mer lointaine et très proche(...). Cependant tu devras la chercher méthodiquement en ne te fiant ni à ta vue, ni à ton odorat, ni même à ton ouïe, (...) car son vacarme se disperse dans l'immensité et ne se font entendre que les vagues qui touchent la dureté de la terre. Ainsi,, il arrive de rencontrer la mer au détour d'une rue ou derrière une porte et qu'elle sente la luzerne. D'aucuns prétendent qu'elle n'existe pas. De toute manière, lorsqu'on est dessus ou dedans, on le sent qu'elle mouille et qu'elle écume. La terre n'est pas trop dure et même parfois trop molle, si friable qu'elle se tasse, se craquelle et s'effondre à tout bout de champ. Le sel est présent dans la terre comme il est présent dans ton sang. Elle est sable, gravier et pourrissement des choses. Le temps la façonne, l'écrase, la disperse et la fertilise. D'aucuns prétendent qu'elle n'existe qu'en fonction du temps qui l'a confectionnée et qui en est à la fois le père, et la mère, l'amant et l'enfant, et qu'en dehors de lui elle n'est pas(...) L'éblouissante lumière du feu nous éclaire et nous cuit, nous rendant chaque jour plus semblables aux pierres, car il semblerait que chaque jour nous allions autant en arrière qu'en avant. **Chaque jour, notre vie compte un jour en plus. Chaque jour, notre vie compte un jour en moins**"<sup>(1)</sup>.

---

(1) Marin Mon Cœur, pp.10-12. C'est nous qui soulignons.

Marin (nom du fils de Savitzkaya et le métier de son frère aîné) apprenant à monter et descendre sur les marches de pierre ne renvoie t-il pas à cette pensée profonde qui compare l'homme à la pierre, inscrite dans la composition lyrique du chaos précédent?

Remarquons le "projet méthodique " qui n'existe que par le toucher et la dégustation, le passage extrêmement flexible du sable mouillé de la mer au limon du terrain. Relevons de même la **buée** de la mer qui touche les cheveux et les rend mousseux, la bouche humaine par laquelle l'air se disperse:

*"Donc la lumière a le pouvoir d'annuler les êtres vivants autant que d'en éclairer la face et les mouvements, irisant la buée qui sort des bouches ouvertes. Il n'est possible de la nier que le temps de ses très régulières disparitions. Lorsqu'on se trouve en pleine lumière, on le sait. La musique peut se propager la nuit comme le jour, dans la terre et dans l'air, et même dans l'eau. Mais la bouche ne peut chanter que dans l'air et plus tu t'éloignes de la bouche qui chante et moins tu perçois les sons que l'air disperse"<sup>(1)</sup>.*

De la mer à la terre à la pierre à la voix: le trajet n'est pas uniquement de pourrissement, d'écrasement c'est celui du passage - entrée et sortie - de la poussière par la bouche, puisque le "passage" ne prend fin que quand la poussière rentre dans la bouche qui chante et provoque l'éternuement:

---

(1) Marin Mon Cœur, p.12.

donc retour du boueux au poudreux retour originel de la matière terre à son père et enfant à la fois.

Mais Marin "n'aime pas son père. Il n'aime pas sa mère. Il n'aime pas sa sœur, ni ses oncles, ni ses grands parents... Rien n'est mal fait. Rien n'est dit"<sup>1</sup>. Espace de la contradiction, du leurre de l'incertitude. Nous désirons évoquer à ce propos Jeanne du début qui pourrait être ce Jean dont l'amie est Débora dans La Traversée d'Afrique. Ces deux petits amants violents se déchirent entre eux, puis la mort les sépare; mais l'on voit curieusement réapparaître le couple dans Bufo bufo bufo: dans le roman, c'est Jean qui meurt, dans le poème c'est Débora que l'on voit déchirée avec tous les attributs de la langue-mère (Jeanne) ou de la sœur violée,

*"Sur la chaux mourut salie, cygne petit Debora  
mangée par les vers, dépouillée par les singes,  
souffrante, ensevelie, pourrie, noire comme le cœur  
de Jean, du fourbe, du foudroyé, comme le jumeau  
du mort, archer criant contre les bêtes, roi des ours  
et de l'aigle noir, mourut blanche après déception"<sup>2</sup>.*

"Jumeau n'est que le signe qui dit que Débora est la Jumelle de Jean, une nouvelle Jeanne est cette écriture de boue où rien n'est en place, écriture blanche d'incertitude, écriture de pierres (sur la chaux: pierre de chaux); et la pierre est dans le

---

(1) Marin mon cœur, p.92.

(2) Bufo, bufo, bufo, p.17



gravier, mélangée au sable mouillé, poreuse, appartenant au domaine de la peau:

*"Si je continue à me coucher sur de la pierre, dit le narrateur de Sang de Chien, car la pierre, surtout le granit, contient une réserve d'humidité glacée qui a le pouvoir de recommuniquer directement aux dos et à la moelle. Si je continue à respirer. Si je continue à manger de la terre, et de la terre glaise la plus salée, je deviendrais ça, une souche pourrie depuis longtemps et creuse, pleine du bois meulé et digéré par les insectes"<sup>(1)</sup>.*

Matière de construction et de déstructuration dans le paysage sismique; elle doit être aimée: "Aimez la pierre, la pierre boutisse comme elle devrait vous aimer", dit Conspuante dans Folie originelle<sup>(2)</sup>. Agent de transformation et produit de la transformation du temps (pierres veineuses, pierres précieuses), produit de la nature (fruit) et de la chimie (pierre de chaux), elle renvoie encore à Pierre:

*Pierre est une pierre  
au sommet d'une montagne,  
ne le voient que ceux qui lèvent la tête  
et penchant la tête:  
le pirate a le front bandé  
et la taille ceinturée, il crache du jus de  
réglisse , ne le guident que les étoiles.*

---

(1) Sang de chien, p.54. Sur la porosité, Cf J-P. Richard, Op.cit., p.112.

(2) Folie originelle, p.41.

*En Pierre sont les lions, les griffons, les  
obélisques, les montagnes et les astres  
innombrables<sup>(1)</sup>*

Pierre serait-il le premier apôtre surtout que le poème suivant évoque Anne-Marie, la sainte, faisant la navette d'Alexandrie à Elbe? "Ne le voient que ceux qui lèvent la tête, et penchent la tête" – Marin lève aussi sa tête et se tient sur les coudes "comme un sphinx, comptant les multiples horizons qui se présentaient soudain à sa vie" – horizons pour lesquels il faudra peut-être d'abord pencher la tête pour voir en soi – ("le premier horizon s'étirait à l'ombre, dans la poussière. Le deuxième portait les traces de la lumière dorée et rouge...")<sup>(2)</sup>. Mais ici c'est le pirate crachant du jus de réglisse, signe évident de l'auteur, qui marche sous les étoiles – la taille ceinturée comme le guerrier ou l'image de la langue de chair sauvage" même <sup>(3)</sup>. Les étoiles au-dessus de sa tête, qui ne servent qu'à montrer le chemin, n'ont rien de surnaturel ou de spirituel. Elles sont, dans ce poème l'agent de rencontre impossible entre des figures fantasmatiques du poète: Pierre et la pierre, le pirate et les lions, les obélisques et les montagnes... Celui qui lève et penche la tête est celui qui écrit plus tard dans Cochon farci:

- 
- (1) E. Savitzkaya, Cochon farci, Paris, Minuit, 1996, p.48. Si près de la boue dans la citation précédente, la pierre est près du bout ici.
- (2) Marin mon coeur, pp.24-25.
- (3) Un Attila, Vomiques, "notre, Babel de chair vierge, cuirassée, ceinturée, conduite en prison chaude par l'ascète Cheval, le moine Lièvre, l'ermite flagellé sur les yeux", p.19. Cf. supra, p.9.

*"D'étoile en étoile je trace mon chemin,  
je persévère, je perds ma peau et je m'essouffle,  
la truie est farcie et le verrat rôti,  
le poème est écrit à l'envers"<sup>(1)</sup>.*

A l'envers serait écrit le poème: le poète ayant la tête penchée, tombante dans la boue, le sang, reflet rouge de la lumière; à l'envers, car l'écrivain intègre la tête du lecteur à l'envers, ne le laissant voir sa pensée que dans des mots et leurs mouvements; à l'envers est encore le poème car il fixe ce qui est infixable, le désir d'intensité semblable à la mer pour laquelle on regarde les étoiles ici, et dont chaque vague, à chaque seconde n'est pas tout à fait la même<sup>(2)</sup>.

Ecriture qui nous initie à la translucidité de l'imprévu, à l'improbabilité de la succession comme dans le poème où lions, obélisques et montages de pierre rejoignent "les astres innombrables" par les "griffons" qu'ils intègrent dans leur champ: mot représentatif de cette activité de brassage qui veut pétrir la pierre, la rendre toujours indéfinie: car le griffon est tout à la fois un lion, un cheval, un chien, un poisson et un aigle.

---

(1) Cochon farci, p.36.

(2) L'on peut également évoquer les phrases des parements: "Personne ne peut dire si c'est la farce qui améliore le cochon ou si c'est le cochon qui donne à la farce sa pleine saveur. Ce qui est sûr c'est que le contenu participe du contenant – et vice-versa, pour donner au tout l'agrément nécessaire à sa consommation – le cochon est farci avec les moments de sa propre constitution". C'est une référence possible à l'écriture contenant par anticipation le processus de lecture, puis devenant son contenu.

Activité de brassage pour laquelle terre et ciel ne font qu'un dans la logique infinie des métamorphoses, toute distance est abolie entre Géant/Nain (Marin), la bête et l'homme, les lions et les enfants, Pierre et le pirate.

L'homme mûr ne s'oppose pas au jeune, le père à l'enfant: le passage n'est autre que la vie, ces unités de poussière, de secondes impalpables, de souffles sans bruit; et l' "indispensable plastron" auquel on oppose ses signes de métamorphose, sa main de boue, ou ses pattes de cloporte enfoui au-dessous d'une pierre de sable mouillé, c'est le Temps. C'est le temps qu'il faudrait apprivoiser, souvenons-nous "dans chaque pièce demander l'heure".

Sculpter le temps<sup>(1)</sup>, donner une forme à l'informe revient à réunir dans l'espace, autant d'éléments, de fragments qui désigneront l'origine dans une durée propre à l'écriture, annuleront l'écoulement insipide des secondes: le fou civil grignote les secondes; et comme le cloporte dit-il:

*"Je ne veux pas savoir de quoi demain sera fait, car demain je le **compose**, et tant d'autres cloportes avec moi, avec ce qui tombe par terre et que l'air corrompt à merveille. Et ne compte ni les jours, ni les mois, ni les ans"<sup>(2)</sup>.*

Voix calme de Savitzkaya, virile et douce comme celle d'Elvis, elle crève (curieux tour de langue qui par la mort exprime le

---

(1) L'auteur s'intéresse à la sculpture: Capolican, par exemple, n'est qu'une invention inspirée de l'exposition "Insolitudes" créée en janvier 1987 à Saint-Herblain.

(2) Le Fou civil, p.132. C'est nous qui soulignons.

débordement de vie) de vérité et de pureté. Car c'est curieusement vers une impression de vérité et de pureté de texte que nous initie le chaos de Savitzkaya. Chaos dont la confusion est plutôt une fusion, le désordre, un ordre pulsionnel, la mort, un phénomène provisoire.

On pourrait en effet, trouver dans cette écriture dont on a rapidement tracé les formes de pulsions et de pensée, une forme de nouveau romantisme fin de siècle où le chaos remplace l'harmonie, la métamorphose l'infini des espaces illimités, l'hétéroclite le sublime infime; espace où se ramassent et se dispersent, s'entassent et s'éparpillent des objets du monde qui est largement étendu, mais que Savitzkaya resserre toujours autour d'un noyau de vie, ne finissant pas de remonter aux sources premières, d'un lien originel presque indéterminable: l'essentiel c'est que

*"Rien ne meurt vraiment, malgré la panne spectaculaire et complète"<sup>(1)</sup>.*

Rien ne semble "déranger" cette âme transparente à tout ce qui l'entoure, à tout ce qui lui échappe et à tout ce qui la frappe: écoutons bien le narrateur de En Vie, révéler si bien dans une sorte de vœu – de certitude même – d'harmonie – ce qui devrait tomber et disparaître s'il ne l'était pas déjà par l'écriture:

*"Rien d'extraordinaire ne se produira.  
L'extraordinaire n'aura pas lieu. Ou alors il  
a déjà cours, progressif comme un*

---

(1) Capolican, p.40. C'est nous qui soulignons.

*épanouissement ou un étiolement et fondu dans la vie courante comme une feuille dans le feuillage, et l'appréhender c'est comme décider de distinguer cette feuille parmi toutes les autres, d'en préciser la forme, la position sur la branche, le bord dentelé, la couleur changeante et d'en suivre les métamorphoses, jour après jour, jusqu'à sa chute sur terre et sa transformation en humus ou en cendre. Ainsi, une fois pour toutes, on aura vu l'extraordinaire tomber et se dissoudre dans la terre commune et y perdre ses principales caractéristiques, son apparence, ses raisons d'être<sup>(1)</sup>.*

L'extraordinaire c'est la peur – le tremblement de l'âme – pulsion que Savitzkaya déjoue connaissant bien qu'elle est toute dans la tête.

---

(1) E. Savitzkaya, En Vie, roman, Paris, Minuit, 1995, p.31

## BIBLIOGRAPHIE

### Oeuvres d'Eugène Savitzkaya:

#### *1. Livres:*

Les Lieux de la douleur, présenté par Jacques Izoard, Ed. Liège des Jeunes Poètes, 1972.

Le Coeur de Schiste, Liège, Atelier de l'Agneau, 1974.

Rue obscure, (avec Jacques Izoard), Liège, Atelier de l'Agneau, 1975.

L'Empire, (avec quatre gravures de Velickovic), Liège, Atelier de l'Agneau, 1976.

Mongolie, Plaine sale, poèmes. Paris, Seghers, 1976.

Mentir. Paris, Minuit, 1977.

Un jeune homme trop gros. Paris, Minuit, 1978.

La Traversée de L'Afrique. Paris, Minuit, 1979.

Plaisirs solitaires, (avec Jacques Izoard), Liège, Atelier de l'Agneau, 1979.

Les couleurs de boucherie, poèmes. Paris, Christian Bourgeois, 1980.

La Disparition de maman. Paris, Minuit, 1982.

Les morts sentent bon, roman. Paris, Minuit, 1984.

Quatorze cataclysmes. Dessins d'Alain Le Bras. Cognac, Le Temps qu'il fait, 1985.

Bufo bufo bufo, Paris, Minuit, 1986.

Capolican, un secret de fabrication, récit. Saint-Herblain, Arcane, 17, 1987.

Alain Le Bras, *portrait en pied*, Liège, Atelier de l'Agneau, 1987.

Sang de chien. Paris, Minuit, 1989.

La folie originelle. Paris, Minuit, 1991.

L'Été: papillons, ortie, citrons et mouches, (avec sept dessins d'Alain Le Bras), La Cécilia, 1991.

Marin mon cœur. Paris, Minuit, 1992.

Portrait de famille, Bruxelles, Librairie Tropismes, 1992.

et le Bras, Alain; Bordes, Philippe:

Alain Le Bras, Eugène Savitzkaya, Philippe Bordes. Nantes, Atalante, 1993.



En vie Paris, Minuit, 1995.

Cochon farci. Paris, Minuit, 1996.

Saperlotte!. Charenton-le-Pont, les Flohic, 1997.

Mamouze. Liège. Atelier de l'agneau, 1998.

Cénotaphe: poèmes inédits 1973. Liège, Atelier de l'agneau, 1998.

Le fou civil. Charenton-le-Pont, les Flohic, Coll. "les passeurs", 1999.

## **2. Textes à caractère autobiographique:**

"Un jeune Belge", in Revue de l'Université Libre de Bruxelles, n° "La Belgique malgré tout", Bruxelles, 1980.

"L'écriture en spirale", in Estuaire, n°20, Haute-Ville (Québec), été 1981.

## **3. Entretiens:**

"Les bâtisseurs d'Afrique", entretien avec Carmela Virone, in La Mèche, n°2, Liège, février 1980.

Entretien avec Hervé Guibert, précédé de "Lettre à un frère d'écriture", par Hervé Guibert et suivi de "La perversité, si simple et si douce", par Mathieu Lindon, in Minuit, n°49, Paris, mai 1982.

"Eugène Savitzkaya grandit vers l'enfance", entretien avec Pierre Maury, in Le Soir, Bruxelles, 2 juin 1984.

"Les livres ne viennent jamais de nulle part" entretien avec B.B.,  
in Face-B, n°7, Nantes, Ed. Centre de Recherche pour le  
Développement culturel, 1987

"Un garçon boucher", in Les Inrockuptibles, n°29, Paris, mai 1991.

"Août 1991", entretien avec Françoise Delmez, in Écritures, n°1,  
Liège-Bruxelles, Ed. de l'Ulg et les Eperonniers, octobre  
1991.

"Le jardin d'Eugène", entretien avec Antoine de Gaudemar, in  
Libération, Paris, 2 avril 1992.

"Savitzkaya en Point de Mire", entretien avec Carmelo Virone, in  
La Wallonie, Liège, 2 avril 1993.

"Eugène Savitzkaya, Prix Point de Mire 1993", entretien avec  
Monique Ghysen, in Mensuel littéraire et poétique, n°212,  
Bruxelles, mai 1993.

#### **4. Adaptations diverses (Théâtre, radio, vidéo...):**

Mentir, par Le Théâtre Poème, mise en scène de Monique Dorsel,  
Création à Bruxelles, octobre 1977

Mentir, par le Théâtre des Liquides (Louviers), création en mai  
1979

Faillite ou les travaux de Hans Weber Evorian, dramatique radio  
réalisée par Thierry Génicot, Production RTBF, 1979.

Ultima II. Post scriptum à La Disparition de maman, Vidéo réalisé  
par Nicole Widart, couleur, 17' Production W.I.P., RTBF  
Liège et Image Vidéo

La Traversée de l'Afrique, par l'Atelier lyrique du Rhin, dans le cadre du festival Musica 85. Création à Strasbourg, septembre 1985

Le grand cochon, roi du monde, spectacle produit par la Compagnie parisienne de Théâtre et réalisé par Dennis Bemet-Rollande d'après Les morts sentent bon. Représentations à Avignon (été 86) et à Bruxelles, Le Botanique, le 28 octobre 1986.

Un secret de fabrication, spectacle réalisé par Denis Bemet-Rollande d'après Capolican. Création à Grenoble, Le Cargo, 1987.

Souvenirs de la dame endormie, spectacle de théâtre d'images, par Eva Visney et Christian Coppin, Bruxelles,, Théâtre Poème, juin 1988.

### **Etudes consacrées à Eugène Savitzkaya:**

Eugène Savitzkaya, Mongolie, Plaine sale, L'Empire, Rue obscure. Préface de Mathieu Lindon. Lecture de Carmelo Virone. Belgique. Editions Labor, 1993.

Franck Pezza, Le gâteau de Papouasie. Analyse thématique et anthropologique de l'oeuvre romanesque d'Eugène Savitzkaya. Mémoire de licence en philologie romane, Université de Liège, année académique 1986-1987 (inédit).

Virone (Carmelo). De Savitzkaya (1972-1976) mémoire de licence en philologie romane, Université de Liège, année académique 1979-1980 (inédit).

### **Articles consacrés à Eugène Savitzkaya:**

Badir Sémir, "Coeur de père", in Le Carnet et les Instants, n°78, mai 1993

Clavel (André), "Galop vertical" in Critique, n°370, mars 1978.

De Decker (Jacques). Les septantrionaux. Les années critiques, Bruxelles. Ecrée, 1990, pp 132-133 (Reprise d'articles parus dans Le Soir en 1976 et 1978).

Delmez Françoise, "Un autre (de même) (Eugène Savitzkaya)", in, Ecritures, n°1, octobre 1991, Liège-Bruxelles, Université de Liège et Les Eperonniers.

Edeline (Francis), "Deux promeneurs en Rue obscure". in Le Journal des Poètes, n°3, mars 1976

Grivel (Charles). "Le jeu pelvien" (L'Empire, Mentir, Un jeune homme trop gros, La traversée de l'Afrique), in Critique, n°384, mai 1980

Izoard (Jacques), "Savitzkaya, entre la blessure et le squat" in Le Journal des poètes, n°10, octobre 1974.

Izoard (Jacques), "Savitzkaya, l'enragé volubile ou la terre douce", in Verticales 12, n°21-22, 4<sup>e</sup> trimestre 1977

Joiret (Michel), notices sur L'Empire et sur Mongolie, plaine sale in Lettres françaises de Belgique. Dictionnaire des oeuvres, T.II, La poésie, Gembloux, Duculot, 1988.

La Frère (Anne-Marie), "Décembre, Janvier, février, trois fois un livre d'Eugène savitzkaya. Plus un Prix de l'Académie!", in Notre temps, n°75, 1<sup>er</sup> avril 1976.

Legros (Jean-Claude), "L'Empire, Eugène Savitzkaya, à l'Atelier de l'Agneau", in Le Journal des Poètes, n°3, 1976.

Lemaire (Gérard-Georges), "Eugène Savitzkaya", in Le Magazine littéraire, n°140, septembre 1978.

Scepi Henri, "Eugène Savitzkaya et le souci de l'origine", in Critique, n°550-551, mars-avril 1993.

Sojcher (Jacques), "La contagion poétique", in Les Nouvelles littéraires, n°2557, 4-11 novembre 1976.



**LANGAGE , ECRITURE  
ET COMMUNICATION**

**Dans**

**L'USAGE DE LA PAROLE**

*DE*

*NATHALIE SARRAUTE*

Par

*Soheir Mohamed El Chami*





## Introduction

*"La parole est toujours caresse ou agression, jamais miroir de la vérité"<sup>(1)</sup>.*

La langue en tant que système conventionnel de signes essaie d'être "miroir", alors que la parole en tant qu'utilisation et actualisation de ce système est impliquée dans une situation énonciative qui a ses lois sociologiques et psychologiques. Dans la parole le signe linguistique est à la fois symbole et arme. Elle constitue un espace de tension entre le rhétorique et le logique<sup>(2)</sup>, le dire et le dit, l'implicite et l'explicite. Pour Ducrot le dialogue est moins un échange d'informations qu'un piège que chacun tend à l'autre.

Dans "Conversation et sous-conversation", N.Sarraute précise que les paroles peuvent être "l'arme quotidienne, insidieuse et très efficace, d'innombrables petits crimes"<sup>(3)</sup>. Dans ses romans elle s'applique à détecter les "tropismes". (c'est le nom que porte son premier roman) qui seraient des sensations en partie biologiques situées au niveau du subconscient dont ce passage tiré du Planétarium serait à même de rendre compte:

*"Le corps ne se trompe jamais: avant la conscience il enregistre, il amplifie, il rassemble et révèle au dehors avec une implacable brutalité des multitudes d'impressions infimes, insaisissables, éparses[...]"<sup>(4)</sup>.*

Dans L'Usage de la Parole<sup>(5)</sup>, recueil de nouvelles que l'auteur se plaît à appeler "dramas" ou "jeux"<sup>(6)</sup>, et dont chacune raconte l'histoire d'une conversation

---

(1) M.Tournier, Roi des Aulnes, Paris, Gallimard, "folio", p.33.

(2) D. Maingueneau, Pragmatique Pour le Discours Littéraire, Paris, Bordas, 1990, 1.

(3) L'Ere du Soupçon in Oeuvres complètes de N.Sarraute, Paris, Gallimard, "La Pléiade", 1996, p.1597.

(4) Paris, Gallimard, coll. "folio", 1959, p.63.

(5) Paris, Gallimard, 1980.

(6) pp.103-105 et ali.

entre personnages anonymes, s'annoncent la mort du tropisme et celle du roman. Déjà dans Disent les Imbéciles<sup>(7)</sup> s'esquissait la disparition du tropisme dans sa fusion avec le futile ou le lieu commun de la parole. "Ich Sterbe" ("je meurs" en allemand) est l'intertitre de la première nouvelle de L'Usage de la Parole. On y assiste à la mort du tropisme qui est essentiellement fondé sur l'écart par rapport à la parole, et celle du roman tel que Sarraute l'avait critiqué dans l'Ere du Soupçon, et tel qu'elle le parodiait dans ses œuvres précédentes auxquelles elle tenait à donner le sous-titre générique de "roman".

Dans L'Usage de la Parole, le rapport entre le narrateur et le lecteur n'est que très transparent. Il est vrai qu'au XVIII<sup>ème</sup> siècle avec Diderot dans Le Neveu de Rameau et Rousseau dans Les Confessions, cette communication était explicitée, mais il s'agissait toujours de cas limites ou exceptions.

Dans L'Usage de la Parole, une critique du langage est entreprise aussi bien au niveau de la communication in absentia entre l'auteur (et surtout son délégué intratextuel le narrateur) et son lecteur virtuel, qu'au niveau de l'interaction in praesentia entre personnages. Le rapport narrateur-lecteur passe du niveau paratextuel au niveau textuel: on assiste à une sorte de dénivellement, et un parallèle se dégage entre les deux parcours à travers la parole.

Dans L'Usage de la Parole l'auteur nous place à l'écoute du langage à travers une sorte de double déboîtement puisque la parole c'est l'usage de la langue et Sarraute a ainsi choisi de mettre en scène l'usage de l'usage de la langue. Cette perspective pragmatique relève du dépassement de l'étape structuraliste considérant la langue comme étant uniquement une institution informationnelle.

*"Quand Saussure définissait la "langue" comme une institution, il l'envisageait comme un "trésor" de signes transmis de génération en génération, renvoyant l'activité langagière à la "parole", la pragmatique maintiens l'idée que la langue est une institution, mais elle lui confère un relief nouveau. Cela va de paire avec un déplacement*

---

(7) Paris, Gallimard, coll. "folio", 1976.

*significatif de la notion de "code linguistique". Dans la linguistique structurale, le code était rapporté aux systèmes de la transmission d'informations (encodage/décodage...), alors que pour la pragmatique ce terme renoue avec son acception juridique, l'activité discursive étant supposée régie par une déontologie complexe, suspendue à la question de la légitimité. Dans cette perspective, parler et montrer qu'on a le droit de parler comme on le fait ne sont pas séparables<sup>(8)</sup>.*

De prime abord "Ich Sterbe" souligne l'intérêt porté à la langue en tant qu'idiome par le recours à une langue étrangère. Sarraute soumet à l'analyse certains mots et locutions dont elle jauge l'effet et les implications aussi bien syntagmatiques que paradigmatiques. Cette dimension autonymique s'inscrit dans une tendance de l'écriture à se considérer inlassablement dans une sorte d'autoréférence et de réflexivité. A une échelle plus large et plus générale, la littérature, et plus spécifiquement le roman, en tant que répertoires culturels d'images et de stéréotypes, sont parodiés.

## **I- La Boucle de l'Écriture**

Dans Entre la Vie et la Mort Sarraute décrit le supplice de l'écriture:

*"J'ai parfois la nostalgie de tout abandonner. De travailler de mes mains. L'ouvrier aux pièces, le balayeur de rues, le contrôleur de métro sont moins à plaindre que moi. Jamais un moment de répit. Dès que je me repose, je me tourmente: qu'est-ce que je fais là? Je devrais être à ma table. Et me voilà de nouveau devant ma machine à écrire [...]"<sup>(9)</sup>.*

Dans "Ich Sterbe" au seuil de L'Usage de la Parole nous lisons:

(8) D. Maingueneau, Op.cit., pp.14-15.

(9) Oeuvres Complètes, Op.cit., p.626.

*"Et voilà que ces mots prononcés sur ce lit,  
dans cette chambre d'hôtel, il y a déjà trois quarts  
de siècle, viennent... poussés par quel vent... se  
poser ici, une petite braise qui noircit, brûle la page  
blanche... Ich Sterbe"<sup>(10)</sup>.*

L'expérience de l'écriture est explicitement évoquée et le déictique ici ne fait que le confirmer. Ce que Maingueneau appelle "le bouclage textuel"<sup>(11)</sup> entérine, en l'occurrence, l'implication du lecteur en tant que co-énonciateur dans le processus de la création du sens. Dès les premières lignes il est interpellé: "Vous connaissez son nom: Tchékhov, Anton Tchékhov"<sup>(12)</sup>.

La phrase allemande est parfois mise entre guillemets, c'est-à-dire citée, ce marquage typographique annonçant que ce segment n'est pas seulement référentiel et représentatif. L'auteur le désigne en tant que signe ou plutôt signal: "Ich Sterbe. Un signal"<sup>(13)</sup>. Le dire s'exhibe et se met en scène en tant que tel. C'est ainsi que l'aspect physique de ces mots est évoqué dans cette même nouvelle liminaire "mots nets, étanches"<sup>(14)</sup>, "mots compacts et lourds que n'a jamais parcourus aucune vague de gaieté, de volupté, que n'a jamais fait battre aucun poulx, vaciller aucun souffle"<sup>(15)</sup>.

Sarraute justifie le choix des termes dont elle tente d'examiner l'effet. La méta-énonciation ne figure plus toujours comme il est d'usage, dans des incises, mais elle accède à une priorité et une autonomie syntaxique:

*"J'avais trop compté, quand j'avais évoqué ces  
paroles sur ce pouvoir qu'elles ont, sur cette magie  
qu'elles ne devraient pas manquer, par leur seule  
apparition, d'exercer..."<sup>(16)</sup>.*

La méta-énonciation envisage aussi la dimension paradigmatique de la parole. C'est ainsi qu'"Esthétique" débute avec:

(10) *Op.cit.*, pp.10-11. C'est nous qui soulignons.

(11) *Exercices de Linguistique pour le Texte Littéraire*, Paris, Dumod, 1997, p.89.

(12) p.9.

(13) p.12.

(14) *Ibid.*

(15) p.14.

(16) p.50.

*"Le lieu où cela s'est passé... mais comme "s'est passé" paraît peu convenir à ces moments, les plus effacés qui soient, les plus dénués d'importance[...]. Renonçons donc à "s'est passé"... disons "a été vécu"[...]"<sup>(17)</sup>.*

Il est parfois fait cas de l'insuffisance de la langue à exprimer l'idée ou l'émotion du locuteur. Dans "Ton père. Ta sœur" nous pouvons lire à propos de la mère:

*"Inquiète parfois quand elle ne trouve pas sur le catalogue ce qu'elle cherche...n'osant pas demander aux autres si eux aussi... ils pourraient la regarder d'un air soudain attentif, surpris... ne serait-ce pas classé ailleurs, dans un tout autre registre, sous la rubrique Déviations. Anomalies?"<sup>(18)</sup>.*

Cet écart entre le mot et l'idée qui justement n'a pas de signe approprié risque de faire sombrer la parole dans le non-sens.

*"Mais tandis que sans interruption les paroles se succèdent revient cette impression qu'une idée doit être là... tel le furet, d'une phrase d'une parole à l'autre elle court... on croit la voir, c'est ici qu'elle doit être, dans cette parole qui passe et repasse plus souvent que les autres... on s'efforce, on l'attrape, on la retient, on l'examine... Mais bien sûr son sens n'est pas, ne pouvait pas être celui qu'au premier abord on lui voyait. Elle en a un autre, le voici, c'est lui, c'est ce sens-là... il suffit de le lui injecter et, remplie à nouveau, ranimée et remise dans le circuit, elle va pouvoir se rattacher aux autres, s'unir à elles, elles vont mutuellement se*

---

(17) p.87.

(18) p.56.

*renforcer et à travers elles enfin le raisonnement,  
l'idée... mais au contact des autres, comme si leurs  
sens étaient incompatibles, se détruisaient, elle se  
creuse, s'aplatit... et les autres auprès d'elle comme  
elle s'affaissent, vides de tout sens"<sup>(19)</sup>.*

Le sens des mots relève donc conjointement de leur signification intrinsèque, du sens que nous lui donnons en tant qu'usagers de la langue ("il suffit de le lui injecter"), ayant chacun sa propre expérience des mots et des choses (les mots "s'imbibent lentement de notre plus obscure substance"<sup>(20)</sup>), et de son rapport combinatoire avec d'autres mots sur les plans paradigmatique et syntagmatique. Pourtant la vacance de la parole risquant de sombrer dans le non-sens quand elle en confronte d'autres, serait probablement celle de la parole de l'écrivain, en l'occurrence celle de sa propre écriture de la présente œuvre, cherchant à demeurer ouverture et processus d'écriture toujours en alerte de peur de devenir "une forme qui prend, immobilise, non seulement le sujet qui en est la victime, mais le monde autour de lui"<sup>(21)</sup>.

Dans son œuvre autobiographique, Sarraute souligne son expérience des mots:

*"[...]Combien de fois depuis ne me suis-je pas  
évadée terrifiée hors des mots qui s'abattaient sur vous  
et vous enferment"<sup>(22)</sup>.*

Dans un sens ascendant, la boucle autoréférentielle tracée par l'écriture dans L'Usage de la Parole couvre aussi bien le mot, que la création scripturale de l'œuvre et l'appartenance à l'archi-système littéraire. En tant que corpus de clichés, la littérature est parodiée dans Portait d'un Inconnu notamment. Les Fruits d'Or serait "la parodie des études de réception et des discours entourant (le livre)"<sup>(23)</sup>. Dans ce

(19) p.151.

(20) p.148.

(21) F. Asso, Nathalie Sarraute, une Écriture de l'Effraction, Paris, P.U.F., 1995, p.11.

(22) Enfance, Paris, Gallimard, 1983, p.122.

(23) Martine Léonard, "Le Tropicisme de A à Z", in Autour de Nathalie Sarraute, Actes du Colloque de Cerisy La Salle de juillet 1989, Annales Littéraires de Besançon n°580, 1995, p.139.

roman très particulier nous avons affaire à un paratexte (titre et épitexte)<sup>(24)</sup> sans texte effectif puisqu'il s'agit d'un roman ayant juste un titre et faisant l'objet de discussions et de conversations sans vraiment être présenté. L'ironie sarrautienne a même touché le paramètre de la littérature. Nous pouvons lire dans L'Usage de la Parole

*"[...]Toute une nébuleuse derrière ce personnage calqué sur une page illustrée d'un roman du siècle dernier"<sup>(25)</sup>.*

Quelques lignes plus loin:

*"Comment peut-il le savoir, celui qui subitement comme elle se sent "vu"? Comment peut-il faire sur lui-même le découpage, donner lui-même une forme à cet infini, ce tout, ce plein, ce vide, ce rien... à soi seul un monde... le monde entier... où vient de s'insérer, repoussant tout le reste, occupant tout l'espace cette image de vieille demoiselle sortant d'un vieux roman?"<sup>(26)</sup>.*

Cela ferait écho à certains passages de Tropismes où nous pouvons lire:

*"Ils étaient laids, ils étaient plats, communs, sans personnalité, ils dataient vraiment trop des clichés, pensait-elle, qu'elle avait vus déjà tant de fois décrits partout, dans Balzac, Maupassant, dans M<sup>me</sup> Bovary, des clichés, des coples, la copie d'une cople, pensait-elle"<sup>(27)</sup>.*

En réalisant l'autoréférence de l'écriture à elle-même et en faisant renverser l'énonciation dans l'énoncé, Sarraute parvient, de ce fait-même, à brouiller "les niveaux fictionnels"<sup>(28)</sup>. Ce phénomène se poursuit tout au long des nouvelles ou

---

(24) Nous adoptons la terminologie de G.Genette dans Seuils, Paris, Seuil, 1987.

(25) p.90.

(26) p.91.

(27) Paris, Ed. de Minuit, 1957, p.133.

(28) D. Maingueneau, Exercices De Linguistique Pour Le Texte Littéraire, Op.cit., p.176.

brèves aventures de la parole qui forment L'Usage de la Parole. Il s'agit dans ce recueil soit d'examiner le mode d'emploi d'un bref énoncé (par exemple le ou les cas où "mon petit" serait une offense), soit d'étudier les effets qu'un mot est à même de produire et d'envisager ses possibilités de combinaison avec d'autres termes, c'est-à-dire ce que la linguistique appelle sa valeur distributionnelle (c'est par exemple le cas du mot "Amour").

Chez Sarraute l'anecdote est marginale car le cours des événements – si on peut parler d'événements le cas échéant – est sans cesse interrompu pour examiner un mot de l'énoncé dans un retour sur soi de l'énonciation. On pourrait même dire sans exagération que les bribes d'épisodes n'existent qu'en tant que support à la persistante préoccupation autoréférentielle et méta-énonciative.

L'écriture de Sarraute est une tension entre "la sensation informulée et la parole inédite"<sup>(29)</sup>. Selon elle "le langage doit survivre malgré la sensation qui passe à travers lui et qui le déforme, comme la sensation doit survivre malgré le langage qui la rend extérieure, belle, etc. Toute la littérature est là"<sup>(30)</sup>. Cela explique pourquoi les "dramas" de L'Usage, dramas précaires, sont faits de sensations inédites jamais nommées malgré leur acuité et incoerciblement et vaguement évoquées par le biais d'allusions indirectes. "Sans cesse de nouvelles paroles arrivent et aussitôt s'étiolent..."<sup>(31)</sup> peut-on lire dans "Je ne comprends pas".

Dans certains de ces dramas une courbe se trace partant du bref énoncé en question, s'élevant au point culminant avec les effets qu'il est en mesure de produire, pour redescendre ensuite dans une sorte de banalisation et d'aplatissement où tout dégringole. C'est ainsi qu'à la fin de "Ton père. Ta sœur" nous lisons:

" Ton père. Ta sœur"... Non? Rien ne bouge?  
La paroi est toute lisse, immobile. "Ton père. Ta

(29) R. Boué, Nathalie Sarraute. La Sensation en Quête de Parole, Paris, d'Harmattan, 1997, p.10.

(30) Nathalie Sarraute Qui Êtes-vous?, entretiens avec S. Benmussa, Lyon, éd. La Manufacture, 1987, p.129.

(31) p.151.



*sœur"?... Vous devez avoir raison... il n'y a rien,  
rien qui puisse bouger, s'ouvrir, pas de paroi*<sup>(32)</sup>.

Vers la fin de "Et pourquoi pas?" nous lisons:

*"Mais il n'y a ici, c'est évident, aucune foi,  
mauvaise ou bonne, aucune foi d'aucune sorte.*

*Rien que le bon plaisir, rien que le désir  
de s'amuser, de satisfaire une fantaisie quelconque,  
un caprice du moment*<sup>(33)</sup>.

L'auteur entreprend un processus d'écriture où elle tente de tester le langage comme pour mieux s'immuniser contre ses effets et les déjouer. Ce processus consiste à "échapper à l'innommé sans rencontrer l'innommable"<sup>(34)</sup>. Ce porte-à-faux du langage que Sarraute s'applique en vain à contourner s'annonce de prime abord vers la fin de "Ich Sterbe" dans ce monologue en quelque sorte performatif:

*"Je rassemble toutes mes forces, je me soulève,  
je me dresse, je tire à moi, j'abaisse sur moi la  
dalle, la lourde pierre tombale*<sup>(35)</sup>.

Il s'agirait métaphoriquement de la mort de la langue en tant que structures rigides de signification, au profit de la souplesse de l'usage et de l'énonciation où l'implicite a droit de cité. D'une part, l'implicite mitige la responsabilité du locuteur qui peut toujours se défendre derrière le sens littéral. D'autre part, l'implicite est un espace de connivence entre l'énonciateur et le co-énonciateur, et cette complicité est sa condition sine qua non aux dépens de la signification explicite. Il régit aussi bien le rapport entre l'auteur et le lecteur que celui entre les personnages.

Les mêmes mots peuvent être inoffensifs, "lisses"<sup>(36)</sup>, pour reprendre le terme sarrautien, dans leur état de latence et de disponibilité dont la seule valeur est significative, et durs "comme les dents du panier" qui permettent à la clef de

---

(32) p.63.

(33) p.44.

(34) M.Léonard, *op.cit.*, p.128.

(35) p.15.

(36) pp.14-63 et alii.

tourner"<sup>(37)</sup> quand ils sont reçus et que leur contrepoint implicite est saisi, "ce que [ces] paroles déclenchent"<sup>(38)</sup>. Cette image des mots assimilés à des dents s'inscrit dans une archi-image de dénivelée et de fendillement, à propos des éventuels effets de la parole:

*"C'est là vous le voyez sur le mur cette fissure,  
cette craquelure"<sup>(39)</sup>.*

Et quelques pages plus loin:

*"Il était là, tel qu'il est maintenant, observant à distance, voyant venir... très vite mis sur ses gardes, alerté par ce ton où tremblait l'espérance, où vibrait la solidarité, où se répercutaient, se prolongeaient "les ondes pareilles aux rayons de la lune" qui devant les murs écaillés et les fissures font s'agiter comiquement, grotesquement s'accroupir, se mettre à quatre pattes, courir appeler du secours pour colmater, pour recouvrir..."<sup>(40)</sup>.*

N.Sarraute se met à l'écoute de l'implicite et du suggestif relevant de l'usage (actualisation du mot dans une situation de communication déterminée). Elle secoue et dépêtre par là la quiétude des mots du dictionnaire retirés de leur plénitude signifiante pour les mettre en scène, c'est-à-dire pour les engager dans une parole.

*"Comment ne pas s'émerveiller devant un pareil exploit? Quelle science, quelle diabolique habileté, quelle puissance de réflexion, quelle rapidité de décision, de choix, ne faudrait-il pas posséder pour pouvoir ainsi obtenir des paroles tout ce dont elles sont capables?"<sup>(41)</sup>.*

---

(37) p.51.

(38) p.119.

(39) Ibid.

(40) p.120.

(41) p.121.

Si souvent chez Sarraute les mots sont en mesure de dire plus (que leur sens littéral), ils sont parfois taxés d'aridité lorsqu'ils sont insuffisants à rendre compte de certaines sensations ineffables. Dans *Enfance* nous pouvons lire: "C'était ressenti, comme toujours, hors des mots"<sup>(42)</sup>. Dans "Ich Sterbe" elle écrit dans le même sens:

*"Ça ne ressemble à rien, ça ne rappelle rien de jamais raconté par personne, de jamais imaginé... C'est ça sûrement dont on dit qu'il n'y a pas de mots pour le dire"<sup>(43)</sup>.*

Désarmé de la sorte, le narrateur sollicite la compréhension et l'intuition du lecteur<sup>(44)</sup>. Il est parfois pris à témoin comme dans cet exemple:

*"Y a t-il ici quelqu'un qui veuille bien lui expliquer que "Ne m'en parlez pas"... Mais est-il possible qu'il ignore que "Ne m'en parlez pas", c'est le contraire de "Ne me parlez pas de ça", que cela marque un acquiescement, un accord, une parfaite entente"<sup>(45)</sup>.*

D'une part "ici" peut tour à tour renvoyer à la situation cotextuelle, à la situation contextuelle paramétrique de l'écriture et à celle de l'interaction auteur-lecteur. D'autre part ce déictique spatial "ici" convie le lecteur à contribuer à la désambiguïsation du double phénomène sémantique des synonymes et locutions évoqué ci-dessus. La problématique de l'"usage" et sa valeur sémantique sont signalées, de même que le phénomène de la détermination sémantique de certaines structures syntaxiques.

*"La sémiotique (entendue au sens de Benveniste, comme une étude des systèmes de signes)*

(42) *Op.cit.*, p.18.

(43) p.11.

(44) Cf. *Infra.*, p.18 et sq.

(45) p.133.

*ne peut pas se constituer sans inclure une sémantique  
(étude des emplois de signes) " (46)*

Par "emploi" on entend à la fois l'usage déterminé par la situation de l'énonciation et la combinaison linéaire et syntagmatique de chaque signe dans la chaîne parlée. Souvent il est fait mention dans L'Usage de l'axe syntagmatique évoqué dans l'exemple suivant de même que du phénomène de la prévisibilité des signes dans la théorie de l'information:

*"[...] qu'on les laisse pénétrer et il est sûr  
qu'ils en amèneront d'autres... Celui-ci:  
"naissance"... à sa suite a amené.. trop tard pour  
l'empêcher d'entrer, le voici [...] "la naissance de  
l'amour" " (47).*

Une quarantaine de pages plus loin:

*"[...] Voici des mots qui pourraient aider à  
l'amener, des mots qui vont pouvoir le prendre en  
remorque: "Oh, vous savez..." ou bien: "Oh,  
écoutez..." il suffit de leur attacher "mon petit", ils  
arriveront à le tirer derrière eux [...]" (48)*

Ducrot précise que dans son évolution, la sémantique dite paradigmatique, c'est-à-dire intéressée surtout à étudier les "signes minimaux appelés "monèmes" ou "morphèmes" " (49) et à les classer dans des "champs", s'est ensuite orientée vers "une conception syntagmatique de la description sémantique des langues" (50), où le sémantisme d'un mot n'est effectivement saisissable qu'à la lumière de sa place dans un énoncé, en grande partie des rapports qu'il entretient avec l'ensemble de cet énoncé. C'est ce que Sarraute précise dans le drame intitulé "Ton père. Ta sœur". Pris seuls, ces mots sont inoffensifs et même banals. Ils ne prennent un sens de

(46) O. Ducrot, Le Dire et Le Dit, Paris, Ed. De Minuit, 1984, p. 71.

(47) pp. 70-71.

(48) p. 109.

(49) Op. cit., p. 47.

(50) Ibid., p. 48.

rigueur et d'aridité affective que combinés à l'ensemble de la parole: "Si tu continues, Armand, ton père va préférer ta sœur"<sup>(51)</sup>.

De même, les brefs énoncés servant d'interstitres aux nouvelles ou "dramas" de L'Usage fonctionnent en tant que phrases fortuites, modèles, notions abstraites et disponibles existant à l'état latent comme des articles de dictionnaire. Cependant à l'intérieur des "dramas", ces mêmes énoncés opèrent autrement: ils relèvent d'énonciations plus ou moins bien situées dans des environnements socio-psychologiques précis. A ce propos Ducrot souligne:

*"Par un choix terminologique arbitraire j'appelle "signification" une valeur sémantique attachée à la phrase, et "sens" celle de l'énoncé, c'est-à-dire l'ensemble des actes de langage (en entendant par là les actes illocutoires) que le locuteur prétend accomplir au moyen de son énonciation"*<sup>(52)</sup>.

Selon Ducrot, c'est "la situation de discours"<sup>(53)</sup> qui confère à la phrase et sa signification leur argument et leur sens. Nous sommes là au niveau de la rhétorique dont Barthes a longtemps déploré la négligence:

*"La Rhétorique, effort imposant de toute une culture pour analyser et classer les formes de la parole, rendre intelligible le monde du langage"*<sup>(54)</sup>.

N. Sarraute a bien souligné l'importance de ce que Ducrot appelle "la situation de discours" qui détermine essentiellement la valeur de termes comme "dingue" (pp.113-124) et "esthétique" (pp.85-100), produisant par leur niveau de langue respectif une surprise dans la situation de communication où ils figurent, et amplifiant de ce fait l'information ainsi apportée.

---

(51) p.62.

(52) Op.cit., p.95.

(53) Ibid.

(54) Le Bruissement de la Langue, Paris, Eds du Seuil, 1984, p.16.

La langue en tant que compétence linguistique. "réserves"<sup>(55)</sup> de signes de schèmes et de modèles est également évoquée dans L'Usage. C'est "un vrai trésor"<sup>(56)</sup>. Dans l'interaction dialogale et conversationnelle<sup>(57)</sup>, les interlocuteurs disposent de la même compétence, donc de la même arme<sup>(58)</sup>.

*"[...] il voit en face de lui son semblable, doté d'un même cerveau, capable de se servir d'un même langage"<sup>(59)</sup>.*

Nous pouvons lire aussi:

*"Et aussi, je m'en voudrais de ne pas partager avec vous deux autres mots précieux: "Pourquoi pas?", deux mots, ou plutôt trois: "Et pourquoi pas?" [...] pourquoi? C'est vous maintenant qui reprenez ce mot... mais pas pour en faire le même usage [...]"<sup>(60)</sup>*

La théorie chomskyenne de compétence et de performance trouverait ici des échos. Le rapport entre l'"usage" ci-dessus mentionné et la notion de performance n'est qu'évident. De même l'idée d'idiolecte est en corrélation avec le concept de compétence:

*"quel drôle de mot, ce "mon petit"... il est un de ceux qui ne font pas partie de son vocabulaire, il ne s'en est encore jamais servi, il ne connaît pas son mode d'emploi, il faut pour bien le manier de l'expérience, de l'habileté..."<sup>(61)</sup>.*

(55) p.40.

(56) Ibid.

(57) Cf. Infra p.32 (la différence entre dialogue et conversation)

(58) Cf. Infra pp.15-16.

(59) p.43.

(60) pp. 40-41

(61) p.109.

Le processus de sélection, relevant de la théorie chomskyenne en question, s'avère être interlinguistique, pour ainsi dire, dans "Ich Sterbe" où nous pouvons lire:

*"Mais voilà que tout près, à sa portée, prêt à servir...avec cette trousse, ces instruments... Voilà un mot de bonne fabrication allemande, un mot dont ce médecin allemand se sert couramment pour constater un décès, pour l'annoncer aux parents, un verbe solide et fort: Sterben... merci, je le prends, je saurai moi aussi le conjuguer correctement, je saurai m'en servir comme il faut et sagement l'appliquer à moi-même: Ich Sterbe"*<sup>(62)</sup>.

Soulignons l'insistance ci-dessus sur l'image concrète d'instrument de médecin qu'il s'agit de savoir manipuler et à l'aide duquel il faut "opérer"<sup>(63)</sup>. "Ne suis-je pas médecin aussi?"<sup>(64)</sup> se dit Tchekhov. Cette opération, cette "mise en mots"<sup>(65)</sup> est un processus mental complexe de sélection profonde de transformations", à l'aide desquelles cette idée cherche un mot "Sterben", verbe qu'il doit ensuite "conjuguer correctement" et lui donner sa configuration syntaxique, morphologique et phonique adéquate et finale "Ich Sterbe" et d'accéder ainsi à ce que Chomsky appelle "la structure de surface"<sup>(66)</sup>.

Cette performance, ou passage des structures profondes aux structures de surface, est explicitée dans cette nouvelle singulière grâce à l'utilisation de verbes devenus, le cas échéant, des performatifs.<sup>(67)</sup> "Ich Sterbe" (je meurs) devient un verbe performatif dans la mesure où avant la fin de la nouvelle, Tchekhov dit qu'il descend

---

(62) p.11.

(63) *Ibid.*

(64) *Ibid.*

(65) *Ibid.*

(66) *Questions de Sémantique*, tr. de l'ang. Par B. Cerqughini, Paris, Seuil, coll. "l'ordre philosophique", 1975.

(67) Voici la définition que donne à ce terme celui qui l'a forgé, à savoir Y.L. Austin: "Ce nom dérive, bien sûr, du verbe [anglais] perform, verbe qu'on emploie d'ordinaire avec le substantif "action": il indique que produire l'énonciation est exécuter une action". *Quand Dire C'est Faire*, trad. de l'ang. par G.Lane, Paris, Seuil, coll. "l'ordre philosophique", 1970, pp.41-42.

dans la tombe et qu'il s'assure de sa fermeture<sup>(68)</sup>. Egalement, ce que Sarraute appelle "la mise en mots" est désignée par des verbes ici performatifs: "je le prends, [...] l'appliquer à moi-même". Vu l'excentricité et le paradoxe de cette parole doublement performative (la mort et la prise de parole), le texte précise que "l'indicible sera dit"<sup>(69)</sup>. Il le sera en effet tout au long de L'Usage. Une écriture impossible s'y poursuit voulant rendre compte de sensations si éphémères et indéfinies, parfois même incertaines ou fondées sur des malentendus. C'est le cas par exemple dans "Mon petit" de la possibilité de se tromper du tout au tout sur l'intention du personnage l'ayant proféré; il ne serait pas en mesure de choisir le bon moment et la bonne situation, n'étant pas habitué à l'utiliser. Mais rien n'est jamais certain et ce ne sont là que de vagues conjectures.

## II- Les échelles de la communication

Dans sa préface aux Œuvres complètes de Sarraute, J.Y. Tadié précise que "pour attaquer les romanciers conventionnels, N. Sarraute parodie ce qui est leur point faible avant d'être son point fort, les dialogues"<sup>(70)</sup>.

Le "dialogue" est un terme qui a acquis, dans la critique et la philosophie modernes du langage, des dimensions et des acceptions nouvelles. Dans la pensée de Bakhtine, "le mot est, pour ainsi dire, utilisable comme signe intérieur; il peut fonctionner comme signe sans expression externe"<sup>(71)</sup>. Cette portée dialogique du mot en tant que médium cognitif présuppose un dédoublement de l'être au niveau de la conscience de soi. Le mot est donc un espace dialogique aussi bien au niveau intérieur intellectuel qu'au niveau extérieur social.

Ce que Sarraute appelle "sous-conversation" s'inscrirait dans le cadre de ce que Bakhtine appelle "discours intérieur"<sup>(72)</sup>. Lorsque la romancière utilise les guillemets pour utiliser, en les citant, des expressions toutes faites dont elle souligne

---

(68) p.15.

(69) p.11.

(70) Op.cit., p.14.

(71) M.Bakhtine, Le Marxisme et la Philosophie du Langage, tr. du russe par M.Yaguello, Paris, Eds de Minuit, coll. "Le Sens Commun", 1977, p.32.

(72) Ibid., p.33



l'aspect stéréotypique et préfabriqué, elle explicite le dialogue interne dans la conscience du locuteur (usager de la langue) avec les réserves des paroles (phrases, locutions) devenues par la force de l'usage répété des clichés. Nous lisons ainsi:

*"Chaque parole est de celles qui "disent bien ce qu'elles veulent dire": elles ramènent fidèlement ce qu'elles sont allées recueillir et le présentent revêtu de leur forme, de l'uniforme, de la tenue que la coutume exige que cela porte dans toutes les franchises, confiantes, amicales conversations"<sup>(73)</sup>.*

Si "le mot est une sorte de point jeté entre moi et les autres"<sup>(74)</sup>, L'Usage de la Parole évoque certaines paroles formées, brèves et fréquentes pouvant figurer dans une infinité de conversations quotidiennes contingentes. Sarraute explore ainsi ce que Bakhtine appelle "l'idéologie du quotidien"<sup>(75)</sup>.

*"La psychologie du corps social, c'est justement d'abord le milieu ambiant des actes de parole de toutes sortes, et c'est dans ce milieu que baignent toutes les formes et aspects de la création idéologique ininterrompue: les conversations de couloirs, les échanges d'opinions au théâtre ou au concert dans les différents rassemblements sociaux[...]"<sup>(76)</sup>.*

Si on a pu dire que le dialogue est "le point fort"<sup>(77)</sup> de Sarraute, c'est sans doute le dialogue dans ces différents niveaux et aspects:

*"[...] Ainsi, si l'on veut comprendre en une formule ce qui constitue le sujet des romans de N. Sarraute, pourra-t-on dire qu'il s'agit toujours de représenter l'épreuve du dialogue, ce que les textes,*

---

(73) p.21.

(74) M.Bakhtine, Op.cit., p.124.

(75) Ibid., p.32.

(76) Ibid., p.38.

(77) Cf. Supra note (70).

*dans leur matérialité, actualisent dans l'usage d'une parole essentiellement "colloquiale", qui est aussi bien celle qu'échangent, dans la fiction, les différents personnages (paroles prononcées ou sous-conversations) que celle qui agit chaque sujet (parole de l'autre, mais aussi bien parole de l'autre en moi) ou que celle qui, de l'auteur au lecteur, l'invite à entrer dans son jeu<sup>(78)</sup>.*

De prime abord dans L'Usage de la Parole le parcours de la communication lectorale est esquissé dans l'incipit (premiers mots): "Ich Sterbe. Qu'est-ce que c'est? Ce sont des mots allemands [...]"<sup>(79)</sup>. Le lecteur est sans cesse interpellé et impliqué dans une sorte de dialogue où ses réactions sont imaginées, devinées et anticipées. Le "nous" réunissant le "je" du narrateur (délégué intratextuel de l'écrivain) et le "tu" du lecteur figure dès la première page ("Mais ne nous hâtons pas").

Il est à noter pourtant que les embrayeurs "je", "tu" et "nous" désignent chacun des personnes différentes tout au long de L'Usage. Seul le bon sens du lecteur est à même de les identifier, dans ce magma de la parole où les marques typographiques et les modus déclaratifs, servant tous les deux à indiquer les changements du palier énonciatif, ont tendance à disparaître complètement. "Je" peut aussi bien renvoyer au narrateur qu'à un personnage. Citons à seul titre d'exemple le cas du "je" dans "Ich Sterbe" désignant successivement la première personne grammaticale abstraite dans "ils signifient je meurs" (p.9), Tchekhov (le personnage) dans "je pars crever là-bas" (p.10) et l'épouse dans "bon, bon, oui, je t'entends..." (p.13). D'autre part "nous" désigne dans la même nouvelle les deux personnages (le couple Tchekhov) dans "nous savons, nous avons toujours vu" (p.13) et le couple narrateur-lecteur dans "Ne nous hâtons pas".

*"[...] Dans le procès de communication, le trajet du je n'est pas homogène: lorsque je libère le signe je, je me réfère à moi-même en tant que je*

(78) F. Asso, Op.cit., p.55.

(79) p.9.

*parle, et il s'agit alors d'un acte toujours nouveau, même s'il est répété, donc le "sens" est toujours inédit; mais en arrivant à destination, ce je est reçu par moi interlocuteur comme un signe stable issu d'un code plein, donc les consenus sont récurrents. En d'autres termes; le je de celui qui écrit je n'est pas le même que le je qui est lu par tu<sup>(80)</sup>.*

Dans la confusion de la communication verbale des personnages dans la grande communication auteur-lecteur entérinée par l'effacement, dans L'Usage, des frontières entre histoire et discours (pour reprendre les termes de Benveniste), le dialogue est omniprésent. Dans ce mixage, le discours (parole assumée par un locuteur explicite ou implicite) l'emporte puisqu'à l'origine de toute parole il y a le travail d'un locuteur, et puisque "la langue s'accomplit elle-même dans la mesure seulement ou elle fournit un lieu de rencontre aux individus"<sup>(81)</sup>.

Dans cette prédominance du dialogue dans son sens le plus large, et cette confusion entre histoire et discours, s'opère la fusion du tout dans un temps verbal présent à valeur achronique et mitigée uniformisant toutes les paroles dans l'œuvre étudiée.

Dans ce dialogue simulé entre un personnage et lui-même<sup>(82)</sup> en train de méditer, et le dialogue dans la question-réponse, formulées toutes les deux par le narrateur ("un débit précipité? Non, leur cours paraît assez paisible."(p.21)), l'énonciateur est aussi valideur et co-énonciateur-relais puisque le destinataire effectif à qui est adressée cette "question didactique"<sup>(83)</sup> c'est le destinataire final, à savoir le lecteur. C'est le cas des prolepses rhétoriques où l'auteur devine et anticipe les probables réactions de désaccord ou d'incompréhension de la part du lecteur, et tente d'y répondre en se justifiant. Les exemples pullulent tout au long de l'œuvre. Rappelons-en quelques uns:

(80) R.Barthes, Op.cit., p.27.

(81) O.Ducrot, Dire et ne pas Dire, Paris, Hermann, coll. "savoir: science", 1991, p.1.

(82) Cf. L'exemple de la mère dans "Ton père. Ta soeur", Supra note (18)

(83) D. Maingueneau, Exercices de Linguistiques pour le Texte Littéraire, Op.cit., p.86.

*-"Et aussitôt le flot de paroles jaillit De la bouche duquel? Mais de celui-ci qui bondissait[...]""<sup>(84)</sup>.*

*-"Alors pourquoi porter à cet échange tant d'attention? Qu'y-a-t-il à chercher dans ces signes d'une lecture si simples? Chaque parole est de celles qui [...] Alors pourquoi? Eh bien parce qu'il y a quelque chose[...]""<sup>(85)</sup>*

*-"Ah qui raconte? Qui raconte quoi? Attendez ne me bousculez pas""<sup>(86)</sup>.*

Dans ces prolepses, comme dans le simulacre du dialogue avec les autres que la mère imagine dans "Ton père. Ta sœur" et dans l'exemple de "la question didactique" il s'agit toujours d'un échange où seul est effectivement présent un partenaire: le personnage dans le deuxième exemple et l'auteur dans les deux autres. Cet échange existe donc in absentia. Même à l'intérieur des nouvelles ou "dramas", pour reprendre le terme de Sarraute, nous avons souvent affaire comme dans "Esthétique" à une conversation où l'interlocuteur ne prend effectivement jamais la parole ("On s'aperçoit qu'un seul parlait et que l'autre ne faisait qu'écouter" (147)). Le texte nous fait part de la façon dont il reçoit en général les propos de la partie parlante, ses réactions psychiques internes et ce qu'il (l'interlocuteur) aurait aimé dire, souvent en signe de protestation. C'est le cas par exemple dans "Mon petit" et "Ne me parlez pas de ça". Nous lisons dans le premier à propos de celui à qui le partenaire de la conversation dit "Mon petit":

*"La réponse qui aussitôt se présente est que vraisemblablement il fait semblant de n'avoir rien senti et que la conversation sans le moindre cahot se poursuit[...] personne raisonnablement ne peut*

---

(84) p.20.

(85) p.21.

(86) p.116.

*penser que celui en qui le mot "mon petit" s'est  
déposé n'a rien senti...<sup>(87)</sup>.*

Dans "Et pourquoi pas?" le narrateur qui s'abstient de rapporter dans L'Usage l'ensemble des conversations à la lettre, justifie ainsi cette omission:

*"Mais quelles sont ces paroles qu'il envoie?  
Qu'il reçoit? Vous voudriez le savoir. Mais je ne  
peux pas vous les citer, pour la bonne raison que je  
ne les connais pas... et croyez-moi, c'est mieux ainsi,  
car si je vous les citais vous ne manquerez pas de  
vous attacher aussitôt!..."<sup>(88)</sup>.*

L'interdit qui pèse sur la parole du personnage est d'ordre éthico-social: on préfère passer outre "cette agression" qui s'est déclenchée "à la faveur de l'état de paix"<sup>(89)</sup>. Celui qui empêche le narrateur de reproduire à la lettre les dires de ses personnages est d'ordre ludique. Ne s'agit-il pas d'un "jeu" où le lecteur est invité? Lorsque Sarraute dit: "Pour moi, la poésie dans une œuvre, c'est ce qui fait apparaître l'invisible"<sup>(90)</sup>, on devrait comprendre que le lecteur avec le narrateur feront ressortir cette "poésie".

Dans le jeu il y a le plaisir, mais il y a aussi la rivalité. Selon N.Sarraute il y aurait une polémique même dans la conversation la plus banale. "Mon petit" dissèque et analyse tous les mouvements et les remous de l'esprit de l'interlocuteur qui se le partagent dans un empressement inouï puisque "des alternatives se sont proposées, des impulsions ont dû être maîtrisées, des réflexes naturels réprimés... Tout cela en moins d'un éclair..."<sup>(91)</sup>. Cette interaction<sup>(92)</sup> est importante mais

(87) p.105.

(88) p.37.

(89) p.107.

(90) N.Sarraute, "La Littérature Aujourd'hui", in Tel Quel n°9, printemps 1962, p.53.

(91) p.107.

(92) La théorie des interactions verbales consiste "à considérer que le sens d'un énoncé est le produit d'un "travail collaboratif", qu'il est construit en commun par les différentes parties en présence - l'interaction pouvant alors être définie comme le lieu d'une activité collective de production du sens, activité qui implique la mise en œuvre de négociations explicites ou implicites qui peuvent aboutir, ou échouer (c'est le malentendu)". C.Kerbrat Orecchioni, Les Interactions Verbales, T.I, Paris, Armand Colin, 1995, p.29.

incomplète car l'interlocuteur n'a pas marqué le coup et s'est laissé emprisonner dans les mots de l'autre dont le sous-entendu<sup>(93)</sup> est la supériorité du locuteur, alors que la nouvelle précise que les partenaires de cette conversation sont égaux<sup>(94)</sup>

L'appellatif hypocoristique "mon petit" a non seulement une valeur illocutoire, mais bien plus, en essayant de changer l'ordre hiérarchique et social et de distordre ce qu'Orecchioni a appelé, comme d'autres d'ailleurs, les "places"<sup>(95)</sup>, il a une valeur perlocutoire. Selon Ducrot "ennuyer, désespérer, humilier sont toujours (dans notre collectivité linguistique au moins) des comportements perlocutoires"<sup>(96)</sup>. L'interaction reste in absentia car "les activités régulatrices"<sup>(97)</sup> restent à l'état latent puisqu'aucune réplique ou objection n'est faite.

*"Aussitôt ici l'alerte est donnée... inutile de sonner le branle-bas de combat, il suffit de recourir à un certain dispositif de défense très efficace en pareil cas... il est tout prêt, "Ne me dites pas mon petit" est là, des mots fusées qui vont éclairer brusquement l'intrus, le mettre en fuite, lui servir d'avertissement [...] Mais qu'attend-il? Que lui est-il arrivé? Il ne peut pas bouger, il est comme ligoté... C'est, qui de nous ne l'a éprouvé... c'est qu'il est pris dans le fil de la conversation ou plutôt que ce fil autour de lui s'enroule, le tient enfermé..."*<sup>(98)</sup>

Les surprises dans le cours de la conversation sont désignées dans l'idiolecte sarrautien par des métaphores comme "pustule fatidique"<sup>(99)</sup> ou encore "l'opération,

(93) La différence entre présupposés et sous-entendus est que le premier réside dans le contenu des mots alors que le second est dans la situation. Le sous-entendu n'appartient pas ainsi au sens littéral alors que le présupposé "appartient de plein droit au sens littéral". O.Ducrot, *Le Dire et le Dit*, Op.cit., p.20.

(94) pp.107-108.

(95) Op.cit., pp.29-71 et alii.

(96) *Le Dire et Le Dit*, Op.cit., p.84.

(97) Selon Kerbrat-Orecchioni les régulateurs sont des "signaux d'écoute" donnés par le destinataire. Op.cit., p.18.

(98) pp.107-108.

(99) p.97

la mue<sup>(100)</sup>. C'est le cas du mot "esthétique" produisant une sorte de saillie dans la conversation dans la nouvelle qui porte justement ce nom "Esthétique". Le terme appartient à un niveau de langue différent de celui où se poursuit la conversation en cours.

Dans "Et pourquoi pas?" et "Ne me parlez pas de ça" il s'agit d'un même phénomène d'interaction où l'interlocuteur ne donne pas de réponse portant sur l'énoncé, mais bel et bien une réplique portant sur l'énonciation<sup>(101)</sup>. Dans le premier exemple le locuteur initial reçoit la balle qu'il vient de lancer à son conjoint et se trouve de ce fait obligé à justifier son énonciation. Dans le second cas l'interlocuteur refuse l'énonciation de son partenaire de la conversation. Sarraute évoque ainsi les différentes stratégies de réponse.

*"Voici donc, choisi un peu au hasard, un modèle de réponse. Celui qui la reçoit l'examine, étonné, il la tourne et la retourne... Non vraiment, je ne vois pas... quel rapport... ce n'est pas du tout ça que je disais ... et tout à coup il le reconnaît, mais si grossi, si déformé... Ah ça? Mais c'est un petit détail, ce n'est rien, vous lui donnez trop d'importance, c'est tout à fait sans conséquence..."<sup>(102)</sup>.*

La réponse est une façon de coopérer selon "la loi de coopération" que Ducrot souligne entre autres lois du discours. L'exemple ci-dessus montre que la réponse donnée peut relever d'un malentendu. Nous pouvons lire aussi dans "Et pourquoi pas?" toujours: "l'autre... se ferme et oppose à ce qui lui est présenté ce qui s'appelle "une fin de non-recevoir"<sup>(103)</sup>.

(100) p.95.

(101) C. Kerbrat-Orecchioni a parlé de cette différence entre la réponse et la réplique. Op.cit., p.206.

(102) pp.37-38.

(103) p.39.

Selon Kerbrat-Orecchioni, c'est dans les conversations familières que "l'improvisation est de règle"<sup>(104)</sup> et que des réactions comme celles qui viennent d'être évoquées seraient possibles

*"[...] Le degré de rigidité du "scénario" sous-jacent varie selon la phase de l'interaction, les séquences d'ouverture et de clôture étant plus fortement "ritualisées" que la partie centrale où le champ des possibles s'élargit sensiblement"*<sup>(105)</sup>

Il est incontestable que normalement l'entame d'une conversation se fait d'une façon plutôt conventionnelle et conforme aux normes de la civilité. Chaque locuteur tente de donner de soi une image positive et d'escamoter ses visées de dominer, persuader ou irriter l'autre. Il s'agit là de "la théorie des faces" élaborée par le sociologue américain E. Goffman et évoquée par D. Maingueneau<sup>(106)</sup>

*"Dans la vie en société, chacun cherche à défendre son territoire (appelé face négative) et à valoriser, à faire reconnaître et apprécier par autrui la qualité de sa propre image (face positive)"*<sup>(107)</sup>.

Souvent dans les conversations sarrautiennes, il est fait cas de ce qu'Orecchioni a appelé "régulateurs"<sup>(108)</sup>. La réception exigerait un certain savoir-faire. C'est ainsi que dans "A très bientôt" le texte parle de "cette rare qualité [ . ] de savoir écouter"<sup>(109)</sup>. Si "les régulateurs ont des réalisations diverses"<sup>(110)</sup>, Sarraute ne manque pas de les énumérer:

*"[...] Il envoie à l'autre des signaux que l'autre enregistre, et auxquels à son tour par quelques signes brefs - paroles, hochements de tête, sourires*

(104) *Op.cit.*, p.200.

(105) *Ibid.*, p.201.

(106) *Pragmatique pour le Discours Littéraire*, *Op.cit.*, p.111.

(107) *Ibid.*

(108) Cf. *Supra* note (98)

(109) p.23.

(110) C.Kerbrat-Orecchioni, *Op.cit.*, pp.18-19.



*ou rires - il répond, encourageant la performance...<sup>(111)</sup>.*

Il s'agit donc d'une "performance" où les moyens verbaux et non-verbaux<sup>(112)</sup> sont affûtés. Retenons toutes les connotations sociale, éthique et polémique de ce terme. Les moments d'ouverture de cette "performance" sont parfois évoqués dans L'Usage de la Parole:

*"Chacun de ceux qui maintenant l'un vers l'autre inéluctablement s'avancent est...mais ici aussi tous les mots qui se proposent pour le décrire, on ose à peine les murmurer... des mots comme: "un infini", "une nébuleuse", "un mande"...<sup>(113)</sup>.*

C'est la question de l'être et du paraître qui est ici esquissée. Les mots seraient le lieu du paraître. Voilà pourquoi l'échange verbal est assimilé à un "jeu"<sup>(114)</sup> par Sarraute elle-même.

*"Il est bon joueur et toujours prêt à accepter de se laisser convaincre qu'il se trompe. Il aime "communiquer", il se livre volontiers sans chercher d'abord à savoir à qui il a affaire, et, à la différence des gens de qualité qui dédaignent de se battre contre des roturiers, il engage aisément avec le premier venu ce qui se nomme un combat d'idées"<sup>(115)</sup>.*

Dans ce jeu, se fier complètement aux seules paroles c'est, selon les propres termes de Sarraute, "lâcher la proie pour l'ombre"<sup>(116)</sup>. Dans la communication verbale le sens est une synthèse entre le dit et le non-dit. C'est l'implicite qui, dans "Ich Sterbe", "Esthétique", "Mon petit" et "Ton père. Ta sœur", fonde le sens. Dans

---

(111) pp.20-21.

(112) Cf. *infra* p.26.

(113) p.89.

(114) p.36.

(115) *Ibid.*

(116) p.37.

chacune de ces paroles il y a une fonction référentielle et désignative qu'un synonyme respectif aurait pu remplir dans ces mêmes situations. Pourtant au delà de ce niveau représentatif il y a une valeur de sens assurée par ces mots spécifiques dont la pertinence est évidente.

*"Tout nom (en entendant par là des expressions de formes très diverses, comme Pierre, ce livre, l'étoile du soir) est destiné à désigner un référent, un objet de la réalité distinct de lui. Mais il ne désigne cet objet qu'en en donnant une certaine description. C'est cette description, au moyen de laquelle le nom présente la chose, qui constitue, selon Frege, le "sens" du nom"<sup>(117)</sup>.*

Si "le sous-entendu revendique d'être absent de l'énoncé lui-même et de n'apparaître que lorsqu'un auditeur réfléchit après coup sur cet énoncé"<sup>(118)</sup>, et si le sens (par opposition à la signification) décrit le référent par le seul choix du terme, cela revient à dire que d'une part la réception en tant que co-énonciation est cruciale, et que d'autre part la situation (ou le cadre) où la communication a lieu est elle aussi d'une importance primordiale. C'est ainsi que dans L'Usage de la Parole il est souvent fait mention de signes para-verbaux (débit, timbre de la voix etc.) et de signes non-verbaux (détails proxémiques, gestes, etc). Citons seulement à titre d'exemples:

*- "[...] Et puis dépliant leur serviette, se rejetant un peu en arrière pour mieux se voir..."<sup>(119)</sup>.*

*- "[...] Debout l'un en face de l'autre sur le trottoir, ils se serrent la main languement et avec force, se promettant de bientôt, très bientôt..."<sup>(120)</sup>.*

(117) O. Ducrot, Dire et ne pas Dire, Op.cit., p.27.

(118) O. Ducrot, Le Dire Et Le Dit, Op.cit., p.21.

(119) p.20.

(120) p.22.

- "Sur quel ton? Oui, le ton, c'est bien vrai, a une grande importance. [...] c'est un ton sérieux [...]"<sup>(121)</sup>.

Il est par ailleurs à noter que dans les "dramas" de L'Usage, une seule fois un nom propre est donné à un personnage. Il s'agit du garçon dans "Ton père. Ta sœur" où justement la mère ne prononce que cette phrase comminatoire: "Si tu continues, Armand, ton père va préférer ta sœur"<sup>(122)</sup>. A part cet unique appellatif anthroponymique, on peut détecter un autre appellatif mais hypocoristique cette fois, à savoir "Mon petit". Il est faussement affectueux puisque l'attendrissement ici serait teinté d'une valeur amoindrisante et humiliante.

Cette minorité de "noms d'adresse"<sup>(123)</sup> est en concordance avec l'aspect général et anonyme de ces exemples de conversations familières, fortuites, fréquentes et anodines. On a pu remarquer que le premier mot dans le premier roman de Sarraute fut "ils"<sup>(124)</sup>. Dans L'Usage nous avons affaire à des personnages qui ne sont que des figures ou des modèles contingents à des phénomènes langagiers occurrents. Ils sont essentiellement et uniquement désignés par leur parole:

- "Celui qui parle"<sup>(125)</sup>.

- "On s'apercevait qu'une seule parlait, que l'autre ne faisait qu'écouter"<sup>(126)</sup>.

Dans le dernier drame le texte nous parle de "ceux qui peuvent dire "je ne comprends pas"<sup>(127)</sup> et les démarque de "ceux qui ne peuvent pas"<sup>(127)</sup>. Ces figures sont essentiellement des êtres parlants ou non parlants. La prise de la parole est le seul trait pertinent à même de les classer.

(121) p.35.

(122) p.49.

(123) C.Kerbrat-Orecchioni, Op.cit., p.21.

(124) M.Tison Braun, Nathalie Sarraute ou la Recherche de L'Authenticité, Paris, Gallimard, coll. "Le Chemin", 1971, p.37.

(125) p.35.

(126) p.147.

(127) pp. 147-157.

Le cadre spatial où les "drames" sarrautiens sont situés est celui de lieux publics: café, restaurant, rue, etc...

*"C'était au fond d'un petit café enfoncé, mal éclairé, probablement d'une buvette de gare [...] ce qui d'une brume jaunâtre ressort, c'est de chaque côté de la table deux visages presque effacés et surtout deux voix[...] "*<sup>(128)</sup>.

Nous pouvons lire aussi:

*"Mais où ne peut-on parfois être entraîné, porté par le cours d'une conversation familière, toute banale, à la table d'un restaurant où se retrouvent régulièrement pour déjeuner ensemble deux amis "*<sup>(129)</sup>.

Lorsque le narrateur et le lecteur cherchent ensemble à donner un potentiel de cohérence et de consistance à ces "jeux" ou "drames" où les personnages anonymes ne sont que des figures et des voix, dont les paroles décousues ne sont pas nettement démarquées par rapport à celles du narrateur, ils sont unis par une connivence très particulière car elle est faite d'une alternance de moments d'éloignement et des moments de rapprochement grâce aux efforts du narrateur.

Tout au long de L'Usage, le narrateur ne cesse de multiplier ce qu'Orecchionni appelle "captateurs" ou "phatiques"<sup>(130)</sup> qui sont des moyens verbaux ou non verbaux par lesquels le locuteur s'efforce d'attirer l'attention de son interlocuteur.

Lorsque dans "A très bientôt" l'ami bavard s'empresse à la fin de la conversation de demander à son interlocuteur un autre rendez-vous. ("Prenons rendez-vous tout de suite pourquoi attendre?" (p.22)), le narrateur fait à peu près de même quand il sollicite de retenir l'attention du lecteur qui probablement se moquerait de ses propos ("Mais attendez avant de vous moquer... avant de me

---

(128) p.67.

(129) p.32.

(130) Op.cit., p.18 et alil.

lâcher. "(p.23)). Cette mise en abyme se reproduit également quand il s'agit de remettre en question le choix d'un mot utilisé par la mère dans "Ton père. Ta sœur"<sup>(131)</sup> et quand le narrateur arrête son énoncé, soit pour tester le terme choisi pour lui substituer un autre plus adéquat, soit pour justifier son énonciation<sup>(132)</sup>. Parmi ces incises méta-énonciatives citons à titre d'exemple:

*"On peut constater... c'est une remarque que je fais juste en passant...que rien dans leur aspect n'aurait permis de prédire"<sup>(133)</sup>.*

D'autre part, le narrateur ne cesse d'interpeller explicitement son lecteur. La prolepse de l'incipit<sup>(134)</sup> engage d'emblée une interaction in absentia entre le narrateur et le lecteur éventuel, un lecteur imaginé par l'auteur:

*"Les places sont l'objet de négociations permanentes entre les interactants, et l'on observe fréquemment de la part du dominé institutionnel la mise en œuvre de stratégies de résistance[...]"<sup>(135)</sup>.*

Le personnage et le lecteur sont tous les deux des créations du narrateur. Dans Les Fruits d'Or les personnages ne sont que lecteurs d'un roman absent dont ils ne cessent de parler, dans L'Usage le lecteur virtuel devient personnage dont la parole est prise en charge par le narrateur. Si dans Les Fruits d'Or, "le métatextuel est devenu la matière même du récit"<sup>(136)</sup>, dans L'Usage c'est le métalangage qui est devenu doublement la matière du récit ayant pour unique objet la parole de l'auteur et celle des personnages considérées et éprouvées toutes les deux simultanément. "Ne me parlez pas de ça" s'ouvre sur ce contrat lectoral et ludique à la fois:

*"Il y a un jeu auquel il m'arrive parfois de songer...c'est un de ceux dont on peut affirmer à peu près à coup sûr que nous serions, vous et moi - si*

(131) Cf. Supra., p.5.

(132) Cf. Supra., p.4.

(133) p.130.

(134) Cf. Supra., p.18.

(135) C.Kebrat-Orecchioni, Op.cit., p.73.

(136) J.Gleize, Le Double Miroir, Paris, Hachette, Coll. "Hachette Universitaire", 1992, p.251.

*vous acceptez d'y participer - les premiers et les seuls à y jouer*<sup>(137)</sup>

Le contrat que le narrateur passe ici avec son lecteur consiste à mener une sorte de sondage. Cette dimension contractuelle de l'interaction narrateur-lecteur se manifeste également dans l'exemple ci-dessous:

*"Si vous le voulez bien, puisque vous avez tant de patience, imaginez un autre cas très différent du précédent [...]"*<sup>(138)</sup>.

L'invite est explicite dans cet exemple:

*"Maintenant, si vous avez encore quelques instants à perdre, si tous ces drames ne vous ont pas lassés, permettez-moi de vous convier encore à celui-ci"*<sup>(139)</sup>.

Dans le dernier exemple l'adresse est faite à l'ensemble des lecteurs. Les rapports de force entre narrateur et lecteur sont régis par certaines règles. Quoique le premier soit supérieur par son monopole de la parole, il ne cesse de solliciter, avec beaucoup d'égard et de prévenance le plus souvent, l'attention et la participation du second, sans laquelle l'écriture serait vaine. Le choix même du sujet est négocié avec le lecteur:

*"Faut-il être à court...cela j'ai quelques bonnes raisons de penser que vous le direz... faut-il être à court pour rabâcher ainsi, pour inlassablement ressasser... Mais vous vous trompez, je peux être[...] insupportable"*<sup>(140)</sup>.

Une stratégie de défense est parfois entreprise contre le lecteur qui s'impatiente, s'étonne ou néglige:

---

(137) p.127.

(138) p.139.

(139) p.103.

(140) p.49.

*"Écoutez-les, ces paroles...elles en valent la peine, je vous assure... Je vous les avais déjà signalées, j'avais déjà attiré sur elles votre attention. Mais vous n'aviez pas voulu m'entendre...il n'est pires sourds... Non, pas vous? Vous vous les rappelez?...J pardonnez-moi que j'y revienne"<sup>(141)</sup>.*

Cette polémique entre l'auteur et le lecteur s'esquissait déjà dans L'Ere du Soupçon. Selon J.-Y. Tadié "L'Ere du Soupçon métamorphose la littérature en une partie d'échecs que le romancier joue contre son lecteur"<sup>(142)</sup>. Le rapport que le narrateur entretient avec le lecteur virtuel est fait de manœuvres: il passe du reproche ou de la réprimande à la séduction et la sollicitation à tour de rôle. Dans "A très bientôt" nous pouvons lire:

*"Mais vous perdez déjà patience, vous vous apprêtez déjà à vous débarrasser de tout cela, à jeter cela à la poubelle[...]"*

*Alors faites-moi encore un peu confiance[...]"<sup>(143)</sup>.*

On peut lire encore dans "Ton père. Ta sœur":

*"Mais Jamais je n'aurais songé à vous la montrer... Si je me suis permis de solliciter votre attention, c'est qu'il y a eu ces mots plus étranges[...]"<sup>(144)</sup>.*

Il est à noter que le "nous" souvent utilisé dans L'Usage désigne le couple narrateur-lecteur. Dans cette "adhésion au nous qui offre la parole en partage"<sup>(145)</sup> une sorte de consensus et de connivence tente de se réaliser. C'est aussi une façon de rendre présent cet absent à qui tout cela est destiné, à savoir le lecteur.

(141) Ibid.

(142) Op.cit., p.13.

(143) pp.21-22.

(144) pp.62-63.

(145) M.Léonard, Op.cit., p.138.

*"Ici il faut nous arrêter... Il nous faut constater  
que toutes ces conditions sont réunies pour qu'il soit  
permis de penser que[...]"<sup>(146)</sup>.*

Si le plus souvent le déictique spatial "ici" s'emploie avec "je" comme dans le célèbre incipit de Robbe-Grillet dans Dans Le Labyrinthe ("Je suis seul ici maintenant"), Sarraute le combine avec "nous". Le narrateur réverait d'une adhérence totale du lecteur, comme d'un alter ego. L'utilisation de "nous" relèverait d'une aspiration à "une communauté idéale et illimitée de communication des locuteurs"<sup>(147)</sup>.

Quoique l'adresse au lecteur se passe très aisément, on peut pourtant constater qu'à une seule reprise le texte a recours au procédé du "trope communicationnel" dont parle longuement Orecchionni<sup>(148)</sup> et où "s'opère, sous les pressions du contexte, un renversement de la hiérarchie normale des destinataires"<sup>(149)</sup>. Lorsque nous lisons dans "Ich Sterbe": "Prêt à coopérer, si docile et plein de bonne volonté, avant que vous ne le passiez, je me place où vous êtes, à l'écart de moi-même[...]"<sup>(150)</sup>, on comprend bien sûr que Tchekhov s'adresse ici à son médecin allemand. Pourtant dans le cadre du rapport narrateur-lecteur précédemment étudié, il serait permis d'envisager une éventuelle adresse du premier au second dans le cadre d'un "trope communicationnel" implicite.

A part le sens bakhtinien du dialogue le mot a plus couramment et d'une façon plus restreinte et littérale, le sens de "discours entre deux, personnes"<sup>(151)</sup> et d' "échange de propos fabriqués (en opposition aux conversations "authentiques") existant d'abord sous forme écrite[...]"<sup>(152)</sup>. De même Orecchionni précise que le dialogue doit être constructif<sup>(153)</sup>, alors que la conversation est spontanée et doit se dérouler "in vivo".

(146) pp.22-23.

(147) F.Jacques, Dialogiques, Paris, PUF, 1979, p.381.

(148) Les Interactions Verbales, Op.cit., pp.92-93 et alii; et L'Implicite, Paris, Armand Colin, 1986, pp.131-137.

(149) Les Interactions Verbales, t.I, Op.cit., p.92.

(150) p.15.

(151) C.Kerbrat-Orecchionni, Op.cit., p.116.

(152) Ibid.



*"C'est ainsi qu'on parle d'"homme de dialogue", ou de "faux dialogue" (mais non de "fausse conversation", car une conversation ne prétend à aucune efficacité de ce type), cette expression et d'autres collocations du terme mettent en évidence la vocation consensuelle du dialogue "authentique" [...] <sup>(153)</sup>.*

---

(153) Ibid., p.117.

## Conclusion

*"[...] La parole se manifeste comme une communication où non seulement le sujet, pour attendre de l'autre qu'il rende vrai son message, va le proférer sous une forme inversée, mais où ce message le transforme en annonçant qu'il est le même[...]. La parole apparaît donc d'autant plus véritablement une parole que sa vérité est moins fondée dans ce qu'on appelle l'adéquation à la chose: la vraie parole s'oppose ainsi paradoxalement au discours vrai, leur vérité se distinguant par ceci que la première constitue la reconnaissance par les sujets de leurs êtres en ce qu'ils y sont intéressés tandis que la seconde est constituée par la connaissance du réel[...]"<sup>154</sup>.*

Dans le discours donc, c'est le rapport entre le sujet parlant et son dit (justement le référent de son dit) qui compte. Dans la parole, d'après Lacan, c'est le rapport entre les locutaires qui prend le dessus. La conception lacanienne de la parole comme espace intermédiaire entre soi et soi-même d'une part, soi et l'autre d'autre part, sous-tend L'Usage de la Parole. La présente étude a essayé de montrer l'intérêt porté au langage et partant à la problématique de l'écriture comme manifestation toute particulière du langage dans l'œuvre étudiée.

Plusieurs phénomènes et thèses linguistiques tels que la théorie chomskyenne de la compétence et de la performance et le principe de la double articulation (la

---

(154) J.Lacan, Écrits, Paris, Le Seuil, 1966, p.351.

commutation paradigmatique et la concaténation syntagmatique) sont ainsi décryptés du texte sarrautien. La boucle de l'écriture porte aussi bien sur l'expérience de l'écriture que sur celle de la parole en général. Sont examinés à la fois l'usage de la langue (la parole) et l'usage de cet usage, la parole étant en partie copie de certains modèles et clichés préfabriqués que les sujets parlants utilisent et risquent de s'y aliéner.

L'étude a également tenté de se mettre à l'écoute des différents niveaux de la communication à l'œuvre dans L'Usage de la Parole où deux parcours communicationnels se tracent à la façon de deux cercles concentriques. Le plus grand est celui qui lie d'une part l'auteur, plus précisément son délégué intratextuel, le narrateur, d'autre part son lecteur, un lecteur virtuel de sa propre création toujours interpellé, dont il imagine les réactions et les objections et dont il sollicite l'attention et la sympathie, et plus même la collaboration. Le plus petit est celui qui implique les personnages des nouvelles que l'auteur se plaît à appeler "jeux" ou "drames". Les parallèles entre les deux échelles de la communication sont multiples, car il s'agit ici et là d'un jeu où le plaisir et la polémique se conjuguent.

Les notions de dialogue et de conversation sont ici en jeu. Dans l'hyperonyme "dialogue" on pourrait dire que deux interprétations étymologiques (dia-: à travers, et di-: deux) seraient ici en parfait accord, puisqu'il s'agit dans les deux niveaux de la communication d'un échange à travers le logos entre deux parties.

Bien après L'Usage de la Parole, Sarraute écrit une œuvre, également sans sous-titre générique qu'elle intitule curieusement Ouvrez et qui s'ouvre sur un prélude qui commence avec ces mots:

*"Des mots, des êtres vivants parfaitement autonomes, sont les protagonistes de chacun de ces drames"<sup>155</sup>.*

---

(155) Paris, Gallimard, 1997, avant la pagination.

## Bibliographie Sélective

- A.Allemand, L'Œuvre Romanesque de Nathalie Sarraute, Neuchâtel, A la Baconnière, Paris, diffusion Payot, 1980
- F.Asso., Nathalie Sarraute, une Ecriture de l'Effraction, Paris, P.U.F., 1995
- J.L.Austin, Quand Dire C'est Faire, tr. de l'ang. par G. Lane, Paris, Seuil, coll. "l'ordre philosophique", 1970.
- M.Bakhtine, Le Marxisme et la Philosophie du Langage, tr. du russe par M.Yaguello, Paris, Eds. De Minuit, coll. "le sens commun", 1977.
  - R.Barthes, Le Bruissement de la Langue, Paris, Seuil, 1984.
  - R.Boué, Nathalie Sarraute. La Sensation en Quête de Parole, Paris, d'Harmattan, 1997.
  - N.Chomsky, Questions de Sémantique, tr. de l'ang. par B. Cerquiglini, Paris, Seuil, coll. "l'ordre philosophique", 1975.
  - O.Ducrot, Le Dire Et Le Dit, Paris, Eds de Minuit, 1984.
  - ———, Dire Et Ne Pas Dire, Paris, Hermann, coll. "savoir: science", 1991.
  - F.Flahault, La Parole Intermédiaire, Paris, Seuil, 1978.
  - G. Genette, Seuils, Paris, Seuil, 1987.
  - D.Ghazi, Enfance de Nathalie Sarraute, Récit d'une enfance. Enfance d'un récit, Alexandrie, Maison du savoir Universitaire, 1987.
  - J. Gleize, Le Double Miroir, Paris, Hachette, coll. "Hachette Supérieur", 1992.
  - G.Henrot, "Distances dialogiques chez Nathalie Sarraute", in Poétique n° 97, février 1994, pp.41-63.
  - M. Issacharoff, "Vox clamantis": l'espace de l'interlocution", in Poétique n°87, septembre 91, pp.315-326.
  - F.Jacques, Dialogiques, Paris, P.U.F., 1979.
  - C. Kerbrat-Orecchioni, Les Interactions Verbales, t.I, Paris, Armand Colin, 1995.

- J.Lacan, Ecrits, Paris, Seuil, 1966.
- J.G. Linze, "La conversation dans le roman", in Revue Générale, CVI, 7 juillet 1970, pp.35-50.
- D.Maingueneau, Pragmatique Pour Le Discours Littéraire, Paris, Bordas, 1990.
- ———, Exercices De Linguistique Pour Le Texte Littéraire, Paris, Dunod, 1997.
- A.S.Newman, Une Poésie Des Discours. Essai sur les romans de Nathalie Sarraute, Genève, Droz, Paris, diffusion Minard, 1976.
- G.Raillard, "Nathalie Sarraute et la violence du texte" in Littérature2, mai 1971, pp.89-102.
- N.Sarraute, L'Ere du Soupçon, Paris, Gallimard, coll. "idées", 1956.
- ———, Tropismes, Paris, Eds de Minuit, 1957.
- ———, Le Planétarium, Paris, Gallimard, coll."folio", 1959.
- ———, "La littérature aujourd'hui", in Telquel, n°9, printemps 1962, pp.49-58.
- ———, disent Les Imbéciles, Paris Gallimard, coll. "folio", 1976.
- ———, L'Usage de la Parole, Paris, Gallimard, 1980.
- ———, Œuvres Complètes, Paris, Gallimard, coll. "la Pléiade", 1996.
- ———, Ouvrez, Paris, Gallimard, 1997.
- M.Tison Braun, Nathalie Sarraute ou La Recherche de L'Authenticité, Paris, Gallimard, "Le Chemin", 1971.
- Autour de Nathalie Sarraute, actes du Colloque de Cerisy-La-Salle du 9 au 19 juillet, 1989, Annales Littéraires de l'Université de Besançon n°580, 1995.



## *A Present Conflict Analysed in the light of a Shakespearean Scene.*

### Introduction

This paper attempts to analyse the present Palestinian- Israeli conflict with specific reference to a significant dramatic scene in Shakespeare's *1 Henry VI*, III,i. Occasional references are made to a similar scene in *Othello* I,ii whenever a comparison between the two scenes is required. The study seeks to link the present with the past to draw the analogy, learn the lesson and see where the present repeats the errors of the past. We live in a present that Homi Bhabha sees as "culturally collusive"<sup>1</sup>: a world that sees injustice everywhere, a world where racial discrimination is tearing society apart. As Akbar S. Ahmad observes:

problems are interwoven, binding Muslims and non-Muslims together. There can be no just and viable world order - let alone a New World Order - if these wrongs are not redressed.<sup>2</sup>

The paper sheds light on the many sources of the above conflict and sends the message that unless the root causes of the problems are addressed, any superficial solutions that do not take into account the grievances of the oppressed are not likely to work. The Middle East is a turbulent and unstable region. The roots of that violence have to be extirpated if peace is to be achieved. What may be viewed by the West as violence is interpreted by many Arabs as legitimate self-defense or the counter-reaction of the oppressed who see their rights denied and their lands appropriated for building Jewish settlements. In solving the above conflict, the world turns a deaf ear to its real causes and fails to render a balanced verdict as to who is to blame for the current stalemate in the Peace Talks. The hard-line Israeli Prime Minister Benjamin

Netanyahu insisted that "it was the Palestinians not the Israelis who were breaking Middle East peace accords".<sup>3</sup> While Netanyahu connects the resumption of the peace process with the commitment on the Palestinian part to fight 'terrorism', he does not grasp that his adamant determination to carry on with the construction of the Har Homa suburb is the basic reason for the breakout of such terrorism. We are entering a 'Netanyahean maze'; what should precede what: cause or effect?, the egg or the chicken? Logic says that mounting violence in the region is due to Israel's settlement policy. The recent three-day meeting of the 55 members of the Organization of the Islamic Conference (OIC), [in Tehran, December 97] ended with a Declaration that "condemns the expansionist policies and practices by Israel, such as the establishment and expansion of Jewish settlements and emphasises the need for Israel to desist from state terrorism".<sup>4</sup> Since Muslims and Israelis differ in their views over the factors that lead to terrorism, this paper addresses the legitimate causes for extremist action in the light of the above Shakespearean scene. Knowledge of the causes puts us in a better position to propose solutions.

### **Past & Present Related**

Before we delve into an analysis of the scene, it is appropriate to talk about the present in relation to the past. In fact, the Shakespearean scene taken from the First Tetralogy, though it depicts the bitter conflict between the Yorkists and Lancastrians during the War of the Roses, it is intended to be related to problems during Elizabeth I's reign. Thus the past is not divorced from the present. Critics, like Tillyard, make startling, yet inherently logical, associations between Richard II's problems and those of Queen Elizabeth. These include the problem of succession, the problem of evil government versus wholesale rebellion and the difference between the martial spirit



of the crusading Plantagenets versus the self-centeredness of the 'new man'.<sup>5</sup> Similarly, Lily B. Campbell equates Richard with Elizabeth and sees in *Richard II* Shakespeare's warning against transgressing Tudor doctrine on the rights and duties of a monarch. She cites numerous pamphlets, tracts or homilies of the time which were concerned directly with Elizabeth's rule, and presents a succinct, yet convincing case that *Richard II* is Shakespeare's profound probing of a political problem uppermost in men's minds at that time.<sup>6</sup> David Bevington traces what he believes to be Shakespeare's attitude towards the protagonists and issues in *Richard II* and concludes that "tactfully, then, Shakespeare warns both monarch and people of the dual peril attendant upon royal willfulness and rebellion".<sup>7</sup> Shakespeare goes back into the past in order to relate it to the present. Both form a cycle of continuity and therefore one can not be treated in isolation from other. In fact, Shakespeare attempts in the History plays to place man at the centre of the past, a past that man looks at with an open mind, a mind free from the prejudice of writing history to serve contemporary needs. Shakespeare also recognizes the inter-relationship of past and present unlike the Western bloc of today that severs past from present and forces the weak to live in what Bhabha calls the "Benjaminian present" (*LOC*, p. 8).

This is the present that Walter Benjamin "describes as the blasting of a monadic moment from the homogenous course of history, 'establishing a conception of the present as the "time of the now" ' (*LOC*, p. 4). Since the word 'monad' connotes unity, as if an element is an integral part of a whole, diaspora signals a break as if parts of a planet have been forced into a divorce from one body. With diaspora comes the blasting out of "the continuum of history"(p. 8). In other words, the continuity of the cycle of history is discontinued due to the dispersal of atoms or parts

from one large body. These insignificant parts are none other than the present culturally displaced people who suffer ruthless social discrimination in many parts of the world and who can never receive reciprocal recognition. Thus they are forced to live in a present that Superpowers and decision-makers dictate for them. The "Benjaminian present" can also be understood by the reference to the well-known story of Joseph and his brothers. The two sons of Isaac, Joseph and Benjamin, felt a close attachment in spite of the remote distance that separated them: Joseph lived in exile in Egypt and his brother in Palestine where people starved during a famine and were driven to escape to a land of more abundant provision. The weak of today or what Esposito calls the (mustadhafin)<sup>7</sup>, originally an Arabic word used in the *Qur'an* in conjunction with the "one reckoned weak, and therefore ill-treated and oppressed"<sup>9</sup> are forced to live in the "Benjaminian present" because Fanon's *Wretched of the Earth* and Esposito's 'mustadhafin' are in the same boat regardless of racial, ethnic, religious, geographical or linguistic backgrounds. They have an archetype in the story of Joseph and the natural instinctive bond that he feels for a far away brother. Thus what binds the weak of today together is similar to the close intimacy that the Captain of the ship in Conrad's *Secret Sharer* has for his double, Leggatt. The weak of today therefore experience an emotional link with their brethren worldwide whilst being helpless to change this present predicament. The present is a creation of the West, the symbol of power and strength that plays a deceitful game by forcing the weak to live in a present that they can never belong to, or feel in harmony with. They feel out of tune with this modern era, and helpless to combat or influence policies being imposed by the present superpowers. Bhabha sees the present as a stage in-between two fixed poles. Thus he says:

The present of the world, that appears through the breakdown of temporality, signifies a historical intermediacy, familiar to the psychoanalytic concept of *Nachträglichkeit* (deferred action): 'a transferential function, whereby the past dissolves in the present, so that the future becomes (once again) an open question, instead of being specified by the fixity of the past.

(*LOC*, p. 219)

The present is therefore hybrid. It is between a past that has a definite identity and a future that remains obscure and unknown. The present is continuously on the move. Because time is in constant flux, the present can be different from one place and culture to another. It does not happen immediately or at any one specific point. For that reason some may argue quite convincingly that the present does not exist as it is beyond the strict rules of time. Because the present is controlled by the West, the East is culturally displaced by being forced to live within the limits of an alien time. It is inevitable that it feels a present loss. It is natural that it experiences a lack of harmony with what goes on around it. Forcing the East to live in a Western manipulated present that the West has created and manipulated is like taking a bedouin out of the scorching desert and dressing him in an elegantly tailored suit. This new-imposed disguise would cause intense discomfort. Release could only come from a return to his natural habitat and a removal of such an artificial constriction. Happiness therefore depends on a sense of cultural comfort. Hence there is nothing left for the Arab but to recoil in on the self and to attempt to find refuge in a fixed, well-defined time; that is, the past, for the present is a high risk game of inevitable loss.

Thus what Bhabha sees as the breaking of 'the time-barrier' is one way the weak of today may escape from participation in a present that has been fixed and directed by the strong West. In tribal times in the heart of darkness, life has been rolling on in the same manner for thousands of years. Such primitive people are beyond the reach of any superpowers because they are set apart from the competition by their voluntary existence on the periphery of the time factor. But if there was a diaspora where they are forced to abandon their retreats, they would be blasted out of this continuum of history. Cultural displacement and racial discrimination would naturally follow. If that were to happen, would Fanon's solution of "negating activity" work? Fanon sees this as one way to assert cultural presence. By an adamant refusal to participate in the 'culturally collusive present', the displaced of today draw attention to an awareness that fraudulent strategies are being manipulated to force the weak to continue negotiations they instinctively know will have a disastrous outcome: that such negotiations will bring only humiliation. Thus Fanon's 'negating activity' is a withdrawal from the contemporary scene and not a direct involvement in it because he

pursue(s) something other than life; insofar as (he does) battle for the creation of a human world - that is a world of reciprocal recognitions.....

And it is by going beyond the historical, instrumental hypothesis that I will initiate my cycle of freedom.

(*LOC*, pp. 8-9)

If Arabs today were to act on Fanon's advice, they would refuse to resume any talks that only continue to make fools of them. The West wants the talks to proceed

without showing any willingness to address the serious problems that hinder the forward movement of such talks. It is as if there is a fear that with an exploration of the roots of the current problems, the double standards that characterize Western policies will become obvious. It is as if the arms that hurl the stones of the Intifada are also sending a message that a careful look into the present deteriorating situation is needed more than at any time heretofore. The Shakespearean scene conveys this lesson also and teaches man how to avoid in the present the follies and errors of a deplorable past.

Shakespeare begins by focusing attention on a crucial moment of significant historical change. By beginning his History plays with *Richard II*, he testifies to the reality of such a change and he starts an attempt through the means of drama to represent it. Thus Alvin B. Kernan sees *Richard II* as a prologue to an 'epic' i.e., "a large scale, heroic action, involving many men and many activities, tracing the movement of a nation or people through violent changes from one condition to another" 10. By delving into the past, we stand in front of a mirror that reveals what is wrong with the present. We can not see that wrong because we are deeply immersed in it. Only by distancing ourselves (both East and West) from the painful present reality can we see without prejudice, like Shakespeare who is totally removed from the centre of strife, the terrible mess that encircles us and the faulty vision we use to see others. Only then when we take a balanced overview can we realize the disastrous consequences of the present. While Ranna Kabbani asserts that "the gaze into the Orient had turned, as in a convex mirror to reflect the Occident that had produced it" 11, a look into the mirror that reveals the hidden past should hopefully teach both Orient and Occident the inseparability of the two. By looking into the First Tetralogy,

we get a picture of a disordered world characterized by violence, greed, thirst for revenge and atrocities. Images of a civil war which pits father against son, son against father, and brother against brother 12 shock us and fill us with a sense of horror.

### **A Weak King's Dilemma**

Unfortunately the highest authority, represented by the king, stands with hands tied incapable of restoring order or bringing about peace. England has a weak king whose role is reduced to a mere theatricality and whose words reflect all the hollowness of modern rhetoric as his words fail to carry any weight or action. This is the language of a king whose mere presence ought to instill fear and yet it turns out to be nothing but the idle chatter of a child. The relevant scene that elucidates the above is Henry VI's way of handling the inveterate strife of warring members of the two sides. In his shallowness and weakness, he attempts desperately to appeal with tears that do not fit in the political arena let alone from a king to put an end to their bitterness. His attempt to reconcile them, his mistaking of the depth of their enmity and his call for a mere hypocritical show of affection pleases only an effeminate king. His strenuous, yet futile, efforts to bring them to an artificial peace bear striking resemblances to the situation discussed earlier where warring nations are officially shown in the media to be reconciled in a world that moves toward democracy and understanding. In such a world, dialogue is viewed as the only possible solution to racial and cultural problems. For that, such nations are willing to brush aside any impediments toward peace and progress and ignore the past in a contrived attempt to head for an optimistic future. Returning to the turbulent world of Shakespeare's history plays, King Henry addresses the participants in the conflict thus:

Uncles of Gloucester and Winchester,

The special watchmen of our English weal,  
 I would prevail, if prayers might prevail,  
 To join your hearts in love and amity.  
 O, what a scandal is it to our crown  
 That such noble peers as yet should jar!  
 Believe me, lords, my tender years can tell,  
 Civil dissention is a viperous worm  
 That gnaws the bowels of the commonwealth.<sup>13</sup>

*(I Henry VI, III.i.65-73)*

Because of his weakness, Henry is completely oblivious to the importance of language in the struggle for social, and in his case political, change.<sup>14</sup> Language makes the connection between intention and deed. It is interesting to compare Henry's language with Bolingbroke's for example. The latter's is that of a leader who asserts his political will to command. When he changes the name Lancaster to the name King, he does it with such facility and ease that it shows the speed with which he can move within the political arena. It becomes the measure of his strength in deeds rather than words. As Bevington observes, "once (Bolingbroke) is in power, England's citizens have no responsible alternative other than to submit"<sup>15</sup>. One way he manages to succeed and show authority is through the language he employs. Though Bolingbroke has few, but rather productive words, they are charged with a sense of authority. In spite of his taciturnity his language weighs the scale in favour of a ruler in a position to command. His opposite is Richard II whose language aspires to a private self-expression, ultimately apolitical and hence produces stasis.<sup>16</sup> Both Richard and Henry share a common weakness. In the latter's case, weakness is reflected in the kind of language he uses. It is sentimental and emotional. Such

language is better reserved for the altar or a Friday sermon to move the pious to action against the conspirators of Islam. The above speech is densely imbued with phrases coming from a purely innocent heart. It is probably the latter which distinguishes Henry's rhetoric from that of cunning modern politicians with their slyly spun and well-manipulated words. Henry appeals to the two lords' emotions and that is all the weak can do to win the favour of the strong. But ironically speaking, Henry's empty words cannot stop the conflict among the servants of the two lords, let alone the lords themselves.

### Hollow Versus Commanding Speech

How far Henry's words are from the impact of Othello's commanding and eloquent speech that brings an end to a situation where friction and quarrel are near! Talking to Brabantio, Desdemona's father, who happens to meet Othello on his way to the Duke upon "a business of some heat" (*Othello*, I.ii.40) regarding the disturbing military reports of the mighty preparations of the sole enemy of Christendom, who are none other than the menacing ~~Turks~~, against the Venetians (I.iii), Othello superbly manages the situation that he brilliantly turns to serve his ends and confirm his loyalty to the Venetian state. His readiness to take the lead in the ensuing delicate action that requires the adroitness and manipulation of strategy of a successful politician, if not the warrior. His noble and heroic action is in proportion to what he rightly claims to be when he says to the sly Iago: "I fetch my life and being / From men of royal siege, and my demerits / May speak unbonneted, to as proud a fortune / As this that I have reach'd;" (I.ii.21-24).



In his meeting with the Moor, Brabantio uses the language of force and violence. It is obvious that he puts Othello on an equal footing with criminals and outlaws with the assistance of the officers who are commanded to seize him. Brabantio's empty language offers a stark contrast to Othello's confident aura of command. Pretending to be on Othello's side, the hypocritical Iago skilfully employs a strategy that divides people into two distinct groups: wronged and evildoers, oppressed and oppressors, the grieved and the tyrants. Then he deceptively throws himself in sincerity to the Moor's side to win an early favour as the scapegoat who offers his life for the Moor's protection only to have a thorough domination over him later on facilitated in this early scene by the façade of affection he shows the Moor. Thus we have a scene of opposed forces with the Moor and Iago on one side and Brabantio, Roderigo and the officers on the other. Logically speaking, victory is in favour of the second more numerous group backed up by the authoritative power of the state.

But this group is stunned by the power of Othello's words. This is the language fit for a leader who transforms words into weapons and reduces actual weapons into powerless toys. Thus Othello's forward military march to decide the issue and his ironic "Keep up your bright swords, for the dew will rust them." (59) is all that is required to render powerless the host confronting him. This is the powerful impact of eloquence that functions as action and carries more weight than action at times. Probably Aristotle's statement taken from *Politics* on the impact of speech in human affairs serves as a good commentary on Othello's language. He says:

Nature, as we often say, makes nothing in vain, and man is the only animal whom she has endowed with the gift of speech. And whereas mere voice is but an indication of pleasure or pain, and is therefore found in other animals ..... the power of speech is intended to set forth the expedient and inexpedient, therefore likewise the just and the unjust. And it is a characteristic of man that he alone has any sense of good and evil, of just and unjust, and the like, and the association of living beings who have this sense makes a family and a state.<sup>17</sup>

(I, ii, 1253, 7-18)

In putting an end to the intended assault on him through an eloquent command of language, Othello represents the State or authority in a scene where a chaotic scuffle could have occurred had it not been for the Moor's powerful words. Founded upon speech, the state is an extension of human language, an indispensable means of communicating issues of justice and injustice. Thus language, particularly the rhetorical aspects of it, should be used to advance the cause of justice. It should not be manipulated to coerce and humiliate the weak as is the case now. Othello uses it to restore a just order. He does not reply back using Brabantio's phrases. He abstains from that to show how language commands. Othello's rhetoric confirms his Oriental affinity. This is too one of the areas where Arabs ever since the Age of Ignorance, the Pre-Islamic era, have distinguished themselves. It is as if Othello's eloquence has its deep roots in his original culture as a Moor and that he has the spark of the power of verbal expression still burning in him, and with its rekindling, comes nostalgic feelings for an eloquent past, when according to Atiyah, "Rival masters competed for pre-eminence in what was becoming the Arab's chief source of aesthetic and creative

delight - the use of their language."<sup>18</sup> It is therefore an established fact that Arabs excelled in language and literature, particularly poetry. A well-circulated saying gives Arabs the credit for being excellent rhetoricians and masters of language usage. The saying goes: "Wisdom, alighted to three: the brain of the Frank, the hand of the Chinese, and the tongue of the Arabian."<sup>19</sup>

### A Lost Eloquence

One wonders where that long and eloquent tongue is now! It looks as if the three above talents have been appropriated by the West and used to out-wit Arabs with a sly manipulation of words to reach their objectives while Arabs seem utterly speechless as this distinguishing feature has long abandoned them. And finally, it is the West that dictates what the verdict is. So it is all written by the West unless out of kindness and sympathy, it condescendingly allows the Arabs to write the minutes of meetings. Diplomats may make the decisions while beautiful Arabic calligraphy merely writes them down. The irony lies in the fact that the culture that at one time has surpassed all others in the skills of language is tied to a stake as its people become the 'Subaltern' of Spivak who cannot speak now.<sup>20</sup> But in the past, Professor Hitti states that "it was not only in the field of verbal expression that Pre-Islamic Arabians distinguished themselves." He goes on to praise the Arabs for their refined and sophisticated etiquettes related to speech:

No people in the world, perhaps, has such enthusiastic admiration for literary expression and is so moved by the word, spoken or written, as the Arabs.

Hardly any language seems capable of exercising over the minds of its users such irresistible influence as Arabic. Modern audiences in Bagdad,

Damascus and Cairo can be stirred to the highest degree by the recital of poems, only vaguely comprehended, and by the delivery of orations in the classical tongue,.....The rhythm, the rhyme, the music, produce on them the effect of what they call "lawful magic" (sihr halal) 21

He expresses his utter astonishment that Arabs distinguish themselves in such matters when most of them are unlearned. Thus he says: "How illiterate camel breeders living in scattered tribes, with no political cohesion to unite them, could develop a refined, richly worded means of expression remains a mystery" (p. 25). It too remains a mystery that Arabs are reduced to such a humiliation now when in the past they used to launch severe wars to protect their honour and preserve their dignity. In those times they never stooped to degradation as it was inherent in their nature to reject any subjugation or enslavement. How they have lost that sense of pride and that eloquent command of the language can never be explained!

With the loss of the command over language comes the loss of command over identity and integrity. Language is therefore more than a means of communication but a vehicle for the preservation of culture and a protection of identity. Without it or in case of its weakening, comes the threat of cultural assimilation and the feelings of one's own vulnerability in the face of any external threats. Through language, a certain society is subjected to the control of another more powerful culture. While it is natural that the colonized attempt to escape from the grip of the colonizer's dominance, many weak nations that have been colonized for so long forget that through language they can still be invaded culturally and politically. Young generations of Indians, for example, are not aware of the fact that they are being manipulated by history. Self-

autonomy therefore goes beyond a mere formal and artificial declaration of independence because as Bhabha, who quotes Fanon, states "The time of liberation is ... a time of cultural uncertainty, and, most crucially, of significant or representational undecidability" (*LOC*, p. 35). Furthermore, it is a time of fluctuating movement and occult instability as those who were under an alien rule undergo extremely radical changes. Whether the colonized in Africa, Asia or the Caribbean will be able to restore their native culture, assert their independence and shake off the yoke of thralldom and confront the new obstacles that accompany the liberation of the post-colonial states are issues that will take post-colonial literature that focuses on the colonial period years to answer 22.

But one may convincingly argue that in spite of an attempt to retrieve a lost identity and regain a feeling of nationalism reflected in the way the African or Asian accepts the challenge to document and narrate his own experience from his own perspective as a colonial subject, that attempt is not wholly successful. He is still under bondage and thus his freedom is far from being complete. One reason that liberation is never achieved is that the language of the colonizer is the vehicle through which the colonized are controlled. When the colonized's own native language is replaced by the colonizer's, a cultural and identity crisis is inevitable. But a command over one's own native language is an indication of strength and cultural superiority for with it comes power and independence of personality and consequently the ability to act independently. Perhaps this can be illustrated in Othello where we see him in complete command of both language and situation in the incident that brings him face to face with Brabantio who brings the charge against him of having enchanted Desdemona and resorted to foul means such as magic and witchcraft to win her, when

the only magic he uses is the 'lawful magic', i.e., 'sihr halal', referred to above, of the eloquent Arabic tongue which he possesses. Thus the Moor reveals eloquence which confirms Shakespeare's "decidedly ambitious attempts at copious and ornate style"<sup>23</sup> But later on, when Iago poisons his mind with foul thoughts, he loses first of all his command over language and consequently, he loses command over self and integrity. Thus the crisis of those who have identity problems, like the Arabs of today, lies in the loss of command over language which they used to have in the past and which accounted for their strength and heroism. Now they have lost the command over words, they are classified as culturally and politically weak. Their loss of command over language classifies them with Henry whose loss confirms his inability to resume a position of authority. Arabs emerge weak in any peace negotiations because of their loss of command over language which naturally leads to a loss of authority over the course of action while Israelis are masters of verbal manipulation which accounts for their strength. Albert Hourani sees the seeds of weakness in the kind of language some Arabs use to talk about either themselves or others. Talking about Egyptians, he says:

We ....are hypocritical in our desire to praise and flatter those who are strong, and that is because we do not believe in ourselves as independent human beings. We are easy-going, we say 'never mind' - ma'liysh - to whatever happens; that is a sort of virtue, but one which is rooted in the weakness of the soul.... We do not trust each other, we speak evil of others..... we worship strength.<sup>24</sup>

Physical weakness, in military terms, is therefore reflected in the emptiness of meaningless words spoken by people to whom a certain language belongs. Initially,

Othello has physical prowess as he distinguishes himself as a warrior of a great service to the Venetian state. That power reflects itself in his commanding verbal expression. Without the first, the second would not have existed. Thus he derives the influence of his words that have a weight of their own and constitute an action from the fact that he is in a position of power. If one is not in that position, one's words remain hollow having a ring of emptiness about them even if shouted. The downtrodden of today act this way. Arabs excel even now in delivering emotional speeches encouraging people to rise in opposition to the West but all of that eloquence remains hollow because it lacks the real physical power to back it up. Since modern Arab rhetoric is empty, it is ignored by the West. As far as the West is concerned, it should realize that such rhetoric is just as empty as Henry VI's or Brabantio's words.

Thus the scene shows Othello in complete command. He has the military reputation to back up his words. To further illustrate his point and prove that command here is more related to physical prowess, self-discipline, far-sightedness, wisdom and eloquence rather than the actual physical might of ancient wars, he turns to Brabantio and addresses him thus: "Good Signior! you shall more command with years than with your weapons." (60). Ironically, Brabantio fails to grasp the sophisticated strategy of the Moor whom he regards as the alien Other against whom abusive language can be directed and insubstantial crimes charged. In other words, Brabantio fails to rise to what his Western upbringing would have inclined him to achieve, the power of words and years of experience and wisdom to command and not the barbaric language of the uncivilized whose brandished swords and sharp lances are the only language they know when all means to let their grievances be heard are bolted tight. And quite the reverse, Othello whom he regards

contemptuously, rises to a level in front of which modern diplomats would turn pale. Thus we end up with a situation where words constitute action. They have hidden power in them that transcend the physical power of weapons.

### A Violent Scene

Returning to Henry VI, his words share the hollowness of Brabantio's language in the failure of both to lead to action. The difference in the tone of each remains obvious as Henry's words arouse sympathy and Brabantio's call for violence though eventually Brabantio and the officers are rendered powerless by Othello's superb command. If we think of officers as servants to the state, the analogy can be extended to compare the situation in the two different plays. In Othello, the 'servants' abide by the law once it comes from the mouth of an authoritative leader like Othello, in Henry VI, even the servants of the hostile lords are involved in the fight and they show total disregard for Henry's authority by continuing the conflict in spite of the king's futile attempts to mitigate it. The depth of animosity that turns into an obsession for revenge is clear when the Mayor of London comes to report what bears a striking resemblance to today's Palestinian Intifada with all its destructiveness and ugliness as the wretched are left with nothing to combat with but stones. Addressing the powerless king in such horrifying imagery of what strife can lead to if not properly controlled, he says:

The Bishop and the Duke of Gloucester's men,  
Forbidden late to carry any weapons,  
Have fill'd their pockets full of pebble stones;  
And, banding themselves in contrary parts,



Do pelt so fast at one another's pate  
That many have their giddy brains knock'd out;  
Our windows are broke down in every street,  
And we, for fear, compell'd to shut our shops.

(3.1.79-85)

This is a frightening scene that shocks the king. It reminds us of the utter ruin left behind after a riot. One wonders how it can be controlled. The fear of what the unjustly treated may be led to do looms in the background and shatters the possibility of permanent peace. Violence and rage linger in the air particularly when the grieved is left defenceless in utter humiliation and defeat. Surely an explosion of some kind is inevitable and if his hands are tied behind his back, he will kick with his 'hooves' and if his legs are pinioned, he will speak and shout with his tongue, and if his mouth is sealed up, there is nothing left for his peers to do in a desperate, though unequal fight, but to throw stones at windows in a paroxysm similar to what the servants of the warring lords are doing. Thus violence is never without an apparently legitimate cause.

### **How the West Views Violence**

It is the only language of aggression, initially fit for the jungle that the world turns into, left for the lords and those who fall under their category to retaliate for the grievances their hearts and brains contain. But these are the violent actions fueled by the upsurging Islamic Fundamentalism that does nothing but disturb the peace and engender havoc and dissension. The threat of the wronged mobs instills fear into the hearts of their oppressors, and sometimes yesterday's rebels are today's rulers. It is a surfeit of tyranny and silence that breeds hatred and inevitably leads to atrocity and

violence still seen by the powerful Other as a strong connection with a militant and menacing past. But what else is left for angered Palestinians when they are provoked to take action which the spin masters of the West will condemn the following day as Terrorism? Be on your guard, these hungry martyrs for Jihad and blood will shake the very foundations of the earth and topple down every existing governmental system to establish a reign of Terror and Death taking the whole world by the muzzle to the dark ages. What an exaggeration! What a strategy manipulated to misguide the multitudes! This is the kind of language that the French thinker, Count de Marenches, uses in his memoirs titled, "Diplomacy and Espionage in the Age of Terrorism" where he predicts that the next world war will be waged against "our enemies (Muslims who) are all around willing to sacrifice (their lives) and prepared to die for their beliefs. We (Christians) are not. Our beliefs, are too deeply based on material happiness".<sup>25</sup>

Western media persistently and deliberately depicts Muslims in that light as if the West can never get rid of the medieval polemic with all its bias, hostility and stereotypes no matter how it claims that it heads for the future and intends to forget the past. It is all too clear that the coverage of Islam in Western media is that of exaggeration, criticism and distortion. Unfortunately, whenever Muslims go to either extremes, Western judgements grossly distort Islam "by taking the extreme to be the norm"<sup>26</sup> in the Islamic world. In an attempt to correct such erroneous Western conceptions, Prince Charles pleads to the audience not to label or categorize all Muslims alike as "Devout Islamic revivalists should not be confused with fanatics and extremists" <sup>27</sup> In addition to the deliberate muddle in the media that tends to classify Muslims together and treat them collectively rather than individually, there is never a marked separation between what some Muslims do and what Islam instructs them to

do. Western media portrays Muslims in a negative light and there seems little hope or even indication that this will ever change. But on an official level, what is being reiterated is that the West wants to take the East by the arm to set out for a new future. There is a great divergence between the picture of how East and West can get along with each other transmitted on a governmental level and the stereotypical images of the past transmitted by the media. The irony of the whole thing is that the West on the political level expects the East to ignore what its media depicts. It expects the East to behave in a way which it has shown itself as incapable of acting. Thus before the Orient can apply such strategies, the West should take the initiative and prove that the past can be thrown aside. But that remains a dream, an ideal similar to what Arabs think they can reach in a world of fantasy. Thus the painful reality is that feelings of hostility and oppression can not be obliterated.

Though the West may sympathize at times, the overall tendency is to interpret any violent action committed by Muslims as terrorism while the same action, if committed by Israelis, is self-defense. This is the all too familiar Western double standard that is largely responsible for much of the agitation that rages in the Islamic world and forces many from time to time to carry anti-Western slogans expressing frustration, disappointment and rage. As Bernard Lewis observes "Today much of the Muslim world is again seized by an intense - and violent resentment of the West. Suddenly, America has become the arch-enemy, the incarnation of evil, the diabolic opponent of all that is good, and especially, for Muslims, of Islam. Why?"<sup>28</sup> The answer to Lewis's 'Why?' is communicated by the two pictures used in the article rather than words. Thus pictures emerge here as a more powerful weapon than language itself. They depict the nature of the relationship that links the Muslim world

with the United States. The first serpent that menacingly crosses the Arabian desert tells us how far the West has gone in tightening its poisonous grip over the Arab world to the degree that it has been subdued and consequently annexed by the Western imperialistic activities. The second serpent attacks from behind a Muslim at prayer. This transmits the message that the threat to the West is eliminated once Islamists or activists are wiped out. If this is how Muslims are represented by the West, what does the West expect in return? The rage and animosity that boil in the hearts of many Muslims are a natural instinctive response to the way the West persistently represents Islam and Muslims. Such hostile sentiments are not created out of the blue. Radical Islam is unconsciously being fueled by unjust Western foreign policies that ignore the feelings and opinions of the majority and deal exclusively with the elite. The West must realize that there is no fire without smoke, and no smoke without wood.

### **Violence Has Causes**

The Palestinian Intifada is therefore not without a cause. As Yusuf al-Qaradawi points out: "Extremism does not originate haphazardly. It has causes and motivation, events and actions do not come out of the blue. Knowledge of the causes in this respect is essential to enable us to understand" 29. It is high time that the West addressed the causes of the grievances of the oppressed that disturbed Henry VI but was powerless to address. The West is now in a position of power to address such issues seriously but that requires a courage equal to the courage of those who signed peace treaties. The Intifada is the language of the oppressed who know deep in their hearts that others' ears are deaf to their grievances in an adamant resolution not to give them the chance to express their deeply held concerns. Esposito points to the primary

cause of Intifada that the Western media never disentangles from its negative portraits of terrorists and fundamentalists. He says:

The primary cause of the Intifada was not Islam or Islamic fundamentalism but continued Israeli occupation of the West Bank and Gaza and the desperation of young Palestinians in particular. The Islamic dimension (Hamas and Islamic Jihad) of the confrontation increased significantly when the Palestinian leadership proved unable to effectively resolve the situation.<sup>30</sup>

At least in our situation, the weak King listens to the servants. They are admitted to his presence to express an opinion when all doors are barred in front of Hamas to enable itself to be heard. The whole world conspires to bolt off any possible channels whatsoever for the media to allow these dissenters to appear on the international stage to defend themselves, explain their case and pour out their grievances. The counter activities of Hamas, and not Israel's stubbornness to yield to what the world asks for in empty words, are seen as if they impede the progress of the Peace Process. Hamas foils what the West attempts to achieve. Thus Lisa Beyer states that what hampers a smooth movement toward peace are "Arafat loyalists and Hamas exchanging threats"<sup>31</sup> and consequently turmoil intensifies in the Gaza strip. The loyalists or nationalists who are striving for the establishment and defence of an independent country and the Islamic activists who fight against tyranny and sacrifice for the sake of an Islamic state are therefore seen as obstacles that foil peace and create disorder. Why not let such dissenters file their complaints! What we see in Henry's case is the natural response of a weak king who cannot tolerate what he sees and thus resorts to tears and sighs in a desperate attempt to stop the unbearable

catastrophy. At least he is given credit for his genuine emotional concern that puts him on a higher rung on the ladder than the cunning politicians who denounce an action with their tongue whilst wholeheartedly approving it in their hearts. One other good reason for sympathizing with Henry is that he listens to grievances and to what the seditious servants have to say. In other words, the powerless Other's voice is heard and the fact that Shakespeare writes this scene is meant to allow the suppressed voices be heard. Nowadays, such rebellious people neither win a tear from the eyes nor are their grievances heard or allowed to be voiced in a world that claims that all are granted freedom of expression. What a fallacy! What a deception!

### **King's Failure To Solve the Conflict**

Next we see the King assuming his mere ceremonial role and addressing the warring factions:

We charge you, on allegiance to ourself,  
To hold your slaught'ring hands and keep the peace,  
Pray, uncle Gloucester, mitigate this strife.

(86-89)

The fact that the servant, and not the uncle, answers the King points to a serious problem in the world of the play. First, it is utterly disrespectful to talk to the King particularly when permission is not yet granted and in this case of a servant daring to address the King before he is asked to speak, the absence of an observance of certain rules of etiquette is twice as bad. Second, the servant's reply confirms the nature of the topsy-turvy world of the First Tetralogy. Third, in assuming the lord's role and in

speaking for him or representing him, we get a better picture of the muddled situation here where there is a total disregard for a hierarchal system that may account for Henry's wishful thinking later on to exchange his position with the "homely swain" (3 Henry VI, II.v. 22). Fourth, in speaking directly to the King, the servant alerts attention to the seriousness of the problem at hand. At least it allows the voice of the downtrodden represented here by the servants to find its way to the surface.

The servant's reply draws an authentic picture of the profundity of the cause of the enmity that Henry lacks the strategies to smooth over easily as if it is nothing but a passing cloud of misunderstanding that will soon be blown away by the power of his empty words. He says: "Nay, if we be forbidden stones, we'll fall to it with our teeth." (90) In other words, a grievance is eventually settled according to the law of the jungle if it is not properly plucked out of its roots. This is what the West is reluctant to do nowadays and it seems to be happy and satisfied with the weak King's way of handling the enmity. Henry's repeated 'O's do nothing but deepen the tragedy, augment the sorrows and point to his utter inability to act:

O, how this discord doth afflict my soul!

Can you, my Lord of Winchester, behold

My sighs and tears, and will not once relent?

Who should be pitiful, if you be not?

Or who should study to prepare a peace,

If holy churchmen take delight in broils?

(106-111)

Finally the lords yield only to comply with a whimsical wish of a weak King who fails to understand that a genuine reconciliation goes deeper than a pompous shake of hands and a mere utterance by word of mouth that inveterate enemies of the past are the sincere friends of the future. Thus when Winchester says to Gloucester: "I will yield to thee; / Love for thy love and hand for hand I give.", Gloucester, in an aside, replies " Ay, but, I fear me, with a hollow heart-" (134-36). Blessing the seeming settlement of the strife, the King says:

O loving uncle, kind Duke of Gloucester,  
How joyful am I made by this contract!  
Away, my masters, trouble us no more,  
But join in friendship, as your lords have done.  
(142-145)

But in response to the King's earnest plea to mend their differences, the servants ironically turn to go to surgeons and physicians to have their wounds dressed. There is no real indication of a genuine reconciliation amongst them. Their actions mirror those of their superiors. Next, we see the King restoring Richard to his earldom of Cambridge and dukedom of York in a futile effort to do justice and reconcile him with Somerset. But once more, Henry reveals his shallow understanding of the strife and dissension between the two. In fact, Somerset's aside "Perish, base prince, ignoble Duke of York" (177) points to Henry's mistake in not grasping the nature of the ill-feeling between them that cannot be plastered over by a mere hypocritical show of affection. As Exeter rightly predicts when he is alone on the stage, problems are more



than likely going to arise in the near future confirming Warwick's earlier prophecy in (2.4.124-127):

This late dissension grown betwixt the peers  
Burns under feigned ashes of forg'd love,  
And will at last break out into a flame:  
As fest'ring members rot but by degree,  
Till bones and flesh and sinews fall away,  
So will this base and envious discord breed.

(188-193)

### **Forced Solutions Do Not Solve Conflicts**

Thus it will not do to pretend to love when enmity and not amity is hidden in the labyrinth of the heart. Similarly, it will not do to appear to be sanctimonious and cordial when disdainful thoughts about the oppressed Other lurk behind the pleasant scene. It does not do either to attempt to ignore or wipe out the past because it is a part of the present that will trespass on its privacy and intrude into its secluded properties without warning. Only fools interpret the roar of the lion to be a smile and only the ignorant interpret a pretense of affection and an exchange of pleasant words between inveterate enemies as sincere signs of friendship. They put only a superficial end to profound hostilities. Behind the official shake of hands are volcanoes of rage and violence about to erupt and no power on earth can suppress them for ever. About twenty years ago, an effort to reach an agreement between president Sadat of Egypt and prime minister Begin of Israel during the presidency of Carter culminated in the

Camp David Accord. In his strenuous efforts to bring the two men together, Carter had to bring God into the picture. Thus he says:

The fact that we worship the same God and are bound by basically the same moral principles is a possible source for resolution of differences. I was always convinced that if Sadat and Begin could sit together, they would be bound by that common belief.<sup>32</sup>

But as this paper illustrates, neither a meeting around the negotiating table nor a signature on a peace agreement is a guarantee that hostilities will cease. The warring lords pretend to be friends when by the end of the scene the worst that is to come is predicted. Peace cannot be forced. It has to come naturally at a propitious moment when not only the leaders of state decide it, but when everything around them including the multitudes feel ready for it. The West can help bring about peace. But it must change its current policies where it is conspicuous that its double perspectives are at work to coerce the Arabs to fight the terrorism conducted by Hamas and the angry present Palestinian street scenes only to allow Israel the chance to emerge as the most powerful country in the region. To let Israel emerge as a power, that can build more settlements and allow it to do what it likes. While the West encourages dialogue and the continuation of peace talks, Western strategies and skillful manipulation of language leave Arabs stunned and at a loss. Arabs have lost command over language and with this loss comes the inevitable loss of authority. The use of force becomes the language of the oppressed who compensate for their loss of control over a verbal language by resorting to the language of street violence. The Jews, by contrast, are ingenious rhetoricians and their command over language links

them with Othello, before Iago poisons his mind, and certainly Bolingbroke. Such a command becomes a measure of their strength in conducting a political dialogue while the Arabs side with Henry and Richard in their highly sentimental language that does not suit the political arena. In a conflict where the Israelis are bound to win, it becomes essential for the West to play a more influential and impartial role in the region.

### Conclusion

The West is expected to use a language as heavy as explosives to force the more powerful Israel to comply with UN resolutions. The West should draw the line where all the sensible deem it fit to be drawn. It is only then, when language assumes its proper role of forcing the aggressor to stop, that the uncivilized language of stones will come to a halt. But how can the Israelis and America expect the Palestinians to practise self-discipline and remain calm when every Israeli action spurs them to retaliate! The West has to take into account the long grievances on the part of the Palestinians who are depicted as terrorists but with no serious attempt to address why terrorism exists. The Middle East is certainly a region of a turbulent conflict that requires courage and honesty to face if the West wants to maintain its role as a mediator who keeps one eye on its security and interests with its second eye directed towards the source of trouble and applicable solutions. Perhaps the former US Secretary of State James Baker's analysis of mounting problems is a fitting conclusion to this paper that stresses the need for solving conflicts comprehensively and justly at their roots. Even if answers cannot be given, an investigation of deep causes is an evidence of bravery and a positive forward move. Thus Baker says:

We are entering an era in which ethnic and sectarian identities could easily breed new violence and conflict.... The combination of unresolved regional conflicts, turbulent social and political changes, weapons of mass destruction, and much of the world's energy supplies makes the Middle East particularly combustible.<sup>33</sup>

But before everything blows up, is the West willing to avert such a stupendous explosion? Can we all learn a lesson from that Shakespearean scene!

## Notes

- 1) Homi K. Bhabha, The Location of Culture (London & New York: Routledge, 1994), p. 9. All other references to this book are abbreviated as LOC.
- 2) Akbar S. Ahmad, Postmodernism and Islam: Predicament and Promise (London: Routledge, 1992), p. 265.
- 3) Quoted in the Saudi Newspaper Arab News on 8.4.97.
- 4) Quoted in the Saudi Newspaper, The Saudi Gazette on 12.12.97
- 5) E. M. W. Tillyard, Shakespeare's History Plays (New York: Barnes & Noble, 1964), pp. 234-64.
- 6) Lily B. Campbell, Shakespeare's Histories: Mirrors of Elizabethan Policy (San Marino, Cal. : The Huntington Library, 1947), pp. 168-212.
- 7) David Bevington, Tudor Drama and Politics: A Critical Approach to Topical Meaning (Cambridge, Mass. : Harvard Univ. Press, 1968), p. 246.
- 8) John L. Esposito, The Islamic Threat: Myth or Reality? (New York: Oxford University Press, 1995), p. 186.
- 9) Abdullah Yusuf Ali, The Meaning of the Glorious Qur'an : Text, Translation and Commentary (Cairo: Dar Al-Kijab Al-Masri, 1934), IV. 75, p. 202.
- 10) A. B. Kernan, ed. "The Henriad: Shakespeare's Major History Plays," in Modern Shakespearean Criticism : Essays on Style, Dramaturgy, and the Major Plays (New York, 1970), p. 245.
- 11) Ranna Kabbani, Europe's Myth on the Orient (London : MacMillan, 1986), p. 85.
- 12) Robert B. Pierce, Shakespeare's History Plays: The Family and the State (Colombus, 1971), pp. 135-88.

- 13) G. Blackmore Evans, ed. The Riverside Shakespeare (Boston: Houghton Mifflin Co., 1974). All subsequent references are to this edition.
- 14) Eldridge Cleaver, "My Father and Stokeley Carmichael" in Post-Prison Writings and Speeches (New York, 1967), pp. 43-65.
- 15) Bevington, p. 245.
- 16) James Calderwood, Shakespearean Metadrama (Minneapolis, 1971), p. 154.
- 17) Aristotle, The Basic Works of Aristotle, ed. with Introduction by Richard McKeon (New York, 1941).
- 18) Edward Atiya, The Arabs (Edinburgh: R and R Clark Ltd, 1955), p. 21.
- 19) P. K. Hitti, Islam : A Way of Life (Minneapolis: Univ. of Minnesota Press, 1970), p. 25.
- 20) Gayatri Spivak, "Can the Subaltern Speak?" in Marxism and the Interpretation of Cultures, ed. Cary Nelson and Lawrence Grossberg (London: MacMillan, 1988), pp. 271-313.
- 21) P. K. Hitti, History of the Arabs (London: MacMillan, 1940), p. 90.
- 22) See E. Boehmer, Colonial and Postcolonial Literature (Berlin, Ibadan: Oxford Univ. Press, 1995).
- 23) William G. Crane, Wit and Rhetoric in the Renaissance (New York: Columbia Univ. Press, 1937), p. 85.
- 24) Alber Hourani, Arabic Thought in the Liberal Age, 1798-1939 (New York: Cambridge University Press, 1983), p. 175.

25) Quoted in Syed Habibul Haq Nadvi, Islamic Fundamentalism: A Theology of Liberation and Renaissance (Durban: The Centre for Islamic, Near and Middle Eastern Studies, Planning & Publication, 1995) p. 68.

26) The Guardian, 28. 10. 93.

27) Ibid.

28) Bernard Lewis, "The Roots of Muslim Rage", Atlantic Monthly 226: 3 (September 1990), p. 2.

29) Yusuf al-Qaradawi, Islamic Awakening Between Rejection and Extremism (Indianapolis: American Trust Publications, 1989), p. 49.

30) Esposito, The Islamic Threat, pp. 200-201.

31) Time International, 5. 12. 94.

32) Jochen Hippler and Andrea Lueg (eds), The Next Threat: Western Perceptions of Islam (London: Pluto Press, 1995), p. 140.

33) Ibid., p. 120.

## Bibliography

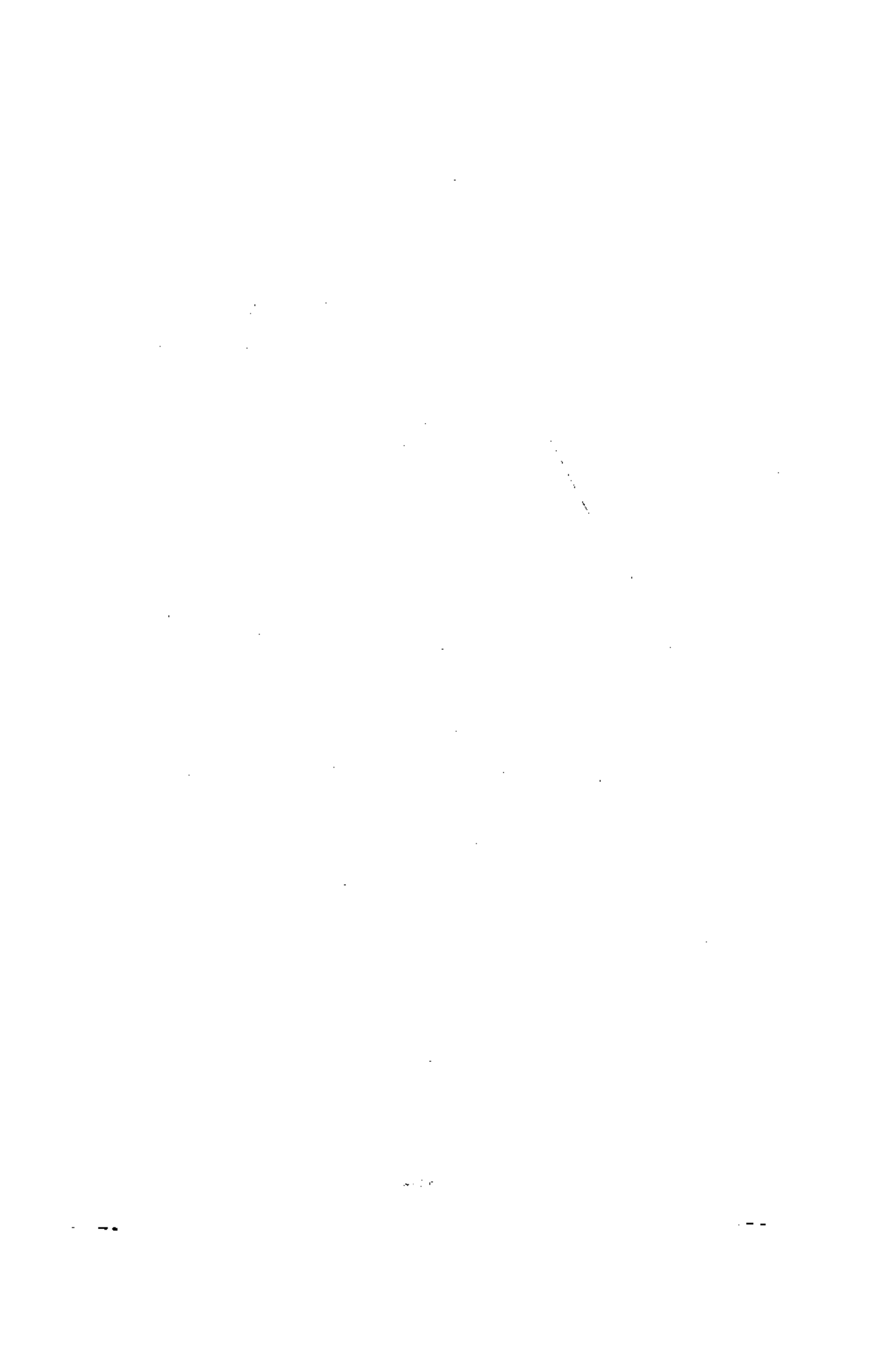
- Ahmad, Akbar S. Postmodernism and Islam: Predicament and Promise. London: Routledge, 1992.
- Ali, A. Yusuf. The Meaning of the Glorious Qur'an: Text, Translation and Commentary. Cairo: Dar Al-Kitab Al-Misri, 1934.
- Aristotle, The Basic Works of Aristotle. Edited with introduction by Richard McKeon. New York, 1941.
- Atiya, Edward, The Arabs. Edinburgh: R and R Clark, Ltd, 1955.
- Bevington, David. Tudor Drama and Politics: A Critical Approach to Topical Meaning. Cambridge, Mass. : Harvard University Press, 1968.
- Bhabha, Homi K. The Location of Culture. London & New York: Routledge, 1994.
- Boehmer, Elleke. Colonial and Postcolonial Literature. Berlin, Ibadan: Oxford University Press, 1995.
- Calderwood, James. Shakespearean Metadrama. Minneapolis, 1971.
- Campbell, Lily B. Shakespeare's Histories: Mirrors of Elizabethan Policy. San Marino, Cal. : The Huntington Library, 1947.
- Cleaver, Eldridge. Post-Prison Writings and Speeches. New York, 1967.
- Crane, William G. Wit and Rhetoric in the Renaissance: The Formal Basis of Elizabethan Style. New York: Columbia University Press, 1937.
- Esposito, John L. The Islamic Threat: Myth or Reality? New York: Oxford University Press, 1995.
- Hippler, Jochen and Andrea Lueg. The Next Threat: Western Perceptions of Islam. London: Pluto Press, 1995.
- Hitti, P. K. History of the Arabs. London: MacMillan, 1940.



- ..... Islam: A Way of Life. Minneapolis: Univ. of Minnesota Press, 1970.
- Hourani, Albert. Arabic Thought in the Liberal Age, 1798-1939. New York  
: Cambridge University Press, 1983.
- Kabbani, R. Europe's Myth of the Orient. London: MacMillan, 1986.
- Kernan, A. B., ed. Modern Shakespearean Criticism: Essays in Style, Dramaturgy, and  
the Major Plays. New York , 1970.
- Lewis, Bernard. "The Roots of Muslim Rage." Atlantic Monthly. 226: 3 (September  
1990).
- Nadvi, Syed Habibul Haq. Islamic Fundamentalism: A Theology of Liberation and:  
Renaissance. Durban: The Centre for Islamic, Near and Middle Eastern Studies,  
Planning & Publication, 1995.
- Shakespeare, William. The Riverside Shakespeare. Ed. G. Blackmore Evans, et al.  
Boston: Houghton Mifflin Co., 1974.
- Spivak, Gayatri. "Can the Subaltern Speak? in Marxism and the Interpretation of  
Cultures. ed. Cary Nelson and Lawrence Grossberg. London: MacMillan, 1988.
- Tillyard, E. M. W. Shakespeare's History Plays. New York: Barnes & Noble, 1964.



- ..... Islam: A Way of Life. Minneapolis: Univ. of Minnesota Press, 1970.
- Hourani, Albert. Arabic Thought in the Liberal Age, 1798-1939. New York  
: Cambridge University Press, 1983.
- Kabbani, R. Europe's Myth of the Orient. London: MacMillan, 1986.
- Kernan, A. B., ed. Modern Shakespearean Criticism: Essays in Style, Dramaturgy, and  
the Major Plays. New York , 1970.
- Lewis, Bernard. "The Roots of Muslim Rage." Atlantic Monthly. 226: 3 (September  
1990).
- Nadvi, Syed Habibul Haq. Islamic Fundamentalism: A Theology of Liberation and:  
Renaissance. Durban: The Centre for Islamic, Near and Middle Eastern Studies,  
Planning & Publication, 1995.
- Shakespeare, William. The Riverside Shakespeare. Ed. G. Blackmore Evans, et al.  
Boston: Houghton Mifflin Co., 1974.
- Spivak, Gayatri. "Can the Subaltern Speak? in Marxism and the Interpretation of  
Cultures. ed. Cary Nelson and Lawrence Grossberg. London: MacMillan, 1988.
- Tillyard, E. M. W. Shakespeare's History Plays. New York: Barnes & Noble, 1964.



**Yes / No Questions in Cyrenaica**  
*A Phonetic Analysis*

**Dr. Mohamed S. El-Dalee**

*(Dept. of Phonetics, Faculty of Arts, Alexandria – Egypt)*



Arabic intonation has its own peculiarities. This applies to all Arabic dialects <sup>(1)</sup>. The salient feature of the up-and-down effect characterizes both the reading style and the spoken language. Though accented syllables of Arabic words and phrases delineate the intonational contours of sentences, in declarative sentences accents occur on the Arabic peaks and unaccented syllables of the following words of phrases fall in the valleys (See figures 1, 2, 3 & 4). On the contrary, English shows a pattern of continuous descent from the first accent <sup>(2)</sup>.

Elsewhere <sup>(3)</sup>, I described Arabic as a non-intonational language, but rather it is a particle language. There are myriads of particles used for grammatical, attitudinal, pragmatic, and discourse purposes, whereas in English, various intonational patterns are used for these purposes.

The aim of this paper is to provide a phonetic analysis of the intonation for Yes/ No questions in Cyrenaica dialect (Benghazi - Libya), where both the clitic (particle) and the intonational contour cooccur. The clitic which is used in the dialect is the enclitic {+u} at the end of Yes/No & verifying questions.

Little research has been done on the intonation of Arabic. No research, to the best of my knowledge, has been done on interrogative intonation of Arabic.

## **Experiment**

### **1. Collection of sample intonations:**

A female university lecturer, a native speaker of Benghazi (Cyrenaica), recorded 12 short every day sentences. The list of the sentences is presented in Table 1. A recording of the sentences was made three times. In every time of recording, each sentence was recorded twice in two different grammatical intonations:

a)Statement intonation.

b)Yes/No question form and intonation.

The total was 24 sentences.

The recording was done in an insulated room, on a reel tape, by a professional technician and sound-library personnel.



**Table (1)**  
**List of Sentences**

**[A]**

|                |                     |                 |         |
|----------------|---------------------|-----------------|---------|
| <b>?allaah</b> | God                 | <b>?allaahu</b> | God ?   |
| <b>haliib</b>  | milk                | <b>haliibu</b>  | milk ?  |
| <b>?asmaa?</b> | Asmaa (proper name) | <b>?asmaa?u</b> | Asmaa?  |
| <b>fathil</b>  | Fathi (proper name) | <b>fathiyu</b>  | Fathi ? |
| <b>luuluu</b>  | Lulu (proper name)  | <b>luuluu</b>   | Lulu ?  |
| <b>?omo</b>    | Omo (proper name)   | <b>?omo</b>     | Omo ?   |

**[B]**

|                           |                                   |
|---------------------------|-----------------------------------|
| <b>?ana min benyaazli</b> | I am from Benghazi                |
| <b>?ana min benyaazyu</b> | Am I from Benghazi ?              |
| <b>?ana fribt gahwa</b>   | I drank coffee                    |
| <b>?ana fribt gahwaw</b>  | Did I drink coffee ?              |
| <b>?iktibu</b>            | Write I(2 <sup>nd</sup> p.plural) |
| <b>?iktibu</b>            | Write ? (Did I say "write"?)      |

**[C]**

|              |                             |             |         |
|--------------|-----------------------------|-------------|---------|
| <b>man</b>   | "who"                       | <b>man</b>  | "who !" |
| <b>mann</b>  | "who?" (Did you say "who"?) |             |         |
| <b>keef</b>  | "how"                       | <b>keef</b> | "how!"  |
| <b>keefu</b> | "how?" (Did you say "how"?) |             |         |

## **2- Analysis**

The total of 120 sentences ( 24 x 5 repetitions ) were recorded and analyzed through implemented CECIL package :

Intonation in language. Summer Institute of linguistics, University of Texas 1997. The intonational contours are smoothed by autocorrelation, version 2.2.

The output contours of intonations were compared according to the kinetic tones <sup>(4)</sup> for the following criteria :

- 1- A rise is a rise whether it moves from 80 Hz to 120 Hz or from 150 Hz to 300 Hz <sup>(5)</sup>.
- 2- Arabic is characterized by the up-and-down effect in the intonational contours of sentences, whereas English exhibits a pattern of continuous descent from the first accent.
- 3- Two levels of kinetic tone, high/low or fall/rise, are normally distinguished as a means of partially accounting for intonation differences <sup>(6)</sup>.

**Table (1)**  
**List of Sentences**

**[A]**

|                |                     |                 |         |
|----------------|---------------------|-----------------|---------|
| <b>?allaah</b> | God                 | <b>?allaahu</b> | God ?   |
| <b>haliib</b>  | milk                | <b>haliibu</b>  | milk ?  |
| <b>?asmaa?</b> | Asmaa (proper name) | <b>?asmaa?u</b> | Asmaa?  |
| <b>fathii</b>  | Fathi (proper name) | <b>fathiyu</b>  | Fathi ? |
| <b>luuluu</b>  | Lulu (proper name)  | <b>luuluu</b>   | Lulu ?  |
| <b>?omo</b>    | Omo (proper name)   | <b>?omo</b>     | Omo ?   |

**[B]**

|                           |                                     |
|---------------------------|-------------------------------------|
| <b>?ana min benraazii</b> | I am from Benghazi                  |
| <b>?ana min benraazyu</b> | Am I from Benghazi ?                |
| <b>?ana fribt gahwa</b>   | I drank coffee                      |
| <b>?ana fribt gahwaw</b>  | Did I drink coffee ?                |
| <b>?iktibu</b>            | Write I (2 <sup>nd</sup> p. plural) |
| <b>?iktibu</b>            | Write ? (Did I say "write"?)        |

**[C]**

|              |                             |             |         |
|--------------|-----------------------------|-------------|---------|
| <b>man</b>   | "who"                       | <b>man</b>  | "who !" |
| <b>manu</b>  | "who?" (Did you say "who"?) |             |         |
| <b>keef</b>  | "how"                       | <b>keef</b> | "how!"  |
| <b>keefu</b> | "how?" (Did you say "how"?) |             |         |

## **2- Analysis**

The total of 120 sentences ( 24 x 5 repetitions ) were recorded and analyzed through implemented CECIL package :

Intonation in language. Summer Institute of linguistics, University of Texas 1997. The intonational contours are smoothed by autocorrelation, version 2.2.

The output contours of intonations were compared according to the kinetic tones <sup>(4)</sup> for the following criteria :

- 1- A rise is a rise whether it moves from 80 Hz to 120 Hz or from 150 Hz to 300 Hz <sup>(5)</sup>.
- 2- Arabic is characterized by the up-and-down effect in the intonational contours of sentences, whereas English exhibits a pattern of continuous descent from the first accent.
- 3- Two levels of kinetic tone, high/low or fall/rise, are normally distinguished as a means of partially accounting for intonation differences <sup>(6)</sup>.

### 3-Results

The outputs of the computational analysis show the following contour tendencies :

1) Up-and-down movements in both statement and questions, even in sentences with one word surface structure, e.g.: *hallib, hallibu?* See Fig.5 & Fig.9.

2) Question contours have two peaks. (See Figures 5-11).

3) Questions are higher with respect to their tonal range, and statements, on the contrary, are low. (See Figures 5-11).

4) Emphasizing (or confirming) utterances are medium in their tonal range. (See Fig. 10).

4) No rising final cadence as we see in other language such as English.  
(For comparison see Figures 1-4).

#### **4-Discussion**

- 1) Up-and-down contours of the data support the findings of Mitchell 1990 & 1993 where he stated that Arabic intonation is characterized by its 'jumping' nature.
- 2) The two-peak phenomenon is supported by the transcribed contours above the accented and non-accented syllables of sentences done by Mitchell (See Figures 1-4). This attested also in Ladd (1992:324) findings on the "association of tunes to text".
- 3) The high-beginning in Yes/No questions is supported by the findings of (Miura & Hara, pp. 294-5).
- 4) The middle tone-range of 'emphasis' or 'confirmation' is supported by the cross-languages description of Heffner (1969:220-1).
- 5) No rising final cadence result is contrary to what is stated in English by Mitchell 1993 (compare figures 3,4 with the other figures of the experiment). It is not also supported by (Heffner 1969:220-1) where he stated that Yes/No questions normally have a rising final cadence, which may be described as a low rising slur of moderate interval. Bolinger (1978:501) is another counter example of this finding, where he dealt universally with many languages, Arabic not included.

Fig. (1).

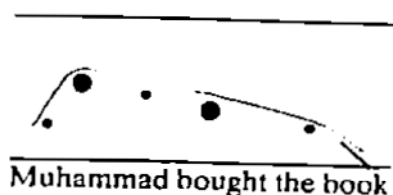


Fig. (2).

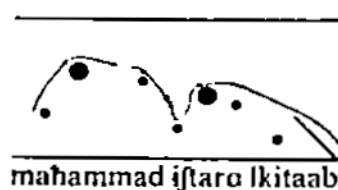


Fig. (3).

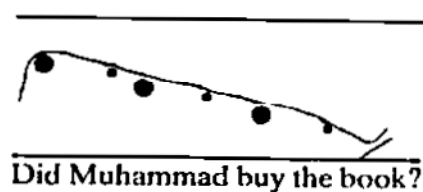
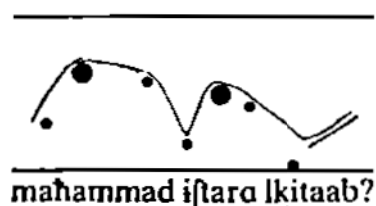


Fig. (4).



(from the courtesy of T.F. Mitchell, 1993)

(The contours above the accents and tones are added  
by the author of this research).

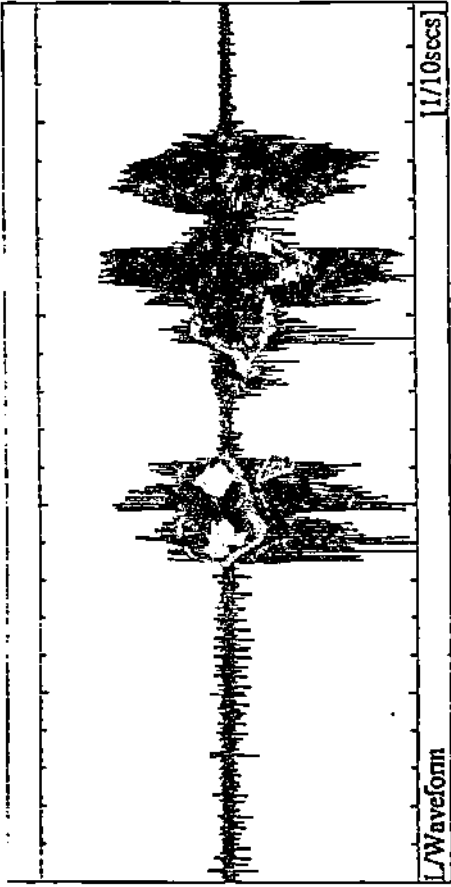
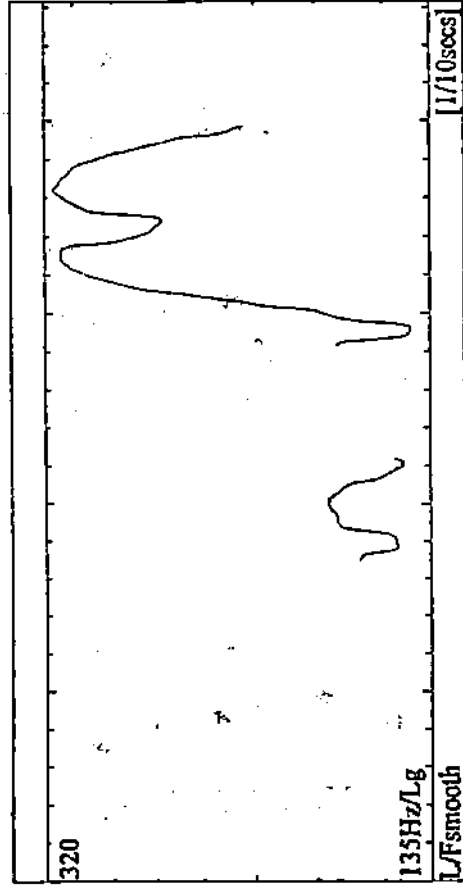


FIG. 5

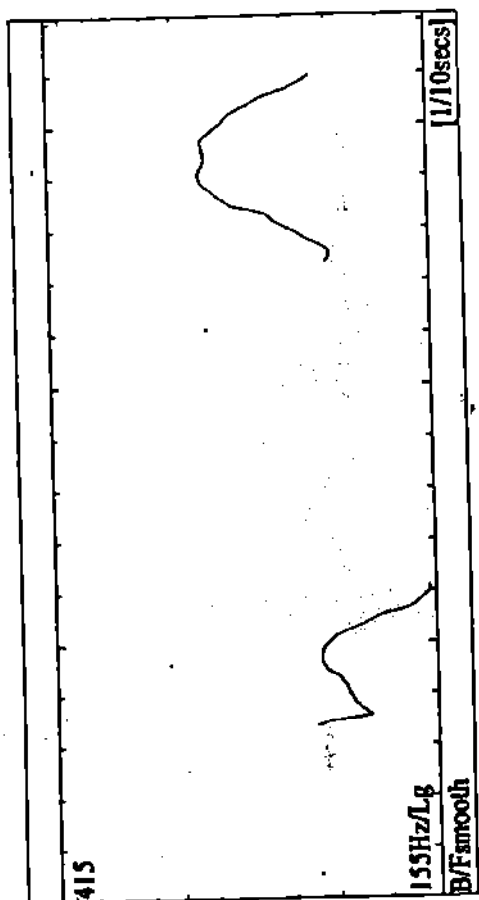
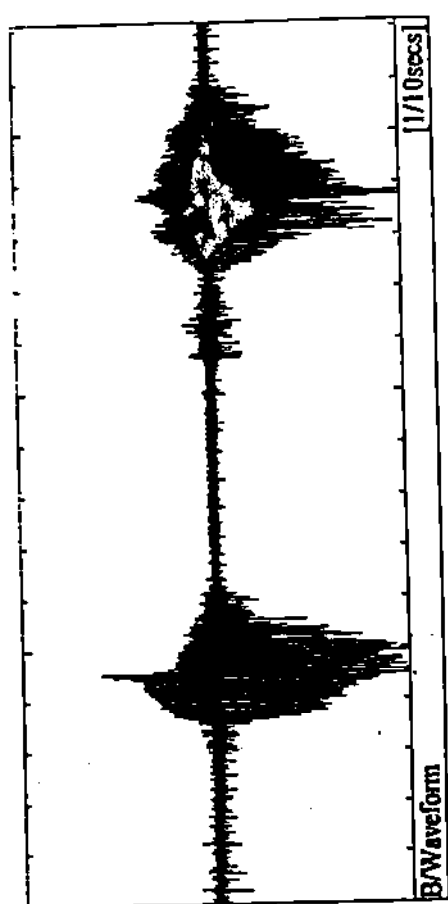


halib      halibu

FIG. 5



FIG. 6



?a sma : ?u

?a sma : ?

FIG. 6

FIG. 7a

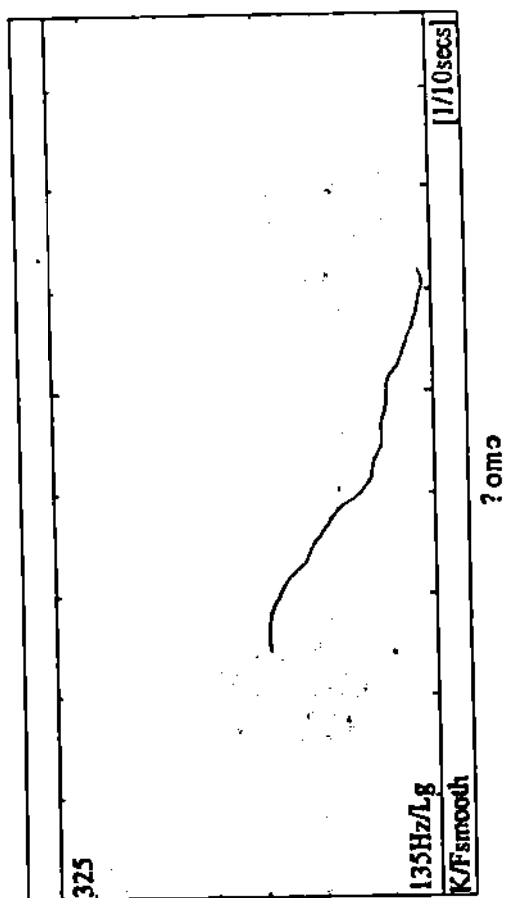
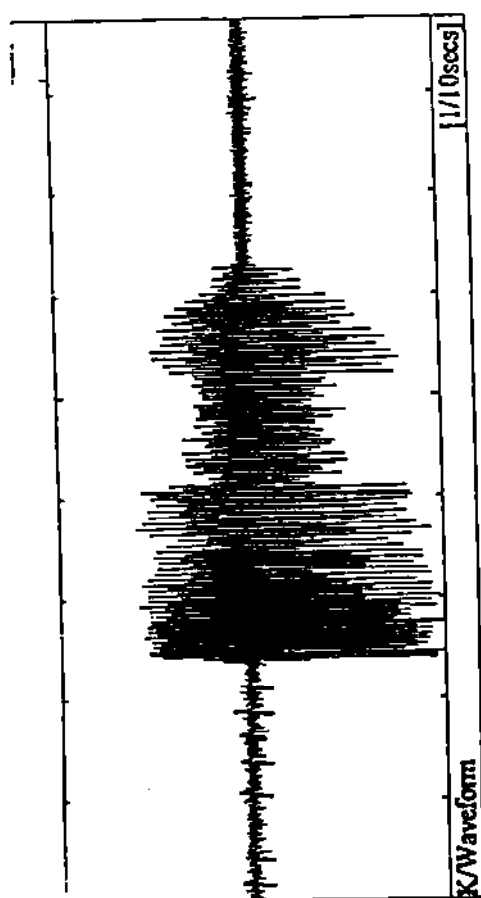


FIG. 7a

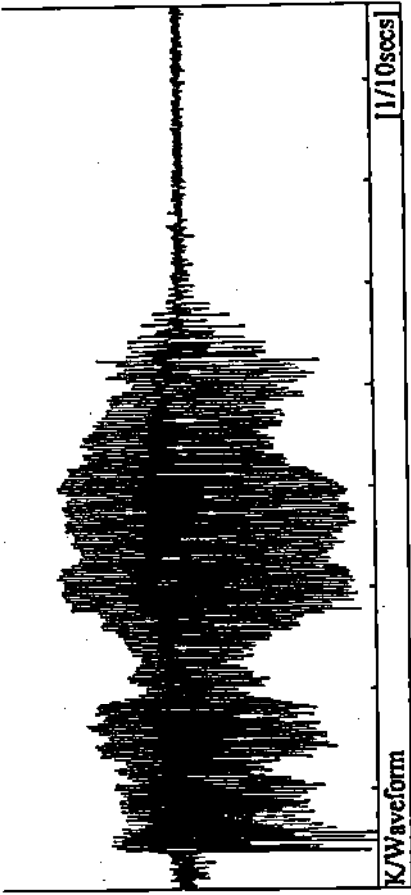
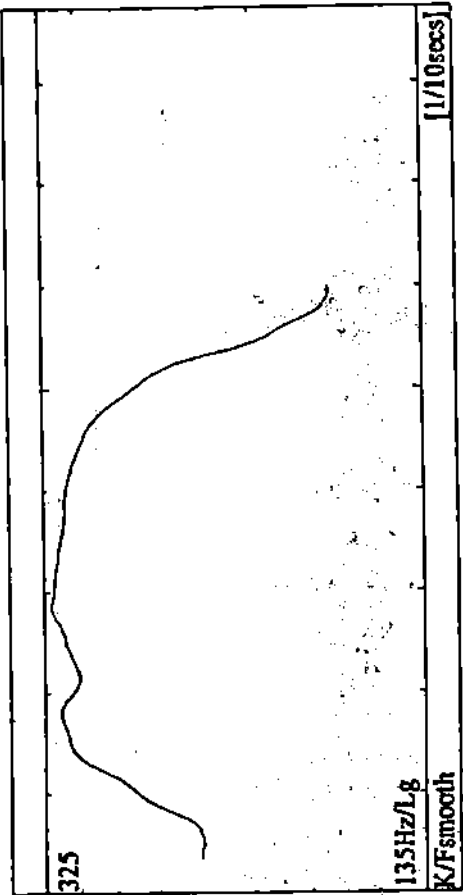


FIG. 7b



?omo ?

FIG. 7b

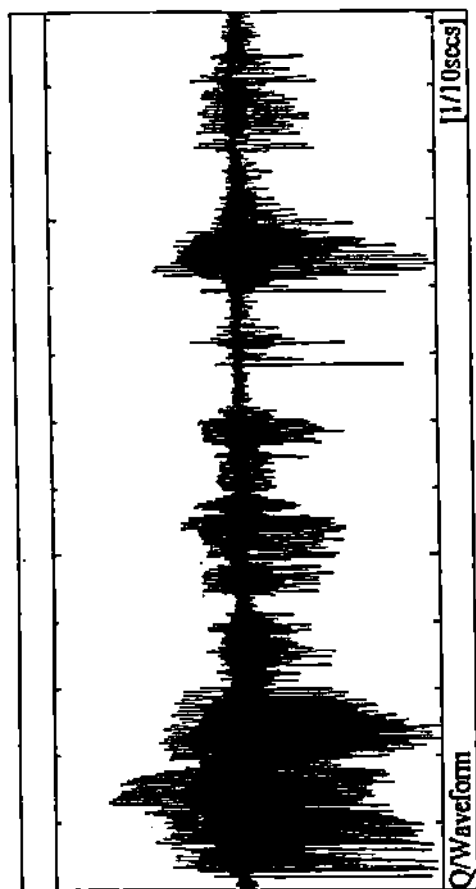
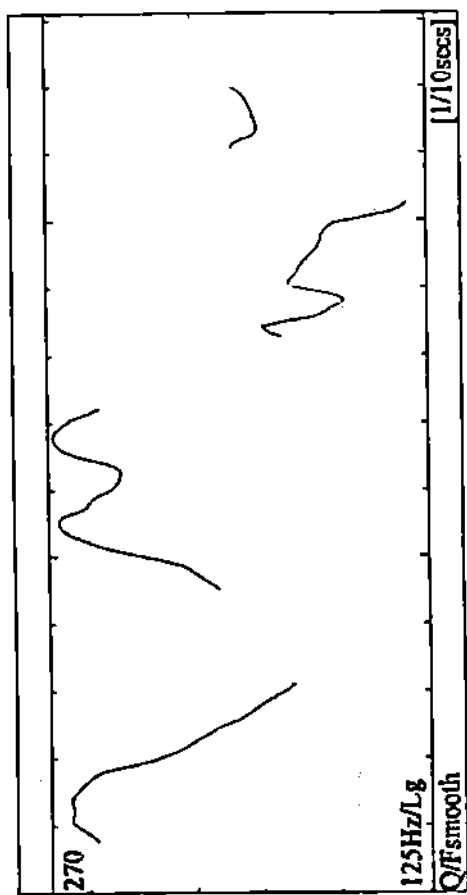


FIG. 8a



ana orbit gohwa

FIG. 8a

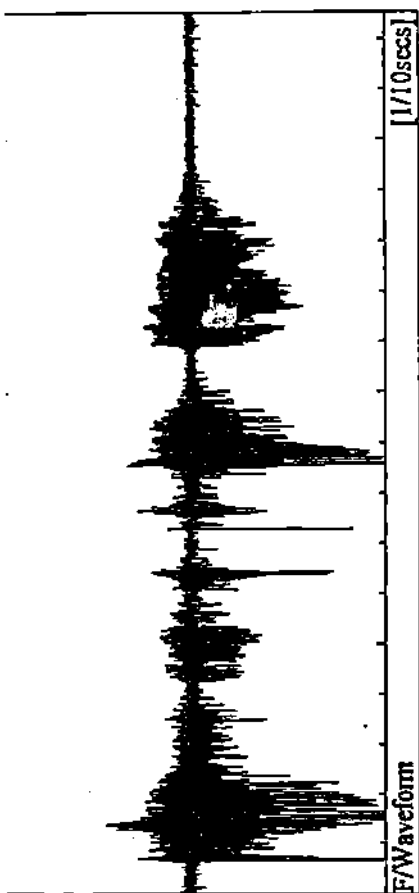
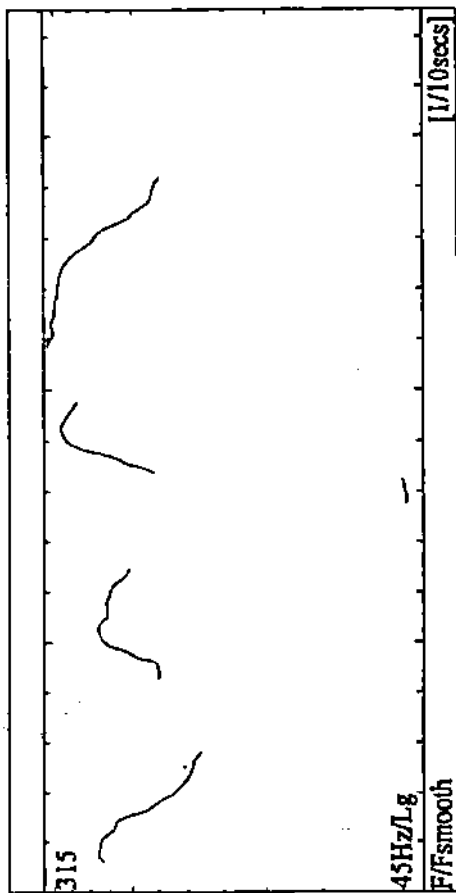


FIG. 8b



?ana Yribt gahwaw?

FIG. 8b

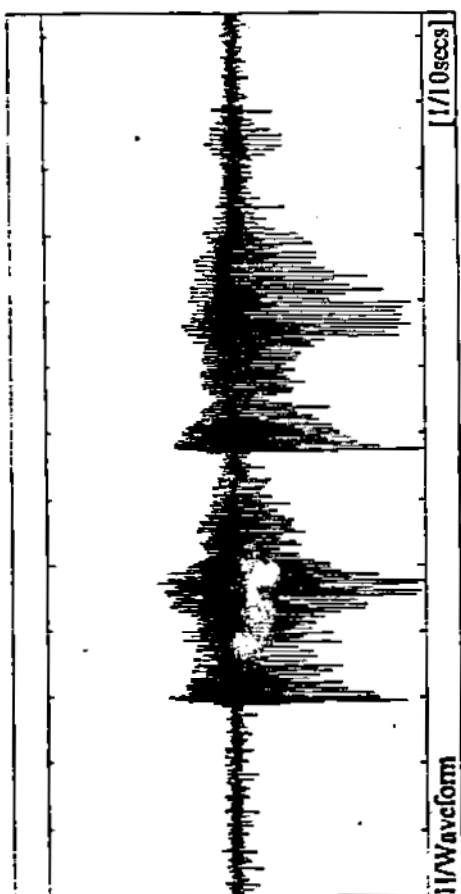
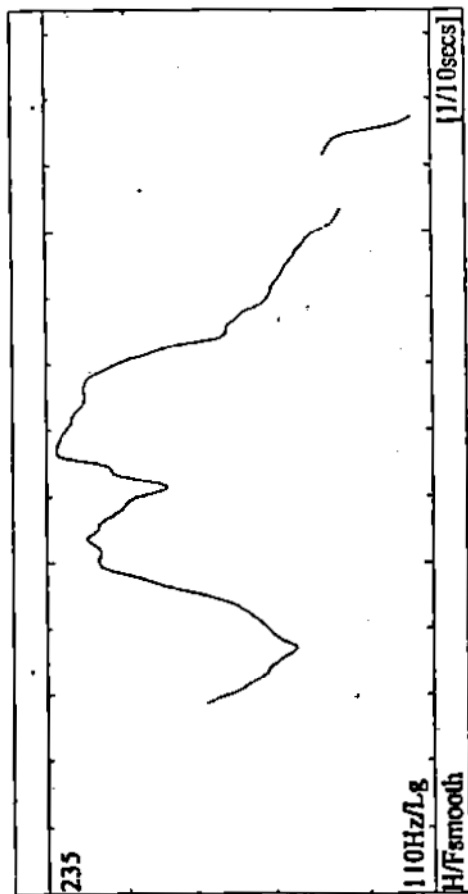


FIG. 9a



?ana min banyazi

FIG. 9a

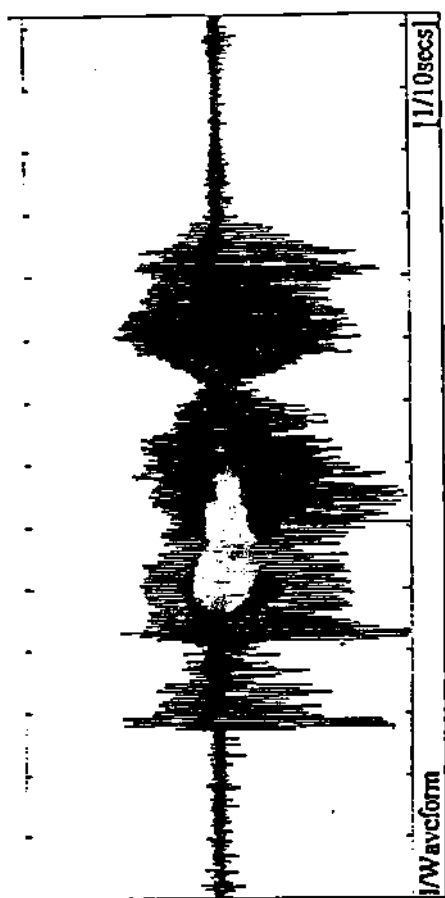
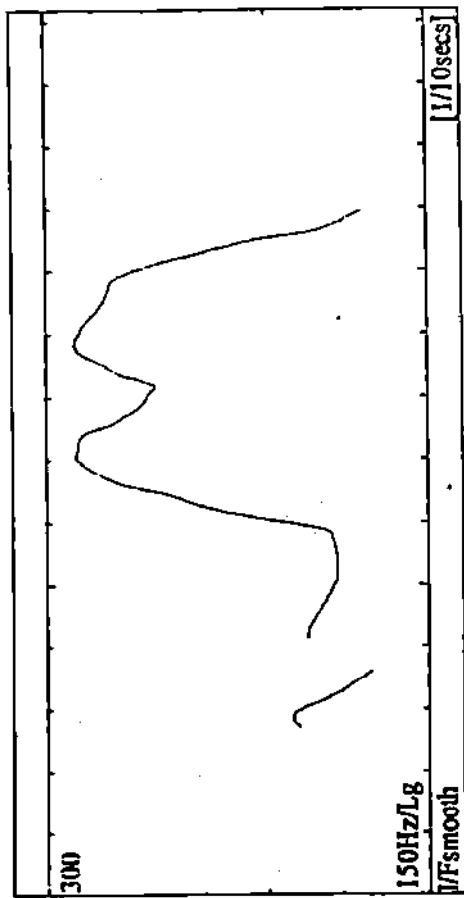


FIG. 9b



?ana min banYazju ?

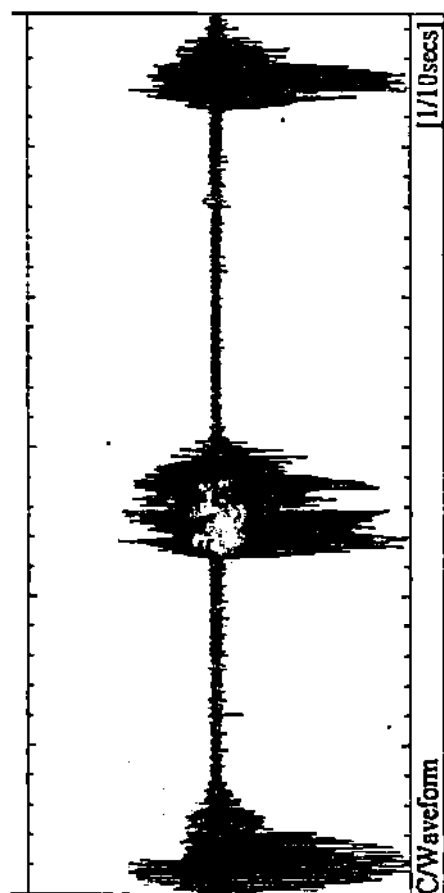
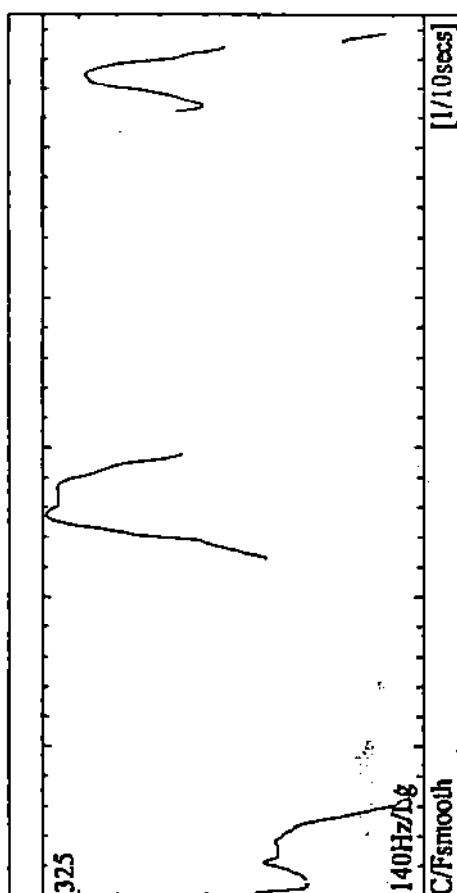


FIG. 10



man !

manu ?

man



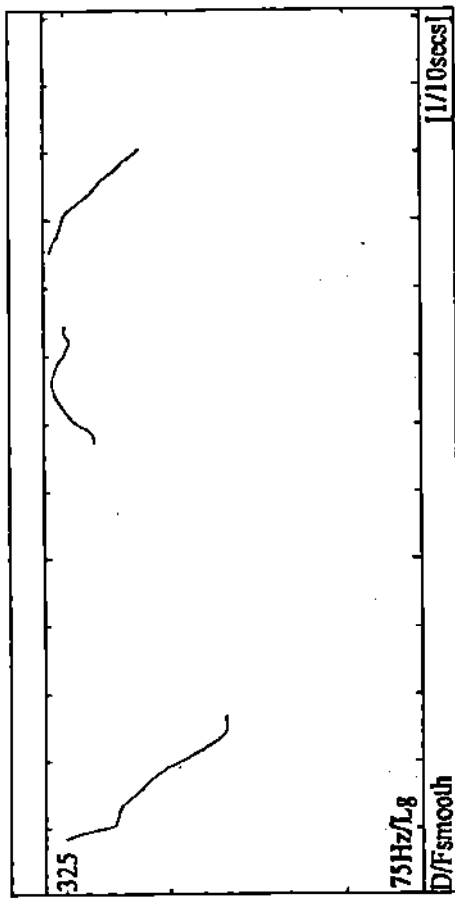
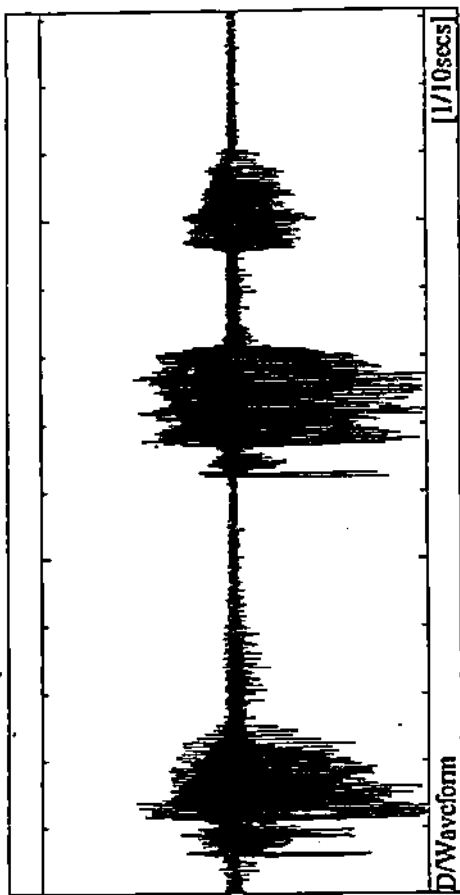


FIG. 11

ke:fo ?

ke:f

### **Foot Notes :**

- \* The words in the list are whole sentences in the deep structure. The left side word of group (A) are answers of the questions :

Who has the control of destiny ?

What did you drink ?

Whom did you meet ?

who did this chart ?

What is your name ?

Which detergent did you use ?

The right side words of group (A) are questions asking the verifying of the words or the availability of things or persons.

The (C) group contains sentences about the two question words [man] "who" and [keef] "how", a statement, order to write or to know, and a Yes/No question respectively.

- 1) Mitchell (1993) p. 222, 226.
- 2) ibid.
- 3) El-Dalee, M.S. (forthcoming) "Fundamental Problems in Arabic Intonation".

To appear in : ARABIC JOURNAL FOR THE HUMANITIES:

KUWAIT UNIVERSITY No. 64.

- 4) The term "Kinetic" is applied to tones which vary in pitch range, e.g. rising/falling, or falling/rising tones.
- 5) Ladd (1993) p. 329.
- 6) Mitchell (1993) p. 221.

## References:

- Bolinger D., "Intonation across languages" in **UNIVERSALS OF HUMAN LANGUAGE**, Edited by J.H. Greenberg, Volume 2, Phonology, Stanford University Press, Stanford, California 1978.
- El-Dalee, M.S. (forthcoming) "Fundamental Problems in Arabic Intonation". To appear in: **ARABIC JOURNAL FOR THE HUMANITIES: KUWAIT UNIVERSITY No.64.**
- Heffner, R.M.S. : **General Phonetics : The University of Wisconsin Press, 1969.**
- Ladd, D. Robert. "An Introduction to Intonational Phonology".  
  
In Docherty, G.J. & Ladd, D.R (eds) **PAPERS IN LABORATORY PHONOLOGY II, 1992 pp. 321-334.**
- Laver, J., **Principles of Phonetics. Cambridge University Press, 1994.**
- Mitchell, T.F. **Pronouncing Arabic 1, Oxford, 1990.**
- ----- . **Pronouncing Arabic 2, Oxford, 1993.**
- Miura, I. & Hara, N. " Production and Perception of Rhetorical questions in Osaka, Japanese". **JOURNAL OF PHONETICS (1995) 23, 291-303.**
- Takefuta, Yukin; **Method of Acoustic Analysis of Intonation. in Singh, S. (ed): MEASUREMENTS PROCEDURES IN SPEECH, HEARING, AND LANGUAGE. University Park Press, Baltimore, London, Tokyo, 1975. pp. 363-378.**

...the ...  
...the ...  
...the ...  
...the ...

...the ...  
...the ...  
...the ...  
...the ...

...the ...  
...the ...  
...the ...  
...the ...

...the ...  
...the ...  
...the ...  
...the ...

...the ...  
...the ...  
...the ...  
...the ...

...the ...  
...the ...  
...the ...  
...the ...

...the ...  
...the ...  
...the ...  
...the ...

...the ...  
...the ...  
...the ...  
...the ...

...the ...  
...the ...  
...the ...  
...the ...